الشيعة

تاريخ ... ومواقف

تأليف

دكتور/ رجب محمود إبراهيم بخيت

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: الشيعة تاريخ... ومواقف

إعـــــداد: دكتور/ رجب محمود إبراهيم بخيت

رقم الايداع ٢٠١٧/١٠٨٣٨

الطبعة الأولى ٢٠١٧



القاهــرة : ٤ ميـدان حليــم خلــف بنــك فيصــل

ش ٢٦يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦/ ٠٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية الذي علا في دنوه ودنا في علوه فلا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ما خلق ولم يخلقه على مثال سبق بل أنشأه ابتداعا وعدله اصطناعا فأحسن كل شيء خلقه وتمم مشيئته وأوضح حكمته فدل على ألوهيته فسبحانه لا معقب لحكمه ولا دافع لقضائه تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لسلطانه ووسع كل شيء فضله لا يعزب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده إلها تقدست أسماؤه وعظمت آلاؤه وعلا عن صفات كل مخلوق وتنزه عن شبيه كل مصنوع فلا تبلغه الأوهام ولا تحيط به العقول ولا الأفهام يعصى فيحلم ويدعى فيسمع ويقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون .

والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين ، وإمام المتقين ، فخر العرب وعزها ، وعظيم البشرية كلها ، وطبيب القلوب بل دوائها ، وفرح الأرواح بل نعيمها:

كالبدر في شرف والزهر في ترف ::: والبحر في كرم والدهر في همم

صلى الله عليه ، وعلى آله الطيبين ، الذين جعل الله مودتهم من الدين ، وحبهم علامة المؤمنين ، وعلى صحابته الذين امتازوا بشرف رؤيته ، وفازوا بفضل صحبته ، وزكوا بطيب رفقته ، فأحبوه حب الأم وليدها ، وذادوا عنه ذود الأسد عن آجامها ، وافتدوا به الآباء والأمهات ، وفارقوا لأجله البنين والبنات ، واستسهلوا الصعب لنشر دعوته ، واستطابوا الموت في سبيل خدمته ، وآزروه حتى استغلظ فاستوى على سوقه ، فمات وهو عنهم راض ، وساروا على دربه بلا صدود أو إعراض ، صلاة دائمة متصلة إلى يوم الدين . .

أما بعد . .

فإن من الأمور التي يبغضها الله لأهل الإسلام: الفرقة والاختلاف ؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ

الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران:١٠٥] .

وكل غيور على دين الله ينفر من الاختلاف ويكرهه ، ويسعى إلى دَرْئه ما استطاع .

ومن أصول الإسلام العظيمة الاعتصام بحبل الله جميعاً وعدم التفرق قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] .

وقد كان المسلمون على ما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول ، فلما قتل عثمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه ووقعت الفتنة ، فاقتتل المسلمون بصفين ، مرقت المارقة وهم الخوارج الذين خرجوا على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد التحكيم ، فقاتلهم علي يوم النهروان ، وقد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتالهم في الأحاديث الصحيحة ، ففي الصحيحين عشرة أحاديث فيهم ، أخرج البخاري منها ثلاثة ، وأخرج مسلم سائرها التي قال فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "تمرق مارق على حين فرقة من المسلمين ، يقتلهم أولى الطائفتين بالحق"(١) وكان مروقها لما حكم الحكمان ، وتفرق الناس على غير اتفاق .

ثم حدث بعد بدعة الخوارج بدع التشيع ، وتتابع خروج الفرق ، كما أخبر بذلك المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد خرج التشيع من الكوفة ، ولذلك جاء في أخبار الشيعة بأنه لم يقبل دعوتهم من أمصار المسلمين إلا الكوفة ، ثم انتشر بعد ذلك في غيرها ، كما خرج الإرجاء أيضاً من الكوفة ، وظهر القدر ، والاعتزال ، والنسك الفاسد من البصرة ، ظهر التجهم من ناحية خراسان .

وكان ظهور هذه البدع بحسب البعد عن "الدار النبوية" لأن البدعة لا تنمو وتنتشر إلا في ظل الجهل ، وغيبة أهل العلم والإيمان ، ولذلك قال بعض السلف: من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله للعالم من أهل

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم: ٧/ ١٦٨ .

السـنة ؛ وذلـك لـسرعة تأثـر هؤلاء بأعاصير الفتنة والبدعة لضعف قدرتهم على معرفة ضلالها ، واكتشاف عوارها ، ولذا فإن خير منهج لمقاومة البدعة ، ودرء الفـرقة ، هـو نـشر الـسنة بـين الـناس ، وبـين ضلال الخارجين عنها ، ولـذلك نهـض أئمـة الـسنة بهـذا الأمـر ، وبينـوا حـال أهل البدعة ، وردوا شـبهاتها ، كمـا فعـل الإمـام أحمـد في الـرد على الزنادقة والجهمية ، والإمام الـبخاري في الـرد علـى الجهمية ، وابن قتيبة في الرد على الجهمية والمشبهة ، والدارمي في الرد على بشر المريسي وغيرهم .

ولا شـك بـأن بـيان حـال الفـرق الخارجة عن الجماعة ، والمجانبة للسنة ضروري لرفع الالتباس ، وبيان الحق للناس ، ونشر دين الله سبحانه ، وإقامة الحجـة علـى تلـك الطوائف ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حيّ عن بيـنة ، فـإن الحـق لا يكـاد يخفـى علـى أحـد ، وإنمـا يـضلل هـؤلاء أتباعهم بالـشبهات والأقـوال الـموهمة ، ولـذلك فـإن أتباع تلك الطوائف هم ما بين زنديـق ، أو جاهـل ، ومـن الـضروري تعليم الجاهل ، وكشف حال الزنديق ليعرف ويحذر .

وبـيان حـال أئمة البدع المخالفة للكتاب والسنة واجب باتفاق المسلمين حتـى قـيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك ، أو يتكلم في أهل البدع؟

فقـال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه ، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين ، هذا أفضل .

وقل أيضاً: "الكلام في أهل البدع أحب إلي من بعض النوافل" فكشفهم وفضحهم حتى لا يغرروا بالمسلمين هو بإذن الله من القرب .

فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله ، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ، دفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلـك واجـب باتفاق المسلمين ، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الـدين ، وكـان فـساده أعظـم من فساد استيلاء العدو من أهل الحربٍ ، فإن هـؤلاء إذا اسـتولوا لم يفـسدوا القلـوب ومـا فـيها مـن الدين إلا تبعاً ، وأما

أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء[1]".

وقد حكي الإمام البزار عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال:

"ولقد أكثر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من التصنيف في الأصول فسألته عن سبب ذلك، والتمست منه تأليف نص في الفقه يجمع اختياراته وترجيحاته؛ ليكون عمدة في الإفتاء، فقال لي ما معناه:

"الفروع أمرها قريب ومن قلد المسلم فيها أحد العلماء المقلدين جاز له العمل ما لم يتيقن خطأه.

وأما الأصول فإني رأيت أهل البدع والضلالات والأهواء.. قد تجاذبوا فيها بأزمة الضلال وبان لي أن كثيرًا منهم إنما قصد إبطال الشريعة المحمدية الظاهرة العلية على كل دين.. فلما رأيت الأمر كذلك بان لي أنه يجب على كل من يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم وقطع حججهم وأباطيلهم أن يبذل جهده ليكشف رذائلهم ويزيف دلائهم ذبًا عن الملة الحنيفة والسنة الصحيحة الجليلة"[2].

وطائفة الشيعة الرافضة يزداد هجومها على أهل السنة، وتجريحها لرجالهم، وطعنها في مذهبهم، وسعيها لنشر التشيع بينهم يوماً بعد يوم.

ولعل طائفة الاثني عشرية هي أشد فرق الشيعة سعياً في هذا الباب لإضلال العباد إن لم تكن الفرقة الوحيدة التي تُكثر من التطاول على السنة، والكيد لها على الدوام مما لا تجده عند فرقة أخرى.

وقد قامت في السنوات الأخيرة الدعوة التي للتقريب بين دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ومخالفيهم من أهل السنة، والزيدية والإباضية، وقد تبين استحالة ذلك، لأن واضعي أسس الدين الشيعي لم يتركوا في أصولهم وسيلة لهذا التقريب بعد أن أقاموه على دعائم منافية لما جاء به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودعاء إليه أصحابه، وتركهم بعده على محجة واضحة منيرة

---

(١) ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل، ٥/ ١١٠.

(٢) الحافظ عمر بن علي البزار: الأعلام العليا في مناقب ابن تيمية، ط المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٦هـ، ص٣٥، ٣٦.

لا ينحرف عنها منحرف إلا هلك .

وأول موانع التقارب الصادق بإخلاص بين السنة والشيعة ، ما يسمونه "التقية" فإنها عقيدة دينية ، تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما يبطنون ، فينخدع سليم القلب منا بما يتظاهرون له به من رغبتهم في التفاهم والتقارب وهم لا يريدون ذلك ولا يرضون به ولا يعملون له ، إلا على أن يبقى من الطرف الواحد مع بقاء الطرف الآخر في عزلته لا يتزحزح عنها قيد شعرة . ولو توصل ممثلو دور التقية منهم إلى إقناعنا بأنهم خطوا نحونا بعض الخطوات ، فإن جمهور الشيعة كلهم من خاصة وعامة يبقى منفصلاً عن ممثلي هذه المهزلة ، ولا يسلّم للذين يتكلمون باسمه بأن لهم حق التكلم باسمه .

وحتى القرآن الذي كان ينبغي أن يكون المرجع الجامع لنا ، ولهم على التقارب نحو الوحدة ، فإن أصول الدين عندهم قائمة من جذورها على تأويل آياته ، وصرف معانيها إلى غير ما فهمه منها الصحابة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإلى غير ما فهمه منها أئمة الإسلام عن الجيل الذي نزل عليه القرآن . بل إن أحد كبار علماء النجف ، وهو الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي - الذي بلغ من إجلالهم له عند وفاته سنة ١٣٢٠هـ أنهم دفنوه في بناء المشهد المرتضوي بالنجف في إيوان حجرة بانوا العظمى ، بنت السلطان الناصر لدين الله ، وهو ديوان الحجرة القبلية عن يمين الداخل إلى الصحن المرتضوي من باب القبلة في النجف بأقدس البقاع عندهم - هذا العالم النجفي ألف في سنة ١٢٩٢هـ وهو في النجف عند القبر المنسوب إلى الإمام علي كتابا سماه: "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب" جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة ومجتهديهم في مختلف العصور بأن القرآن قد زيد فيه ونقص منه . وقد طبع كتاب الطبرسي هذا في إيران سنة ١٢٩٨هـ وعند طبعه قامت حوله ضجة لأنهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك في صحة القرآن محصوراً في خاصتهم ومتفرقا في مئات الكتب المعتبرة عندهم ، وأن لا يجمع ذلك كله في كتاب واحد ، تطبع منه ألوف من النسخ ، ويطلع عليه خصومهم ، فيكون حجة عليهم ماثلة أمام أنظار الجميع ، ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات خالفهم فيها مؤلفه وألف كتاباً آخر سماه "رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات

تحريف كتاب رب الأرباب" وقد كتب هذا الدفاع في أواخر حياته قبل موته بنحو سنتين ، وقد كافؤوه على هذا المجهود في إثبات أن القرآن محرف ، بأن دفنوه في ذلك المكان الممتاز من بناء المشهد العلوي في النجف .

كما أن أصل مذهب الشيعة قائم على اعتبار جميع الحكومات الإسلامية من يوم وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هذه الساعة - عدا سنوات حكم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حكومات غير شرعية ، ولا يجوز لشيعي أن يدين لهؤلاء بالولاء والإخلاص من صميم قلبه ، بل يداجيها مداجاة ويتقيها تقاة ، لأنها كلها ما مضى منها وما قائم الآن وما سيقوم منها فيما بعد ، حكومات مغتصبة والحكام الشرعيون في دين الشيعة وصميم عقيدتهم هم الأئمة الاثني عشر وحدهم ، سواء تيسر لهم مباشرة الحكم أو لم يباشروه ، وكل من عداهم ممن تولوا مصالح المسلمين من أبي بكر وعمر إلى من بعدهم حتى الآن مهما خدموا الإسلام ومهما كابدوا في نشر دعوته وإعلاء كلمة الله في الأرض وتوسيع رقعة العالم الإسلامي ، فإنهم مفتئتون مغتصبون إلى يوم القيامة .

كما أن قلوبهم يملؤها الحقد على أبي بكر وعمر ، ولذلك يلعن الشيعة أبا بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وكل من تولى الحكم في الإسلام غير علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقد بلغ من حنقهم على مصفئ نار المجوسية في إيران ، والسبب في دخول أسلاف أهلها إلى الإسلام ، عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أن سمَّوا قاتله أبا لؤلؤة المجوسي بـ" أبي شجاع الدين" .

وهم يرون أن أبي بكر وعمر وصلاح الدين الأيوبي وجميع الذين فتحوا للإسلام ممالك الأرض وأدخلوها في دين الله ، والذين حكموها باسم الإسلام إلى هذا اليوم الذي نحن فيه - كل هؤلاء في عقيدة الشيعة التي يلقون الله عليها - حكام متغلبون ظالمون ومن أهل النار ، لأنهم غير شرعيين ولا يستحقون من الشيعة الولاء والطاعة الصادقة والتعاون على الخير إلا بقدر ما تنتجه لهم عقيدة التقية والطمع في الأخذ منهم والمداجاة لهم .

إن أعلام الشيعة وأحبارهم في جميع العصور واقفون هذا الموقف المخزي من صاحبي رسول الله ووزيريه أبي بكر وعمر ومن سائر أعلام الإسلام وخلفائه وحكامه وقادته ومجاهديه وحفظته.

والحقيقة التي لا يمكن أن يخفيها الشيعة أن الكتب التي تدرَّس في جميع معاهدهم العلمية تدرِّس هذا كله وتعتبره من ضروريات المذهب وعناصره الأولى، والكتب التي ينشرها علماء النجف وإيران وجبل عامل، في زماننا هذا شر من مؤلفاتهم القديمة وأكثرها هدماً لأمنية التقريب والتفاهم.

وبينما يدّعون لأئمتهم الاثني عشر ما لا يدعيه هؤلاء الأئمة لأنفسهم من علم الغيب، وأنهم فوق البشرية فإنهم - أي الشيعة - ينكرون على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أوحى الله به إليه من أمر الغيب، كخلق السماوات والأرض وصفة الجنة والنار.

والذي يقارن بين ما نسبوه لأئمتهم، وبين ما صح عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الغيبيات يتبين له أن ما ثبت من ذلك عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن والأحاديث المتواترة والصحيحة لا يبلغ جزءاً يسيراً مما زعمته الشيعة للأئمة الاثني عشر من علم الغيب بعد انقطاع الوحي الإلهي عن الأرض وجميع رواة الغيبيات عن الأئمة الاثني عشر معروفون عند علماء الجرح والتعديل، من أهل السنة بأنهم كانوا كذبة، لكن أتباعهم من الشيعة لا يأبهون لذلك، ويصدقونهم فيما رووه من الغيبيات عن الأئمة.

ومما لوحظ في جميع أدوار التأريخ على جماهير الشيعة ومواقف خاصتهم وعامتهم من الحكومات الإسلامية أن أي حكومة إسلامية إذا كانت قوية وراسخة يتملقونها بألسنتهم عملاً بعقيدة "التقية" ليمتصوا خيراتها ويتبوؤوا مراكزها فإذا ضعفت أو هوجمت من عدو انحازوا إلى صفوفه وانقلبوا عليها. هكذا كانوا في أواخر الدولة الأموية، عندما ثار على خلفائها بنو عمهم العباسيون، بل كانت ثورة العباسيين عليهم بتسويل الشيعة وتحريضهم ودسائسهم.

ثم كانوا في مثل هذا الموقف الإجرامي مع دولة بني العباس أيضاً عندما

كانت مهددة باجتياح هولاكو، والمغول الوثنيين لخلافة الإسلام وعاصمة عزه، ومركز حضارته وعلومه. فبعد أن كان حكيم لشيعة وعالمها النصير الطوسي ينظم الشعر في التزلف للحليفة العباسي المعتصم ما لبث أن انقلب في سنة ٦٥٥هـ محرضا عليه، ومتعجلاً نكبة الإسلام في بغداد، وجاء في طليعة موكب السفاح هولاكو، وأشرف معه على إباحة الذبح العام في رقاب المسلمين، والمسلمات أطفالاً وشيوخاً ورضي بتغريق كتب العلم الإسلامية في دجلة حتى بقيت مياهها تجري سوداء أياما وليالي من مداد الكتب المخطوطة التي ذهب بها نفائس التراث الإسلامي من تأريخ وأدب ولغة وشعر وحكمة. فضلاً عن العلوم الشرعية ومصنفات أئمة السلف من الرعيل الأول التي كانت لا تزال موجودة بكثرة إلى ذلك الحين وقد تلفت مع ما تلف من أمثالها في تلك الكارثة الثقافية التي لم يسبق لها نظير.

والحقيقة التي يجب أن يعترف بها الداعون للتقريب أن الشيعة تخالف المسلمين في الأصول وليس فقط في لفروع، وأن دينهم يقوم على الحقد والكراهية.. والكذب والتكذيب، والطعن بالإسلام وأهله.. والتآمر على أمة التوحيد.. ثم بعد كل ذلك يزعمون - كذباً وزوراً - بأنهم هم المسلمون.. !

لهذه الطائفة المارقة الحاقدة القوة والشوكة، والدولة التي تركن إليها.. وترعاها.. وتعمل على نشر باطـه وشركها.. كما هو الحال في هذا الزمان.. !

والمشكلة الحقيقية أن من بين المسلمين من ينخدع ببعض مظاهر وشعارات بعض الكتاب والمفكربن.. فيظهرون الشيعة الروافض للأمة على أنهم مسلمون من أهل القبلة.. وأنهم مذهب خاس إضافة للمذاهب الأربعة المعروفة عند أهل السنة. لا بد من الاعتراف به كجزء من الفقه الإسلامي.. والخلاف بيننا وبينهم هو مجرد خلاف فقهي كالخلاف فيما بين المذاهب الأربعة المعروفة عند أهل السنة.. لا يمنع من الالتقاء والتوحد معهم!

وهذا الفهم الخاطئ والجهل بمعتقد الشيعة وفكرهم، أدي إلي نوع من

الالتباس بين عامة الناس . . عن حقيقة هؤلاء القوم . . وعن دينهم . . وما الفرق بينهم وبين أهل السنة وعن حكم الشرع فيهم: هل هم مسلمون حقاً . . ومن أهل القبلة . . أم أنهم مشركون مرتدون . . خارجون عن الإسلام . . وهل هم مع الأمة أم ضدها . . ثم كيف ينبغي التعامل معهم . . ؟؟

. . هذه أسئلة ولإن كانت قد تمت الإجابة عنها قديماً ، ولكن لسعي أئمة الشيعة الروافض لإعادة تسويق بضاعتهم الفاسدة بين عامة الناس ، ولكون مشكلة الشيعة الروافض جاثمة بكل أحقادها وأبعادها ، وأرجاسها على صدر الأمة وأبنائها . كما أنه كل يوم تطالعنا وسائل الإعلام المختلفة بما تقشعر منه الأبدان . . وتشيب له الولدان ، من تحريف للقرآن والسنة ، وقذف وسب لأعلام الصحابة ، فقد توجب علي الأمة أن تميط اللثام عن وجه الشيعة القبيح حتى لا ينخدع به عامة الناس .

وقد سبق لي أن ألفت كتاباً عن "تاريخ الشيعة" أوضحت فيه تاريخهم المتطرف الغالي ، وقد كانت إستجابة القارئ الكريم لهذا الكتاب جيدة حيث نفذت الطبعة الأولي سريعاً ، ووجدت أنه لزاما علي أن أكمل ما بدأته في الحديث عن الشيعة ومعتقداتهم الفاسدة وأوضح تاريخهم مع آل البيت رضي الله عنهم ، حتى يكون القارئ الكريم علي بينة من الأمر ويعلم جيدا أن هنك فرق كبير بين آل البيت ، ومعتقد الشيعة فيهم .

وأنا أعتذر إلى القارئ الكريم من خَلَل يَرَاه أو لفظ لا يرضاه ، وأعيذه أن يَرِدَ صَفْوَ منهلِهِ ويشرب عَذْب زُلالـه ثم يسعي لتَغْوير مَنَابعهَ بالنقد والإساءة بن المأمولُ أن يسد خَلَلَه ويُصْلح زَلَله فقلما يخلو إنسان من نِسيان وقلم من طغيان .

وشريطتنا على قارئ كتابنا الإقصار عن طلب عيوب أخطائنا . والصفح عن ما يقف عليه من إغفالنا . والتجاوز عن ما ينتهي إليه من إهمالنا . وإن أداه التصفح إلى صواب نشره . أو إلى خطأ ستره . لأنه قد تقدمنا بالإقرار . ولا بد للإنسان من زلل وعثار . وليس كل الأدب عرفناه . ولا كل العلم دريناه . وعلينا في ذلك الاجتهاد . وإلى الله الإرشاد . وقلَّ ما نجا مؤلف

لكتاب من راصد بمكيدة . أو باحث عن خطيئة . وقد كان يقال من ألف كتاباً فقد استشرف . وإذا أصاب فقد استهدف . وإذا أخطأ فقد استقذف . وكان يقال لا يزال الرجل في فسحة من عقله ما لم يقل شعراً أو يضع كتاباً .

وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا العمل وأن يتقبله مني ويثيبني عليه .

رب تقبل عملي ولا تخيب أملي

أصلح أموري كلها قبل حلول الأجل

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . .

الفقير إلي عفو ربه ومغفرته ورضوانه

رجب محمود إبراهيم بخيت

* * *

نبذة عن الشيعة وبعض معتقداتهم الفاسدة

الشيعة في اللغة:

شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره، ويقال: شايعه، كما يقال: والاه من الولي.. وتشيع الرجل أي: ادعى دعوى الشيعة، وتشايع القوم صاروا شيعًا، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعضهم فهم شيع، وقوله تعالى: ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ [سبأ:٥٤]. أي بأمثالهم من الأمم الماضية وجاء في المصباح المنير: والشيعة الأتباع والأنصار، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة نبزًا - أي وصفًا - جماعة مخصوصة والجمع شيع مثل: سدرة وسدر، والأشياع جمع الجمع، وشيعت رمضان بست من شوال أتبعته بها[١].

فالشيعة من حيث مدلولها اللغوي تعني: القوم والصحب والأتباع والأعوان، وقد ورد هذا المعنى في بعض آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص:١٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ [الصافات:٨٣]، فلفظ الشيعة في الأولى: تعني القوم، وفي الثانية: تشير إلى الأتباع الذين يوافقون على الرأي والمنهج ويشاركون فيهما.

والحقيقة أن مادة شيع وردت في كتاب الله العظيم في اثني عشر موضعاً[٢] وذكر أهل التفسير أن الشيع في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها: الفرق، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ ﴾ [الحجر: ١] وقوله: ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ [القصص: ٤]، قال ابن جرير الطبري:

---

(١) الصحاح للجوهري، ولسان العرب والمصباح المنير، مادة شيع.
(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ١٨، ابن العماد، شذرات الذهب، ٤/ ٣٢٩، اليافعي، مرآة الجنان، ٣/ ٤٨٩ - ٤٩٢، معجم المؤلفين، ٥/ ١٥٧.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ يعني بالشيع: الفرق[1].

والثاني: الأهل والنسب، ومنه قوله تعالى: ﴿هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥]، قال ابن قتيبة: ومعنى: ﴿هَذَا مِن شِيعَتِهِ﴾ أي: من أصحابه بني إسرائيل[2] أراد من أهله في النسب إلى بني إسرائيل.

والثالث: أهل الملة، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ [مريم: ٦٩]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ [القمر: ٥١]، وقوله: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ [سبأ: ٥٤]. وقوله: ﴿وإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ٨٣].

والرابع: الأهواء المختلفة، قال تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ [الأنعام: ٦٥]"[3]، وزاد الدامغاني وجهاً خامساً وهو: الشيع والإشاعة، واستشهد لهذا بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني أن تفشو الفاحشة، كما أن ابن الجوزي ذكر في الوجه الثاني أن من معاني الشيع الأهل والنسب، واستشهد لها بقوله سبحانه: ﴿هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾، بينما نجد الدامغاني ذكر أن من معاني الشيعة: الجيش، واستدل لذلك بنفس الآية. وقد اتفقا فيما سوى ذلك من معاني التشيع].

ويشير ابن القيم إلى أن لفظ الشيعة والأشياع غالباً ما يستعمل في الذم، ويقول: ولعله لم يرد في القرآن إلا كذلك، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾، وكقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾، وقوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾. ويعلل ابن القيم لذلك بقوله: "وذلك والله أعلم لما في لفظ الشيعة من الشياع، والإشاعة التي هي ضد الائتلاف والاجتماع، ولهذا لا يطلق لفظ

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٧، وانظر أبو عبيدة، مجاز القرآن، ١/ ١٩٤، وقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الروم، آية: ٩٠].

(٢) تفسير غريب القرآن ص٣٢٩، وانظر: أبو حيان، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، ص ١٥٣.

(٣) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص ٣٧٦ - ٣٧٧.

الـشيع إلا علـى فـرق الضلال لتفرقهم واختلافهـم "[1] وهذا في الغالب لأنه ورد في القرآن: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ .

هـذه ألفـاظ الـشيعة في كـتاب الله ومعانـيها ، وهـي لا تدل على الاتجاه الـشيعي المعـروف ، وهـذا أمر يدرك بداهة ، ولكن الغريب في الأمر أن نجد عـند الـشيعة اتجاهـاً يحـاول ما وسعته المحاولة أو الحيلة أن يفسر بعض ألفاظ الـشيعة الـواردة في كـتاب الله بطائفـته ، ويؤول كتاب الله على غير تأويله ، ويحمل الآيات ما لا تحتمل تحريفاً لكتاب الله وإلحاداً فيه[2] .

* * * * *

(١) بدائع الفوائد ، ١/ ١٥٥ .

(٢) انظـر ، ناصـر بـن عـبد الله بن علي القفاري ، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد ، ١ / ٢٦ .

الشيعة في السنة

ورد لفظ الشيعة في السنة المطهرة بمعنى الأتباع . . كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في الرجل [1] الذي قال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لم أرك عدلت . . " قال فيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه" [2] ، وكذلك في الحديث الذي أخرجه أبو داود في المكذبين بالقدر . . وفيه: "وهم شيعة الدجال" [3] .

فالشيعة هنا مرادفة للفظ الأصحاب ، والأتباع ، والأنصار .

ومن خلال مراجعة لمعاجم السنة لم أر استعمال لفظ الشيعة على الفرقة المعروفة بهذا الاسم إلا ما جاء في بعض الأخبار الضعيفة أو الموضوعة والتي جاء فيها لفظ الشيعة كدلالة على أتباع علي ، مثل حديث: "فاستغفرت لعلي وشيعته" [4] ، وحديث: "مثلي مثل شجرة أنا أصلها وعلي فرعها . . والشيعة ورقها" [5] ، وحديث أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعلي: "أنت وشيعتك في الجنة" [6] .

وقد ورد في بعض الأخبار أنه سيظهر قوم يدعون الشيعة لعلي يقال لهم الرافضة ، فقد روى الإمام ابن أبي عاصم أربع روايات في ذكر الرافضة ، مثل حديث: "بشر يا عليّ أنت وأصحابك في الجنة ، ألا إن ممن يزعم أنه يحبك قوم يرفضون الإسلام يقال لهم: الرافضة ، فإذا لقيتهم فجاهدهم فإنهم

---

(١) هو: ذو الخويصرة التميمي . . أصل الخوارج . انظر مسند أحمد: ٢/ ٤ .

(٢) الحديث مسند أحمد: ١٢/ ٣ – ٥ قال عبد الله ابن الإمام أحمد: ولهذا الحديث طرق في هذا المعنى صحاح . وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (المصدر السابق) ، ورواه ابن أبي عاصم في السنة: ٢/ ٤٥٤ ، قال الألباني: إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات .

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٦٧ ، قال المنذري: وفي إسناده عمر مولى غفرة لا يحتج بحديثه ، ورجل من الأنصار مجهول (المنذري) مختصر أبي داود ٦/ ٦١ ، ورواه أيضاً الإمام أحمد ٥/ ٤٠٧] .

(٤) قال العقيلي: لا أصل له ، وذكره الكناني من الأحاديث الموضوعة: (تنزيه الشريعة: ١/ ٤١٤ .

(٥) أورده ابن الجوزي في الموضوعات: ١/ ٣٩٧ ، والشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص: ٣٧٩ .

(٦) وهو حديث موضوع ، انظر: ابن الجوزي/ الموضوعات: ١/ ٣٩٧ ، الذهبي/ ميزان الاعتدال: ١/ ٤٢١ ، ترجمة جميع بن عمر بن سوار ، الشوكاني/ الفوائد المجموعة ص: ٣٧٩ .

مشركون . قلت: يا رسول الله ، ما العلامة فيهم؟ قال: لا يشهدون الجمعة ، ولا جماعة ويطعنون على السلف"(١) .

وقد أخرج الطبراني - بإسناد حسن كما يقول الهيثمي - أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "يا علي سيكون في أمتي قوم ينتحلون حب أهل البيت ، لهم نبز ، يسمون الرافضة ، قاتلوهم فإنهم مشركون"(٢) .

وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى كذب لفظ الأحاديث المرفوعة التي فيها لفظ الرافضة ، لأن اسم الرافضة لم يعرف إلا في القرن الثاني(٣) ، وهذا لا يكفي في الحكم بكذب الأحاديث ، إذ لو صحت أسانيدها لكانت من باب الإخبار بما سيقع ، وأن الله أخبر نبيه بما سيكون من ظهور الروافض ، كما أوحى الله إليه بشأن ظهور فرقة الخوارج(٤) ، وإن كانت بذرة الخوارج وجدت في حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ(٥) .

* * * * *

(١) السنة لابن أبي عاصم: ٢/ ٤٧٥ ، وهذا الحديث قد أورده الشوكاني في "لأحاديث الضعيفة " ص: ٣٨٠ - ٣٨١ ، وقال الشيخ الألباني في تحقيقه لأسانيدها بأنها ضعيفة . انظر: السنة لابن أبي عاصم: ٢/ ٤٧٤ - ٤٧٦٦ .

(٢) مجموع الزوائد: ١٠/ ٢٢ ، وانظر الحديث في المعجم الكبير للطبراني: ١٢/ ٢٤٢ ، رقم (١٢٩٩٨) ولكن في اسناده الحجاج بن تميم وهو ضعيف (انظر: تقريب التهذيب:١/ ١٥٢) .

(٣) منهاج السنة: ١/ ٨ .

(٤) ففي الصحيحين عشرة أحاديث فيهم ، أخرج البخاري منها ثلاثة ، وأخرج مسلم سائرها ، وساقها جميعاً ابن القيم في تهذيب السنن: ٧/ ١٤٨ - ١٥٣] .

(٥) كما دلت على ذلك بعض الأحاديث في قصة الرجل الذي قال للرسول صلى الله عليه وسلم وهو يوزع بعض الغنائم: اعدل يا محمد . . انظر الحديث في ذلك في صحيح البخاري (مع فتح الباري) ج١٢ ص٢٩٠ ، وصحيح مسلم (بشرح النووي) ٧ / ١٦٥ .

الشيعة في التاريخ الإسلامي

في الأحداث التاريخية في صدر الإسلام وردت لفظ الشيعة بمعناها اللغوي الصرف، وهو المناصرة والمتابعة، بل إننا نجد في وثيقة التحكيم بين الخليفة علي، ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ورود لفظ الشيعة بهذا المعنى، حيث أطلق على أتباع علي شيعة، كما أطلق على أتباع معاوية شيعة، ولم يختص لفظ الشيعة بأتباع عليّ.

ومما جاء في صحيفة التحكيم: "هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وشيعتهما.. (ومنها): وأن علياً وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس، ورضي معاوية وشيعته بعمرو بن العاص.. (ومنها): فإذا توفي أحد الحكمين فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه. (ومنها): وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية فلشيعته أن يختاروا مكانه رجلاً يرضون عدله"[(١)].

وقال حكيم بن أفلح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لأني نهيتها - يعي عائشة - أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً"[(٢)].

وقد أورد شيخ الإسلام ابن تيمية هذا النص، ليأخذ منه دلالة تاريخية على عدم اختصاص عليّ باسم الشيعة في ذلك الوقت[(٣)].

وجاء في التاريخ أن معاوية قال لبسر بن أرطأة حين وجهه إلى اليمن:

"امض حتى تأتي صنعاء فإن لنا بها شيعة"[(٤)]؛ فإذن لم يظهر مصطلح الشيعة دلالة على أتباع عليّ فحسب حتى ذلك الوقت.

ويبدو أن بدء التجمع الفعلي لمن يدعون التشيع، وابتداء التميز بهذا الاسم بدأ بعد مقتل الحسين. يقول المسعودي: وفي سنة خمس وستين تحركت

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٩٤ - ١٩٦، تاريخ الطبري، ٥/٥٣ - ٥٤، محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ص٢٨١ - ٢٨٢.

(٢) هذا جزء من حديث طويل في صحيح مسلم في باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض: ٢/١٦٨ - ١٧٠.

(٣) انظر: منهاج السنة، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ٢/٦٧.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/١٩٧.

الشيعة في الكوفة[1] وتكونت حركة التوابين، ثم حركة المختار (الكيسانية) وبدأت الشيعة تتكون وتضع أصول مذهبها.. وأخذت تتميز بهذا الاسم[2].

من هنا يتضح أن اسم الشيعة كان لقباً يطلق على أية مجموعة تلتف حول قائدها، وإن كان بعض الشيعة يحاول أن يتجاهل الحقائق التاريخية ويدعي بأن الشيعة "هم أول من سموا باسم التشيع من هذه الأمة"[3]، ويتناسى بأن معاوية أطلق أيضاً على أتباعه كلمة الشيعة، ولكن الوقائع التاريخية تقول بأن لقب الشيعة لم يختص إطلاقه على أتباع عليّ إلا بعد مقتل عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما يرى البعض[4]، أو بعد مقتل الحسين كما يرى آخرون[5].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ١٠٠.

(٢) ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، ١/ ٣٢.

(٣) القمي، المقالات والفرق، ص ١٥، النوبختي، فرق الشيعة، ص ١٨.

(٤) محمد أبو زهرة، الميراث عند الجعفرية، ص ٢٢.

(٥) علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي، ٢/ ٣٥، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، ١/ ٣٢.

الشيعة في الاصطلاح

إن تعريف الشيعة مرتبط أساسًا بأطوار نشأتهم، ومراح التطور العقدي لهم، ذلك أن من الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر، فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده، ولهذا كان الصدر الأول لا يسمى شيعيًا إلا من قدم عليًا على عثمان[1]، ولذلك قيل: شيعي وعثماني، فالشيعي من قدم عليًا على عثمان، فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول: أنهم الذين يقدمون عليًا على عثمان فقط[2]. ولهذا ذكر ابن تيمية: أن الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد علي كانوا يفضلون أبا بكر وعمر[3] وقد منع شريك بن عبد الله - وهو ممن يوصف بالتشيع - إطلاق اسم التشيع على من يفضل عليًا على أبي بكر وعمر، وذلك لمخالفته لما تواتر عن علي في ذلك.

والتشيع: يعني المناصرة والمتابعة لا المخالفة والمنابذة وروى ابن بطة عن شيخه المعروف بأبي العباس بن مسروق قال: عن عبد الله بن زياد بن جرير قال: قدم أبو إسحاق السبيعي الكوفة، فقال لنا شهر بن عطية: قوموا إليه، فجلسنا إليه، فتحدثوا، فقال أبو إسحاق: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن وهم يقولون: ولا والله ما أدري ما يقولون. قال محب الدين الخطيب: هذا نص تاريخي عظيم في تحديد تطور التشيع، فإن أبا إسحاق السبيعي كان شيخ الكوفة وعالمها، ولد في خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين، وعمر حتى توفى سنة ١٢٧هـ، وكان طفلاً في خلافة أمير المؤمنين علي، وهو يقول عن نفسه: رفعني أبي حتى رأيت علي بن أبي طالب يخطب، أبيض الرأس واللحية، ولو عرفنا متى فارق الكوفة، ثم عاد فزارها، لتوصلنا إلى معرفة الزمن الذي كان فيه شيعة الكوفة يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبي بكر، وعمر، ومتى أخذوا يفارقون عليًا ويخالفونه فيما كان يؤمن به، ويعلنه على

(١) ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، أصول الشيعة الإمامية، ١/ ٦٤.
(٢) فتاوى ابن تيمية، ٣/ ١٥٣، فتح الباري، ٧/ ٣٤.
(٣) منهاج السنة، ٢/ ٦٠.

منبر الكوفة من أفضلية أخويه، صاحبي رسول الله ﷺ ووزيريه وخليفتيه على أمته في أنقى وأطهر أزمانها، وقال ليث بن أبي سليم: أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحدًا[1].

وذكر صاحب مختصر التحفة: إن الذين كانوا في وقت خلافة الأمير رضي الله عنه من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، كلهم عرفوا له حقه، وأحلوه من الفضل محله، ولم ينتقصوا أحدًا من إخوانه أصحاب رسول الله ﷺ فضلاً عن إكفاره وسبه، ولكن لم يظل التشيع بهذا النقاء والصفاء والسلامة والسمو، بل إن مبدأ التشيع تغير، فأصبحت الشيعة شيعًا، وصار التشيع قناعًا يتستر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين من الأعداء الموتورين الحاسدين.. ولهذا نسمي الطاعنين على الشيخين الرافضة، لأنهم لا يستحقون وصف التشيع[2]، ومن عرف التطور العقدي لطائفة الشيعة لا يستغرب وجود طائفة من أعلام المحدثين، وغير المحدثين من العلماء والأعلام أطلق عليهم لقب الشيعة، وقد يكونون من أعلام السُّنَّة، لأن التشيع في زمن السلف مفهومًا وتعريفًا غير المفهوم والتعريف المتأخر للشيعة[3].

ولهذا قال الذهبي في معرض الحديث عمن رمى ببدعة التشيع: إن البدعة على ضربين، فبدعة صغرى، كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو، فهذا كثير في التابعين، وأتباعهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة، ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل، والغلو فيه، والحط من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة أيضًا، فما أستحضر الآن في هذا الضرب رجلاً صادقًا ولا مأمونًا، بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من هذا حاله، حاشا وكلا، فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير، وطلحة ومعاوية،

---

(١) المنتقى، ص٣٦٠.

(٢) شاه عبدالعزيز غلام حكيم الدهلوي، مختصر التحفة الاثنى عشرية، ص ٣.

(٣) ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، أصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، ١/ ٦٧، ٦٦.

وطائفة ممن حارب عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتعرض لسبهم، والغالي في زمننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين فهذا ضال مفترٍ[1].

إذن التشيع درجات وأطوار ومراحل كما أنه فرق وطوائف وقبل أن ندع الحديث حول تعريف الشيعة نشير إلى أنه يلحظ على تعريفات الشيعة الواردة في معظم كتب المقالات، أنها دأبت على القول في التعريف للشيعة الإمامية بأنهم أتباع علي . . إلخ.

وهذا يؤدي إلى نتيجة خاطئة تخالف إجماع الأمة كلها، هذه النتيجة أن يكون علي شيعيًا يرى ما يراه الشيعة وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بريء مما تعتقده الشيعة فيه وفي بنيه ولذلك لابد من وضع قيد واحتراز في التعريف رفعًا للإبهام فيقال: هم الذين يزعمون اتباع علي حيث إنهم لم يتبعوا عليًا على الحقيقة وليس أمير المؤمنين على ما يعتقدون، أو يقال: بأنهم المدعون التشيع لعلي أو الرافضة ولذلك عبر عنهم بعض أهل العلم بقوله: الرافضة المنسوبون إلى شيعة علي فهم أيضًا ليسوا على منهج شيعة علي المتبعين له، بل هم أدعياء ورافضة[2].

والرفض في اللغة هو: الترك، يقال رفضت الشيء: أي تركته، فالرفض في اللغة معناه الترك والتخلي عن الشيء.

والرافضة في الاصطلاح هي: إحدى الفرق المنتسبة للتشيع لآل البيت مع البراءة من أبي بكر وعمر وسائر أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا القليل منهم وتكفيرهم لهم وسبهم إياهم[3] قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: الرافضة: هم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويسبونهم وينتقصونهم[4]. وقال عبد الله بن أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: سألت أبي عن الرافضة؟،

(١) ميزان الاعتدال للذهبي، ١/٦، ٥، لسان الميزان، ١/١٠، ٩.
(٢) أصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، ١/٦٩.
(٣) القاموس المحيط للفيروزأبادي، ٢/٣٣٢، مقاييس اللغة، ٢/٤٢٢، انظر: إبراهيم بن عامر الرحيلي، الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، ص ٢٥.
(٤) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلي، ١/٣٣.

فقال: الذين يشتمون أو يسبون أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(١)] .

وقال أبو القاسم التيمي بقوام السنة في تعريفهم: وهم الذين يشتمون أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ورضي عن محبيهما[(٢)] ، وقد انفردت الرافضة من بين الفرق المنتسبة للإسلام بمسبة الشيخين أبي بكر وعمر ، دون غيرها من الفرق الأخرى وهذا من عظيم خذلانهم قاتلهم الله[(٣)] .

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فأبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أبغضتهما الرافضة ولعنتهما ، دون غيرهم من الطوائف[(٤)] ، وقد جاء في كتب الرافضة ما يشهد لهذا ، وهو جعلهم محبة الشيخين وتوليهما من عدمهما هو الفارق بينهم وبين غيرهم ممن يطلقون عليهم النواصب ، فقد روى الدرازي عن محمد بن علي ابن موسى قال: كتبت إلى علي بن محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ[(٥)] عن الناصب هل يحتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت[(٦)] ، واعتقاد إمامتهما؟ ، فرجع الجواب: من كان على هذا فهو ناصب[(٧)] .

ويرى جمهور المحققين أن سبب إطلاق هذه التسمية على الرافضة ، لرفضهم زيد بن علي وتفرقهم عنه بعد أن كانوا في جيشه ، حين خروجه على هشام بن عبد الملك ، في سنة إحدى وعشرين ومائة ، وذلك بعد أن أظهروا البراءة من الشيخين فنهاهم عن ذلك . يقول أبو الحسن الأشعري: وما كان زيد بن علي يفضل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتولى أبا بكر وعمر ، ويرى الخروج على أئمة الجور ، فلما ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن في أبي

---

(١) السنة للخلال رقم ٧٧٧ ، وقال المحقق: إسناده صحيح .
(٢) الحجة في بيان المحجة ، ٢/ ٤٧٨ .
(٣) إبراهيم بن عامر الرحيلي ، الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال ، ص ٢٦ .
(٤) مجموع الفتاوى ، ٤/ ٤٣٥ .
(٥) هو أحد الأئمة الاثنى عشرية عند الإمامية ، وفيات الأعيان ، ٣/ ٢٧٢ .
(٦) يعنون بهما: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كما جاء ذلك في تفسير العياشي ، ١/ ٢٤٦ ، وهو من أهم كتب التفسير عندهم ، عند قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [النساء:٥١] .
(٧) محمد آل عصفور الدرازي ، المحاسن النفسانية ، ص ١٤٥ .

بكر وعمر ، فأنكر ذلك على من سمعه منه فتفرق عنه الذين بايعوه فقال لهم: رفضتموني[1] فيقال: إنهم سموا رافضة لقول زيد لهم: رفضتموني ، وبهذا القول قال قوام السنّة[2] ، والرازي[3] والشهرستاني[4] ، وابن تيمية[5] رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ وذهب الأشعري في قول آخر: إلى أنهم سموا بالرافضة لرفضهم إمامة الشيخين ، قال: وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر[6] .

والرافضة اليوم يغضبون من هذه التسمية ولا يرضونها ، ويرون أنها من الألقاب التي ألصقها بهم مخالفوها ، يقول محسن الأمين: الرافضة لقب ينبز به من يقدم عليًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الخلافة وأكثر ما يستعمل للتشفي والانتقام[7] ، ولهذا يتسمون اليوم الشيعة ، وقد اشتهروا بهذه التسمية عند العامة ، وقد تأثر بذلك بعض الكتاب والمثقفين ، فنجدهم يطلقون عليهم هذه التسمية ، وفي الحقيقة أن الشيعة مصطلح عام يشمل كل من شايع عليًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[8] ، وقد ذكر أصحاب الفرق والمقالات أنهم ثلاثة أصناف:

أ - **غالية**: وهم الذين غلوا في علي وادعوا فيه الإلوهية أو النبوة .

ب - **ورافضة**: وهم الذين يدعون النص على استخلاف علي ، ويتبرؤون من الخلفاء قبله وعامة الصحابة .

ج - **وزيدية**: وهم أتباع زيد بن علي ، الذين كانوا يفضلون عليًا على سائر الصحابة ويتولون أبا بكر وعمر . فإطلاق الشيعة على الرافضة من غير تقييد لهذا المصطلح غير صحيح ، لأن هذا المصطلح يدخل فيه الزيدية[9]

(١) مقالات الإسلاميين ، ١/ ٣٧ .

(٢) الحجة في بيان المحجة ، ٢/ ٤٧٨ .

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٥٢ .

(٤) الملل والنحل ، ١/ ١٥٥ .

(٥) منهاج السنة ، ١/ ٨ ، مجموع الفتاوى ، ١٣/ ٣٦ .

(٦) مقالات الإسلاميين ، ١/ ٨٩ .

(٧) أعيان الشيعة ، ١/ ٢٠ .

(٨) مقالات الإسلاميين ، ١/ ٦٥ ، الملل والنحل للشهرستاني ، ١/ ١٤٤ .

(٩) الانتصار للصحب والآل ، ص ٢٩ .

وهم يتولون أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، بل إن تسميتهم بالشيعة يوهم التباسهم بالشيعة القدماء الذين كانوا في عهد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن بعدهم ، فإن هؤلاء مجمعون على تفضيل الشيخين على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وإنما يرون تفضيل عليّ على عثمان ، وهؤلاء كان فيهم كثير من أهل العلم ومن هو منسوب إلى الخير والفضل ، ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهذا كان الشيعة المتقدمون الذين صحبوا عليًا ، أو كانوا في ذلك الزمان ، لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر ، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان[1] ولذا فإن تسمية "الرافضة" بالشيعة من الأخطاء البينة الواضحة التي وقع فيها بعض المعاصرين ، تقليدًا للرافضة في سعيهم للتخلص من هذا الاسم لما رأوا من كثرة ذم السلف لهم ، ومقتهم إياهم ، فأرادوا التخلص من ذلك الاسم تمويهًا وتدليسًا على من لا يعرفهم بالانتساب إلى الشيعة على وجه العموم ، فكان من آثار ذلك ما وقع فيه بعض الطلبة المبتدئين ممن لا يعرفوا حقيقة المصطلحات من الخلط الكبير بين أحكام الرافضة وأحكام الشيعة ، لما تقرر عندهم إطلاق مصطلح التشيع على الرافضة ، فظنوا أن ما ورد في كلام أهل العلم المتقدمين في حق الشيعة أنه يتنزل على الرافضة في حين أن أهل العلم يفرقون بينهما في كافة أحكامهم وعليه فإن من الواجب أن يسمى هؤلاء الروافض بمسماهم الحقيقي الذي اصطلح عليه أهل العلم وعدم تسميتهم بالشيعة على وجه الإطلاق لما في ذلك من اللبس والإيهام ، وإذا ما أطلق عليهم مصطلح "التشيع" ، فينبغي أن يقيد بما يدل عليهم خاصة ، كأن يقال "الشيعة الإمامية" ، أو "الشيعة الاثنى عشرية" على ما جرت بذلك عادة العلماء عند ذكرهم ، والله تعالى أعلم[2] .

* * * * *

(١) منهاج السنة ، ١/ ١٣ .
(٢) الانتصار للصحب والآل ، ص ٣٠ .

نشأة الشيعة وجذورها التاريخية

إن الشيعة بأصولها ومعتقداتها لم تولد فجأة، بل مرت بمراحل كثيرة ونشأت تدريجياً.. وانقسمت إلى فرق كثيرة. ولاشك أن التتبع التاريخي والفكري للمراحل والأطوار التي مر بها التشيع يحتاج إلى بحث مستقل، ولهذا سيكون الحديث هنا عن: أصل النشأة وجذورها التاريخية، ولا يعنينا تتبع مراحلها ونشوء فرقها.

القول الأول:

إن التشيع ظهر بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث وجد من يرى أن أحقية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالإمامة. وهذا الرأي قال به طائفة من القدامى والمعاصرين، منهم العلامة ابن خلدون، وأحمد أمين، وبعض المستشرقين، وهذا القول منهم مبني على ما نقله البعض من وجود رأي يقول بأحقية قرابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخلافة بعده.

يقول ابن خلدون: "اعلم أن مبدأ هذه الدولة - يعني دولة الشيعة - أن أهل البيت لما توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يرون أنهم أحق بالأمر، وأن الخلافة لرجالهم دون من سواهم"(١).

ويقول أحمد أمين: "كانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه"(٢)، وقال د. علي الخربوطلي: "ونحن نرى أن التشيع بدأ بعد أن آلت الخلافة إلى أبي بكر دون علي بن أبي طالب"(٣) كما يقول بهذا الرأي محمد عبد الله عنان(٤) كما قال بمثل ذلك بعض المستشرقين(٥).

وهذا الرأي يستند القائلون به إلى الرأي القائل بأحقية القرابة بالإمامة. ولا شك أنه إذا وجد من يرى أحقية عليّ بالإمامة، وأن الإمامة ينبغي أن

---

(١) العبر، ٣/١٠٧ - ١٧١.

(٢) فجر الإسلام ص، ٢٦٦، وانظر: ضحى لإسلام، ٣/٢٠٩.

(٣) علي الخربوطلي، الإسلام والخلافة ص، ٦٢.

(٤) انظر: محمد عبد الله عنان، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة في المشرق، ص١٣.

(٥) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، ١٤/٥٨.

تكون في القرابة، فقد وجد رأي يقول باستخلاف سعد بن عبادة، وأن الإمامة ينبغي أن تكون في الأنصار، وهذا لا دلالة فيه على ميلاد حزب معين، أو فرقة معينة، وتعدد الآراء أمر طبيعي، وهو من مقتضيات نظام الشورى في الإسلام، فهم في مجنس واحد تعددت آراؤهم "وما انفصلوا حتى اتفقوا، ومثل هذا لا يعد نزاعاً"[(١)]، "وقد اندرجوا تحت الطاعة عن بكرة أبيهم لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سامعاً لأمره، وبايع أبا بكر على ملأ من الأشهاد، ونهض إلى غزو بني حنيفة"[(٢)] "وكانوا – على حال ألفة، واجتماع كلمة – يبذلون في طاعة أئمتهم مهج أنفسهم، وكرائم أموالهم على السبيل التي كانوا عليها مع نبيهم"[(٣)].

ولو كان هذا الرأي القائل بأحقية القرابة بالإمامة يمثل البذرة والنواة للتشيع لكان له ظهور ووجود زمن أبي بكر وعمر، ولكنه رأي إن ثبت فهو كسائر الآراء التي أثيرت في اجتماع السقيفة، ما إن وجد حتى اختفى بعد أن تمت البيعة.. واجتمعت الكلمة.. واتفق الرأي من الجميع. وموقف أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينفي استمرار مثل هذه الآراء أو بقائها بين الصحابة، فقد تواتر عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من وجوه كثيرة – أنه قال على منبر الكوفة: "خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر" [قال ابن تيمية: "روي عن علي من نحو ثمانين وجهاً وأكثر أنه قال على منبر الكوفة هذا القول – كما مر – وقد ثبت في صحيح البخاري من رواية رجال همدان خاصة التي يقول فيها علي: لو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان: ادخلي بسلام، من رواية سفيان الثوري عن منذر الثوري وكلاهما من همدان، قال البخاري: حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، حدثنا جامع بن أبي راشد، حدثنا أبو يعلى عن محمد ابن الحنفية قال: "قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟" قال: أبو بكر قلت: ثم من؟ قال: عمر. وخشيت أن يقول:

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنة، ١/ ٣٦.
(٢) الجويني، الإرشاد، ص ٤٢٨.
(٣) الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة، ص ١٥، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، ١ / ٦٤.

عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين"[1].

قال ابن تيمية: وهذا يقوله لابنه الذي لا يتقيه.[2]. فكيف يرى غيره من الصحابة فيه ما لم يره في نفسه؟!

والشيعة ليس لها ذكر أو وجود في عهد أبي بكر ولا عمر ولا عثمان، فكيف يقال بنشأتها بعد وفاة الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وما ذكره بعضهم من ظهور جماعة بعد وفاة الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ترى أحقية علي بالإمامة.. ليس له أصل تاريخي ثابت، ويبدو أن عمدته رواية اليعقوبي في تاريخه والتي تقول: بأن جماعة منهم سلمان وأبو ذر وعمار والمقداد تخلفوا عن بيعة أبي بكر ومالوا إلى علي[3].. وروايات اليعقوبي، ومثله المسعودي يجب الاحترازوالحذر منهما - لجنوحهما للرفض - ولاسيما فيما يوافق ميولهما المذهبية، وفيما ينفردان به من نقول. يقول القاضي أبو بكر بن العربي: "لا تسمعوا لمؤرخ كلاماً إلا للطبري، وغير ذلك هو الموت الأحمر والداء الأكبر". وقال في المسعودي المؤرخ: "إنه مبتدع محتال"[4].

وأيضاً لأن الطبري يروي بالسند فيسهل فحص رواياته والتحقق منها]؟! وقد أقر بهذه الحقيقة بعض شيوخ الشيعة أنفسهم.

القول الثاني:

أن التشيع لعلي بدأ بمقتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، يقول ابن حزم:[5] "ثم ولي عثمان، وبقي اثني عشر عاماً، وبموته حصل الاختلاف، وابتدأ أمر الروافض"، وبمثل قول ابن حزم هذا قال طائفة من العلماء والباحثين مثل: الشيخ عثمان بن عبد الله الحنفي صاحب الفرق المتفرقة بين أهل الزيغ والزندقة[6] ومثل المستشرق: فلهوزن[1] والذي بدأ غرس بذرة التشيع هو

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر، ٧ / ٢٠.

(٢) الفتاوى، ٤/ ٤٠٧ - ٤٠٨، منهاج السنة. ٤/ ١٣٧ - ١٣٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٢٤.

(٤) ابن العربي، العواصم من القواصم، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٥) ابن حزم، الفصل، ٢/ ٨.

(٦) انظر: عثمان بن عبد الله الحنفي، الفرق المفترقة، ص ٦.

عبد الله بن سبأ اليهودي رأس الطائفة السبئية وكانت تقول بألوهية علي، كما تقول برجعته وتطعن في الصحابة.. أصله من اليمن وكان يهودياً يتظاهر بالإسلام، رحل لنشر فتنته إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة، ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر وجهر ببدعته. قال ابن حجر: "عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مضل، أحسب أن علياً حرقة بالنار" اهـ. وقد تكاثر ذكر أخبار فتنته وشذوذه وسعيه في التآمر هو وطائفته في كتب الفرق والرجال والتاريخ وغيرها من مصادر السنة والشيعة جميعاً[٢].

والذي بدأ حركته في أواخر عهد عثمان، وأكد طائفة من الباحثين القدماء والمعاصرين على أن ابن سبأ هو أساس المذهب الشيعي والحجر الأول في بنائه ويعتبر ابن تيمية أن ابن سبأ أول من أحدث القول بالعصمة لعلي، وبالنص عليه في الخلافة، وأنه أراد إفساد دين الإسلام، كما أفسد بولس دين النصارى[٣]. وكذا ابن المرتضى، ومن المعاصرين - مثلاً - أبو زهرة الذي ذكر أن عبد الله بن سبأ هو الطاغوت الأكبر الذي كان على رأس الطوائف الناقمين على الإسلام الذين يكيدون لأهله، وأنه قال برجعة علي، وأنه وصي محمد، ودعا إلى ذلك.

وذكر أبو زرهة أن فتنة ابن سبأ وزمرته كانت من أعظم الفتن التي نبت في ظلها المذهب الشيعي[٤]، وسعيد الأفغاني الذي يرى أن ابن سبأ أحد أبطال جمعية سرية تلمودية غايتها تقويض الدولة الإسلامية، وأنها تعمل لحساب دولة الروم وقد تواتر ذكره في كتب السنة والشيعة على حد سواء[٥].

ونبتت نابتة من شيعة العصر الحاضر تحاول أن تنكر وجوده بجرة قلم

---

(١) انظر: فلهوزن، الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، وعبد الرحمن الوكيل، ص ١١٢.
(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، ١ / ٦٧.
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٤/٥١٨.
(٤) انظر: محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ١/ ٣١ - ٣٣.
(٥) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، ١ / ٦٨.

دون مبرر واقعي، أو دليل قاطع، بل ادعى البعض منهم أن عبد الله بن سبأ هو عمار بن ياسر ومثال ذلك علي الوردي في كتابه وعاظ السلاطين، وقلده في هذا الشيعي الآخر: مصطفى الشيبي في كتابه الصلة بين التصوف والتشيع، ويرى الأستاذ علي البصري أن الوردي هذا مقلد للأستاذ هدايت الوحكيم الهلي أستاذ بجامعة لندن في تلك الآراء والذي نشرها في كتابه: "تخس إمام" أي: الإمام الأول. وأن الوردي قام بنشر ترجمتها تقريباً في كتابه "وعاظ السلاطين".

وهذه الدعوى هي محاولة أو حيلة لتبرئة يهود من التآمر على المسلمين.. كما هي محاولة أو حيلة لإضفاء صفة الشرعية على الرفض.. والرد على دعوى خصومهم برد أصل التشيع إلى أصل يهودي.

وقد اتفق القدماء من أهل السنة والشيعة على السواء على اعتبار ابن سبأ حقيقة واقعية، وشخصية تاريخية، فكيف ينفى ما أجمع عليه الفريقان؟! أما القول بأن ابن سبأ هو عمار بن ياسر فهو قول يرده العقل والنقل والتاريخ، وكيف تلصق تلك العقائد التي قال بها ابن سبأ بعمار بن ياسر، وهل هذا إلا جزء من التجني على الصحابة والطعن فيهم؟!.

القول الثالث:

ويقول بأن منشأ التشيع كان سنة ٣٧هـ، ومن أشهر القائلين بهذا الرأي صاحب مختصر التحفة الاثني عشرية حيث يقول: "إن ظهور اسم الشيعة كان عام ٣٧هـ"[(١)].

ويبدو أن هذا القول يربط نشأة التشيع بموقعة صفين، حيث وقعت سنة ٣٧هـ بين الإمام علي ومعاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وما صاحبها من أحداث، وما أعقبها من آثار، ولكن هذا الرأي لا يعني بداية الأصول الشيعية؛ حيث إننا لا نجد في أحداث هذه السنة فيما نقله المؤرخون من نادى بالوصية، أو قال بالرجعة، أو دعا إلى أصل من أصول الشيعة المعروفة، كما أن أنصار الإمام علي لا يمكن أن يقال بأنهم على مذهب الشيعة، أو أصل من أصول

(١) مختصر التحفة، ص ٥.

الشيعة ، وإن كان في أصحاب الإمام علي كما في أصحاب معاوية من أعداء الإسلام الذين تظاهروا بالإسلام ليكيدوا له بالباطن ما لا ينكر ، وقد كان للسبئيين أثر في إشعال الفتنة لا يجحد ، وهم وجدوا قبل ذلك ، كما أننا نلحظ أنه بعد حادثة التحكيم وفي بنود التحكيم أطلق لفظ الشيعة على الجانبين بلا تخصيص .

القول الرابع:

بأن التشيع ولد إثر مقتل الحسين . يقول شتروتمان: "إن دم الحسين يعتبر البذرة الأولى للتشيع كعقيدة"[١] .

والحقيقة أن الشيعة كفكر وعقيدة لم تولد فجأة ، بل إنها أخذت طوراً زمنياً ، ومرت بمراحل . . ولكن طلائع العقيدة الشيعية وأصل أصولها ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي ، وأن علياً وصي محمد - كما مر - وهذه عقيدة النص على علي بالإمامة ، وهي أساس التشيع كما يراه شيوخ الشيعة كما أسلفنا ذكره في تعريف الشيعة . وشهدت كتب الشيعة بأن ابن سبأ وجماعته هم أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان أصهار رسول الله ﷺ وأرحامه وخلفائه وأقرب الناس إليه رضي الله عنهم والطعن في الصحابة الآخرين ، وهذه عقيدة الشيعة في الصحابة كما هي مسجلة في كتبهم المعتمدة . كما أن ابن سبأ قال برجعة علي ، والرجعة من أصول الشيعة . كما أن ابن سبأ قال بتخصيص علي وأهل البيت بعلوم سرية خاصة . كما أشار إلى ذلك الحسن بن محمد بن الحنفية ، وهذه المسألة أصبحت من أصول الاعتقاد عند الشيعة ، وقد ثبت في صحيح البخاري ما يدل على أن هذه العقيدة ظهرت في وقت مبكر ، وأن علياً رضي الله عنه سئل عنها ، وقيل له: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن ومما ليس عند الناس؟ ،

---

(١) رودلف شتروتمان من المستشرقين المتخصصين في الفرق ومذاهبها ، وله عنها مباحث . من آثاره: الزيدية ، وأربعة كتب إسماعيلية ، انظر: نجيب العقيقي ، المستشرقون ، ٢/ ٧٨٨ ، دائرة المعارف الإسلامية ، ١٤/ ٥٩ .

فنفى ذلك نفياً قاطعاً [1]

هذه أهم الأصول التي تدين بها الشيعة، مما ينبغي أن يلحظ أن ربط نشأة التشيع بابن سبأ هو في التشيع المتضمن لهذه الأصول الغالية، أما "التشيع المتوسط والذي مضمونه تفضيل علي وتقديمه على غيره ونحو ذلك فلم يكن هذا من إحداث الزنادقة، بخلاف دعوى النص والعصمة فإن الذي ابتدع ذلك كان منافقاً زنديقاً".

وهو ابن سبأ وعصابته من اليهود والمنافقين والحاقدين والموتورين، وقد وجدت إثر مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عهد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولم تأخذ مكانها في نفوس فرقة معنية معروفة، بل إن السبئية ما كادت تطل برأسها حتى حاربها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد أمر بإحراق أولئك الذين ادعوا فيه الألوهية. [2]. وأما السبابة الذين يسبون أبا بكر وعمر فإن علياً لما بلغه ذلك طلب ابن السوداء الذي بلغه ذلك عنه، وقيل: إنه أراد قتله، فهرب منه. وأما المفضلة الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر فروي أنه قال: "لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري". [3]، ولكن ما تلا ذلك من أحداث هيأ جواً صالحاً لظهور هذه العقائد، وتمثلها في جماعة وذلك كمعركة صفين، وحادثة التحكيم التي أعقبتها، ومقتل علي، ومقتل الحسين.. كل هذه الأحداث دفعت القلوب والعواطف إلى التشيع لآل البيت، فتسلل الفكر الوافد من نافذة التشيع لعلي وآل بيته، وصار التشيع وسيلة لكل من أراد

---

(١) وقد أخرج الإمام البخاري هذا الحديث في باب كتابة العلم (البخاري مع الفتح: ١/ ٢٠٤) وباب حرم المدينة (البخاري مع الفتح ٤/ ٨١) وباب فكاك الأسير (٦/ ١٦٧)، وباب ذمة المسلمين وجوارهم (٦/ ٢٧٣) وباب إثم من عاهد ثم غدر (٦/ ٢٧٩ - ٢٨٠) وباب إثم من تبرأ من مواليه (١٢/ ٤١ - ٤٢) وباب العاقلة (١٢/ ٢٤٦) وباب لا يقتل مسلم بكافر (١٢/ ٢٦٠)، وباب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو (١٣/ ٢٧٥ - ٢٧٦). وأخرجه مسلم في باب فضل المدينة وبيان تحريمها (مسلم مع النووي: ٩/ ١٤٣ - ١٤٤) وكتاب الذبائح (مسلم مع النووي ١٣/ ١٤١). وأخرجه النسائي (المجتبى: ٨/ ١٩). والترمذي (٤/ ٦٦٨). وأحمد (المسند: ١/ ١٠٠).

(٢) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ١/ ٢١٩، تحقيق د. محمد رشاد سالم، فتح الباري، ٢/ ٢٧٠، الملطي، التنبيه والرد، ص ١٨. الإسفراييني، التبصير في الدين، ص ٧٠.

(٣) منهاج السنة، ١/ ٢١٩ - ٢٢٠.

هدم الإسلام من ملحد ومنافق وطاغوت ، ودخلت إلى المسلمين أفكار ومعتقدات أجنبية اكتست بثوب التشيع وتيسر دخولها تحت غطائه ، وبمرور الأيام كانت تتسع البدعة ويتعاظم خطرها ، حيث قد وجد لابن سبأ خلفاء كثيرون .

ولم يكن استعمال لقب "الشيعة" في عهد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا بمعنى الموالاة والنصرة ، ولا يعني بحال الإيمان بعقيدة من عقائد الشيعة اليوم . . ولم يكن يختص إطلاق هذا اللقب بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدل على ذلك ما جاء في صحيفة التحكيم من إطلاق اسم الشيعة على كل من أتباع علي وأتباع معاوية ،

فإذن كانت الأحداث التي جرت على آل البيت (مقتل علي ، مقتل الحسين ، إلخ) هي من العوامل المؤثرة للاندفاع إلى التشيع لآل البيت ، وكان التعاطف والتأثر لما حل بالآل هو شعور كل مسلم ، ولكن قد استغل هذا الأمر من قبل الأعداء الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر فدخلوا من هذا المنفذ ، وأشاعوا الفرقة في صفوف الأمة ، وحققوا بالكيد والحيلة ماعجزوا عنه بالسلاح والسنان ، ودخل أتباع الديانات الأخرى ، والمتآمرون ، والمتربصون في التشيع ، وبدؤوا يضعون أصولاً مستوحاة من دينهم ، ألبسوها ثوب الإسلام[1] .

ويمكن إجمال المراحل التي مرت بها الشيعة الرافضة ، حتى أصبحت فرقة مستقلة متميزة بعقيدتها واسمها عن سائر فرق الأمة ويمكن إبراز ذلك من خلال أربع مراحل رئيسية:

١ - **المرحلة الأولى**: دعوة عبد الله بن سبأ إلى ما دعا إليه من الأصول التي انبنت عليها عقيدة الرافضة ، كدعوته لعقيدة الرجعة ، وإحداثه القول بالوصية لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، والطعن في الخلفاء السابقين لعلي في الخلافة ، وقد ساعد ابن سبأ في ترويج فكره الضال البعيد عن روح الإسلام أمران:

أ - اختيار ابن سبأ البيئة المناسبة لدعوته: حيث بث دعوته في بلدان مصر ، والعراق ، بعد أن أكثر التنقل بين هذه الأمصار ، فنشأت هذه الدعوة

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد ، ١ / ٧٨ .

في مجتمعات لم تتمكن من فهم الإسلام الفهم الصحيح ، وتترسخ أقدامها في العلم الشرعي والفقه بدين الله تعالى ، وذلك لقرب عهدها بالإسلام ، فإن تلك الأمصار إنما فتحت في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، هذا بالإضافة إلى بعدها عن مجتمع الصحابة في الحجاز وعدم التفقه والتتلمذ والتربية على أيديهم .

ب - أن ابن سبأ مع اختياره لدعوته تلك المجتمعات ، فإنه زيادة في المكر والخديعة ، أحاط دعوته بستار من التكتم والسرية ، فلم تكن دعوته موجهة لكل أحد ، وإنما لمن علم أنهم أهل لقبولها من جهلة الناس ، وأصحاب الأغراض الخبيثة ، ممن لم يدخلوا لإسلام إلا كيدًا لأهله بعد أن قوضت جيوش الإسلام عروش ملوكهم ، ومزقت ممالكهم ، وقد قال الطبري عن ابن سبأ: فبث دعاته ، وكاتب من كان استفسده في الأمصار ، وكاتبوه ، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم ، يقول في سياق وصفهم: وأوسعوا في الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون[1] .

٢ - المرحلة الثانية: إظهار هذا المعتقد والتصريح به ، وذلك بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وانشغال الصحابة رضوان الله عليهم بإخماد الفتنة التي حصلت بمقتله ، فوجد هؤلاء الضلال متنفسًا في تلك الظروف ، وقويت تلك العقائد الفاسدة في نفوسهم : إلا أنه مع كل ذلك بقيت هذه العقائد محصورة في طائفة مخصوصة ، ممن أصلهم ابن سبأ ، وليست لهم شوكة ولا كلمة مسموعة عند أحد سوى من ابتلي بمصيبتهم في مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وشاركهم في دمه من الخوارج المارقين ، ومما يدل على ذلك ما نقله الطبري: وتكلم ابن السوداء فقال: يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم[2] .
وهذا القول لا يقوله صاحب شوكة ومنعة ، ومع هذا فإنه لا ينكر دور هؤلاء السبئية وقتلة عثمان في إشعال نار الحرب بين الصحابة ، بل ذلك مقرر عند أهل التحقيق للفتنة وأحداثها ، يقول ابن حزم مقررًا ذلك: وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا ، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان الإراعة والتدبير عليهم ، فبيتوا عسكر طلحة والزبير ، وبذلوا

(١) تاريخ الطبري ، ٥/ ٣٤٧ - ٣٤٨ .
(٢) تاريخ الطبري ، ٥/ ٥٢٦ .

السيوف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم[1].

٣ - المرحلة الثالثة: اشتداد أمرهم وقوتهم واجتماعهم تحت قيادة واحدة وذلك بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للأخذ بثأر الحسين والانتقام له من أعدائه، يقول الطبري في حوادث سنة أربع وستين للهجرة: وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة، وأعدوا الاجتماع بالنخيلة سنة خمس وستين للمسير لأهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي، وتكاتبوا في ذلك[2] وكان مبدأ أمرهم ما ذكره الطبري من رواية عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي أنه قال: لما قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة، فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأت أنها قد أخطأت خطأ كبيرًا بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم إجابته، وقتله إلى جانبهم دون أن ينصروه، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله، أو القتل فيه، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة: إلى سليمان ابن صُرد الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلى المسيب ابن نجية الفزاري، وكان من أصحاب علي وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وإلى عبد الله بن وائل التيمي، وإلى رفاعة بن شداد البجلي، ثم إن هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا في منزل سلميان بن صُرد وكانوا من خيار أصحاب علي؛ ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم، وكان هذا الاجتماع عامًا يشمل كافة الشيعة، وقد اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو من سبعة عشر ألفًا، ثم لم تعجب سليمان قلتهم، فأرسل حكيم بن منقذ فنادى في الكوفة، وخرج الناس معهم فكانوا قريبًا من عشرين ألفًا[3]، ثم إنه في هذه الأثناء قدم المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى الكوفة فوجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صرد وعظموه تعظيمًا زائدًا؛ وهم معدون للحرب، فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب وهو محمد ابن الحنفية، ولقبه بالمهدي فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة، وفارقوا سليمان بن صرد،

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٤/ ٢٣٩.
(٢) تاريخ الطبري، ٦/ ٤٨٧ - ٥٠١.
(٣) البداية والنهاية، ٨/ ٢٥٤.

وصارت الشيعة فرقتين، الجمهور منهم مع سليمان، يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين، وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد ابن الحنفية، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية، وإنما يتقولون عليه ليروجوا على الناس به، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة، فكان هذا بداية اجتماع الشيعة، ثم يذكر المؤرخون خروج سليمان بن صرد بمن كان معه من الشيعة إلى الشام: فالتقوا مع أهل الشام عند عين تسمى عين الوردة واقتتلوا قتالاً عظيمًا لمدة ثلاثة أيام، يقول ابن كثير: لم ير الشيب والمرد مثله لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل، ثم انتهى القتال بينهم بقتل سليمان بن صرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكثير من أصحابه، وهزيمتهم، وعودة من بقي من أصحابه إلى الكوفة، وأما المختار بن أبي عبيد الثقفي فلما رجع من بقي من جيش سليمان إلى الكوفة وأخبروه بما كان من أمرهم، وما حل بهم فترحم على سليمان ومن كان قتل معه، وقال: وبعد، فأنا الأمير المأمون قاتل الجبارين والمفسدين، إن شاء الله، فأعدوا واستعدوا وأبشروا، يقول ابن كثير: وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن وحيه الذي كان يأتي إليه من الشيطان، فإنه قد كان يأتي شيطان فيوحي إليه قريبًا مما كان يوحي شيطان مسيلمة له، ثم إن المختار بعث الأمر إلى النواحي والبلدان، والرساتيق من أرض العراق وخراسان وعقد الألوية والرايات.. ثم شرع المختار بتتبع قتلة الحسين من شريف ووضيع فيقتله [(١)].

٤ - **المرحلة الرابعة**: انشقاق الشيعة الرافضة عن الزيدية، وباقي فرق الشيعة، وتميزها بمسماها وعقيدتها. وكان ذلك على وجه التحديد في سنة إحدى وعشرين ومائة عندما خرج زيد بن علي بن الحسين على هشام بن عبد الملك، فأظهر بعض من كان في جيشه من الشيعة الطعن على أبي بكر وعمر فمنعهم من ذلك، وأنكر عليهم فرفضوه، فسموا بالرافضة، وسميت الطائفة الباقية معه بالزيدية، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن أول ما عرف لفظ الرافضة في الإسلام، عند خروج زيد بن علي في أوائل المائة الثانية، فسئل عن أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فتولاهما، فرفضه قوم فسموا رافضة، وقال:

---

(١) البداية والنهاية، ٨/٢٥٧، ٢٥٦، ٢٧١.

ومـن زمـن خـروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية ، فإنه لما سئل عن أبـي بكـر وعمـر فترحـم علـيهما رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني ، فسموا رافضة لرفضهم إياه ، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيديًا لانتسابهم إليه ، ومـنذ ذلـك الـتاريخ تميـزت الرافضة عن باقي فرق الشيعة ، فأصبحت فرقة مستقلة باسمها ومعتقدها ، والله تعالى أعلم[1] .

* * * * *

(١) الانتصار للصحب والآل ، ص ٤٨ .

أثر الفلسفات القديمة في المذهب الشيعي

اختلف أنظار العلماء والباحثين في مرجع الأصول العقدية للتشيع ؛ فمن قائل بأنها ترجع لأصل يهودي ، ومن قائل بأنها ترجع لأصل فارسي ، ومن قائل بأن المذهب الشيعي كان مبدأة للعقائد الآسيوية القديمة كالبوذية[1] .

ومن الباحثين من يرى أن أصل التشيع ذو صبغة يهودية وذلك باعتبارين:

الاعتبار الأول:

أن ابن سبأ كان أول من قال بالنص والوصية ، والرجعة ، وابن سبأ يهودي ، وهذه الآراء صارت من أصول المذهب الشيعي ، ولهذا أشار القمي ، والنوبختي والكشي ، وهم من شيوخ الشيعة القدامى إلى هذا ، وذلك حينما استعرضوا آراء ابن سبأ والتي أصبحت فيما بعد من أصول الشيعة ، قالوا: "فمن هنا قال من خالف الشيعة: إن أصل الرفض كان مأخوذاً من اليهودية" .

الاعتبار الثاني:

هو وجود تشابه في الأصول لفكرية بين اليهود والشيعة ، ولعل أول بيان لذلك وأشمله هو ما روي عن الشعبي . كما أشار ابن حزم إلى شيء من ذلك حينما قال: "سار هؤلاء الشيعة في سبيل اليهود القائلين . إن إلياس - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - ، وفنحاس بن العازار بن هارون - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - أحياء إلى اليوم" . وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن في الشيعة من الجهل والغلو واتباع الهوى ما أشبهوا فيه النصارى من وجه واليهود من وجه ، وأن الناس مازالوا يصفونهم بذلك ، ثم نقل ما روي عن الشعبي من مشابهة الشيعة

(١) البوذية: هم أتباع بوذا ، ولها انتشار بين عدد من الشعوب الآسيوية ، وتتباين عقائد الأتباع حول هذه النحلة ؛ فتجعل البوذية اليابانية "بوذا" جوهراً إلهاً حالاً في الكون ، وبوذية الهند - وهي الأصل - لا إله لها ، وبوذية الصين مالت إلى الاعتقاد بفكرة كائن مطلق يتمثل في شخصيات مختلفة بوذا واحد منها . وانظر عن البوذية: محمد سيد كيلاني ، ذيل الملل والنحل ، ص ١٣ ، ٢٦ ، ٣١ ، محمد أبو زهرة ، الديانات القديمة ، ص ٥٣ ، سليمان مظهر ، قصة الديانات ، ص ٧٣ .

لليهود والنصارى . وقد قال بهذا الرأي جمع من الباحثين من هؤلاء الأستاذ أحمد أمين ، حيث قال: "فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة ، وقالت الشيعة: إن النار محرمة على الشيعي إلا قليلاً كما قال اليهود: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ . والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم: إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه ، ويرى جولد تسيهر أن فكرة الرجعة تسربت إلى التشيع من طريق المؤثرات اليهودية والنصرانية . وكذلك يرى فريد لندر أن التشيع قد استمد أفكاره الرئيسة من اليهودية .

ويقول فلهوزن بالأصل اليهودي ، ويشير إلى بعض أوجه التشابه في الأفكار بين اليهود والشيعة [1] .

القول بالأصل الفارسي (فارسية التشيع):

يقرر بعض الباحثين أن التشيع نزعة فارسية ، وذلك لعدة اعتبارات:

الأول: ما قاله ابن حزم والمقريزي من أن الفرس كانت من سعة الملك ، وعلو اليد على جميع الأمم ، وجلالة الخطر في أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب ، كان العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً ، تعاظمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى ، وفي كل ذلك يظهر الله الحق . . فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الإسلام ، واستمالوا أهل التشيع ، بإظهار محبة أهل البيت ، واستبشاع ظلم علي - بزعمهم - ثم سلكوا بهم مسالك حتى أخرجوهم عن طريق الهدى .

الثاني: أن العرب تدين بالحرية ، والفرس يدينون بالملك والوراثة في البيت المالك ، ولا يعرفون معنى الانتخاب للخليفة ، وقد انتقل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرفيق الأعلى ، ولم يترك ولداً ، فأولى الناس بعده ابن عمه علي بن أبي طالب ، فمن أخذ الخلافة كأبي بكر وعمر وعثمان ، فقد اغتصب الخلافة من مستحقها ، وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد ، ١ / ٨١ .

فيها معنى التقديس، فنظروا هذا النظر نفسه إلى علي وذريته، وقالوا: إن طاعة الإمام واجبة، وطاعته طاعة الله سبحانه وتعالى.

وكثير من الفرس دخلوا في الإسلام ولم يتجردوا من كل عقائدهم السابقة التي توارثوها أجيالاً، وبمرور الزمان صبغوا آراءهم القديمة بصبغة إسلامية، فنظرة الشيعة إلى علي وبنائه هي نظرة آبائهم الأولين إلى الملوك الساسانيين.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "إنا نعتقد أن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية حول الملك والوراثة، والتشابه بين مذهبهم ونظام الملك الفارسي واضح، ويزكي هذا أن أكثر أهل فارس من الشيعة، وأن الشيعة الأولين كانوا من فارس"[1].

الثالث: حينما فتح المسلمون بلاد الفرس تزوج الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابنه يزدجرد أحد ملوك إيران، بعدما جاءت مع الأسرى فولدت له علي بن الحسين، وقد رأى الفرس في أولادها من الحسين وارثين لملوكهم الأقدمين، ورأوا أن الدم الذي يجري في عرق علي بن الحسين وفي أولاده دم إيراني من قبل أمه ابنة يزدجرد والذي من هو من سلالة الملوك الساسانيين المقدسين عندهم، أضف إلى ذلك أن اسم فاطمة - فيما يقال - اسم مقدس عند الفرس، لأن لها مقاماً محموداً في تاريخ الفرس القديم [لأن لفاطمة أثراً جميلاً - كما يعتقدون - في الكشف عن سمرديس المجوسي الذي استولى على عرش الكيانيين، فكانت فاطمة بطلة، وكانت فاطمة مقدسة، ولولاها لما علم شيء من أمر سمرديس المجوسي هذا، ولولاها لما دبر أبوها أوتانس وصحبه مؤامرة عليه[2].

الرابع: وتلمح الأصل الفارسي أيضاً في روايات عديدة عند الاثني عشرية، تفرد سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبرأه الله مما يفترون - بخصائص وصفات فوق مرتبة البشر، حيث جاء في أخبارهم: "أن سلمان باب الله في

---

(١) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ١/ ٣٨، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، ١ / ٨٣.

(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، ١ / ٨٤.

الأرض، من عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً".

وهذا الوصف لسلمان اعتاد الشيعة في رواياتهم على إطلاقه على أئمتهم الاثني عشر، كما أثبتت رواياتهم بأن سلمان "يبعث الله إليه ملكاً ينقر في أذنه يقول كيت وكيت" و"عن الحسن عن منصور قال: قلت للصادق - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: أكان سلمان محدثاً؟ قال: نعم. قلت: من يحدثه؟ قال: ملك كريم. قلت: إذا كان سلمان كذا فصحابه أي شيء هو؟ قال: أقبل على شأنك". فهي تثبت الوحي لسلمان وتوحي بأن صاحبه وهو علي فوق ذلك؟! بل أثبتت أخبارهم لسلمان علم الأئمة والأنبياء، كما جعلت له أمر الإمام والنبي، فقالت: "... سلمان أدرك علم الأول وعلم الآخر" ثم فسرت ذلك، فقالت: "يعني علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلم علي، وأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمر علي".

وجاء في رواياتهم أن سلمان أحد الشيعة الذين بهم - كما يفترون "ترزقون، وبهم تنصرون، وبهم تمطرون". بل بلغ الغلو ببعض الفرق الشيعية أن قالت بتأليه سلمان، وقد وجدت هذه الفرقة في عصر أبي الحسن الأشعري، وأشار إليها في مقالاته حيث قال: "وقد قال في عصرنا هذا قائلون بألوهية سلمان الفارسي"[1]. وقد تكون هذه الروايات في كتب الاثني عشرية هي من آثار هذه الفرقة، لأن كتب الاثني عشرية قد استوعبت معظم آراء الفرق الشيعية بكل ما فيها من شذوذ.. وبقاؤها في كتبهم قد يؤذن بخروج طوائف منها مرة أخرى.

بل نلحظ أن هناك اتجاهاً داخل الدوائر الشيعية لتعظيم بعض العناصر الفارسية التي شاركت في التآمر والكيد ضد دولة الخلافة الراشدة وهو أبو لؤلؤة الفارسي المجوسي قاتل الخليفة العظيم عمر بن الخطاب، فقد أطلق عليه عندهم "بابا شجاع الدين"، واعتبروا يقوم مقتل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيد هذا المجوسي عيداً من أعيادهم، وقد ساق شيخهم الجزائري روايات لهم في ذلك، كما يعظمون يوم النيروز، كفعل المجوس، وقد اعترفت أخبارهم بأن يوم النيروز من أعياد الفرس.

---

(١) مقالات الإسلاميين، ١/ ٨٠.

القول بأن المذهب الشيعي مباءة للعقائد الآسيوية القديمة:

ويضيف البعض أن المذهب الشيعي كان مباءة ومستقراً للعقائد الآسيوية القديمة كالبوذية . يقول الأستاذ أحمد أمين: "وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح [تناسخ الأرواح: انتقال الروح بعد الموت من بدن إلى آخر ؛ إنسانا أو حيواناً . قال بهذه النظرية بعض الهنود ، وفيثاغورس من اليونان ، وتسربت للعالم الإسلامي ، وتجسيم الله [1] ، والحلول [2] . ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البرهمة [3] والفلاسفة والمجوس [4] . ويشير بعض المستشرقين إلى تسرب الكثير من العقائد غير الإسلامية إلى الشيعة ويقول: "إن تلك العقائد انتقلت إليها من المجوسية ، والمانوية [5] والبوذية وغيرها من الديانات التي كانت سائدة في آسيا قبل ظهور الإسلام" .

ويذكر صاحب مختصر التحفة: "أن مذهب الشيعة له مشابهة تامة مع فرق اليهود والنصارى والمشركين والمجوس"، ثم يذكر وجه شبه المذهب الشيعي بكل طائفة من هذه الطوائف .

كما يذكر البعض أنه تتبع مذاهب الشيعة فوجد عندها كل المذاهب

---

(١) المقصود وصف الله جل شأنه بصفات المخلوقين ، وقد وجد هذا عند طوائف من الشيعة كالهشامية أتباع هشام بن الحكم وغيرها أما لفظ الجسم فإن للناس فيه أقوالاً متعددة اصطلاحاً غير معناه اللغوي .

(٢) الحلول: هو الزعم بأن الإله قد يحل في جسم عدد من عباده ، أو بعبارة أخرى أن اللاهوت يحل في الناسوت .

(٣) البراهمة: هم المنتسبون إلى رجل مهم يقال له: براهم أو: برهام من ملوك الفرس . يقرون بالله ، ويجحدون الرسل . . وهم فرق مختلفة .

(٤) المجوس: هم عبدة النار ، ويقولون بأصلين ؛ أحدهما: النور ، والآخر: الظلمة . والنور أزلي ، والظلمة محدثة . ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين ، إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة ، والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة ، وجعلوا الامتزاج مبدأ ، والخلاص معاداً .

(٥) المانوية: أصحاب ماني بن فاتك ، كان في الأصل مجوسياً ، ثم أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية ، وقد خالفته المجوس وسعت في قتله ، حتى قتله بهرام بن هرمز بن سابور وذلك بعد عيسى - عليه السلام - وبقي مذهبه في أتباعه . والمانوية يقولون بالأصلين: النور والظلمة ، وأن العالم صدر عنهما ، وأن النور خير من الظلمة وهو الإله المحمود .

والأديان التي جاء الإسلام لمحاربتها[1] .

والحقيقة أن التشيع المجرد من دعوى النص والوصية ليس هو وليد مؤثرات أجنبية ، بل إن التشيع لآل البيت وحبهم أمر طبيعي ، وهو حب لا يفرق بين الآل ، ولا يغلو فيهم ، ولا ينتقص أحداً من الصحابة ، كما تفعل الفرق المنتسبة للتشيع ، وقد نما الحب وزاد للآل بعدما جرى عليهم من المحن والآلام بدءاً من مقتل علي ، ثم الحسين . . إلخ .

هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين ، فدخل الحاقدون من هذا الباب ، ذلك أن آراء ابن سبأ لم تجد الجو الملائم ؛ لتنمو وتنتشر إلا بعد تلك الأحداث . . لكن التشيع بمعنى عقيدة النص على علي ، والرجعة ، والبداء ، والغيبة ، وعصمة الأئمة . . إلخ فلا شك أنها عقائد طارئة على الأمة ، دخيلة على المسلمين ، ترجع أصولها لعناصر مختلفة ، ذلك أنه قد ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام ، وأهله ، وكل من احتال ليعيش في ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام ، من يهودي ، ونصراني ، ومجوسي ، وغيرهم . فدخل في التشيع كثير من الأفكار الأجنبية والدخيلة ، ولهذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن المنتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس والروم ، واليونان ، والنصارى ، واليهود ، وغيرهم أموراً مزجوها بالتشيع ، ويقول: وهذا تصديق لما أخبر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وساق بعض الأحاديث الواردة في أن هذه الأمة ستركب سنن من كان قبلها... ، وقال بأن هذا بعينه صار في المنتسبين للتشيع [2] .

* * * * *

---

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد ، ١ /٨٨ .

(٢) منهاج السنة: ٤/ ١٤٧ ، وانظر الأحاديث في ذلك في: صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالسنة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم": ٨/ ١٥١ ، وفي صحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم" رقم (٢٦٦٩) ، المسند ٢/ ٤٥٠ - ٥١١ ، ٥٢٧ .

أشهر فرق الشيعة

حفلت كتب المقالات والفرق بذكر فرق الشيعة وطوائفهم . . والملفت للنظر هو كثرة هذه الفرق ، وتعددها بدرجة كبيرة حتى تكاد تنفرد الشيعة بهذه السمة ، أو قل: بهذا البلاء... ، فبعد وفاة كل إمام من الأئمة عند الشيعة تظهر فرق جديدة ، وكل طائفة تذهب في تعيين الإمام مذهباً خاصاً بها . . وتنفرد ببعض العقائد والآراء عن الطوائف الأخرى ، وتدعي أنها هي الطائفة المحقة .

وهذا الاختلاف والتفرق كان محل شكوى وتذمر من الشيعة نفسها ، قال أحد الشيعة لإمامه – كما في رجال الكشي -: "جعلني الله فداك ، ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم؟ فقال وأي الاختلاف؟ . فقال: إني لأجلس في حلقهم بالكوفة فأكاد أشك في اختلافهم في حديثهم . . فقال: أبو عبد الله أجل هو كما ذكرت أن الناس أولعوا بالكذب علينا ، وإني أحدث أحدهم بالحديث ، فلا يخرج من عندي ، حتى يتأوله على غير تأويله ، وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله ، وإنما يطلبون الدنيا ، وكل يحب أن يدعى رأساً"[1] .

فيدل هذا النص على أن حب الرياسة ، ومتاع الدنيا الزائل كان وراء تشيع الكثيرين ، وأن هؤلاء أولعوا بالكذب على آل البيت . . ولهذا كثر الخلاف والتفرق .

وقد ذكر المسعودي وهو شيعي أن فرق الشيعة بلغت ثلاثاً وسبعين فرقة وكل فرقة تكفر الأخرى ، وقد ورد في دائرة المعارف: أنه ظهر من فروع الفرق الشيعية ما يزيد كثيراً عن الفرق الاثنين والسبعين فرقة المشهورة ، بينما يذكر المقريزي أن فرق الشيعة بلغت ثلاثمائة فرقة ، ومرد هذا الاختلاف في الغالب هو اختلافهم حول الأئمة من آل البيت فيذهبون مذاهب شتى في أعيان الأئمة ، وفي عددهم ، وفي الوقف على أحدهم وانتظاره ، أو المضي إلى آخر والقول بإمامته . . فضلاً عما تباينوا فيه من التفريع أو تنازعوا فيه من التأويل ، ولهذا قال العلامة ابن خلدون بعدما

---

(١) رجال الكشي ، ص ١٣٥ – ١٣٦ ، بحار الأنوار ، ٢/٢٤٦ .

ساق اختلافهم في تعيين الأئمة: "وهذا الاختلاف العظيم يدل على عدم النص" أي يدل على أنهم ليسوا على شيء فيما ذهبوا إليه من دعوى أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نص على عليّ والأئمة الآخرين . . إذ لو كان من عند الله لما كان هذا الاختلاف والتباين ، ولكن لما وجدوا اختلافاً كثيراً كان من أعظم الأدلة على عدم وجود نص صحيح ، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ الله لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] .

وأمر الإمامة عندهم هو أصل الدين ، فلا يقبل فيها الخلاف ، كما يقبل في الفروع . وقد عدّ شيخ الشيعة الزيدية في زمنه أحمد بن يحيى المترضى (المتوفى سنة ٨٤٠هـ (اختلاف الشيعة عند موت كل إمام في القائم بعده أوضح دليل على إبطال ما يدعون من النص[1] .

والملاحظ أن طائفة الاثني عشرية قد استوعبت جل الآراء والعقائد التي قالت بها الفرق الشيعية الأخرى ، وأنها كانت بمثابة النهر الذي انسكبت فيها كل الجداول والروافد الشيعية المختلفة ، فهذه الفرق لم تفن - كما يقال - بل إن أكثرها باق ، وهو يطل علينا خلال الفكر الاثني عشري . وقد انحصرت الفرق الشيعية المعاصرة بثلاث فرق ، هي:

١ - الاثنا عشرية.

٢ - الإسماعيلية: وهم الذين قالوا: الإمام بعد جعفر إسماعيل بن جعفر ، ثم قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وأنكروا إمامة سائر ولد جعفر ، ومن الإسماعيلية انبثق القرامطة والحشاشون والفاطميون والدروز وغيرهم ، وللإسماعيلية فرق متعددة وألقاب كثيرة تختلف باختلاف البلدان ، إذ لهم - كما يقول الشهرستاني - دعوة في كل زمان ، ومقالة جديدة بكل لسان ، وأما مذهبهم فهو كما يقول الغزالي وغيره: "إنه مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض" . أو كما يقول ابن الجوزي: "فمحصول قولهم تعطيل الصانع وإبطال النبوة والعبادات وإنكار البعث" ، ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم . ولهم مراتب في الدعوة ، وحقيقة

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد ، ١ / ٩٣ .

المذهب لا تعطى إلا لمن وصل إلى الدرجة الأخيرة، وقد اطلع على أحوالهم وكشف أستارهم جملة من أهل العلم كالبغدادي الذي اطلع على كتاب لهم يسمى: "السياسة والبلاغ الأكيد والناموس الأكبر" ورأى من خلاله أنهم دهرية زنادقة يتسترون بالتشيع، والحمادي اليماني الذي اندس بينهم وعرف حالهم وبين ذلك في كتابه: "كشف أسرار الباطنية"، وابن النديم الذي اطلع على "البلاغات السبعة" لهم وقرأ البلاغ السابع ورأى فيه أمراً عظيماً من إباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها.. وغيرهم، ولهم نشاطهم اليوم، كما لهم كتبهم السرية. قال أحدهم: "إن لنا كتباً لا يقف على قراءتها غيرنا ولا يطلع على حقائقها سوانا"[1].

٣ - **الزيدية**: وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وسموا بالزيدية نسبة إليه، وقد افترقوا عن الإمامية حينما سئل زيد عن أبي بكر وعمر فترضى عنهما فرفضه قوم فسموا رافضة.. وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيدية لاتباعهم له وذلك في آخر خلافة هشام بن عبد الملك سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين، والزيدية يوافقون المعتزلة في العقائد. والزيدية فرق: منهم من لم يحمل من الانتساب إلى زيد إلا الاسم فهم روافض في الحقيقة يقولون: إن الأمة ضلت وكفرت بصرفها الأمر إلى غير علي، وهؤلاء الجارودية أتباع أبي الجارود، ومنهم من يقترب من أهل السنة كثيراً وهم أصحاب الحسن بن صالح بن حي الفقيه القائلون بأن الإمامة في ولد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويقول ابن حزم: "إن الثابت عن الحسن بن صالح هو أن الإمامة في جميع قريش، ويتولون جميع الصحابة إلا أنهم يفضلون علياً على جميعهم".

وطائفة الاثني عشرية هي أكبر الطوائف اليوم، كما كانت تمثل أكثرية الشيعة وجمهورها في بعض فترات التاريخ. فقد وصفهم طائفة من علماء الفرق بـ"جمهور الشيعة"[2].

*****

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، ١ / ٩٥.
(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، ١ / ١٠٠.

أهم عقائد الشيعة الرافضة

الإمامة:

يعتقد الشيعة الرافضة أن الإمامة ركن عظيم من أركان الإسلام، وأصل أصيل من أصول الإيمان، لا يتم إيمان المرء إلا باعتقادها، ولا يقبل منه عمل إلا بتحقيقها، وأول من تحدث عن مفهوم الإمامة بالصورة الموجودة عند الشيعة الرافضة هو ابن سبأ، الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصاية من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومحصورة بالوصي، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه، وكفرهم، لأنه كان يهودي الأصل، يرى أن يوشع بن نون وصي موسى، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في علي بن أبي طالب، وهذا ما تعارف عليه شيوخ الشيعة الرافضة، ومفهوم الإمامة عندهم كمفهوم النبوة، فكما يصطفي الله سبحانه من خلقه أنبياء، يختار سبحانه أئمة، وينص عليهم، ويعلم الخلق بهم، ويقيم بهم الحجة، ويؤيدهم بالمعجزات، وينزل عليهم الكتب، ويوحي إليهم، ولا يقولون أو يفعلون إلا بأمر الله ووحيه.. أي أن الإمامة هي النبوة، والإمام هو النبي، والتغيير في الاسم فقط، ويكفي في نقده أنه لا سند لهم فيه إلا ابن سبأ اليهودي[(١)].

والإمامة عند الشيعة الرافضة لها شأن كبير، فلديهم روايات تجعل الإمامة أعظم أركان الإسلام، فروى الكليني بسنده عن أبي جعفر قال: بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذا - يعني الولاية -.

فهم أسقطوا الشهادتين من أركان الإسلام، ووضعوا مكانهما الولاية، وعدوها من أعظم الأركان، كما يدل عليه قولهم: ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، وكما يدل عليه حديثهم الآخر، وقد ذكر فيه نص الرواية السابقة

---

(١) أصول الشيعة الإمامية، ٢/ ٧٩٤.

وزاد: قلت "الراوي": وأي شيء من ذلك أفضل؟، فقال: الولاية أفضل[1] .

ويقول المظفر - وهو من علمائهم المعاصرين -: نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين، ولا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين، مهما عظموا، بل يجب النظر فيها، كما يجب النظر في التوحيد والنبوة[2] .

هذه الروايات الشيعية الرافضية، ومثيلاتها في كتب الشيعة الروافض كانت كفيلة بأن تجعل الإمامة هي الحكم على إيمان الرجل أو كفره، وأن تجعل المسلم معرضًا للاتهام بالكفر لمجرد اختلافه مع الشيعة الإمامية في عقيدة الإمامة التي يعتقدونها، ولذا رأينا بعض كبار علماء الشيعة الإمامية السابقين واللاحقين يصرحون بهذه احقيقة المرة .

إن الإمامة صنو النبوة أو أعظم، وهي أصل الدين وقاعدته الأساسية عندهم، لهذا جاء حكم الشيعة الاثنى عشرية على من أنكر إمامة واحد من أئمتهم الاثنى عشر مكملاً لهذا الغلو، حيث حكموا عليه بالكفر والخلود في النار، وخصصوا باللعن والحكم بالردة جميع فئات المسلمين ما عدا الاثنى عشرية، فتناول تكفيرهم:

١ - الصحابة رضوان الله عليهم: كتب الشيعة الرافضة مليئة باللعن والتكفير لمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه، من المهاجرين والأنصار، وأهل بدر وبيعة الرضوان، وسائر الصحابة أجمعين، ولا تستثني منهم إلا النزر اليسير الذي لا يبلغ عدد أصابع اليد، وأصبحت هذه المسألة بعد ظهور كتبهم وانتشارها من الأمور التي لا تحجب بالتقية[3] .

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الرافضة تقول: إن المهاجرين والأنصار كتموا النص، فكفروا إلا نفرًا قليلاً . . إما بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم

(١) الكليني، أصول الكافي، ٢/ ١٨ .
(٢) الزنجاني، عقائد الأمامية، ص١٠٢ .
(٣) أصول الشيعة الإمامية، ٢/ ٨٦٨ .

كفروا، وتقول كتب الاثنى عشرية: إن الصحابة بسبب توليتهم لأبي بكر قد ارتدوا إلا ثلاثة، وتزيد بعض رواياتهم ثلاثة أو أربعة آخرين إلى إمامة علي، ليصبح المجموع سبعة، ولا يزيدون عن ذلك، ولقد تداولت الشيعة أنباء هذا الأسطورة في المعتمد من كتبها، فسجلوا ذلك في أول كتاب ظهر لهم وهو كتاب سليم بن قيس، ثم تتابعت كتبهم في تقرير ذلك وإشاعته وعلى رأسها الكافي أوثق كتبهم الأربعة، ورجال الكشي، عمدتهم في كتب الرجال وغيرها من مصادرهم[1].

موقف الشيعة الرافضة من الصحابة:

- تكفيرهم أهل البيت: إن الروايات التي تحكم بالردة على ذلك المجتمع المثالي الفريد، ولا تستثني منهم جميعًا إلا سبعة في أكثر تقديراته، ولا تذكر من ضمن هؤلاء السبعة أحدًا من أهل بيت رسول الله باستثناء بعض روايات عندهم جاء فيها استثناء علي فقط، وهي رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر، قال: صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: عليًا، والمقداد، وسلمان، وأبا ذر، فقلت: فعمار؟، فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة. فالحكم بالردة في هذه النصوص شامل للصحابة، وأهل البيت النبوي من زوجات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقرابته، مع أن واضعها يزعم التشيع لأهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهل هذا إلا دليل واضح على أن التشيع إنما هو ستار لتنفيذ أغراض خبيثة ضد الإسلام وأهله، وأن واضعي هذه الروايات أعداء للصحابة وللقرابة، وقد خصت الشيعة الرافضة بالطعن والتكفير جملة من أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كعم النبي العباس، حتى قالوا بأنه نزل فيه قوله سبحانه: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٧٢]، وكابنه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن الذي خصصوه باللعن وبأنه سخيف العقل، كما جاء في الكافي، وفي رجال الكشي: اللهم العن ابني فلان واعم أبصارهما، كما عميت قلوبهما، واجعل عمى أبصارهما دليلاً على عمى قلوبهما. وعلق على هذا شيخهم

(١) أصول الشيعة الإمامية، ٢/ ٧٨٠.

حسن المصطفوي فقال: هما عبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس، وبنات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشملهن سخط الشيعة الاثنى عشرية وحنقهم، فلا يذكرون فيمن استثنى من التكفير، بل ونفى بعضهم أن يكن بنات للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما عدا فاطمة رضي الله عنهن، فهل يحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من يقول فيه وفي بناته هذا القول[1]؟، وقد نص صاحب الكافي في رواياته على أن كل من لم يؤمن بالاثنى عشرية فهو كافر، وإن كان علويًا فاطميًا، وهذا يشمل في الحقيقة التكفير لجيل الصحابة ومن بعدهم بما فيه الآل والأصحاب؛ لأنهم لم يعرفوا فكرة الاثنى عشر التي لم توجد إلا بعد سنة ٢٦٠هـ، كما باؤوا بتكفير أمهات المؤمنين أزواج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ لم يستثنوا واحدة منهن في نصوصهم، ولكنهم يخصون منهن عائشة وحفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، بالذم واللعن والتكفير[2]، وقد عقد شيخهم المجلسي بابًا بعنوان "باب أحوال عائشة وحفصة" ذكر فيه ١٧رواية، وأحال في بقية الروايات إلى أبواب أخرى، وقد آذوا فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل بيته أبلغ الإيذاء، حتى اتهموا في أخبارهم من برأها الله من فوق سبع سماوات، عائشة بنت الصديق بالفاحشة، فقد جاء في أصل أصول التفاسير عندهم، تفسير القمي، قذف شنيع متضمن تكذيب القرآن العظيم، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير سورة النور: أجمع أهل العلم رَحِمَهُمُ اللهُ قاطبة على أن من سبها ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن، وقال القرطبي: فكل من سبها مما برأها الله منه مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر[3].

٣ – تكفيرهم خلفاء المسلمين وحكوماتهم: في دين الشيعة الرافضة الإمامية أن كل حكومة غير حكومة الإمامية الرافضية بطلة، وصاحبها ظالم طاغوت يعبد من دون الله، ومن يبايعه فإنما يعبد غير الله، وقد أثبت الكليني هذا المعنى في عدة أبواب مثل: باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل، وذكر

(١) أصول الشيعة الإمامية، ٢/ ٨٩٢.
(٢) أصول الشيعة الإمامية، ٢/ ٨٩٣.
(٣) أصول الشيعة الإمامية، ٢/ ٨٩٢.

فيه اثنى عشر حديثًا عن أئمتهم ، وباب فيمن دان لله عز وجل بغير إمام من الله جل جلاله ، وفيه خمسة أحاديث ، وكل خلفاء المسلمين ما عدا عليًا والحسن ، طواغيت - حسب اعتقادهم - وإن كانوا يدعون إلى الحق ، ويُحسنون لأهل البيت ، ويقيمون دين الله ، ذلك أنهم يقولون: كل راية ترفع قبل راية القائم صاحبها طاغوت ، قال شارح الكافي: وإن كان رافعها يدعو إلى الحق ، وحكم المجلسي على هذه الرواية بالصحة ، حسب مقاييسهم[(١)] .

٤ - الحكم على الأمصار الإسلامية بأنها دار كفر: جاء في أخبارهم تخصيص كثير من بلاد المسلمين بالسب ، وتكفير أهلها على وجه التعيين ، ويخصون منها غالبًا ما كان أكثر التزامًا بالإسلام واتباعًا للسنة ، فقد صرحوا بكفر أهالي مكة والمدينة في القرون المفضلة ، ففي عصر جعفر الصادق كانوا يقولون عن أهل مكة والمدينة: أهل الشام شر من أهل الروم "يعني شر من النصارى" ، وأهل المدينة شر من أهل مكة ، وأهل مكة يكفرون بالله جهرة ، وقالوا: إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة ، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة ، أخبث منهم سبعين ضعفًا ، ومن المعلوم أن أهل المدينة كانوا - ولاسيما في القرون المفضلة - يتأسون بأثر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من سائر الأمصار ، وقد ظل أهل المدينة متمسكين بمذهبهم المالكي منتسبين إليه إلى أوائل المائة السادسة أو قبل ذلك أو بعد ذلك ، فإنه قدم إليهم من رافضة المشرق من أفسد مذهب كثير منهم ، وقالوا أيضًا عن مصر وأهلها: أبناء مصر لعنوا على لسان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فجعل الله منهم القردة والخنازير ، وما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر ، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها ، وقالوا: بئس البلاد مصر ، أما إنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل ، وقالوا: انتحوا مصر ولا تطلبوا المكث فيها لأنه يورث الدياثة .

وجاءت عندهم عدة روايات في ذم مصر ، وهجاء أهلها ، والتحذير من سكناها ، ونسبوا هذه الروايات إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإلى محمد

(١) أصول الشيعة الإمامية ، ٢/ ٨٩٦ .

الباقر، وإلى علي الباقر، وهذا رأي الروافض في مصر في تلك العصور الإسلامية الزاهرة، وقد عقب المجلسي على هذه النصوص بقوله بأن مصر صارت من شر البلاد في تلك الأزمنة، لأن أهلها صاروا من أشقى الناس وأكفرهم. ولا يبعد أن هذه النصوص هي تعبير عن حقد الرافضة وغيظهم على مصر وأهلها، بسبب سقوط دولة إخوانهم الإسماعيليين العبيديين على يد صلاح الدين، الذي طهر أرض الكنانة من دنسهم ورجسهم، وأين هذه الكلمات المظلمة في مصر وأهلها من الباب الذي عقده مسلم في صحيحه "باب وصية النبي بأهل مصر"، وجاء عندهم ذم كثير من بلدان الإسلام وأهلها، ولم يستثن من ديار المسلمين إلا من يقول بمذهبهم، وهي قليلة في تلك الأزمان، حتى جاء عنهم: إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار، فلم يقبلها إلا أهل الكوفة[1].

٥ - قضاة المسلمين: تعد أخبارهم قضاة المسلمين طواغيت لارتباطهم بالإمامة الباطلة بزعمهم، فقد جاء في الكافي عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاء أيحل ذلك؟، قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتًا، وإن كان حقًا ثابتًا له، لأنه أخذ بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به، قال تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ**﴾ [النساء:٦٠]، وهذه الرواية تحكم على القضاء والقضاة في عصر جعفر الصادق، كما يظهر من إسنادهم للرواية إلى جعفر، فإذا كان هذا نظرهم في قضاة المسلمين في القرون المفضلة، فما بالك فيمن بعدهم؟.

٦ - أئمة المسلمين وعلماؤهم: حذروا من التلقي عن الشيوخ المسلمين وعلمائهم وعدوهم كملل أهل الشرك، عن هارون بن خارجة قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنا نأتي هؤلاء المخالفين، فنسمع منهم الحديث يكون حجة لنا عليهم؟ قال: لا تأتهم ولا تسمع منهم، لعنهم الله ولعن مللهم المشركة، وجاء في الكافي عن سدير عن أبي جعفر قال:.. يا سدير

---

(١) أصول الشيعة الإمامية، ٢/ ٩٠١.

فأريك الصادين عن دين الله ، ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حلق في المسجد ، فقال: هؤلاء الصادون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين ، إن هؤلاء الأخباث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس ، فلم يجدوا أحدًا يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] .

وقد بين ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ موقفهم من سلف الأمة وأئمتها والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، الذين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه ، وكفروا جماهير أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المتقدمين والمتأخرين ؛ فيكفرون كل من اعتقد في أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار العدالة ، أو ترضَّى عنهم كما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، أو يستغفر لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم ، ولهذا يكفرون أعلام الملة ، مثل سعيد بن المسيب ، وأبي مسلم الخولاني ، وأويس القرني ، وعطاء بن أبي رباح ، وإبراهيم النخعي ، ومثل مالك ، والأوزاعي ، وأبي حنيفة ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، والثوري ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وفضيل بن عياض ، وأبي سليمان الداراني ، ومعروف الكرخي ، والجنيد بن محمد ، وسهل بن عبد الله التستري ، وغير هؤلاء ، ويرون أن كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى ، لأن أولئك عندهم كفار أصليون ، وهؤلاء مرتدون ، وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي إلى أن قال: وأكثر محققيهم - عندهم - يرون أبا بكر وعمر وأكثر المهاجرين والأنصار ، وأزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل عائشة ، وحفصة ، وسائر أئمة المسلمين وعامتهم ما آمنوا بالله طرفة عين قط ، لأن الإيمان الذي يتعقبه الكفر عندهم يكون باطلاً من أصله ، ومنهم من يرى أن فرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جامع به عائشة وحفصة لابد أن تمسه النار ليطهر بذلك من وطء الكوافر على زعمهم ، لأن وطء الكوافر حرام عندهم[2] .

هذا التكفير العام الشامل الذي لم ينج منه أحد ، هل يحتاج إلى نقد؟ ، إن

(١) أصول الشيعة الإمامية ، ٢/ ٩٠٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٨/ ٢٦٢ ، ٢٦١ .

بطلانه أوضح من أن يبين، وكذبه أجلى من أن يكشف، وتكفير الأمة امتداد لتكفير الصحابة، والسبب واحد لا يختلف، ومن الطبيعي أن من يحقد على صحابة رسول الله ويسبهم ويكفرهم يحقد على الأمة جميعًا ويكفرها، كما قال بعض السلف: لا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا كان ما في قلبه على المسلمين أغل.

فإذا لم يرض عن أبي بكر وعمر وعثمان، وأهل بدر وبيعة الرضوان، والمهاجرين والأنصار، وهم في الذروة في الفضل والإحسان، فهل يرضى بعد ذلك عن أحد بعدهم؟، ومبنى هذا الموقف هو دعوى الروافض أن الصحابة رضوان الله عليهم أنكروا النص، وسيأتي بيان بطلان النص بالنقل والعقل وبالأمور المتواترة المعلومة - بإذن الله - وما بني على الباطل فهو باطل.

ولقد كان حكمهم بردة جيل الصحابة من الظواهر الواضحة على بطلان مذهب الشيعة الرافضة من أساسه، ولذلك قال أحمد الكسروي الإيراني والشيعي الأصل: وأما ما قالوا من ارتداد المسلمين بعد موت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاجتراء منهم على الكذب والبهتان، فلقائل أن يقول: كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمنوا به حين كذبه الآخرون، ودافعوا عنه واحتملوا الأذى في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟ فأي الأمرين أسهل احتمالاً: أكذب رجلاً أو رجلين من ذوي الأغراض الفاسدة، أو ارتداد بضع مئات من خُلص المسلمين؟ فأجيبونا إن كان لكم جواب[1].

إن القرآن الكريم بين فيه رب العزة أصول العقائد وحقائقها وهو التبيان لكل شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩]، ويقول واصفًا كتابه بأنه لم يفرط في قضية يقوم عليها الدين بقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، فإن كان الأمر كذلك فإن المرء ليتساءل عن سند هذه العقيدة، فكتاب الإسلام العظيم "القرآن الكريم" يذكر فيه مرات الصلاة والصيام، والزكاة والحج، ولا ذكر فيه لشأن الأئمة الاثنى

(١) أصول الشيعة الإمامية، ٢/ ٩١٦.

عشرية أو الإمامة من بعد الرسول رغم كون الإمامة - كما تقول النظرية الشيعية الرافضية - أعظم أركان الدين!!، أو ليس من العجيب أن يذكر القرآن تفاصيل طريقة الوضوء، ويُصنف أنواع المحرمات من الطعام والشراب، ويتحدث عن الجهاد تارة وعن السلم تارة أخرى، ويناقش القضايا الأخلاقية ثم يتجاهل إمامة الاثنى عشر التي يصفها آل كاشف الغطاء بأنها "منصب إلهي كالنبوة"، إن هذه النصوص القرآنية قد شهدت بكل وضوح بأن القرآن الكريم لم يفرط في قضية يحتاج إليها البشر، فكيف يفرط في قضية الإمامة النصية التي تذكرها الشيعة الإمامية، ثم يتركها لعلمائهم لكي يصيغوها ويحددوا معالمها، مع كون النص على الأئمة من الله لا منهم[1].

العصمة عند الشيعة الرافضة:

إن عصمة الإمام عند الشيعة الرافضة الإمامية شرط من شروط الإمامة، وهي من مبادئ الأولية في كيانها العقدي ولها أهمية كبرى عندهم، ونتيجة لما أضفاه الشيعة على الأئمة من صفات وقدرات ومواهب علمية غير محدودة، ذهبوا إلى أن الإمام ليس مسئولاً أمام أحد من الناس ولا مجال للخطأ في أفعاله مهما أتى من فعال، بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله من خير لا شر فيه لأن عنده من العلم ما لا قِبل لأحد بمعرفته، ومن هنا قرر الشيعة للإمام ضمن ما قرروا العصمة، فذهبوا إلى أن الأئمة معصومون في كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة ولا تصدر عنهم أية معصية، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان، وقد نقل الإجماع على ذلك شيخهم المفيد، فقال: إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء، وإنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة، وإنه لا يجوز منهم سهو في شيء من الدين ولا ينسون شيئًا من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم، وتعلق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب، وقال ابن المطهر الحلي: ذهبت الإمامية والإسماعيلية إلى أن

---

(١) محمد سالم، ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٣٠ .

الإمام يجب أن يكون معصومًا وخالف فيه جميع الفرق.

وقد نص على ذلك المجلسي بقوله: اعلم أن الإمامية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اتفقوا على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمدًا ولا نسيانًا ولا لخطأ في التأويل، ولا للإسهاء من الله سبحانه.

وروى الصدوق بسنده إلى ابن عباس - كذبًا وزورًا - أنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين معصومون**»، وقال أيضًا في تقرير ذلك: اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون لا صغيرًا ولا كبيرًا، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر.

ولم تكن هذه العقيدة مقصورة على سلف الرافضة، بل شاركهم المعاصرون في ذلك، وفي ذلك يقول محمد رضا المظفر: ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمدًا وسهوًا، كما يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان، وقد نص على ذلك الزنجاني في عقائد الإمامية، كما نص عليه أيضًا علي البحراني في منار الهدى، والسيد مرتضى العسكري في معالم المدرستين، إلا أن هناك آثارًا في المذهب الشيعي الإمامي تخالف ما ذهبوا إليه، ولذلك احتار المجلسي وهو يرى النصوص تخالف إجماع أصحابه، فقال: المسألة في غاية الإشكال، لدلالة كثير من الأخبار والآيات عن صدور السهو عنهم، وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على عدم الجواز. وهذا اعتراف من المجلسي بأن إجماع الشيعة المتأخرين على عصمة الأئمة بإطلاق يخالف رواياتهم، وهذا دليل واقعي واعتراف صريح في أنهم يجتمعون على ضلالة، وعلى غير دليل حتى من كتبهم[1].

ويبدو أن فكرة العصمة قد مرت بأطوار مختلفة، أو أن الشيعة قد

(١) عقائد الإمامية، ٢/ ١٥٧.

اختلفت عقائدهم في تحديدها – في أول الأمر – فمثلاً في عصر أبي جعفر بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ وشيخه محمد بن الحسن القمي، كان رأي جمهور الشيعة أن أول درجة في الغلو هي نفي السهو عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكانوا يعدون من ينفي السهو عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشيعة الغلاة.

ولكن بعد ذلك تبدلت الحال وأصبح نفي السهو والنسيان عن الأئمة هو خروج بهم من منزلة من لا تأخذه سنة ولا نوم، وقد كانت العصمة بهذه الصورة الغالية من نفي السهو والنسيان عن الأئمة معتقد فئة شيعية مجهولة في الكوفة، ففي البحار للمجلسي: أنه قيل للرضا – إمام الشيعة الثامن –: إن في الكوفة قومًا يزعمون أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقع عليه السهو في صلاته فقال: كذبوا لعنهم الله، إن الذي لا يسهو هو الله لا إله إلا هو. فهذا يدل على أن عقيدة نفي السهو كانت معتقد قوم غير معينين لشذوذهم في هذا الاعتقاد، وأنهم كانوا ينفون السهو عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي هو أفضل الأئمة ولم يقولوا بذلك للأئمة، ثم تطور هذا الاعتقاد ليشمل أئمة الشيعة الاثنى عشر وليعم طائفة الشيعة الإمامية كلها، فهذا شيخ الشيعة المعاصر وآيتها العظمى عبد الله المقاني يؤكد أن نفي السهو عن الأئمة أصبح من ضرورات المذهب الشيعي، وهو لا ينكر أن شيوخهم السابقين كانوا يعدون ذلك غلوًا، لكنه يقول: إن ما يُعد غلوًا في الماضي أصبح اليوم من ضرورات المذهب الشيعي، وإذا كانت دعوى عصمة الأئمة تعني مضاهاتهم للرسول فإن نفي السهو عنهم تأليه لهم كما أشار إلى ذلك إمام الشيعة الثامن علي الرضا، ولذا قرر ابن بابويه القمي وغيره أن هذا الاعتقاد هو الفيصل بين الغلاة وغيرهم، وإذا كان شيخهم المعاصر المقاني يرى أن نفي السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعي ومنكر الضروري كافر عندهم كما يؤكده شيخهم المعاصر محسن الأمين، فمعنى هذا أن متأخريهم يكفرون متقدميهم، ومتقدميهم يكفرون متأخريهم، وإذا كان المقاني يرى أن نفي السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعي، وبعضهم ينقل الإجماع على ذلك، فإننا نجد في بعض الكتابات الموجهة لديار السنة. القول بأن الاعتقاد بأن الأئمة يسهون هو

مذهب جميع الشيعة ، وهكذا يكفر بعضهم بعضًا ، ويناقض بعضهم بعضًا ، وكل يزعم أن ما يقوله هو مذهب الشيعة ، وقد كان معتقد العصمة من أسباب نشوء عقيدة البداء والتقية وذلك أن واقع الأئمة لا يتفق بحال ودعوى عصمتهم ، فإذا حصل اختلاف وتناقض في أقوالهم قالوا هذا بداء أو تقية كما اعترف بهذا بعض الشيعة .

إن من أخطر الآثار العلمية لدعوى العصمة اعتبارهم أن ما يصدر عن أئمتهم الاثنى عشر هو كقول الله ورسوله ، ولذلك فإن مصادرهم في الحديث تنتهي معظم أسانيدها إلى أحد الأئمة ولا تصل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والشيعة زعمت لأئمتها عصمة لم تتحقق لأنبياء الله ورسله ، كما يدل على ذلك صريح القرآن والسنة والإجماع[(١)] .

واستدل على عصمة أئمتهم من القرآن الكريم: رغم أن كتاب الله سبحانه وتعالى ليس فيه ذكر للشيعة أصلا - كما مر - فضلاً عن عصمتهم ، إلا أن الشيعة تتعلق بالقرآن لتقرير العصمة ، ويتفق شيوخهم على الاستدل بقوله سبحانه: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤] ، وبهذه الآية صدر المجلسي بابه الذي عقده في بحاره بشأن العصمة بعنوان: باب . . لزوم عصمة الإمام . وجملة من شيوخ الشيعة المعاصرين يجعلون هذه الآية أصل استدلالهم من القرآن ولا يستدلون بسواها ، ويقولون: استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصومًا من القبائح ؛ لأن الله - سبحانه - نص ألا ينال عهده الذي هو الإمامة ظالم ، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالمًا إما لنفسه وإما لغيره ، فإن قيل إنما نفى أن ينال ظالم في حالة ظلمه ، فإذا تاب فلا يسمى ظالمًا فيصح أن يناله ، والجواب: أن الظالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالمًا ، فإذا نفى أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها ، والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت ، فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها ، فلا ينالها الظالم ، وإن تاب فيما بعد[(٢)] .

(١) الصلابي ، سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ٢ / ٤٢٥ .
(٢) الصلابي ، سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ٢ / ٤٢٥ .

والحقيقة أن السلف قد اختلف في معنى العهد على أقوال: قال ابن عباس والسدي: إنه النبوة، قال: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي نبوتي، وقال مجاهد: الإمامة، أي لا أجعل إمامًا ظالمًا يقتدى به، وقال قتادة وإبراهيم النخعي وعطاء والحسن وعكرمة: لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمين، فأما في الدنيا فقد ناله الظالم، فأمن به وأكل وعاش.. قال الزجاج: وهذا قول حسن، أي لا ينال أماني الظالمين، أي: لا أؤمنهم من عذابي، والمراد بالظالم: المشرك.. وقال الربيع بن أنس والضحاك: عهد الله الذي إلى عباده: دينه، يقول: لا ينال دينه الظالمين، ألا ترى أنه قال: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات:١١٣]، يقول: ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق.

وروى ابن عباس - أيضًا -: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: ليس للظالمين عهد، وإن عاهدته فانقضه، فالآية كما ترى، اختلف السلف في تأويلها، فهي ليست في مسألة الإمامة أصلاً في قول أكثرهم، والذين فسروها بالإمامة قصدوا إمامة العلم والصلاح والاقتداء، لا الإمامة بمفهوم الرافضة.

ولو كانت الآية في الإمامة فهي لا تدل على عصمة بحال: إذ لا يمكن أن يقال بأن غير الظالم معصوم لا يخطئ ولا ينسى ولا يسهو.. إلخ، كما هو مفهوم العصمة عند الشيعة، إذ يكون قياس مذهبهم من سها فهو ظالم ومن أخطأ فهو ظالم.. وهذا لا يوافقهم عليه أحد ولا يتفق مع أصول الإسلام، فبين إثبات العصمة، ونفي الظلم فرق كبير؛ لأن نفي الظلم إثبات للعدل لا للعصمة الشيعية[1].

ولا يسلم لهم أن من ارتكب ظلمًا ثم تاب منه لحقه وصف الظالم ولازمه: ولا تجدي التوبة في رفعه، فإن أعظم الظلم الشرك، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢]، ثم فسر الظلم بقوله: ﴿لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، ومع هذا قال جل شأنه في الكفار: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾

---

(١) أصول الشيعة الإمامية، ٢/ ٩٥٣.

[الأنفال:٣٨]، لكن قياس قول هؤلاء أن من أشرك ولو لحظة، أو ارتكب معصية ولو صغيرة فهو ظالم لا ينفك عنه وصف الظلم، ومؤدى هذا أن المشرك ولو أسلم فهو مشرك لأن الظلم هو الشرك، فصاروا بهذا أشد من الخوارج الوعيدية، لأن الخوارج لا يثبتون الوعيد لصاحب الكبيرة إلا في حال عدم توبته، ومن المعلوم في بداهة العقول فضلاً عن الشرع والعرف واللغة "أن من كفر أو ظلم ثم تاب وأصلح لا يصح أن يطلق عليه أنه كافر أو ظالم.. " وإلا جاز أن يقال: صبي لشيخ، ونائم لمستيقظ، وغني لفقير، وجائع لشبعان، وحي لميت، وبالعكس، وأيضًا لو اطرد ذلك يلزم من حلف لا يسلم على كافر فسلم على إنسان مؤمن في الحال إلا أنه كان كافرًا قبل سنين متطاولة أن يحنث، ولا قائل به.

ومن المعروف أنه قد يكون التائب من الظلم خيرًا ممن لم يقع فيه، ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يقتل ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره واهتدى بعد ضلاله، وتاب بعد ذنوبه، فهو مخالف لما علم بالاضطرار من دين الإسلام، فمن المعلوم أن السابقين أفضل من أولادهم، وهل يشبه أبناء المهاجرين والأنصار بآبائهم عاقل. كما أن استدلالهم هذا يؤدي إلى أن جميع المسلمين، وكذلك الشيعة وأهل البيت - إلا من تعتقد الشيعة عصمتهم - جميعهم ظلمة لأنهم غير معصومين، وقد قال شيخهم الطوسي بأن الظلم اسم ذم، فلا يجوز أن يطلق إلا على مستحق اللعن لقوله تعالى: ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود:١٨].

وما قرره أحد علماء الشيعة الزيدية في نقض استدلال الاثنى عشرية بهذه الآية: حيث قال: احتج الرافضة بالآية على أن الإمامة لا يستحقها من ظلم مرة، ورام الطعن في إمامة أبي بكر وعمر، وهذا لا يصح لأن العهد إن حمل على النبوة فلا حجة، وإن حمل على الإمامة فمن تاب من الظلم فلا يوصف بأنه ظالم، ولم يمنعه - تعالى - من نيل العهد إلا حال كونه ظالمًا[١].

ومن حجج الشيعة التي يستدلون بها علي عصمة أئمتهم آية وهي قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

(١) أصول الشيعة الإمامية، ٢/ ٩٥٥.

تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، وهي كما هو معلوم جزء من قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا - وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٢، ٣٣].

وقد تعمد علماء الشيعة الاثنى عشرية اقتطاع آية التطهير من السياق القرآني الذي جاءت فيه والذي خاطب الله به نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إغفالاً لنساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخطاب، ثم ضموا إلى ذلك حديث الكساء الذي رواه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة[(١)]، قالت: خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غداة وعليه مرط[(٢)] مرحل[(٣)] من شعر أسود فجاء الحسن بن علي، فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وحديث أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لما نزلت هذه الآية على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟، قال: "أنت على مكانك، وأنت على خير"[(٤)]، لتثبيت المعنى الذي يريدونه من الاستدلال بهذه الآية الكريمة، ويرى علماء الشيعة الاثنى عشرية أن في آية التطهير دلالة على عصمة أصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين، من الخطايا والذنوب؛ صغيرها وكبيرها، بل ومن الخطأ والسهو البشري[(٥)].

والحقيقة أن حديث أم سلمة المذكور آنفًا قد ورد بعدة صيغ: فرُوي عن أم سلمة أنها قالت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندي وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا، وغطى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم

---

(١) عائشة التي يدعون أنها تبغض علي هي التي تروي هذا الفضل لعلي وفاطمة.

(٢) مرط: يعني كساء.

(٣) مرحل: وهو الموشى المنقوش عليه صور رحال الإبل.

(٤) سنن الترمذي، كتاب المناقب رقم، ٣٧٨٨.

(٥) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٧٦.

تطهيرًا"، وفي رواية أخرى أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجلسهم على كساء، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله، فضمه فوق رؤوسهم، وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: "هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا" .. وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في دخول الخمسة الآية، ولكن هذا لا يحتم عدم دخول غيرهم، وقد وردت روايات عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فيها زيادات تشير إلى عدم دخولها مع أهل الكساء، لا يخلو أكثرها من الضعف لكن صح منها من جملتها هذه الرواية: لما نزلت هذه الآية على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ في بيت أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فدعا فاطمة وحسنًا وحسينًا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا**»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «**أنت على مكانك وأنت على خير**»، وهناك رواية هامة جدًا رويت بإسناد حسن تشير إلى أن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قد دخلت في الكساء بعد خروج أهل الكساء منه[1]، ولعل التعليل في ذلك أنه لا يصح أن تدخل أم سلمة مع علي بن أبي طالب تحت كساء واحد، فلذلك أدخلها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد خروج أهل الكساء منه، فعن شهر قال: سمعت أم سلمة زوج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين جاء نعي الحسين بن علي، لعنت أهل العراق، فقالت: قتلوه قتلهم الله، غروه وذلوه لعنهم الله، فإني رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت له فيها عصيدة تحملها في طبق لها، حتى وضعتها بين يديه، فقال لها: «**أين ابن عمك؟**» قالت: هو في البيت، قال: «**اذهبي فادعيه وائتني بابنيه**»، قال: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد، وعلي يمشي في إثرهما، حتى دخلوا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأجلسهما في حجره وجلس علي على يمينه وجلست فاطمة على يساره، قالت أم سلمة: فاجتبذ كساء خيبريًا كان بساطًا لنا على المنامة في المدينة فلفه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميعًا فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل، قال: «**اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم**

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٧٧ .

الرجس وطهرهم تطهيرًا»، قلت يا رسول الله: ألست من أهلك؟ قال: «بلى» فادخلي في الكساء، فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة.

فشهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها من أهل بيته وأدخلها في الكساء بعد دعائه لهم(١).

ومما يدل على أن الآية ليست دالة على العصمة والإمامة أن الخطاب في الآيات كله لأزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث بدأ بهن وختم بهن: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً - وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا - يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا - وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا - يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا - وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا - وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٣٤].

فالخطاب كله لأزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعهن الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهر بضمير المذكر، لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أخص من غيرهما بذلك، لذلك خصهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعاء لهم، كما أن زوج الرجل من أهل بيته، وهذا شائع في اللغة كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ أي امرأتك ونساؤك، فيقول: هم بخير، وقد قال تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود:٧٣]، والمخاطب بهذه الآية بالإجماع هي سارة زوجة إبراهيم

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٧٨.

عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وهذا دليل على أن زوجة الرجل من أهل البيت .

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص:٢٩] ، والمخاطب هنا أيضًا زوجة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا - وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤ ، ٥٥] ، فمن أهله الذين كان يأمرهم بالصلاة؟ وهذا كقوله تعالى مخاطبًا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢] ، ولا شك في دخول زوجاته أو خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على أقل تقدير في الأهل ، باعتبار أن السورة مكية .

وقال تعالى: ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يوسف:٢٥] ، فالمخاطب هنا عزيز مصر ، وقولها: ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءً ﴾ ، أي زوجتك ، وهذا بيِّن[1] .

كما أن إذهاب الرجس لا يعني في اللغة العربية ولا في لغة القرآن معنى العصمة: يقول الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن مادة رجس: الرجس: الشيء القذر ، قال: رجل رجسي ، ورجال أرجاس ، قال تعالى: ﴿ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ [المائدة:٩٠] . . والرجس من جهة الشرع: الخمر والميسر . . وجعل الكافرين رجسًا من حيث إن الشرك بالعقل أقبح الأشياء ، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ [التوبة:١٢٥] ، وقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: ١٠٠] ، قيل الرجس: النتن ، وقيل: العذاب ، وذلك كقوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة: ٢٨] ، وقال: ﴿ أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ [الأنعام:١٥٤] ، وبالجملة لفظ ﴿ الرِّجْسَ ﴾ أصله القذر يطلق

(١) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ٢ / ٤٣٦ .

ويراد به الشرك كما في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج:٣٠]، ويطلق ويراد به الخبائث المحرمة كالمطعومات والمشروبات، ونحو قوله: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ [الأنعام:١٤٥]، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة:٩٠]، ولم يثبت أن استخدام القرآن لفظ ﴿الرِّجْسَ﴾ بمعنى مطلق الذنب بحيث يكون في إذهاب الرجس عن أحد إثبات لعصمته[1].

والتطهير من الرجس لا يعني إثبات العصمة لأحد: فكما أن كلمة ﴿الرِّجْسَ﴾ لا يراد بها ذنوب الإنسان وأخطاؤه في الاجتهاد، وإنما يراد بها القذر والنتن والنجاسات المعنوية والحسية، فإن كلمة التطهير لا تعني العصمة، فإن الله عز وجل يريد تطهير كل المؤمنين وليس أهل البيت فقط، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم عن صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:٦].

وقال عز من قائل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]، وقال: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، فكما أخبر الله عز وجل بأنه يريد تطهير أهل البيت أخبر كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين، فإن كان في إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للصحابة ولعموم المؤمنين الذين نصت الآيات على إرادة الله عز تطهيرهم، وقد قال تعالى عن رواد مسجد قباء من الصحابة: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا واللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨]، ولم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق.

وقال تعالى عن أهل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال:١١]، ولم يكن في هذا إثبات لعصمتهم مع أنه لا فرق يذكر في الألفاظ بين قول الله

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٨١.

تعالى عن أهل البيت: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وبين قوله في أهل بدر: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ فالرجز والرجس متقاربان، ويطهركم في الآيتين واحد، لكن الهوى هو الذي جعل من الآية الأولى دليلاً على العصمة دون الأخرى. والعجيب في علماء الشيعة أنهم يتمسكون بالآية ويصرفونها إلى أصحاب الكساء، ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكساء، ثم يتناسون في الوقت نفسه آيات أخرى نزلت في إرادة الله عز وجل لتطهير الصحابة، بل هم بالمقابل يقدحون فيهم، ويقولون بانقلابهم على أعقابهم، مع أن الله عز وجل نص على إرادة تطهيرهم بنص الآية. ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠] (١).

ومن الردود الدالة على عدم دلالة الآية على الإمامة والعصمة أن ما اختص به أمير المؤمنين علي والحسن والحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ من الآية بزعم القوم ثبت للسيدة فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وخصائص الإمامة لا تثبت للنساء، فلو كان هذا دليلا لكان من يتصف بما في الآية يستحق العصمة والإمامة، وفاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كذلك وبذات الاعتبار، فدل على أن الآية لا يراد بها الإمامة ولا العصمة، ومنها خروج تسعة من الأئمة لعدم شمول الآية لهم، حيث اختصت الآية بثلاثة منهم (٢).

النص على الإمامة عند الشيعة:

يعتقد الشيعة الرافضة أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله عز وجل على لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنها مثلها لطف من الله عز وجل، ولا يجب أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى، وليس للبشر حق اختيار الإمام وتعيينه، بل وليس للإمام نفسه حق تعيين من يأتي بعده، وقد وضعوا على لسان أئمتهم عشرات الروايات في ذلك، منها ما نسبوه إلى الإمام محمد الباقر رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: أترون أن هذا الأمر إلينا نجعله حيث نشاء؟ لا والله ما هو إلا عهد من رسول الله؛ رجل

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٨٢.
(٢) الإمامة والنص، ص ٣٨٧.

فرجل مسمى حتى تنتهي إلى صاحبها .

ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نص على الأئمة من بعده وعينهم بأسمائهم وهم اثنا عشر إمامًا لا ينقصون ولا يزيدون وهم:

١ - علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المرتضي (ت٤٠هـ) .

٢ - الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الزكي (ت٥٠هـ) .

٣ - الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سيد الشهداء (ت٦١هـ) .

٤ - علي بن الحسين زين العابدين (ت٩٥هـ) .

٥ - محمد بن علي الباقر (ت١١٤هـ) .

٦ - جعفر بن محمد الصادق (ت١٤٨هـ) .

٧ - موسى بن جعفر الكاظم (ت١٨٣هـ) .

٨ - علي بن موسى الرضا (ت٢٠٣هـ) .

٩ - محمد بن علي الجواد (ت٢٢٠هـ) .

١٠ - علي بن محمد الهادي (ت٢٥٤هـ) .

١١ - الحسن بن علي العسكري (ت٢٦٠هـ) .

١٢ - محمد بن الحسن المهدي (ت٢٥٦هـ) .

كان ابن سبأ ينتهي بأمر الوصية عند علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ولكن جاء فيمن بعد من عمَّمها في مجموعة من أولاده ، وكانت الخلايا الشيعية تعمل بصمت وسرية ، ومع ذلك فقد تصل بعض هذه الدعاوي إلى بعض أهل البيت ، فينفون ذلك نفيًا قاطعًا ، كما فعل جدهم أمير المؤمنين علي ، ولذلك اخترع أولئك الكذابون على أهل البيت "عقيدة التقية" حتى يسهل نشر أفكارهم وهم في مأمن من تأثر الأتباع بمواقف أهل البيت الصادقة ، والمعلنة للناس[1] .

(١) أصول الشيعة الإمامية ، ٢/ ٨٠٠ .

إن من أخطر الأمور التي ابتدعها الشيعة: الوصية، وهي أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصى بالخلافة بعد وفاته مباشرة إلى علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأن من سبقه مغتصبون لحقه كما جاء في كتابهم "الكافي"، من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وكان علي هو وصيه بزعمهم، ولكن بالاستقراء التاريخي لتاريخ الخلفاء الراشدين، لا نجد للوصية ذكرًا في خلافة أبي بكر ولا في خلافة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وإنما نجد بداية ظهورها في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عند نزوغ قرن الفتنة، وقد استنكر الصحابة هذا القول؛ عندما وصل إلى أسماعهم، وبينوا كذبه، ومن أشهر هؤلاء علي بن أبي طالب، وأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ثم نرى هذا القول يتبلور في فكرة موجهة، وعقيدة تدعو إلى الإيمان بها والدعوة إليها، وذلك في خلافة علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهذه الوصية التي تدعيه الرافضة قد أثبت علماؤهم أنها من وضع عبد الله بن سبأ كما ذكر ذلك النوبختي والكشي - وقد مر ذلك معنا - ويكفي في الرد على زعمهم ما ورد بالنقل الصحيح عن عدد من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ومنهم عمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نفسه، والأدلة كثيرة منها:

- فقد ذكر عند عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصى إلى علي، فقالت: من قاله؟ لقد رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطست، فانخنث: فمات، فما شعرت فكيف أوصى إلى علي[1].

وتصريح عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يوص لعلي من أعظم الأدلة على عدم الوصية، فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفى في حجرها، ولو كانت هناك وصية لكانت هي أدرى الناس بها.

- وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: إن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خرج من عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئًا، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب، فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سوف يتوفى في وجعه

(١) البخاري رقم (١٤٧١)، كتاب الوصايا.

هـذا ، وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا إلى رسول الله ، فلنسأله فيمن هذا الأمر ، إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا علمنا فأوصى بنا ، فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها ، لا يعطيناها الناس من بعده ، وإني والله لا أسألها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] .

وفي قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهادة للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على مدى التزامهم بتنفيذ أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فلو كانت هناك وصية لما تخلف أحد عنها ، ولما عبرت الأنصار عن رأيها - في السقيفة - بحرية وشجاعة وصدق: منا أمير ومنكم أمير[2] ، ولبايعوا من عهد إليه الوصية ، أو على الأقل سيذكر بعضهم ، ولو كان هناك نص قبل ذلك لقال علي للعباس: كيف نسأله عن هذا الأمر فيمن يكون وهو قد أوصى لي بالخلافة ، وقد توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفس اليوم ، فلما لم يوجد شيء من ذلك تبين أن ما يُدَّعى من النص دعوى لا أساس لها من الصحة ، وكل ما أوردوه في ذلك من التنصيص على علي مردود ، لمخالفته هذا النص الصريح من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ لأن كل أدلتهم السمعية إما أنها لا تدل على المدعي ، وإما نصوص تدل على ذلك ولكنها موضوعة[3] .

- وسئل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخصكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيء؟ فقال: ما خصنا رسول الله بشيء لم يعم به الناس كافة ، إلا ما كان في قراب سيفي هذا ، قال: فأخرج صحيفة مكتوبًا فيها: "لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من غيَّر منار الأرض ، ولعن الله من لعن والده ، ولعن الله من آوى محدثًا"[4] . قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرد على فرقة الرافضة من زعمهم أن رسول الله أوصى إليه بالخلافة ، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة ، فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله في حياته ، وبعد وفاته من أن يفتئتوا عليه فيقدموا غير من قدمه ، ويؤخروا من قدمه بنصه ، حاشا وكلا!! ، ومن

(١) البخاري ، كتاب المغازي رقم (٤٤٤٧) .
(٢) البخاري ، كتاب الحدود رقم (٦٨٣٠) .
(٣) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ٢ / ٤٥٣ .
(٤) مسلم ، ٣/ ١٥٦٧ ، رقم (١٩٧٨) .

ظـن بالـصحابة رضـوان الله علـيهم ذلـك فقـد نـسبهم بأجمعهم إلى الفجور والـتواطؤ علـى معانـدة الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومضادتهـم لحكمه ونصه ، ومـن وصـل مـن الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام ، وكفر بإجماع الأئمـة الأعـلام[1] ، قـال الـنووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فـيه إبطـال مـا تـزعمه الرافـضة والشيعة والإمامية بالوصية لعلي وغير ذلك من اختراعاتهم[2] .

- وعـن عمرو بن سفيان قال: لما ظهر علي يوم الجمل قال: أيها الناس إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعهد إلينا من هذه الإمارة شيئًا حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله[3] .

- وروى أبـو بكر البيهقي بإسناده إلى شقيق بن سلمة ، قال: قيل لعلي ابـن أبـي طالـب: ألا تـستخلف علينـا؟ ، فقـال: مـا اسـتخلف رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأستخلف ، ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا فسيجمعهم بعدي على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[4] . فهذا دليل واضح على أن دعـوى الـنص علـيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنما هو من اختلاق الرافضة ، الذين مُلئت قلـوبهم بالـبغض والحقد لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمن فيهم علي وأهل بيته ، وإنما يدعون حبهم تسترًا ليتسنى لهم الكيد للإسلام وأهله[5] .

بهذه النصوص القطعية يتضح بجلاء أنه لا أصل للوصية المزعومة ، وأن مـا اعـتمد علـيه الرافـضة هو من وضع عبد الله بن سبأ ، الذي هو أول من أحـدث الوصـية ، ثـم وضـعت بعد ذلك أسانيد وركبت متون نسبوها زورًا وبهـتانًا إلى الـنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهـدفهم مـن ذلـك الطعـن في الـصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بمخالفـتهم أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجماعهم على ذلك ، ومن ثم الطعن ورد ما نقلوه إلى أجيال المسمين من قرآن وحديث ، قال ابن تيمية

(١) البداية والنهاية ، ٥/ ٢٢١ .
(٢) شرح صحيح مسلم ، ١٣/ ١٥١ .
(٣) الاعتقاد ، ص ١٨٤ ، وقال البيهقي في دلائل النبوة: سنده حسن . انظر ، سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ٢ / ٤٥٤ .
(٤) الاعتقاد ، ص ١٨٤ ، إسناده جيد .
(٥) عقيدة أهـل الـسنة في الـصحابة ، ٢/ ٦٢٠ ، سـيرة أمـير المؤمـنين علـي بـن أبـي طالـب ، ٢ / ٤٥٥ .

رَحِمَهُ اللَّهُ في رده على الحلي: وأما النص على علي فليس في شيء من كتب أهل الحديث المعتمدة، وأجمع أهل الحديث على بطلانه، حتى قال أبو محمد بن حزم، ما وجدنا قط رواية عند أحد في هذا النص المدعى إلا رواية إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا نعرف من هو في الخلق، وقال في موضع آخر: فعلم أن ما تدعيه الرافضة من النص هو مما لم يسمعه أحد من أهل العلم بأقوال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قديمًا ولا حديثًا، ولهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل، كما يعلمون كذب غيره من المنقولات، وقد جاء من الغلاة فيما بعد من أحيا نظرية ابن سبأ في أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم عمموها على آخرين من سلالة علي والحسين في إثارة مشاعر الناس وعواطفهم، والدخول إلى قلوبهم، لتحقيق أغراضهم ضد الدولة الإسلامية في ظل هذا الستار، وأول من بدأ يشيع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين في آل البيت، شيطان الطاق الذي تلقبه الشيعة مؤمن الطاق، وأنه حينما علم بذلك زيد بن علي بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة، فقال له زيد: بلغني أنك تزعم أن في آل محمد إمامًا مفترض الطاعة؟، قال شيطان انطاق: نعم، وكان أبوك علي بن الحسين أحدهم، فقال: وكيف وقد كان يؤتى بلقمة وهي حارة فيبردها بيده ثم يلقمنيها، أفترى أنه كان يشفق على من حر اللقمة، ولا يشفق علي من حر النار؟، قال شيطان الطاق: قلت له: كره أن يخبرك فتكفر، فلا يكون له فيك الشفعة، وهذه القصة المروية في أوثق كتب الرجال عندهم تبين أن هذه النظرية كانت سرية التداول لدرجة أنها خفيت على إمام من أئمة أهل البيت وهو الإمام زيد. وقد بيَّن محب الدين الخطيب أن شيطان الطاق هو أول من اخترع هذه العقيدة الضالة وحصر الإمامة والتشريع، وادعى العصمة لأناس مخصوصين من آل البيت، وقد شارك شيطان الطاق رجل آخر هو هشام بن الحكم المتوفي ١٧٩هـ، ويبدو أن عقيدة حصر الإمامة بأناس معينين سرت في الكوفة، بسعي مجموعة من أتباع هشام وشيطان الطاق، ففكرة حصر الأئمة بعدد معين قد وضع جذورها في القرن الثاني زمرة ممن يدعي الصلة بأهل البيت، أمثال شيطان الطاق وهشام بن الحكم، ولقد اختلفت اتجاهات الشيعة وتباينت مذاهبهم في عدد الأئمة، قال في مختصر التحفة: اعلم أن

الإمامية قائلون بانحصار الأئمة ، ولكنهم مختلفون في مقدارهم ، فقال بعضهم: خمسة ، وبعضهم: سبعة ، وبعضهم: ثمانية ، وبعضهم: اثنا عشر ، وبعضهم ثلاثة عشر[1] .

إن مسألة النص لا تثبت بأي وجه من الوجوه ، ومسألة حصر الأئمة بعدد معين مردودة بالكتاب والسنة ، كما أنه لا يقبلها العقل ومنطق الواقع ، إذ بعد انتهاء العدد المعين هل تظل الأمة بدون إمام؟ ، ولذلك فإن عصر الأئمة الظاهرين عند الاثنى عشرية لا يتعدى قرنين ونصف قرن إلا قليلاً ، وقد اضطر الشيعة للخروج عن حصر الأئمة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام ، واختلف قولهم في حدود النيابة . وفي هذا العصر اضطروا للخروج نهائيًا عن هذا الأصل الذي هو قاعدة دينهم ، فجعلوا رئاسة الدولة تتم عن طريق الانتخاب ولكنهم خرجوا عن حصر العدد إلى حصر النوع فقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعي[2] .

عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة:

من أبرز عقائد الشيعة الرافضة التي تكاد تمتليء بها كتبهم عقيدة المهدي المنتظر ، ويقصد الرافضة الإمامية بالمهدي المنتظر: محمد بن الحسن العسكري ، وهو الإمام الثاني عشر عندهم ، ويطلقون عليه الحجة ، كما يطلقون عليه القائم ، ويزعمون أنه ولد سنة ٢٥٥هـ واختفى في سرداب (سر من رأى) سنة ٢٦٥هـ ، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان ، لينتقم لهم من أعدائهم وينتصر لهم ، ولا زال الشيعة الرافضة يزورونه بسرداب (سر من رأى) ويدعونه للخروج ، وهذا المهدي الذي يدعيه الرافضة معدوم لا وجود له: فالحسن العسكري الذي ينسبون إليه المهدي مات ولم يعقب أحدًا ، فقسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر ، وقد صاحب عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة الرافضة ، خرافات وأساطير كبيرة لا يصدقها عاقل ، ويعتقدون أن المهدي من ولد الحسين ، ويروون العجائب في ولادته ، ويقولون عندما يخرج يجتمع إليه الشيعة الرافضة من كل مكان ، ويخرج الصحابة من قبورهم

---

(١) أصول الشيعة الإمامية ، ٢/ ٨٠٦ .
(٢) أصول الشيعة ، ٢/ ٨١٤ .

ويعذبهم ، ويقتل العرب ، وقريش ، ويهدم الكعبة والمسجد النبوي وكل المساجد ، ويدعو إلى دين جديد وكتاب جديد وقضاء جديد ، ويستفتح المدن بتابوت اليهود وتنبع له عينان من ماء ولبن ، ويصير الرجل من الشيعة الرافضة بقوة أربعين رجلا ، ويمد لهم في أسماعهم وأبصارهم ويحكم بحكم آل داود .

وعقيدة الشيعة الرافضة في مهديهم المنتظر باطلة ، وقد دل على بطلانها عدة أوجه:

منها ثبوت عدم ولادة هذا المهدي: فقد اقتضت حكمة العلي القدير أن يموت الحسن العسكري الإمام الحادي عشر عند الرافضة وليس له ولد ، فكانت فضيحة كبيرة وخذلانا عظيما للشيعة الرافضة إذ كيف يموت الإمام ولا يوجد له من الأولاد من يخلفه في الإمامة ، فعقيدة الشيعة الرافضة تنص على أن الذي يخلف الإمام بعد موته ولده ، ولا يجوز أن تكون الإمامة في الإخوة بعد الحسن والحسين ، وعدم ولادة المهدي ثابتة في كتب الشيعة أنفسهم .

ولا معنى لاختفاء المهدي: لو سلمنا جدلا بولادة هذا المهدي ، فإنه لا معنى لاختفاءه هذه الفترة الطويلة في السرداب ، وإذا سئل الشيعة الرافضة عن الحكمة من اختفائه في السرداب وعدم خروجه للناس ، فإنهم يعللون ذلك بأنه خشي على نفسه القتل ، وهذه علة واهية قد دل على بطلانها عدة أدلة منها: أنه قد جاء في كتبكم أنه سيكون منصورا ومؤيدا من الله تعالى ، وأنه يملك مشارق الأرض ومغاربها فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، ويعيش حتى زمن نزول عيسى ابن مريم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، كما أن قولهم هذا يترتب عليه أن المهدي لن يخرج حتى تذهب دول الجور والظلم والفساد ليأمن على نفسه من القتل ، وعندئذ لا حاجة في خروجه ، وهذه الدول تستطيع أن تحمي المهدي لو خرج فلماذا لم يخرج؟ ، إن من لا يستطيع أن يحمي نفسه من القتل ، فمن باب أولى عجزه عن حماية غيره ، فإن فاقد الشيء لا يعطيه ، فكيف تنتظرون من هذه صفته أن ينتقم لكم من أعدائكم وينصركم نصرا مؤزرا ، وبهذا تكون قد بطلت دعواهم ، بأن العلة من عدم

خروج المهدي هي: الخوف من القتل ، وبناء على هذا تبطل دعوى وجود المهدي أصلا ، إذ لا سبب يمنعه من الاستتار غير خوفه من القتل ، كما صرح بذلك شيخ الطائفة الطوسي ، فتكون دعوى وجود المهدي باطلة بشهادة علمائهم ، وهذا من توفيق الله وعظيم فضله .

كما أنه لم تحصل منفعة بهذا المهدي: ومما يدل على بطلان عقيدة الشيعة الرافضة في المهدي المنتظر: أن هذا المهدي الذي تدعيه الرافضة لم تحصل به مصلحة في شيء من أمور الدين أو الدنيا ولم ينتفع منه المسلمون بشيء لا الرافضة ولا غيرهم ، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن هذا المعصوم الذي يدعون أنه في وقت ما قد ولد عندهم لأكثر من أربعمائة وخمسين سنة ، فإنه دخل السرداب عندهم سنة ستين ومائتين ، وله خمس سنين عند بعضهم وأقل من ذلك عند آخرين ، ولم يظهر عنه شيء مما يفعله الإمام المعصوم ، فأي منفعة للوجود في مثل هذا لو كان موجودا فكيف إذا كان معدوما ، والذين آمنوا بهذا المعصوم أي لطف وأي منفعة حصلت لهم به نفسه في دينهم أو دنياهم . . إلى أن قال: وهذا الذي تدعيه الرافضة إما مفقود عندهم ، وإما معدوم عند العقلاء ، وعلى التقدير فلا منفعة لأحد به في دين ولا دنيا ، والشيعة الاثنا عشرية في هذا العصر نقضوا هذه العقيدة عمليا من خلال اعتقادهم بنظرية ولاية الفقيه ، وهي تجويز الحكم والولاية للمسلم العادي غير المعصوم ، أو الذي ليس عليه نص من الله ورسوله بشرط العلم والعدل .

والحقيقة أن الأحاديث الصحيحة بينت أن الله تعالى يخرج في آخر الزمان رجلا من أهل البيت يؤيد الله به الدين ، يملك سبع سنين يملأ الأرض عدلا وسلاما ، كما ملئت جورا وظلما ، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط ، وتخرج الأرض نباتها ، وتمطر السماء قطرها ، ويعطى المال بغير عدد ، ومن هذه الأحاديث:

- فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال**

صحاحا وتكثر الماشية، وتعظم الأمة ويعيش سبعا أو ثماني» ، يعني حججا [(١)] .

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«لا تقوم الساعة حتى تمتلىء الأرض ظلما وعدوانا»** قال: **«ثم يخرج رجل من عترتي - أو من أهل بيتي - يملؤها قسطا، وعدلا، كما ملئت ظلما وعدواناً»** [(٢)] .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«كيف أنتم إذا نزل ابن مريم، وإمامكم منكم»** [(٣)] .

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»** إلى أن قال: **«فينـزل عيسى ابن مريم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فيقول أميرهم: صل بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»** [(٤)] .

والأحاديث التي وردت في الصحيحين تدل على أمرين:

أحدهما: أنه عند نزول عيسى ابن مريم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - من السماء يكون المتولي لإمرة المسلمين رجلاً منهم .

الثاني: أن حضور أميرهم للصلاة ، وصلاته بالمسلمين ، وطلبه من عيسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عند نزوله أن يتقدم ليصلي بهم يدل على صلاح هذا الأمير وهداه ، وجاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الأحاديث التي في الصحيحين ، ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمى: محمد بن عبد الله ، ويقال له المهدي ، والسنة يفسر بعضها بعضا .

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«منا الذي عيسى ابن مريم يصلي خلفه»** [(٥)] .

ولا توجد أية صلة أو علاقة بين مهدي السنة ومهدي الشيعة الرافضة ،

---

(١) محمد إسماعيل ، المهدي وفقه أشراطه الساعة ، ص٣٣ .
(٢) السلسلة الصحيحة ، ١٢٥٩ ، وحكم الألباني بتواتره .
(٣) البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، ٦/ ٤٩١ .
(٤) مسلم ، كتاب الإيمان ، ٢/ ١٩٣ ، مع شرح النووي .
(٥) روه أبو نعيم في أخبار المهدي ، صححه الألباني صحيح الجامع ، ٥/ ٧١٧٠ .

وهناك بعض الفروق بينهما منها:

- أن المهدي عند أهل السنة اسمه (محمد بن عبد الله) فاسمه يوافق اسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واسم أبيه يوافق اسم أبيه، أما مهدي الشيعة الرافضة، فاسمه محمد بن الحسن العسكري.

- أن المهدي عند أهل السنة من ولد الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومهدي الشيعة الرافضة من ولد الحسين.

- أن المهدي عند أهل السنة تكون ولادته ومدة حياته طبيعية، ولم يوجد في الأحاديث ما يدل على أنه يمتاز عن غيره من الناس بشيء من ذلك، أما مهدي الشيعة الرافضة فإن حمله وولادته كانت في ليلة واحدة ودخل السرداب وعمره تسع سنوات ومضى عليه الآن ما يزيد على ألف ومئة وخمسين سنة وهو في السرداب.

- أن المهدي عند أهل السنة يخرج لنصرة الإسلام والمسلمين، ولا يفرق بين جنس وجنس، وأما مهدي الشيعة الرافضة فيخرج لنصرة الشيعة الرافضة خاصة والانتقام من أعدائهم، ويكره العرب وقريشا فلا يعطيهم إلا السيف ولا يكون من أتباعه عربي، كما دلت على ذلك رواياتهم.

- أن مهدي السنة يحب صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويرتضي عنهم ويتمسك بسنتهم، كما يحب أمهات المؤمنين ولا يذكرهن إلا بالثناء الجميل، أما مهدي الشيعة الرافضة فيبغض أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويخرجهم من قبورهم ويعذبهم ثم يحرقهم - على حد زعمهم - وكذلك يبغض أمهات المؤمنين، ويحاد أحب نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه، الصديقة بنت الصديق عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على حد زعمهم.

- أن مهدي أهل السنة يعمل بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يترك سنة إلا أقامها، ولا بدعة إلا قمعها، أما مهدي الشيعة الرافضة فإنه يدعو إلى دين جديد وكتاب جديد.

- أن مهدي السنة يقيم المساجد ويعمرها، وأما مهدي الشيعة الرافضة فيهدم المساجد ويخربها، فيهدم المسجد الحرام والكعبة، ومسجد النبي

صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ، ولا يبقي مسجدا واحدا على وجه الأرض - كما صرحت بذلك رواياتهم - .

- أن مهدي السنة يحكم بكتاب الله وسنة نبيه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ، أما مهدي الشيعة الرافضة فيحكم بحكم آل داود .

- أن مهدي السنة يخرج من المشرق ، أما مهدي الشيعة الرافضة فيخرج من سرداب سامراء .

- أن مهدي السنة حقيقة ثابتة دلت عليها أحاديث النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأقوال العلماء قديما وحديثا ، أما مهدي الشيعة الرافضة فوهم من الأوهام لم يخرج ولن يخرج في يوم من الأيام[١] .

عقيدة الرجعة عند الشيعة الرافضة:

الرجعة من أصول المذهب الشيعي ، فمن رواياتهم: ليس منا من لم يؤمن بكرتنا ، وقال ابن بابويه في الاعتقادات: واعتقادنا في الرجعة أنه حق ، وقال المفيد: واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات ، وقال الطبرسي والحر العاملي وغيرهما من شيوخ الشيعة: إنها موضع إجماع الشيعة الإمامية ، وإنها من ضروريات مذهبهم ، وإنهم مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها ، وتحديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ويوم الجمعة وكل وقت كالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة ، ومعنى الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت ، وقد ذهبت فرق شيعية كثيرة إلى القول برجوع أئمتهم إلى هذه الحياة ومنهم من يقر بموتهم ثم رجعتهم ، ومنهم من ينكر موتهم ويقول بأنهم غابوا وسيرجعون ، وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ ، إلا أنه قال بأنه غاب وسيرجع ولم يصدق بموته ، وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية ، والكيسانية وغيرهما ، ولكنها صارت عن الاثنى عشرية عامة للإمام وكثير من الناس ، ويشير الألوسي إلى أن تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة من رجعة الإمام فقط ، إلى

(١) أصول الشيعة الإمامية ، ٢/ ١١٠٣ .

ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث [1]، وأما المفهوم العام لمبدأ الرجعة عند الاثنى عشرية فهو يشمل ثلاثة أصناف هم:

- الأئمة الاثنا عشر، حيث يخرج المهدي من مخبئه، ويرجع عن غيبته، وباقي الأئمة يحيون بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا.

- ولاة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة - في نظرهم - من أصحابها الشرعيين "الأئمة الاثنى عشر" فيبعث خلفاء المسلمين وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان.. ومن قبورهم يرجعون لهذه الدنيا - كما يزعم الشيعة - للاقتصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها فتجري عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب.

- عامة الناس، ويخص منهم من محض الإيمان محضا، وهم الشيعة عموما، ولأن الإيمان خاص بالشيعة، كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم ومن محض الكفر محضا وهم كل الناس ما عدا المستضعفين.

ولهذا قالوا في تعريف الرجعة: إنها رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت في صورهم التي كانوا عليها [2].

واتجه شيوخ الشيعة إلى كتاب الله سبحانه ليأخذوا منه الدليل على ثبوت الرجعة التي يتفردون بها عن سائر المسلمين، ولما لم يجدوا بغيتهم تعلقوا كعادتهم بالتأويل الباطني، وركبوا متن الشطط، وتعسفوا أيما تعسف في هذا السبيل، حتى أصبح استدلالهم حجة عليهم، ودليلا على زيف معتقدهم، وبرهانا على بطلان مذهبهم، وإليك مثالا على تفسيرهم للآيات، يرى شيخ المفسرين عندهم أن من أعظم الدلالة على الرجعة قوله سبحانه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]، حيث يقول ما نصه: هذه الآية من أعظم الأدلة على الرجعة، لأن أحدا من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم - يرجعون - يوم القيامة من هلك

---

(١) علي بن أبي طالب، ٣/ ١٤١.
(٢) أصول الشيعة الإمامية، ٢/ ١١٠٥.

ومن لم يهلك ، ومع أن الآية حجة عليهم ، فهي تدل على نفي الرجعة في الدنيا ، إذ معناها كما صرح به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد: حرام على أهل كل قرية أهلكوا بذنوبهم أنهم يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، وهذا كقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١] ؛ وقوله: ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٥٠] ، زيادة "لاَ" هنا لتأكيد معنى النفي من "وَحَرَامٌ" وهذا من أساليب التنزيل البديعة النهائية في الدقة ، وسر الإخبار بعدم الرجوع مع وضوحه ، هو الصدع بما يزعجهم ويؤسفهم ، وفوات أمنيتهم الكبرى ، وهي حياتهم الدنيا ، وإذا كان المقصود إثبات الرجعة فيه رجعة للناس ليوم القيامة بلا ريب أي ممتنع البتة عدم رجوعهم إلينا للجزاء [(١)] .

إن فكرة الرجعة عند الشيعة الرافضة بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن الكريم ، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه ، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ صدق الله العظيم لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ، ١٠٠] ، فقوله سبحانه: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ، ١٠٠] ، صريح في نفي الرجعة مطلقا .

فهؤلاء جميعا يسألون الرجوع عند الموت ، وعند العرض على الجبار جل علاه ، وعند رؤية النار يجابون ، لما سبق في قضائه أنهم إليها لا يرجعون ، ولذلك عد أهل العلم القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو في بدعة التشيع ، وقد جاء في مسند أحمد أن عاصم بن ضمرة: وكان من أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون أن عليا يرجع ، قال الحسن: كذب أولئك الكذابون ، ولو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه ، والقول بالرجعة بعد الموت إلى الدنيا لمجازاة المسيئين وإثابة المحسنين ، ينافي طبيعة هذه الدنيا وأنها ليست دار جزاء: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ، وقد كان لابن

(١) أصول الشيعة الإمامية ، ٢/ ١١١٢ .

سبأ اليهودي دور التأسيس لمبدأ الرجعة ، إلا أنها رجعة خاصة بعلي ، كما أنه ينفي وقوع الموت عليه أصلا كحال الاثنى عشرية مع مهديهم الذي يزعمون وجوده ، وعقيدة الرجعة عند الشيعة الإمامية خلاف ما علم من الدين بالضرورة من أنه لا حشر قبل يوم القيامة ، وأن الله حين توعد كافرا أو ظالما إنما توعده بيوم القيامة ، كما أنها خلاف الآيات والأحاديث المتواترة المصرحة بأنه لا رجوع إلى الدنيا قبل يوم القيامة [1] .

* * * * *

(١) أصول الشيعة الإمامية ، ٢/ ١١٢٤ .

موقف أهل البيت من الشيعة

لقد كان لهؤلاء الذين يتشدقون بحب أهل البيت ويتمسحون بأعتابهم في كل آن وأوان موقف مخز - إن دل على شيء فإنما يدل على الخسة والنذالة، وعلى قلوب ملأها النفاق إلى مشاشها - وكانت لهم مع آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مواقف يذكرها لهم التاريخ بالعار والشنار والذلة والصغار، وهذه كلمات خرجت من أفواه آل بيت النبي الأطهار تقول كلمتها الأخيرة في عبدة الجبت والطاغوت، وسدنة الكفر والتضليل.

وأئمة أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كسائر أهل السنة في موقفهم من الرافضة ومن عقائدهم، فهم يعتقدون ضلالهم وانحرافهم عن السنة، وبعدهم عن الحق. وهم من أشد الناس ذماً ومقتاً لهم وذلك لنسبتهم تلك العقائد الفاسدة إليهم، وكثرة كذبهم عليهم، وقد تعددت عبارات أهل البيت وتنوعت في ذم الرافضة وبراءتهم من عقيدتهم.

فمما جاء عنهم في براءتهم من عقائد الرافضة وتأصيلهم عقيدة أهل السنة: -

ما ثبت عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتواتر عنه أنه قال وهو على منبر الكوفة: "خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا"[1].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "لا يفضلني أحد على الشيخين إلا جلدته حد المفتري"[2].

وفي الصحيحين أنه قال في حق عمر عند تشييعه: "ما خلفت أحداً أحب إلي من أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت أسمع كثيراً رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ١/١٠٦، وابن أبي عاصم في السنة، ص٥٥٦، وصححه الألباني في ظلال الجنة، وأخرجه اللالكائي، ٧/١٣٦٦ - ١٣٩٧.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة، ٢/٥٦٢، وابن أبي عاصم في السنة، ص٥٦١، وأبو حامد المقدسي في رسالة في الرد على الرافضة، ص٢٩٨.

بكر وعمر ، وإن كنت لأظن أن يجعلك الله معهما "[1] .

وهذه الآثار الثابتة عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تناقض عقيدة الرافضة في الشيخين كما تقدم ، وتدل على براءة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الرافضة ومن عقيدتهم ، وتوليه للشيخين وسائر أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وحبه لهم ، وإقراره للشيخين بالفضل عليه ، وعقوبته من فضله عليهما ، وتمنيه أن يلقى الله بمثل عمل عمر . فرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن سائر أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطيبين المطهرين من كل ما ينسبه إليهم أهل البدع من الرافضة ، والخوارج المارقين .

ثم من بعد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاءت أقوال أبنائه ، وأهل بيته ، في البراءة من الرافضة ومن عقيدتهم ، وانتصارهم لعقيدة أهل السنة . وإليك طرفاً من أقوالهم في ذلك:

قول الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

عن عمرو بن الأصم قال: قلت للحسن: إن الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، قال: "كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة ؛ لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ، ولا اقتسمنا ماله" .[2]

وروى أبو نعيم قيل للحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن الناس يقولون: إنك تريد الخلافة ، قال: "كانت جماجم العرب في يدي ، يحاربون من حاربت ، ويسالمون من سالمت ، فتركتها ابتغاء وجه الله ، وحقن دماء أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[3] .

قول الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :

كان يقول في شيعة العراق - الذين كاتبوه ووعدوه بالنصر ، ثم تفرقوا

---

(١) أخرجه البخاري في (كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب) فتح الباري (٧/ ٤١ ، ح٣٦٨٥) ، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر رضي الله عنه) (٤/ ١٨٥٨ ، ح٢٣٨٩) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ١٤٨) ، وفي فضائل الصحابة (٢/ ١٧٥) ، وأورده الذهبي في السير (٣/ ٢٦٣) .

(٣) حلية الأولياء (٢/ ٣٧) .

عنه وأسلموه إلى أعدائه -: (اللهم إن أهل العراق غرّوني، وخدعوني، وصنعوا بأخي ما صنعوا، اللهم شتت عليهم أمرهم، وأحصهم عدداً).[1]

ثم كان نتيجة غدرهم وخذلانهم له استشهاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو وعامة من كان معه من أهل بيته، بعد أن تفرق عنه هؤلاء الخونة. فكان مقتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مصيبة عظيمة، ومأساة جسيمة، يتفطر لها قلب كل مسلم، تولى كبرها هؤلاء الشيعة، الذين يظهرون اليوم تحسرهم وندمهم على مقتل الحسين بإقامة تلك المآتم المبتدعة في يوم عاشوراء من كل سنة، فقبحهم الله ما أكذب دعواهم في ولاية أهل البيت! وأعظم غدرهم وخذلانهم لهم!!

قول علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثبت عنه أنه قال: "يا أهل العراق! أحبونا حب الإسلام، ولا تحبونا حب الأصنام، فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شيناً"[2]

وعنه رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه جاءه نفر من أهل العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلما فرغوا قال لهم: "ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسوله، أولئك هم الصادقون؟ قالوا: لا! قال: فأنتم الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم، يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون؟ قالوا: لا! قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] اخرجوا فعل الله بكم".[3]

---

(١) أورده الذهبي في السير (٣/ ٣٠٢)..

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/ ١٣٩٨)، وأورده أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٣٧)، والذهبي في السير (٤/ ٣٩٠)، انظر: الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، ص ٧١.

(٣) أورده أبو نعيم في الحليه (٣/ ١٣٧)..

قول محمد بن علي الباقر:

عن محمد بن علي أنه قال: "أجمع بنو فاطمة على أن يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن ما يكون من القول"[1].

وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال لجابر الجعفي: "إن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا، ويتناولون أبا بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ويزعمون أني أمرتهم بذلك؛ فأخبرهم أني أبرأ إلى الله تعالى منهم، والله بريء منهم، والذي نفس محمد بيده لو وليت؛ لتقربت إلى الله بدمائهم، لا نالتني شفاعة محمد، إن لم أكن أستغفر لهما، وأترحم عليهما، إن أعداء الله غافلون عنهما"[2].

وعن بسام الصيرفي قال: سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر فقال: "والله إني لأتولاهما، وأستغفر لهما، وما أدركت أحداً من أهل بيتي إلا هو يتولاهما"[3].

قول زيد بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عن زيد بن علي أنه قال: "كان أبو بكر إمام الشاكرين، ثم تلا: ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ثم قال: البراءة من أبي بكر هي البراءة من علي"[4].

وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: "البراءة من أبي بكر وعمر، البراءة من علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فإن شئت فتقدم، وإن شئت فتأخر"[5].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥/ ٣٥٥) أ، وأورده الذهبي في السير (٤/ ٤٠٦)، وأبو حامد المقدسي في الرد على الرافضة (ص٣٠٢)..

(٢) أخرجه محمد بن عبد الواحد المقدسي في النهي عن سب الأصحاب (ص٧٥)، وأورده البيهقي في كتاب الاعتقاد (ص٣٦١)، وأبو حامد المقدسي في الرد على الرافضة (ص٣٠٣).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥/ ٣٢١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥/ ٣٥٥) ب، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٩/ ٣٢١)، والذهبي في السير (٤/ ٤٠٣)، وأبو حامد المقدسي في الرد على الرافضة ص٣٠٤..

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/ ١٣٠٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/ ٣٢٤) ب، وأورده الذهبي في السير (٥/ ٣٩٠)..

(٥) أخرجه محمد بن عبد الواحد المقدسي في النهي عن سب الأصحاب (ص٧٥)..

قول جعفر بن محمد الصادق:

عن عبد الجبار بن عباس الهمداني: أن جعفر بن محمد أتاهم وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة . فقال: "إنكم إن شاء الله من صالحي أهل مصركم ، فأبلغوهم عني: من زعم أني إمام معصوم مفترض الطاعة ؛ فأنا منه بريء ، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر ؛ فأنا منه بريء" .[1]

وعن سالم بن أبي حفصة قال: سألت أبا جعفر وابنه جعفر عن أبي بكر وعمر فقال: يا سالم! تولهما وابرأ من عدوهما ؛ فإنهما كانا إمامي هدى ، ثم قال جعفر: يا سالم! أيسب رجل جده؟ أبو بكر جدي ، لا نالتني شفاعة محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما) .[2]

وعن جعفر بن محمد أنه كان يقول: "ما أرجوا من شفاعة علي شيئاً ، إلا وأنا أرجوا من شفاعة أبي بكر مثله ، لقد ولدني مرتين[3]" .

وعنه رَحِمَهُٱللَّهُ أنه سئل عن أبي بكر وعمر فقال: "إنك تسألني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة" .

وعنه أنه قال: "برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر"[4] .

قال الذهبي معقباً على هذا الأثر: (قلت هذا القول متواتر عن جعفر الصادق ، وأشهد بالله إنه لبار في قوله ، غير منافق لأحد ، فقبح الله الرافضة) .[5]

فهذه هي أقوال أئمة أهل البيت ، الطيبين ، الطاهرين ، الذين تدعي الرافضة إمامتهم وولايتهم ، وينسبون إليهم عقيدتهم ؛ جاءت موضحة ومبينة موقفهم من الرافضة ، ومن دينهم ، وبراءتهم منهم ومن كل ما

(١) أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٩) . .
(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (٢/ ٥٥٨) ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/ ١٣٠١) ، وأورده الذهبي في السير (٦/ ٢٥٨) . .
(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/ ١٣٠١) ، وأورده الذهبي في السير (٦/ ٢٥٩) . .
(٤) أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦٠) . .
(٥) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦٠) . .

يلصقونه بهم من عقائدهم المكفرة ، ومطاعنهم على خيار الصحابة ، وأمهات المؤمنين ، وأن هؤلاء الأئمة من أهل البيت على عقيدة أهل السنة ، ظاهراً وباطناً ، في كل كبير وصغير ، فهي عقيدتهم التي بها يدينون ، وعليها يوالون ويعادون ، وأن من نسب لهم غير ذلك فهو كاذب عليهم ، ظالم لهم ، فرحمهم الله رحمة واسعة ، وقبح الله الرافضة ما أعظم فريتهم عليهم وأشد أذيتهم لهم .

* * * * *

ثانيا: أقوال المنسوبين للتشيع من الأئمة المتقدمين

روى اللالكائي عن ليث بن أبي سليم قال: (أدركت الشيعة الأولى ما يفضلون على أبي بكر وعمر أحداً) .[1]

وعن سلمة بن كهيل أنه قال: (جالست المسيب بن نجبة الفزاري في هذا المسجد عشرين سنة، وناساً من الشيعة كثيراً، فما سمعت أحداً منهم تكلم في أحد من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا بخير، وما كان الكلام إلا في علي وعثمان[2] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولهذا كانت الشيعة المتقدمون، الذين صحبوا علياً، أو كانوا في ذلك الزمان، لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان، وهذا مما يعترف به علماء الشيعة الأكابر من الأوائل والأواخر) .[3]

وروى اللالكائي عن إبراهيم بن أعين قال: قلت لشريكبن عبد الله: (أرأيت من قال: لا أفضل أحداً، قال: هذا أحمق أليس قد فُضِّل أبو بكر وعمر؟) .[4]

وعن سليمان بن أبي شيخ قال: لقي عبد الله بن مصعب الزبيري شريكاً فقال: بلغني أنك تنال من أبي بكر وعمر؟ فقال شريك: (والله ما أنتقص الزبير، فكيف أنال من أبي بكر وعمر!!) .[5]

وعن حفص بن غياث قال: سمعت شريكاً يقول: (قُبض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستخار المسلمون أبا بكر، فلو علموا أن فيهم أحداً أفضل منه كانوا قد غَشُّونا، ثم استخلف أبو بكر عمر، فقام بما قام به من الحق والعدل؛ فلما حضرته الوفاة جعل الأمر شورى بين ستة فاجتمعوا على

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/ ١٣٠٢)، وأورده الذهبي في السير (٦/ ٢٥٥). .

(٢) أي: في المفاضلة بينهما رضي الله عنهما. أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ٧/ ١٣٦٨.

(٣) منهاج السنة، ١/ ١٣.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ٧/ ١٣٦٩، وأورده الذهبي في السير، ٨/ ٢٠٥.

(٥) أورده الذهبي في السير (٨/ ٢٠٦).

عثمان، فلو علموا أن فيهم أفضل منه كانوا قد غَشُّونا).

قال علي بن خشرم: (فأخبرني بعض أصحابنا من أهل الحديث أنه عرض هذا على عبد الله بن إدريس، فقال ابن إدريس: أنت سمعت هذا من حفص؟ قلت: نعم، قال: الحمد لله الذي أنطق بهذا لسانه، فوالله إنه لشيعي، وإن كان شريكاً لشيعي).

قال الذهبي معقباً: (قلت: هذا التشيع الذي لا محذور فيه - إن شاء الله - إلا من قبيل الكلام فيمن حارب علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الصحابة، فإنه قبيح يؤدب فاعله..) [1].

وعن سلمة بن شبيب قال: سمعت عبد الرزاق يقول: (ما انشرح صدري قط أن أفضل علياً على أبي بكر - فرحمهما الله -، ورحم الله عثمان وعلياً، من لم يحبهم فما هو بمؤمن أوثق عملي حبي إياهم).

وعن عبد الرزاق أيضاً أنه قال: (أفضل الشيخين بتفضيل علي إياهما على نفسه، كفى بي إزراء أن أخالف علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) [2].

وروى اللالكائي عن أبي السائب عتبة بن عبد الله الهمداني قال: (كنت يوماً بحضرة الحسن بن زيد الداعي بطبرستان.. وكان بحضرته رجل ذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة، فقال: يا غلام! اضرب عنقه، فقال له العلويون: هذا رجل من شيعتنا، فقال: معاذ الله هذا رجل طعن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله عز وجل: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَـٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور:٢٦] فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبيث، فهو كافر فاضربوا عنقه. فضربوا عنقه وأنا حاضر) [3].

* * * * *

(١) أورده الذهبي في السير (٨/ ٢٠٩).

(٢) أورده الذهبي في السير (٩/ ٥٧٤)..

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/ ١٢٦٩)، انظر: الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، ص ٧٧.

ثالثا: أقوال أئمة السلف وأهل العلم من بعدهم في الرافضة الإمامية

تفق سائر أئمة الدين، وعلماء المسلمين، المعتد بأقوالهم في الأمة، والمقتدى بأفعالهم فيها، جيلاً بعد جيل، وعصراً بعد عصر، منذ عصر الصحابة حتى هذا العصر الذي نعيش فيه على اختلاف أزمانهم وبلدانهم، وعلى تنوع مذاهبهم وعلومهم، من محدثين، ومفسرين، وفقهاء، ومؤرخين، ومحققين في الفرق والمقالات؛ على ذم الرافضة وتضليلهم، والتحذير منهم، وكونهم أبعد الناس عن الحق، وأشدهم زيغاً وانحرافاً، وأقربهم للكفر والإلحاد، وأخطرهم على الدين والعباد.

كما تضافرت كلمة المحققين منهم في أقوال الرافضة وعقيدتهم أنه ليس في الفرق المنتسبة للأمة أجهل، ولا أكذب، ولا أسخف، ولا أسفه، ولا أظلم، ولا أجرأ على حدود الله، ولا أعظم خذلاناً، ولا أكبر خسراناً في الدنيا والآخرة منهم، وما ابتليت الأمة بمثلهم.

وفيمايلي طائفة من أقوالهم في ذلك:

قول علقمة بن قيس النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٦٢هـ): (لقد غلت هذه الشيعة في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما غلت النصارى في عيسى ابن مريم).[١]

قول عامر الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٠٥هـ): (مارأيت قوماً أحمق من الشيعة)[٢].

وعنه رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: (لوكانت الشيعة من الطير لكانوا رخماً).

وقال: (نظرت في هذه الأهواء وكلمت أهلها فلم أر قوماً أقل عقولاً من الخشبية)[٣].

وعنه أنه قال: (لو شئت أن يملؤا هذا البيت ذهباً وفضة، على أن أكذب

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٥٤٨)، وقال المحقق: (إسناده صحيح).

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٥٤٩)، وأخرجه الخلال في السنة (١/ ٤٩٧)، واللالكائي في شرح السنة (٧/ ١٤٦١)..

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٥٤٨)..

لهم على علي لفعلوا . وكان يقول: (لو كانت الشيعة من الطير لكانوا رخماً ، ولو كانوا من الدواب لكانوا حمراً) . [1]

وقال: (أحذركم الأهواء المضلة وشرّها الرافضة ، وذلك أن منهم يهوداً يغمصون الإسلام لتحيا ضلالتهم ، كما يغمص بولس بن شاول ملك اليهود النصرانية لتحيا ضلالتهم . ثم قال: لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة من الله ، ولكن مقتاً لأهل الإسلام) . [2]

قول طلحة بن مصرّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١١٢هـ): - (الرافضة لا تنكح نساؤهم ، ولا تؤكل ذبائحهم ، لأنهم أهل ردة) .

وعن الحسن بن عمرو قال: قال طلحة بن مصرّف: (لولا أني على وضوء ، لأخبرتك بما تقول الرافضة) .

قول الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٥٠هـ): -

روى ابن عبد البر عن حماد بن أبي حنيفة أنه قال: سمعت أبا حنيفة يقول: الجماعة أن تفضل أبا بكر وعمر وعلياً وعثمان ولا تنتقص أحداً من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قول مسعر بن كدام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٥٥هـ): -

روى اللالكائي: (أن مسعر بن كدام لقيه رجل من الرافضة فكلمه بشيء . . فقال له مسعر: تنح عني فإنك شيطان) .

قول سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٦١هـ): -

روى مؤمل بن إسماعيل عن سفيان قال: (تركتني الروافض وأنا أبغض أن أذكر فضائل علي . [3]

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح السنة (٧/ ١٢٦٧) .

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح السنة (٨/ ١٤٦١) ، والخلال في السنة (١/ ٤٩٧) ، واللفظ للالكائي غير عبارة (النصرانية لتحيا ضلالتهم) ذكر المحقق: أنها غير واضحة ، فأكملتها من السنة للخلال ليستقيم المعنى ، انظر:الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال ، ص ٧٨ .

(٣) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال ، ص ٧٩ .

وعن محمد بن يوسف الفريابي قال: (سمعت سفيان ورجل يسأله عن من يشتم أبا بكر وعمر؟ فقال: كافر بالله العظيم، قال: نصلي عليه؟ قال: لا، ولا كرامة، قال: فزاحمه الناس حتى حالوا بيني وبينه، فقلت للذي قريباً منه: ما قال؟ قلنا هو يقول: لا إله إلا الله مانصنع به؟ قال: لا تمسوه بأيديكم، ارفعوه بالخشب حتى تواروه في قبره).

قول الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٧٩هـ): -

روى الخلال بسنده عن الإمام مالك أنه قال: (الذي يشتم أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليس لهم سهم، أوقال نصيب في الإسلام).

وروى اللالكائي عنه أنه قال: (من سب أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فليس له في الفيء حق يقول الله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللهِ وَرِضْوَاناً﴾ [الحشر:٨] الآية. هؤلاء أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين هاجروا معه ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ﴾ [الحشر:٩] الآية. هؤلاء الأنصار، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ جاؤوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ [الحشر:١٠] فالفيء لهؤلاء الثلاثة، فمن سب أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فليس من هؤلاء الثلاثة، ولا حق له في الفيء).

وقال أشهب بن عبد العزيز سئل مالك عن الرافضة فقال: (لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون)[1].

قول القاضي أبي يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٨٢هـ): -

روى اللالكائي بسنده عن أبي يوسف أنه قال: (لا أصلي خلف جهمي، ولا رافضي، ولا قدري).

قول عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٩٨هـ): -

قال البخاري: قال عبد الرحمن بن مهدي: (هما ملتان: الجهمية، والرافضة).

(١) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، ص ٨٠.

قول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٠٤هـ): -

ثبت بنقل الأئمة عنه أنه قال: "لم أر أحداً من أصحاب الأهواء، أكذب في الدعوى، ولا أشهد بالزور من الرفضة".

قول يزيد بن هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٠٦هـ): -

قال مؤمل بن إهاب: سمعت يزيد بن هارون يقول: (يكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية إلا الرافضة فإنهم يكذبون).

قول محمد بن يوسف الفريابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢١٢هـ): -

روى اللالكائي عنه أنه قال: (ما أرى الرافضة والجهمية إلا زنادقة).

وعن موسى بن هارون قال: سمعت الفريابي ورجل يسأله عمن شتم أبا بكر وعمر؟ قال: كافر..، قال: فيصلى عليه؟ قال: لا، وسألته كيف يصنع به وهو يقول: لا إله إلا الله؟ قال: لا تمسوه بأيديكم ارفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته).

قول أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢١٩هـ): -

قال في كتابه أصول السنة بعد أن ذكر الصحابة ووجوب الترحم عليهم: (فلم نؤمر إلا بالاستغفار لهم، فمن يسبهم، أو ينتقصهم أو أحداً منهم، فليس على السنة، وليس له في الفيء حق)[1].

قول القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٢٤هـ): -

روى الخلال عن عباس الدوري قال: سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول: (عاشرت الناس، وكلمت أهل الكلام، وكذا، فما رأيت أوسخ وسخاً، ولا أقذر قذراً، ولا أضعف حجة، ولا أحمق من الرافضة، ولقد وليت قضاء الثغور فنفيت منهم ثلاثة رجال: جهميين، ورافضي، أو رافضيين وجهمي، وقلت: مثلكم لا يساكن أهل الثغور فأخرجتهم).

قول أحمد بن يونس رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٢٧هـ): -

(١) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، ص ٨١.

روى اللالكائي عن عباس الدوري قال: سمعت أحمد بن يونس يقول: (إنا لا نأكل ذبيحة رجل رافضي، فإنه عندي مرتد).

قول الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٤١هـ): -

روى الخلال عدة روايات عنه في ذم الرافضة منها:

عن عبد الملك بن عبد الحميد قال: سمعت أبا عبد الله قال: "من شتم أخاف عليه الكفر مثل: الروافض، ثم قال: من شتم أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لا نأمن عليه أن يكون مرق من الدين".

وعن عبد الله بن أحمد قال: "سألت أبي عن رجل شتم رجلاً من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ما أراه على الإسلام".

وعن أبي بكر المروذي قال: "سألت أبا عبد الله عن من يشتم أبا بكر وعمر وعائشة؟ قال: ما أراه على الإسلام".

وعن إسماعيل بن إسحاق أن أبا عبد الله سُئل عن رجل له جار رافضي يسلم عليه؟ قال: (لا، وإذا سلم عليه لا يرد عليه).

قول الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٥٦هـ): -

قال في كتاب خلق أفعال العباد: (ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم، ولا يعادون، ولا يناكحون، ولا يشهدون، ولا تؤكل ذبائحهم) [١].

قول أبي زرعة الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٦٤هـ): -

روى الخطيب بسنده عنه أنه قال: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة).

---

(١) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، ص ٨٢.

وروى اللالكائي من طريق عبد الرحمن بن أبي حاتم: أنه سأل أباه وأبا زرعة عن مذاهب السنة ، واعتقادهما الذي أدركا عليه أهل العلم في جميع الأمصار ، ومما جاء في كلامهما: (وإن الجهمية كفار ، وإن الرافضة ، رفضوا الإسلام) .

قول عبد الله بن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٧٦هـ): -

قال في كتابه تأويل مختلف الحديث بعد حديثه عن أهل الكلام وأساليبهم في تفسير القرآن الدالة على جهلهم: (وأعجب من هذا التفسير ، تفسير الروافض للقرآن ، وما يدعونه من علم باطنه ، بما وقع إليهم من الجفر . . وهو جلد جفر ادعوا أنه كَتَبَ فيه لهم الإمام ، كل ما يحتاجون إلى علمه ، وكل ما يكون إلى يوم القيامة . .

إلى أن قال: وهم أكثر أهل البدع فتراقاً ونحلاً . . ولا نعلم في أهل البدع والأهواء ، أحداً ادعى الربوبية لبشر غيرهم ، فإن عبد الله بن سبأ ادعى الربوبية لعلي فأحرق علي أصحابه بالنار وقال في ذلك:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً : : أججت ناري ودعوت قنبرا

ولا نعلم أحداً ادعى النبوة لنفسه غيرهم ، فإن المختار بن أبي عبيد ادعى النبوة لنفسه . .) [1] .

قول الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٢١هـ): -

قال في عقيدته: (ونحب أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم: دين : وإيمان ، وإحسان ، وبغضهم: كفر ، ونفاق ، وطغيان) .

قول الحسن بن علي بن خلف البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٢٩هـ): -

قال: (واعلم أن الأهواء كلها ردية ، تدعوا إلى السيف ، وأردؤها وأكفرها الرافضة ، والمعتزلة ، والجهمية ؛ فإنهم يريدون الناس على التعطيل

(١) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال ، ص ٨٣ .

والزندقة).

قول أبي حفص عمر بن شاهين (٣٨٥هـ): -

قال في كتاب اللطيف: (وإن أفضل الناس بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي عليهم السلام، وإن أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم أخيار أبرار، وإني أدين الله بمحبتهم كلهم، وأبرأ ممن سبهم، أو لعنهم، أو ضللهم، أو خونهم، أو كفرهم . . ، وإني بريء من كل بدعة: من قدر، وإرجاء، ورفض، ونصب، واعتزال).

قول ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ (٣٨٧هـ): -

قال في الإبانة الكبرى: (وأما الرافضة: فأشد الناس اختلافاً، وتبايناً، وتطاعناً، فكل واحد منهم يختار مذهباً لنفسه يلعن من خالفه عليه، ويكفر من لم يتبعه، وكلهم يقول: إنه لا صلاة، ولا صيام، ولا جهاد، ولا جمعة، ولا عيدين، ولا نكاح، ولا طلاق، ولا بيع، ولا شراء، إلا بإمام، وإنه من لا إمام له؛ فلا دين له، ومن لم يعرف إمامه؛ فلا دين له . .

ولولا ما نؤثره من صيانة العلم، الذي أعلى الله أمره وشرّف قدره، ونزهه أن يخلط به نجاسات أهل الزيغ، وقبيح أقوالهم، ومذاهبهم، التي تقشعر الجلود من ذكرها، وتجزع النفوس من استماعها، وينزه العقلاء ألفاظهم وأسماعهم عن لفظها، لذكرت من ذلك ما فيه عبرة للمعتبرين)[1].

قول الإمام القحطاني رَحِمَهُ اللهُ (٣٨٧هـ): -

قال في نونيته:

إن الروافضَ شرُّ من وطئ الحَصَى ::: من كلِّ إنسٍ ناطقٍ أو جانِ

مدحوا النّبيَ وخونوا أصحابه ::: ورموُهمُ بالظلمِ والعدوانِ

حبّوا قرابتهَ وسبُّوا صحبه ::: جدلان عند الله منتقضانِ

قول (قوام السنة) أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني رَحِمَهُ اللهُ (٥٣٥هـ): -

---

(١) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، ص ٨٤.

قال: (ومن بلغ من الخوارج والروافض في المذهب أن يكفر الصحابة، ومن القدرية أن يكفر من خالفه من المسلمين، ولا نرى الصلاة خلفهم، ولا نرى أحكام قضاتهم وقضائهم جائزة، ورأى السيف واستباح الدم؛ فهؤلاء لا شهادة لهم).

قول أبي بكر بن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥٤٣هـ): -

قال في العواصم: (ما رضيت النصارى واليهود، في أصحاب موسى وعيسى، ما رضيت الروافض في أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل).

قول القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥٤٤هـ): -

قال: (وكذلك نقطع بتكفير علاة الرافضة في قولهم: إن الأئمة أفضل من الأنبياء).

قول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥٩٧هـ): -

قال: (وغلو الرافضة في حب علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة في فضائله، أكثرها تشينه وتؤذيه.. ولهم مذاهب في الفقه ابتدعوها، وخرافات تُخالف الإجماع.. في مسائل كثيرة يطول ذكرها خرقوا فيها الإجماع، وسوّل لهم إبليس وضعها على وجه لا يستندون فيه إلى أثر ولا قياس، بل إلى الواقعات، ومقابح الرافضة أكثر من أن تحصى).[1]

أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٢٨هـ): -

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أخبر الناس بالرافضة، وبعقيدتهم، وله في الرد عليهم كتابه العظيم: منهاج السنة الذي لم يُؤَلف في بابه مثله، والناس من بعده عالة عليه في الرد على الرافضة، كما له رسائل أخرى عظيمة النفع في دحض شُبه الرافضة، ورد باطلهم، فجزاه الله عن الإسلام خير ما جزى به علماء الأمة، الذابين عن السنة، والمجاهدين أعداءها.

وإليك أيها القارئ: نبذاً من كلامه في ذم الرافضة وفضحهم - حقها أن

(١) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، ص ٨٥.

تكتب بماء الذهب - هي لك أيها السني درر وضيئة، تعرف بها حقيقة الرافضة، وشدة خطرهم، وللرافضة درة عُمَرِيّة تُقْمع بها رؤوسهم وأنوفهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ ضمن حديثه عن الرافضة في منهاج السنة: (والله يعلم وكفى بالله عليماً، ليس في جميع الطوائف المنتسبة إلى الإسلام مع بدعة وضلالة شر منهم: لا أجهل، ولا أكذب، ولا أظلم، ولا أقرب إلى الكفر والفسوق والعصيان، وأبعد عن حقائق الإيمان منهم).

ويقول: (وهؤلاء الرافضة: إما منافق، وإما جاهل، فلا يكون رافضي، ولا جهمي؛ إلا منافقاً، أو جاهلاً بما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يكون فيهم أحد عالماً بما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الإيمان به. فإن مخالفتهم لما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذبهم عليه لا يخفى قط إلا على مفرط في الجهل والهوى).

ويقول: (والنفاق والزندقة في الرافضة أكثر منه في سائر الطوائف، بل لابد لكل منهم من شعبة من النفاق).

وقال: (فبهذا يتبين أنهم شر من عامة أهل الأهواء.. وأيضاً فغالب أئمتهم زنادقة إنما يظهرون الرفض لأنه طريق إلى هدم الإسلام)[1].

ويقول عن جهلهم وضلالهم: (القوم من أضل الناس عن سواء السبيل؛ فإن الأدلة إما نقلية، وإما عقلية، والقوم من أضل الناس في المنقول والمعقول في المذاهب والتقرير، وهم من أشبه الناس بمن قال الله فيهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠] والقوم من أكذب الناس في النقليات، ومن أجهل الناس في العقليات، يصدقون من المنقول بما يعلم العلماء بالاضطرار أنه من الأباطيل، ويكذبون بالمعلوم من الاضطرار المتواتر أعظم تواتر في الأمة جيلاً بعد جيل).

ويقول أيضاً: (إن الرافضة في الأصل ليسوا أهل علم وخبرة بطريق النظر والمناظرة، ومعرفة الأدلة، وما يدخل فيها من المنع والمعارضة، كما

(١) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، ص ٨٦.

أنهم من أجهل الناس بمعرفة المنقولات والأحاديث والآثار والتمييز بين صحيحها وضعيفها) .

ويقول: (ثم من المعلوم لكل عاقل أنه ليس في علماء المسلمين المشهورين أحد رافضي ، بل كلهم متفقون على تجهيل الرافضة وتضليلهم ، وكتبهم كلها شاهدة بذلك ، وهذه كتب الطوائف كلها تنطق بذلك مع أنه لا أحد يلجئهم إلى ذكر الرافضة وذكر جهلهم وضلالهم . .

والله يعلم أني مع كثرة بحثي وتطلعي إلى معرفة أقوال الناس ومذاهبهم ما علمت رجلاً له في الأمة لسان صدق يتهم بمذهب الإمامية فضلاً عن أن يقال: إنه يعتقده في الباطن) .

ويضيف قائلاً: (فهل عرف أحد من فضلاء أصحاب الشافعي وأحمد وأصحاب مالك كان رافضياً؟ أم يعلم بالاضطرار أن كل فاضل منهم ؛ فإنه من أشد الناس إنكاراً للرفض ، وقد اتهم طائفة من أتباع الأئمة بالميل إلى نوع من الاعتزال ، ولم يعلم عن أحد منهم أنه اتهم بالرفض لبعد الرفض عن طريق أهل العلم) .[1]

ويقول عن اشتهارهم بالكذب: (وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف ، والكذب فيهم قديم ، ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب) .

. . ثم ساق الآثار في ذلك عن السلف .

ويقول: (والمقصود أن العلماء كلهم متفقون على أن الكذب في الرافضة أظهر منه في سائر طوائف أهل القبلة) .

ويقول: (وليس في الطوائف المتسبة للقبلة أعظم افتراء للكذب على الله ، وتكذيباً بالحق ، من المنتسبين إلى التشيع ؛ ولهذا لا يوجد الغلو في طائفة أكثر مما يوجد فيهم) .

ويقول: (وفي الجملة: فمن جرّب الرافضة في كتابهم وخطابهم علم أنهم

---

(١) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال ، ص ٨٧ .

من أكذب خلق الله) .

ويقول عن عدائهم للمسلمين ومناصرتهم الكفرة والمشركين: (وقد عرف العارفون بالإسلام أن الرافضة تميل مع أعداء الدين ، ولما كانوا ملوك القاهرة كان وزيرهم مرة يهودياً ، ومرة نصرانياً أرمينياً ، وقويت النصارى بسبب ذلك النصراني الأرميني ، وبنوا كنائس كثيرة بأرض مصر في دولة أولئك الرافضة المنافقين ، وكانوا ينادون بين القصرين: من لعن وسب فله دينار وأردب) .

ويقول: (والرافضة تحب التتار ودولتهم ؛ لأنه يحصل لهم بها من العز ما لا يحصل بدولة المسلمين ، والرافضة هم معاونون للمشركين واليهود والنصارى على قتال المسلمين ، وهم كانوا من أعظم الأسباب في دخول التتار قبل إسلامهم إلى أرض المشرق بخراسان والعراق والشام ، وكانوا من أعظم الناس معاونة لهم على أخذهم لبلاد الإسلام ، وقتل المسلمين ، وسبي حريمهم ، وقضية ابن العلقمي وأمثاله مع الخليفة ، وقضيتهم في حلب مع صاحب حلب مشهورة يعرفها عموم الناس) .[1]

ويقول: (وهؤلاء يعاونون اليهود والنصارى والمشركين على أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته المؤمنين ، كما أعانوا المشركين من الترك والتتار على ما فعلوه ببغداد وغيرها بأهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ولد العباس ، وغيرهم من أهل البيت المؤمنين من القتل والسبي وخراب الديار .

وشر هؤلاء وضررهم على أهل الإسلام لا يحصيه الرجل الفصيح في الكلام) .[2]

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ ذاكراً بعض حماقاتهم الدالة على سخف عقولهم مع شدة الضلال: (ومن حماقاتهم تمثيلهم لمن يبغضونهم بالجماد أو الحيوان ، ثم يفعلون بذلك الجماد أو الحيوان ما يرونه عقوبة لمن يبغضونه ، مثل: اتخاذهم

---

(١) مجموع الفتاوى(٢٨/ ٥٢٧ - ٥٢٨) انظر: الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال ، ص ٨٨ .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٠٩) . .

نعجة - وقد تكون نعجة حمراء - لكون عائشة تسمى الحميراء، يجعلونها عائشة ويعذبونها بنتف شعرها وغير ذلك، ويرون أن ذلك عقوبة لعائشة .

ومثل: اتخاذهم حلساً مملوءاً سمناً، ثم يبعجون بطنه فيخرج السمن فيشربونه، ويقولون: هذا مثل ضرب عمر وشرب دمه .

ومثل: تسمية بعضهم لحمارين من حمر الرحا أحدهما بأبي بكر، والآخر بعمر، ثم يعاقبون الحمارين جعلاً منهم تلك العقوبة عقوبة لأبي بكر وعمر .

وتارة يكتبون أسماءهم على أسفل أرجلهم، حتى إن بعض الولاة جعل يضرب رجلي من فعل ذلك، ويقول: إنما ضربت أبا بكر وعمر ولا أزال أضربهما حتى أعدمهما .

ومنهم: من يسمي كلابه باسم أبي بكر وعمر ويلعنهما .

ومنهم: من إذا سمى كلبه فقيل له: (بكير) يضارب من يفعل ذلك، ويقول: تسمى كلبي باسم أصحاب النار .

ومنهم: من يعظم أبا لؤلؤة المجوسي الكافر الذي كان غلاماً للمغيرة بن شعبة لما قتل عمر، ويقولون: واثارات أبي لؤلؤة! فيعظمون كافراً مجوسياً باتفاق المسلمين لكونه قتل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[1] .

ويقول أيضاً: (ومنهم من يرى أن فرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جامع به عائشة وحفصة لابد أن تمسه النار ليطهر بذلك من وطء الكوافر على زعمهم)[2] .

ومع هذا كله يقول شيخ الإسلام في منهاج السنة: (غما أذكره في هذا الكتاب من ذم الرافضة، وبيان كذبهم وجهلهم قليل من كثير مما أعرفه منهم، ولهم شر كثير لا أعرف تفصيله)[3] .

---

(١) منهاج السنة (١/ ٤٩ - ٥٠)..

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٨١).

(٣) منهاج السنة (١/ ١٦٠).

فرحم الله شيخ الإسلام رحمة واسعة فإنه قد نصح للأمة، وفضح الرافضة، وأمعن في ذلك بما لم يترك لأحد من بعده مقالاً، ولا تفصيلاً، ولا بياناً في ذم هذه الطائفة ودحض شبههم، ولولا ما التزمت به من المنهج في سرد أقوال العلماء في ذم الرافضة إلى هذا العصر لاكتفيت بكلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن نقل كلام غيره من العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أجمعين.

قول الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٤٨هـ): -

قال معلقاً على بعض الأحاديث الموضوعة في فضل علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سيد كبير الشأن، قد أغناه الله تعالى عن أن يثبت مناقبه بالأكاذيب، ولكن الرافضة لا يرضون إلا أن يحتجوا له بالباطل، وأن يردوا ما صح لغيره من المناقب، فتراهم دائماً يحتجون بالموضوعات، ويكذبون بالصحاح، وإذا استشعروا أدنى خوف لزموا التقية، وعظموا الصحيحين، وعظموا السنة، ولعنوا الرفض، وأنكروا، فيعلنون بلعن أنفسهم شيئاً ما يفعله اليهود ولا المجوس بأنفسهم، والجهل بفنونه غالب على مشايخهم وفضلائهم، فما الظن بعامتهم، فما الظن بأهل البر والحِيَل منهم، فإنهم جاهلية جهلاء، وحمر مستنفرة، فالحمد لله على الهداية، فتعليمهم ونصحهم وجرّهم إلى الحق بحسب الإمكان من أفضل الأعمال). [1]

قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٥١هـ): -

قال في إغاثة اللهفان: (وأخرج الروافض الإلحاد والكفر، والقدح في سادات الصحابة، وحزب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وأوليائه، وأنصاره، في قالب محبة أهل البيت، والتعصب لهم، وموالاتهم). [2]

ويقول في المنار المنيف: (وأما ما وضعه الرافضة في فضائل علي: فأكثر من أن يعد. قال الحافظ أبو يعلى الخليلي في كتاب الإرشاد: وضعت الرافضة في فضائل علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأهل البيت نحو ثلاثمائة ألف حديث، ولا تستبعد هذا فإنك لو تتبعت ما عندهم من ذلك؛ لوجدت الأمر كما قال).

(١) محمد بن أحمد الذهبي، ترتيب الموضوعات لابن الجوزي، ص١٢٤.
(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٧٥)..

وقال في الكتاب نفسه بعد أن ذكر عقيدة الرافضة في المهدي: (ولقد أصبح هؤلاء عاراً على بني آدم، وضحكة يسخر منهم كل عاقل)[(١)].

قول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٧٤هـ): -

يقول في وصف حال الرافضة: (ولكنهم طائفة مخذولة، وفرقة مرذولة، يتمسكون بالمتشابه، ويتركون الأمور المحكمة المقدرة عند أئمة الإسلام)[(٢)].

ويقول ضمن حديثه عن المهدي عند أهل السنة: (فيخرج المهدي، ويكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء، كما يزعمه جهلة الرافضة: من أنه موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان، شديد من الشيطان، إذ لا دليل على ذلك، ولا برهان، لا من كتاب، ولا سنة، ولا معقول صحيح، ولا استحسان)[(٣)].

قول أبي حامد المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٨٨٨هـ): -

قال في كتابه الرد على الرافضة بعد أن ذكر جملة من عقائدهم: (لا يخفى على كل ذي بصيرة وفهم من المسلمين، أن أكثر ما قدمناه في الباب، قبله من عقائد هذه الطائفة الرافضة على اختلاف أصنافها كفر صريح، وعناد مع جهل قبيح، لا يتوقف الواقف مع تكفيرهم، والحكم عليهم بالمروق من دين الإسلام وضلالهم)[(٤)].

قول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٢٠٦هـ): -

قال في رسالة الرد على الرافضة معلقاً على عقيدة الرجعة عندهم: (فانظر أيها المؤمن إلى سخافة رأي هؤلاء الأغبياء، يختلقون ما يرده بديهة العقل، وصراحة النقل، وقولهم هذا مستلزم تكذيب ما ثبت قطعاً في

(١) المنار المنيف، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة).. ط: الأولى، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، ص١٠٨، ١٥٢.
(٢) البداية والنهاية (٥/ ٢٥١)..
(٣) النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٥٥)..
(٤) رسالة في الرد على الرافضة لأبي حامد المقدسي (ص٢٠٠)..

الآيات والأحاديث من عدم رجوع الموتى إلى الدنيا فالمجادلة مع هؤلاء الحمر تُضَيّع الوقت ، لو كان لهم عقل لما تكلموا أي شيء يجعلهم مسخرة للصبيان ويمج كلامهم أسماع أهل الإيقان . لكن الله سلب عقولهم ، وخذلهم في الوقيعة في خلص أوليائه ؛ لشقاوة سبقت لهم) .

وقال بعد أن ذكر قولهم بتجويز الجمع بين المرأة وعمتها: (وبهذا وأمثاله تعرف أن الرافضة أكثر الناس تركاً لما أمر الله به ، وإتياناً لما حرمه الله ، وأن كثيراً منهم ناشئ عن نطفة خبيثة ، موضوعة في رحم حرام ، ولذا لا ترى منهم إلا الخبيث اعتقاداً وعملاً ، وقد قيل كل شيء يرجع إلى أصله) .

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فهؤلاء الإمامية خارجون عن السنة ، بل عن الملة ، واقعون في الزنا وما أكثر ما فتحوا على أنفسهم أبواب الزنا في القبل والدبر ، فما أحقهم بأن يكونوا أولاد زنا) .[1]

قول الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٢٥٠هـ): -

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واعلم أن لهذه الشنعة الرافضية ، والبدعة الخبيثة ذيلاً هو أشر ذيل ، وويلاً هو أقبح ويل ، وهو أنهم لما علموا أن الكتاب والسنة يناديان عليهم بالخسارة والبوار بأعلى صوت ، عادوا السنة المطهرة ، وقدحوا فيها وفي أهلها بعد قدحهم في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ، وجعلوا المتمسك بها من أعداء أهل البيت ، ومن المخالفين للشيعة لأهل البيت ، فأبطلوا السنة بأسرها ، وتمسكوا في مقابلها ، وتعوضوا عنها بأكاذيب مفتراة ، مشتملة على القدح المكذوب المفترى في الصحابة ، وفي جميع الحاملين للسنة ، المهتدين بهديها ، العاملين بما فيها ، الناشرين لها في الناس ؛ من التابعين وتابعيهم إلى هذه الغاية ، وسَمُّوْهم بالنصب ، والبغض لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأولاده ، فأبعد الله الرافضة وأقمأهم) .[2]

(١) رسالة في الرد على الرافضة للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص٣٢ ، ٣٩ ، ٤٢ ، انظر: الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال ، ص ٩٢ .

(٢) قطر الولي على حديث الولي للشوكاني (ص٣٠٥ - ٣٠٦) انظر: الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال [ص ٩٣] .

قول عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٢٣٩هـ): -

قال عن الرافضة في آخر كتابه العظيم التحفة الاثني عشرية الذي ألفه في الرد عليهم واختصره الألوسي، واشتهر من خلاله: (ومن استكشف عن عقائدهم الخبيثة، وما انطووا عليه؛ علم أن ليس لهم في الإسلام نصيب، وتحقق كفرهم لديه، ورأى منهم كل أمر عجيب، واطلع على كل أمر غريب، وتيقن أنهم قد أنكروا الحسي، وخالفوا البديهي الأوّلي، ولا يخطر ببالهم عتاب، ولا يمر على أذهانهم عذاب أو عقاب، فإن جاءهم الباطل أحبوه ورضوه، وإذا جاءهم الحق كذبوه وردوه: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة:١٧]، ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:١٨] ولقد غشى على قلوبهم الران، فلا يعون ولا يسمعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولقد تعنّتوا بالفسق والعصيان في فروع الدين وأصوله، فصدق ظن إبليس فاتبعوه من دون الله ورسوله، فيا ويلهم من تضييعهم الإسلام! ويا خسارتهم مما وقعوا فيه من حيرة الشبه والأوهام!..)[1].

أقوال بعض هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية (حرسها الله):

جاء في إحدى فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ضمن الإجابة عن سؤال عن معتقد الرافضة: (مذهب الشيعة الإمامية مذهب مبتدع في الإسلام أصوله وفروعه..).

وفي فتوى أخرى: (.. إن الشيعة الإمامية الاثني عشرية قد نقلوا في كتبهم عن أئمتهم: أن القرآن الذي جمعه عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن طريق حفاظ القرآن من الصحابة محرف بالزيادة فيه، والنقص منه، وتبديل بعض كلماته وجمله، وبحذف بعض آيات وسور منه يعرف ذلك من قرأ كتاب فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب الذي ألفه حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي في تحريف القرآن، وأمثاله مما ألف انتصاراً للرافضة ودعماً لمذهبهم كمنهاج الكرامة لابن المطهر. كما أنهم يعرضون عن دواوين السنة

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية، ص٣٠٠ - ٣٠١.

الصحيحة كصحيحي البخاري ومسلم فلا يعتبرونها مرجعاً لهم في الاستدلال على الأحكام عقيدة وفقهاً، ولا يعتمدون عليها في تفسير القرآن وبيانه، بل استحدثوا كتباً في الحديث، وأصلوا لأنفسهم أصولاً غير سليمة يرجعون إليها في تمييز الضعيف في زعمهم من الصحيح، وجعلوا من أصولهم الرجوع إلى أقوال الأئمة الاثني عشر المعصومين في زعمهم . .) إلخ الفتوى.

فهذه بعض أقوال أئمة السلف، وأهل العلم من بعدهم، مضافة إلى ما سبق أن تقدم من أقوال أئمة أهل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جاءت كلها مقررة ومرسخة موقفهم الموحد من الرافضة، من خلال تلك النصوص المتواترة عنهم والمتضافرة في ذمهم للرافضة، ووصفهم لهم بكل شر ورذيلة وأنهم أبعد الناس عن كل خير وفضيلة، في سياقات متعددة، وعبارات متنوعة، إمعاناً منهم في التحذير من شرهم، وبيان شدة خطرهم، حتى قال الرجل المتبحر في أمرهم، الخبير بأحوالهم بعد أن بلغ الغاية في ذمهم - وهو شيخ الإسلام ابن تيمية -: (وشر هؤلاء وضررهم على أهل الإسلام لا يحصيه الرجل الفصيح في الكلام) على ما تقدم بذلك النقل عنه موثقاً.

فجزى الله هؤلاء الأئمة وسائر العلماء المحذرين من الرافضة خيراً، فإنهم قد أدوا للأمة حق النصيحة، واجتهدوا في ذلك حتى قامت بأقوالهم وتحذيراتهم الحجة على الخلق، وظهر لكل من له أدنى حظ من فهم، ومعرفة بالشرع: أن الرافضة أبعد ما تكون عن الحق، وأقرب ما تكون للظلم والجور، وأنهم أشد الناس مشاقة للشرع، وبغضاً لأهل الخير والفضل، وأنه ما ابتلي المسلمون في سالف عصورهم وحاضرها بشر منهم ولا أخوف على الدين منهم.

فنسأل الله الكريم أن يقي المسلمين شرهم، وأن يجعل كيدهم ومكرهم عليهم، وأن يجعل هلاكهم بأيديهم إنه سميع مجيب[1].

* * * * *

(١) الدكتور/ إبراهيم بن عامر الرحيلي، الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، ص ٩٥.

خيانة الشيعة الروافض للإسلام والمسلمين:

- خيانات الشيعة لآل البيت:

إن الخائن لا يلوي على شيء ، ولا يفرق مع من يكون خائنًا ، ومع من يكون أمينًا ، فإن الخيانة داء إذا خالط دماء الإنسان فإنه يجعله خائنًا ولو مع أقرب الناس إليه .

والشيعة الذين غالوا في حب آل البيت وعلى رأسهم علي بن أبي طالب ثبتت خيانتهم لهم منذ اللحظات الأولى لظهور التشيع إبَّان الفتن التي ثارت ثائرتها بين الصحابيين الجليلين علي ومعاوية رضوان الله عليهما .

خيانتهم لعلي بن أبي طالب:

فقد كان أكثر شيعة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أهل العراق وعلى وجه الخصوص أهل الكوفة والبصرة ، وعندما عزم علي على الخروج بهم إلى أهل الشام بعد القضاء على فتنة الخوارج خذلوه ، وكانوا وعدوه بنصرته والخروج معه ، ولكنهم تخاذلوا عنه وقالوا:

"يا أمير المؤمنين لقد نفدت نبالنا وكلَّت سيوفنا ، ونصلت أسنة رماحنا فارجع بنا فلنستعد بأحسن عدتنا . . فأدرك علي أن عزائمهم هي التي كلت ووهنت وليس سيوفهم ، فقد بدؤوا يتسللون من معسكره عائدين إلى بيوتهم دون علمه ، حتى أصبح المعسكر خاليًا ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه في المسير"[(١)] .

"وأدرك الإمام علي أن هؤلاء القوم لا يمكن أن تنتصر بهم قضية مهما كانت عادلة ولم يستطع أن يكتم هذا الضيق فقال لهم: ما أنتم إلا أسود الشرى في الدعة وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس وما أنتم لي بثقة . . وما أنتم بركب يصال بكم ، ولا ذي عز يعتصم إليه ، لعمر الله لبئس حشاش الحرب أنتم ، إنكم تكادون ولا تكيدون وتنتقص أطرافكم ولا

---

(١)) انظر تاريخ الطبري ، ٥/ ٨٩ ، ٩٠ ، الكامل في التاريخ ، ٣/ ٣٤٩ .

تتحاشون . . "[1]

والعجيب أن شيعة علي من أهل العراق لم يتقاعسوا عن المسير معه لحرب الشام فقط ، وإنما جبنوا وتثاقلوا عن الدفاع عن بلادهم ، فقد هاجمت جيوش معاوية عين التمر وغيرها من أطراف العراق ، فلم يذعنوا لأمر علي بالنهوض للدفاع عنها حتى قال لهم أمير المؤمنين علي:

"يا أهل الكوفة كلما سمعتم بمنسر[2] من مناسر أهل الشام انجحر كل امرئ منكم في بيته وأغلق بابه انجحار الضب في جحره والضبع في وجارها ، المغرور من غررتمون ولمن فازكم فاز بالسهم الأخيب ، لا أحرار عند النداء ، ولا إخوان ثقة عند النجاء ، إنا لله وإنا إليه راجعون"[3] .

خيانتهم للحسن بن علي:

ولما قتل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وبويع ابنه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة لم يكن يؤمن بجدوى حرب معاوية وخصوصًا أن شيعته خذلوا أباه من قبل ، ولكن عاد شيعتهم من أهل العراق يطالبون الحسن بالخروج لقتال معاوية وأهل الشام فأظهر الحسن حنكة كبيرة دلت على سعة أفقه ، فهو لم يشأ أن يواجه أهل العراق من البداية بميله إلى مصالحة معاوية وتسليم الأمر له حقنًا لدماء المسلمين ، لأنه يعرف خفة أهل العراق وتهورهم ، فأراد أن يقيم من مسلكهم الدليل على صدق نظرته فيهم ، وعلى سلامة ما اتجه إليه ، فوافقهم على المسير لحرب معاوية وعبأ جيشه وبعث قيس بن عبادة في مقدمته على رأس اثني عشر ألفا ، وسار هو خلفه فلما وصلت تلك الأخبار إلى معاوية وتحرك هو أيضًا بجيشه ونزل مسكن ، وبينما الحسن في المدائن إذ نادى منادي من أهل العراق أن قيسًا قد قتل ، فسرت الفوضى في الجيش

---

(١) انظر تاريخ الطبري ، ٥/ ٩٠ ، عبدالشافي محمد عبداللطيف ، العالم الإسلامي في العصر الأموي ، ص٩١ .

(٢) المنسر هي القطعة من الجيش تكون أمامه .

(٣) انظر: تاريخ الطبري ، ٥/ ١٣٥ ، عبدالشافي محمد عبداللطيف ، العالم الإسلامي في العصر الأموي ، ص٩٦ ، د. عماد علي عبد السميع حسين ، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية ، ص ١٧ .

وعادت إلى أهل العراق طبيعتهم في عدم الثبات، فاعتدوا على سرادق الحسن ونهبوا متاعه حتى أنهم نازعوه بساطًا كان تحته، وطعنوه وجرحوه..
وهنا فكر أحد شيعة العراق وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي في أمر خطير وهو أن يُوثق الحسن بن علي ويسلمه طمعًا في الغنى والشرف، فقد جاء عمه سعد بن مسعود الثقفي[1] وكان وليًا على المدائن من قبل علي، فقال له: هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن وتستأمن به إلى معاوية، فقال له عمه: عليك لعنة الله، أثب على ابن بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأوثقه بئس الرجل أنت[2].

بل إن الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يقول: "أرى معاوية خيرًا لي من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي وأخذوا مالي والله لأن آخذ من معاوية ما أحقن به دمي في أهلي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني؛ فيضيع أهل بيتي وأهلي، والله لو قتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوا بي إليه سلما، والله لأن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير"[3].

خيانتهم للحسين بن علي:

بعد وفاة معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنة ٦٠هـ توالت رسائل ورسل أهل العراق على الحسين بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تفيض حماسة وعطفًا وقالوا له: إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي فأقدم علينا.

وتحت إلحاحهم قرر الحسين إرسال ابن عمه مسلم بن عقيل ليستطلع الموقف فخرج مسلم في شوال سنة ٦٠هـ.

وما أن علم بوصوله أهل العراق حتى جاءوه فأخذ منهم البيعة

---

(١) هذا هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي خرج على الدولة الأموية وادعى أنه من شيعة آل البيت وجعل يطالب بدم الحسين، وما كان ذلك منه إلا نفاقًا وستارًا يخفي خلفه مطامعه الشخصية في الملك.

(٢) انظر تاريخ الطبري، ٥/ ١٥٩، عبدالشافي محمد عبداللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص١٠١.

(٣) د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص ١٧.

للحسين، فقيل بايعه اثني عشر ألفا، ثم أرسل إلى الحسين ببيعة أهل الكوفة وأن الأمر على ما يرام[1].

وللأسف خدع الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهم، وسار إليهم بعد أن حذره كثير من المقربين إليه من الخروج لما يعرفون من خيانة شيعة العراق، حتى قال له ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوهم، فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر، وعماله تجبى بلادهم فإنما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك، ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك فيكونون أشد الناس عليك.."[2].

وبالفعل ظهر غدر شيعة أهل الكوفة برغم مراسلاتهم للحسين حتى قبل أن يصل إليهم فإن الوالي الأموي عبيد الله بن زياد لما علم بأمر مسلم بن عقيل، وما يأخذ من البيعة للحسين جاء فقتله وقتل مضيفه هانئ بن عروة المرادي، كل ذلك وشيعة الكوفة لم يتحرك لهم ساكن، بل تنكروا لوعودهم للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واشترى ابن زياد زممهم بالأموال[3].

فلما خرج الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان في أهله وقلة من أصحابه عددهم نحو سبعين رجلا، وبعد مراسلات وعروض، تدخل ابن زياد في إفسادها دار القتال فقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتل سائر أصحابه، وكان آخر كلامه قبل أن يسلم الروح: "اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا"[4].

بل دعاؤه عليهم مشهور حيث قال قبل استشهاده: "اللهم إن متعتهم ففرقهم فرقًا واجعلهم طرائق قددا ولا ترضي الولاة عنهم أبدًا، فإنهم

---

(١) انظر: تاريخ الطبري، ٥/ ٣٤٧.
(٢) الكامل في التاريخ (٤/ ٣٧).
(٣) انظر المسعودي: مروج الذهب (٣/ ٦٧) وما بعدها، عبدالشافي محمد عبداللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي (ص٤٧٣).
(٤) انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٣٨٩). د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص ١٩.

دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا فقتلونا"[1] .

أرأيت سوء صنيع القوم ، وكيف كان غدرهم وخيانتهم حتى بآل البيت الذين زعموا حبهم واتخذوه ذريعة في عداءهم لكل من عادوا .

وهل بعد خيانتهم لآل البيت يستبعد خيانتهم للأمة عامة ، فهم منذ اللحظات الأولى يجبنون عن الحرب ويبيعون ذممهم بالأموال ، ويفكرون في الخيانة في مقابل الغنى والشرف ، ولو كان الثمن هو تسليم واحد من أكابر آل البيت كما فكر المختار الثقفي أن يسلم الحسن بن علي للأمويين .

علمًا بأننا للإنصاف لا بد أن نقرر أن شيعة الصدر الأول في أيام علي والحسن والحسين - رضوان الله عليهم - كان من بينهم فضلاء أخيار كبعض نفر من الصحابة - رضوان الله عليهم - وهؤلاء نربأ بهم عن الخيانة ، ومعاذ الله أن نصف أحدًا منهم بها ، وإنما مواقف هؤلاء الفضلاء كانت قائمة على الاجتهاد أخطؤوا أو أصابوا .

وتشيَّع أكثر الناس يومئذ يدور في فلك الحب لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وآل بيته بناء على مرويات سمعها الناس في الوصاة بحب هذه العترة الطاهرة ، ولكن لم تكن هناك مبادئ مقررة للتشيع كالتقية والرجعة وغير ذلك . . اللهم إلا أن يكون عند نفر من الغلاة الذين ترأسهم عبد الله بن سبأ وقالوا بألوهية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لكن بعد ذلك جدَّت أمور شكلت فكر الشيعة وجعلت تقفز به في الانحراف من ميدان إلى ميدان ، وتدخلت عناصر مغرضة مجوسية ويهودية وغير ذلك وتسترت بالإسلام ثم بالتشيع ، وجعلت تسعى لنقض عرى الإسلام عروة بعد عروة[2] .

ومن خيانات الشيعة الفاطميين للإسلام والمسلمين:

وبرغم ما فعلت الخلافة الفاطمية من محاولات للقضاء على أهل السنة ومذهبهم إلا أن المذهب السني ظل محتفظًا بقوته رغم تحول بعض المصريين

(١) انظر الإرشاد (ص٢٤١) . انظر إعلام الورى للطبرسي (ص ٩٤٩) .

(٢) د . عماد علي عبد السميع حسين ، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية ، ص ١٩ .

إلى المذهب الفاطمي .

ولم يؤثر أن الخلافة الفاطمية قامت بغزو أو عمليات عسكرية ضد الفرنجة لتوطيد أركان الإسلام ، بل الثابت تاريخيًا أنهم كانوا حربًا على أهل الإسلام سلمًا على أعدائه ، فهم يضيقون الخناق على أهل السنة ويجيشون الجيوش لإرغامهم على التشيع ، بينما هم مع الفرنجة سلم لهم ، بل يستنجدون بهم على أهل السنة وغير ذلك .

الفاطميون يمالؤون الفرنجة ويكتبون إليهم:

ومن خيانات الفاطميين وتواطؤهم مع الفرنجة ما ذكره المقريزي في الخطط والآثار من أن صلاح الدين الأيوبي لما تولى وزارة العاضد الفاطمي - وكان قد ولاه لصغر سنه وضعفه كما ظن به - قوى نفوذه في مصر وأخذت سلطة العاضد في الضعف ، حتى ثقلت وطأة صلاح الدين على أهل القصر الفاطمي ، وتجلى استبداده بأمر الدولة وإضعاف الخلافة الفاطمية ، حنق عليه رجال القصر ودبروا له المكائد ، وقد اتفق رأيهم على مكاتبة الفرنجة ودعوتهم إلى مصر فإذا ما خرج صلاح الدين إلى لقائهم قبضوا على من بقي من أصحابه بالقاهرة ، وانضموا إلى الفرنجة في محاربتهم والقضاء عليه .[1]

وفعلاً جاء الفرنجة إلى مصر وحاصروا دمياط في سنة ٥٦٥هـ ، وضيقوا على أهلها وقتلوا أممًا كثيرة ، جاؤوا إليها من البر والبحر رجاء أن يملكوا الديار المصرية وخوفًا من استيلاء المسلمين على القدس ، وأرسل إلى عمه نور الدين محمود بدمشق ، يستنجده فأمده ، وبعث صلاح الدين جيشًا بقيادة ابن أخيه وخاله شهاب الدين وأمدهما بالسلاح والذخائر ، واضطروهم للبقاء في القاهرة خشية أن يقوم رجال القصر الفاطمي وجند السودان الناقمين بتدبير المؤامرات ضده[2]

وكان من فضل الله أن رد كيد الفرنجة والشيعة الفاطميين الذين كاتبوهم

(١) المقريزي: الخطط والآثار (٢/٢) .
(٢) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (١٢: ٢٦٠) .

ففشلت هذه الحملة، وانصرف الفرنجة عن دمياط، وذلك لما تسرب إليهم من قلق من جراء ما عانوه في سبيل تموين قواتهم، وكما وقع الخلاف بين قوادهم على الخطة التي يتبعونها في مهاجمة المدينة، فضلاً عن ذلك بلغهم أن نور الدين محمود قد غزا بلادهم وهاجم حصن الكرك وغيره من نواحيهم وقتل خلقا من رجالهم، وسبي كثيرًا من نسائهم وأطفالهم وغنم من أموالهم[1].

وهكذا دائمًا في كل خيانة يحدثونها يجعلون الأمة الإسلامية بين شقي الرحى، بين عدو خارجي وعدو داخلي، فاللهم انتقم من الخونة ولو كانوا من أهل السنة[2].

ومن خيانات الفاطميين:

أنه لما ضعفت دولتهم في أيام العاضد وصارت الأمور إلى الوزراء، وتنافس شاور وضرغام، فكر شاور في أن يثبت ملكه ويقوي نفوذه، فاستعان بنور الدين محمود؛ فأعانه ولما خلا له الجو لم يف له بما وعد، بل أرسل إلى أملريك ملك الفرنجة في بيت المقدس يستمده، ويخوفه من نور الدين محمود إن ملك الديار المصرية، فسارع إلى إجابة طلبه، وأرسل له حملة أرغمت نور الدين على العودة بجيشه إلى الشام، ولكن سرعان ما عاود نور الدين المحاولة في عام ٥٦٢هـ، فاستنجد شاور بالفرنجة مرة ثانية وكاتبهم، وجاءت جيوشهم خشية أن يستولي نور الدين على مصر ويضمها إلى بلاد الشام فيهدد مركزهم في بيت المقدس.

ولما وصلت عساكر الفرنجة إلى مصر انضمت جيوش شاور والمصريين إليها والتقت بجيوش نور الدين بمكان يعرف بالبابين (قرب المنيا) فكان النصر حليف عسكر نور الدين محمود، ثم سار بعدها إلى الإسكندرية، وكانت الجيوش الصليبية تحاصرها من البحر وجيوش شاور وفرنجة بيت

---

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٢٦٠)، حسن الحبشي، نور الدين والصليبيون (ص١٤٧) وما بعدها.

(٢) د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص٢٨.

المقدس من البر ، ولم يكن لدى صلاح الدين - القائد من قبل نور الدين - من الجند ما يمكنه من رفع الحصار عنها ، فاستنجد بأسد الدين شيركوه فسارع إلى نجدته ، ولم يلبث الفرنجة وشيعة شاور إلى أن طلبوا الصلح من صلاح الدين فأجابهم إليه شريطة ألا يقيم الفرنجة في البلاد المصرية .

غير أن الفرنجة لم تغادر مصر عملاً بهذا الصلح بل عقدت مع شاور معاهدة كان من أهم شروطها كما يقول ابن واصل:

"أن يكون لهم بالقاهرة شحنة صليبية - أي حامية - وتكون أبوابها بيد فرسانهم ليمتنع نور الدين محمود عن إنفاذ عسكره إليهم . وكما اتفق الطرفان على أن يكون للصليبيين مائة ألف دينار سنويًا من دخل مصر"[(١)] .

وما أن ذهب الفرنجة في هذا العام حتى عادوا مرة أخرى عام ٥٦٤هـ .

قال ابن كثير فيها: طغت الفرنج بالديار المصرية وذلك أنهم جعلوا شاور شحنة لهم بها ، وتحكموا في أموالها ومساكنها أفواجًا أفواجًا ، ولم يبق شيء من أن يستحوذوا عليها ويخرجوا منها أهلها من المسلمين وقد سكنها أكثر شجعانهم فلما سمع الفرنج بذلك أتوا من كل فج وناحية في صحبة ملك عسقلان في جحافل هائلة ، فأول ما أخذوا مدينة بلبيس وقتلوا من أهلها خلقًا وأسروا آخرين ونزلوا بها وتركوا أثقالهم موئلاً لهم ، ثم تحركوا نحو القاهرة . . فأمر الوزير شاور رجاله بإشعال النار فيها على أن يخرج منها أهلها ؛ فهلكت للناس أموال كثيرة ، وأنفس ، وشاعت الفوضى ، واستمرت النيران أربعة وخمسين يومًا ، عندئذ بعث العاضد الفاطمي إلى نور الدين بشعور نسائه يقول: أدركني واستنقذ نسائي من الفرنج ، والتزم له بثلث خراج مصر ، فشرع نور الدين في تجهيز الجيوش لتسييرها إلى مصر ، فلما أحس شاور بوصول جيوش نور الدين ، أرسل إلى ملك الفرنج يقول: قد عرفت محبتي ومودتي لكم ، ولكن العاضد لا يوافقني على تسليم البلد ، فاعتذر لهم وصالحهم على ألف ألف دينار وعجل لهم من ذلك ثمانمائة ألف ليرجعوا ؛ فانتشروا راجعين خوفًا من عساكر نور الدين وطمعًا في العودة

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب بني في أخبار بني أيوب ، ص١٥٢ ، د . عماد علي عبد السميع حسين ، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية ، ص٢٩ .

إليها مرة أخرى، وشرع شاور في مطالبة الناس بالذهب الذي صالح به الفرنج وتحصيله وضيق على الناس..[1].

أفرأيت كل هذه المحن التي جلبتها خيانات الرافضة الخبيثة، تستدعي الفرنجة وتقيم لها حاميات، وتنهب أموال البلاد وخيراتها، وتفتك بأعراضها، وتحرق وتدمر وتخرب، وتشترط لنفسها جزء من دخل البلاد.

أليس هذا يشبه إلى حد كبير خياناتهم في العراق، في المرة الأخيرة، كاتبوا الأمريكيين، قاتلوا في صفوفهم، أقاموا قواعدهم، قووا مراكزهم، ونهبوا خيرات البلاد، فإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم انتقم من الخونة ولو كانوا من أهل السنة[2].

ومن خيانات الفاطميين:

ما حدث في سنة ٥٦٢هـ لما أقبلت جحافل الفرنج إلى الديار المصرية وبلغ ذلك أسد الدين شيركوه فاستأذن الملك نور الدين محمود في الذهاب إليها - وكان كثير الحنق على الوزير شاور الفاطمي - فأذن له فسار ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب..

ولما بلغ الوزير شاور قدوم أسد الدين والجيش معه بعث إلى الفرنج فجاؤا من كل فج إليه، وبلغ أسد الدين ذلك من شأنهم وأن معهم ألف فارس، فاستشار من معه من الأمراء فكلهم أشار عليه بالرجوع إلى نور الدين إلا أميرًا واحدًا يقال له شرف الدين برغش فإنه قال من خاف القتل والأسر فليقعد في بيته عند زوجته، ومن أكل أموال الناس فلا يسلم بلادهم على العدو، وقال مثل ذلك ابن أخيه صلاح الدين، فعزم الله لهم فساروا نحو الفرنج فاقتتلوا قتالاً عظيمًا؛ فقتلوا من الفرنج مقتلة عظيمة وهزموهم.. ولله الحمد.

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٢٥٥.

(٢) د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص٣٠.

التعاون مع الفرنجة لانتزاع الإسكندرية من يد صلاح الدين:

إن أسد الدين شيركوه لما كان قد أظفره الله بالفرنجة في الوقعة السابقة بمصر برغم خيانة الخونة ، رأى أن يفتح الإسكندرية ، ففتحها واستناب عليها ابن أخيه صلاح الدين ، ثم توجه إلى الصعيد فملكه ، وعندئذ اتفق الفاطميون مع الفرنجة على حصار الإسكندرية لانتزاعها من يد صلاح الدين في أثناء غياب أسد الدين شيركوه ، فامتنع فيها صلاح الدين أشد الامتناع ، ولكن ضاقت عليهم الأقوات والحال جدًّا فسار إليهم أسد الدين شيركوه فصالحه الوزير شاور عن الإسكندرية بخمسين ألف دينار ، فأجابه إلى ذلك وخرج منها وسلمها للمصريين ثم عاد إلى الشام ، وقرر شاور للفرنجة على مصر في كل سنة مائة ألف دينار وأن يكون لهم شحنة بالقاهرة[1] .

بين المعز الفاطمي والإمام أبو بكر النابلسي[2]:

إن الشيعة برغم ما يتظاهر به بعض ولاتهم وحكامهم من الورع والصلاح وإنصاف المظلوم . .

إلا أنهم في كثير من الأحيان ما تنكشف الحقائق عن مخادع كاذب لا يرقب في المؤمنين إلا ولا ذمة .

وأشد ما تكون هذه النكاية بالعلماء من أهل السنة .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة المعز الفاطمي:

". . كان يدعي إنصاف المظلوم من الظالم ، ويفتخر بنسبه وأن الله رحم الأمة بهم ، وهو مع ذلك متلبس بالرفض ظاهرًا وباطنًا ، كما قال القاضي الباقلاني: إن مذهبهم الكفر المحض ، واعتقادهم الرفض ، وكذلك أهل دولته ومن أطاعه ونصره ووالاه قبحهم الله وإياه .

وقد أحضر بين يديه الزاهد العابد الورع الناسك التقي أبوبكر

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٢٥٢ ، ٢٥٣) .
(٢) هو أحد أئمة أهل السنة الأثبات وهو من أهل نابلس .

النابلسي، فقال له المعز بلغني عنك أنك قلت لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ورميت المصريين - أي الفاطميين - بسهم؟

فقال النابلسي: ما قلت هذا، فظن أنه رجع عن قوله، فقال له كيف قلت؟ قال قلت ينبغي أن نرميكم بتسعة ثم نرميهم بالعاشر، قال: ولم؟ قال: لأنكم غيرتم دين الأمة، وقتلتم الصالحين، وأطفأتم نور الإلهية، وادعيتم ما ليس لكم.

فأمر بإشهاره في أول يوم، ثم ضرب في الثاني بالسياط ضربًا شديدًا مبرحًا، ثم أمر بسلخه - وهو حي - وفي اليوم الثالث، فجيء بيهودي فجعل يسلخه وهو يقرأ القرآن، قال اليهودي فأخذتني رقة عليه، فلما بلغت تلقاء قلبه طعنته بالسكين فمات. رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكان يقال له الشهيد، وإليه ينسب بنو الشهيد من نابلس إلى اليوم"[1].

فما أكرم الثبات على الحق، وما أجمل العيش على السنة والموت عليها ولو أن يسلخ الجلد عن اللحم، ونحن لا نعجب مما فعل هذا الرافضي الخبيث قبحه الله، فمجرد أن يكون اسم النابلسي أبوبكر فهذا كاف في إثارة حفيظة هذا الرافضي الخبيث، فهو يكره أبوبكر ومن يحب أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[2].

خيانة القرامطة:

القرامطة تدعي النسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وكانت بداية ظهورهم في عام ٢٧٨هـ، في عهد الخليفة العباسي المعتضد أحمد بن الموفق طلحة[3].

وقد ملك القرامطة الإحساء والبحرين وعمان وبلاد الشام وحاولوا ملك مصر ففشلوا، واستمرت دولتهم حتى سنة ٤٦٦هـ حيث قضى عليها عبيد الله بن علي محمد عبد القيسي بمساعدة ملك شاه السلجوقي.

(١) البداية والنهاية (١١/ ٢٨٤).

(٢) د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص٣٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٦/ ٣٦٣).

وأخذت القرامطة تناوئ الدولة العباسية وتحاول الفتك بها، وخاضت ضدها حروبًا كثيرة، تارة وسعت بالخيانة، وتارة أخرى أحاطوا بالخلفاء العباسيين الذين كانوا قد بلغوا من الضعف مبلغًا، حتى لم تكن لهم سلطة فعلية، وتجرأت القرامطة على أشرف البقاع؛ الحرم المكي، وسرقوا الحجر الأسود من الكعبة، وأخذوه إلى بلادهم، وأضعفوا الخلفاء، حتى إنه في خلافة الراضي بالله محمد ابن المقتدر العباسي استولى الروم على عامة الثغور، وقدمت عساكر المعز لدين الله أبي تميم الفاطمي إلى مصر، وانقطعت الدعوة العباسية من مصر والشا.

ومن خيانات القرامطة:

ما فعلوه في سنة ٢٩٤هـ، من تعرضهم للحجاج أثناء رجوعهم من مكة بعد أداء المناسك فلقوا القافلة الأولى فقاتلوهم قتالاً شديدًا، فلما رأى القرامطة شدة القافلة في القتال، قال: هل فيكم نائب السلطان؟ فقالوا: ما معنا أحد، فقالوا: فلسنا نريدكم، فاطمأنوا وساروا فلما ساروا، أوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم.

وتعقبوا قوافل الحجيج قافلة قافلة يعملون فيهم السيف، فقتلوهم عن آخرهم، وجمعوا القتلى كالتل، وأرسلوا خلف الفارين من الحجيج من يبذل لهم الأمان فعندما رجعوا قتلوهم عن آخرهم، وكان نساء القرامطة يطفن بين القتلى يعرضن عليهم الماء، فمن كلمهن قتلنه، فقيل إن عدد القتلى بلغ في هده الحادثة عشرين ألفا، وهم في كل ذلك يغورون الآبار، ويفسدون ماءها بالجيف والتراب والحجارة، وبلغ من ما نهبوه من الحجيج ألفي ألفي دينار[1].

خيانة أخرى للقرامطة:

وفي سنة ٣١٢هـ سار أبو طاهر اشيعي القرمطي في عسكر عظيم ليلقى الحجيج في رجوعهم من مكة، فأوقع بقافلة تقدمت معظم الحجاج، وكان

(١) د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص٣٦.

فيها خلق كثير من أهل بغداد، فنهبهم، واتصل الخبر إلى باقي الحجيج، ولكن دونما فائدة فقد باغتهم القرامطة أيضًا، فأوقعوا بهم وأخذوا دوابهم، وما أرادوا من الأمتعة والأموال والنساء والصبيان، وقتلوا من قتلوا وترك الباقون في أماكنهم منهكين فمات أكثرهم جوعًا وعطشا من حر الشمس، وانقلبت بغداد واجتمع حرم المنكوبين إلى حرم المأخذوين، وجعلن ينادين القرمطي الصغير أبو طاهر قتل المسلمين في طريق مكة، والقرمطي الكبير ابن الفرات قتل المسلمين ببغداد، وكانت صورة فظيعة شنيعة وكسر العامة منابر الجوامع وسودوا المحاريب يوم الجمعة، وجاء ابن الفرات الوزير الرافضي القرمطي إلى المقتدر الخليفة العباسي ليأخذ رأيه فيما يفعله، فانبسط لسان المقتدر على ابن الفرات، وقال له: الساعة تقول لي أي شيء نصنع، وما هو الرأي؟ بعد أن زعزعت أركان الدولة وعرضتها للزوال بالميل مع كل عدو يظهر ومكاتبته ومهادنته وإبعادك رجالي إلى الرقة وهم سيوف الدولة، فمن يدفع الآن؟ ومن الذي سلم الناس إلى القرمطي غيرك، لما يجمع بينكما من التشيع والرفض، ولما توجه الخليفة المقتدر إلى الكوفة ليلقى القرامطة قام المحسن ابن الوزير ابن الفرات الشيعي بقتل كل من كان محبوسًا عنده من المصادرين لأنه كان قد أخذ منهم أموالاً، ولما يوصلها إلى المقتدر، فخاف أن يقروا عليه[1].

وهكذا ترى الخيانة الرافضية الخبيثة، مع ضيوف الله وحجاج بيته الحرام، قتل وسلب ونهب واغتصاب، تجويع وتعطيش، ومثل هذا خيانة الإيرانيين في إحداث بعض التفجيرات في الحرم المكي أثناء أداء المناسك في عام.

وما هذا إلا لأن القوم لا يرون لمكة حرمة، ولا لكعبتها، وإنما عندهم أن أرض كربلاء أفضل من أرض مكة والمشهد الحسيني أفضل من الكعبة[2].

وإليك بعض أقوالهم من كتبهم في هذا:

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٧/ ٣١٢.
(٢) د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص٣٧.

سئل آياتهم العظمى محمد الحسيني الشيرازي في كتابه الفقه والعقائد: " يقال إن أرض كربلاء أفضل من أرض مكة، والسجدة على التربة الحسينية أفضل من السجدة على أرض الحرم فهل هذا صحيح؟

فأجاب الشيرازي: نعم.

وهذا أيضًا آياتهم وعلامتهم السيد العباسي الحسيني الكاشاني يعنون في كتابه مصابيح الجنان عنوانًا باسم: " أفضلية كربلاء على سائر البقاع "، فقال: وأما أفضلية كربلاء على سائر البقاع حتى الكعبة فلا شك في أن أرض كربلاء أقدس بقعة في الإسلام، وقد أعطيت حسب النصوص الواردة أكثر مما أعطيت أي أرض أو بقعة أخرى من المزية والشرف فكانت أرض الله المقدسة المباركة، وأرض الله الخاضعة المتواضعة وأرض الله التي في تربتها الشفاء، فإن هذه المزايا وأمثالها التي اجتمعت لكربلاء لم تجتمع لأي بقعة من بقاع الأرض حتى الكعبة.

كما أنهم يرون الذين يحجون البيت الحرام لا حرمة لهم لأنهم يفضلون زيارة قبر الحسين ويرونها تعدل حجة:

ففي كتاب كامل الزيارات لأبي القاسم جعفر بن محمد الشيعي ط دار السرور - بيروت ١٩٩٧ عقد أبوابًا كاملة بخصوص هذه المسألة:

الباب (٦٣): إن زيارة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ تعدل عمرة.

الباب (٦٤): إن زيارة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ تعدل حجة.

الباب (٦٥): إن زيارة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ تعدل حجة وعمرة.

الباب (٦٠): إن زيارة الحسين والأئمة تعدل زيارة قبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الباب (٥٩): من زار الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كمن زار الله في عرشه [١].

---

(١) عبد الله الموصلي، حقيقة الشيعة، ص ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤.

ومن خيانات الشيعة القرامطة:

أنه في سنة ٣١٧هـ خرج القرمطة إلى مكة في يوم التروية فقاتلوا الحجيج في رحاب مكة وشعابها، وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وجلس أميرهم أبو طاهر لعنه الله على باب الكعبة والرجال تصرع حوله والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية، الذي هو من أشرف الأيام.. وكان الحجيج يفرون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة، فلا يجدي ذلك عنهم شيئا، بل يقتلون وهم متعلقون بها.. ولما قضى القرمطي اللعين أبو طاهر أمره وفعل ما فعل بالحجيج؛ أمر بردم بئر زمزم بإلقاء القتلى فيها وهدم قبتها، وأمر بخلع الكعبة ونزع كسوتها عنها وشققها بين أصحابه.. ثم أمر رجلاً من رجاله بأن يقلع الحجر الأسود، فجاء رجل فضربه بمثقل كان في يده وقال أين الطير الأبابيل؟ أين الحجارة من سجيل؟

ثم قلع الحجر الأسود، وأخذوه حين راحوا معهم إلى بلادهم، فمكث عندهم ثنتين وعشرين سنة، حتى ردوه في سنة ٣٣٩هـ فإنا لله وإنا إليه راجعون"[١].

أرأيت كيف كانت خيانتهم وإفسادهم في الأرض في ديار المسلمين؟

أرأيت كيف كان ذكرهم يثير الزعر والهلع في قلوب الناس؟

أرأيت كيف كانت فعالهم في حجاج بيت الله الحرام.. فعالاً ما فعلها أهل الجاهلية الأولى، الذين كان الرحل منهم إذا رأى قاتل أبيه في الحرم ما اجترئ على أن يسل سيفه في غمده، فضلاً عن أن يقتل ما تعلق بأستار الكعبة ولاذ بالبيت.

إنها فعالاً ما تمكن من مثلها أبرهة النصراني، وما قبلت الحيوانات الأعجمية - الفيلة - أن تركتبها، فكلما وجهت نحو البيت المشرف لتناله بسوء أعرضت ونأت، فإنا لله وإنا إليه راجعون[٢].

---

(١) البداية والنهاية، ١١/ ١٦٠، ١٦١، والكامل في التاريخ، ٧/ ٥٣، ٥٤.

(٢) د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية،

خيانات الوزير مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمد العلقمي الشيعي في دخول التتار بغداد:

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى – في أحداث سنة ٦٤٢هـ:

"وفيها استوزر الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين أبا طالب محمد بن علي بن محمد العلقمي المشئوم على نفسه وعلى أهل بغداد الذي لم يعصم المستعصم في وزارته، فإنه لم يكن وزير صدق ولا مرضي الطريقة؛ فإنه هو الذي أعان على المسلمين في قضية هولاكو قبحه الله وإياهم"[1].

. وقال ابن كثير أيضًا في أحداث ٦٥٦هـ والتي جاء فيها الطوفان التتاري إلى بغداد دار الخلافة العباسية:

"استهلت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمة عساكر سلطان التتار هولاكو خان وجاءت إليهم أمداد صاحب الموصل يساعدونهم على البغاددة وميرته وهداياه وتحفه، وكل ذلك خوفًا على نفسه من التتار، ومصانعة لهم قبحهم الله تعالى.. وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب..

وكان قدوم هولاكو خان بجنوده كلها، وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل.. وهو شديد الحنق على الخليفة بسبب.. أن هولاكو خان لما كان أول بروزه من همدان متوجهًا إلى العراق أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سَنِيَة ليكون ذلك مداراة له عما يريده من قصد بلادهم، فخذل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أيبك، وقالوا: إن الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال، وأشاروا بأن يبعث بشيء يسير فأرسل شيئًا من الهدايا فاحتقرها هولاكو خان، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور وسليمان شاه، فلم يبعثهما إليه، ولا بالا به حتى أزف قدومه ووصل بغداد بجنوده الكثير الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة، ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فأحاطوا

ص٤٠.

(١) البداية والنهاية (١٣/ ١٦٤).

ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية ، وجيوش بغداد في غاية الضعف ونهاية الذلة ، لا يبلغون عشرة آلاف فارس وهم بقية الجيش ، فكلهم كانوا قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد ، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ويحزنون على الإسلام وأهله ، وذلك كله من آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي ، وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة ، حتى نهبت دور قرابات الوزير ، فاشتد حنقه على ذلك ، فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد وإلى هذه الأوقات ، ولهذا كان أول من برز إلى التتار - أي ابن العلقمي - فخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه ، فاجتمع به السلطان هولاكو خان لعنه الله ، ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة ، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورؤوس الأمراء والدولة والأعيان ، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكو خان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفسًا ، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين ، وأنزل الباقون عن مراكبهم ونهبت ، وقتلوا عن آخرهم ، وأحضر الخليفة بين يدي هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة ، فيقال إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت ، ثم عاد إلى بغداد في صحبته خوجة نصير الدين الطوسي[1] والوزير ابن العلقمي وغيرهما ، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة ، فأحضر من دار الخلافة شيئًا كثيرًا من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة ، وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة ، وقال الوزير متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عامًا أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك ، وحسنوا له قتل الخليفة .

فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله ، ويقال: إن الذي أشار

(١) وهذا رافضي خبيث .

بقتله هو الوزير ابن العلقمي والمولى نصير الدين الطوسي ، وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الألموت وانتزعها من أيدي الإسماعيلية ، وكان النصير وزيرًا لشمس الشموس ولأبيه قبله علاء الدين بن جلال الدين ، وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير ، فلما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذلك ، فقتلوه رفسًا وهو في جوالق لئلا يقع على الأرض شيء من دمه . . فباؤوا بإثمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولي الحل والعقد ببلاده . . ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ ، والكهول والشبان ، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش ، وقني الوسخ وكمنوا كذلك أيامًا لا يظهرون ، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار ، ثم يدخلون عليهم فيهربون إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة . . وكذلك في المساجد والجوامع والربط ، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي وطائفة من التجار أخذوا لهم أمانًا بذلوا عليه أموالا جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم ، وعادت بغداد بعدما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس ، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة ، وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش ، وإسقاط اسمهم من الديوان ، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريبًا من مائة ألف مقاتل منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر والأكاسر ، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبقى سوى عشرة آلاف ، ثم كاتب التتار وطمعهم في البلاد وسهل عليهم ذلك وحكى لهم حقيقة الحال ، وكشف لهم ضعف الرجال ، وذلك كله طمعًا منه أن يزيل السنة بالكلية ، وأن يظهر البدعة الرافضة ، وأن يقيم خليفة من الفاطميين ، وأن يبيد العلماء والمفتين والله غالب على أمره".

وكان الوزير ابن العلقمي الرافضي الخائن شديد الحنق على العلماء من أهل السنة ، حتى أنه كان يتشفى بقتلهم ، ومن أبرزهم في ذلك الوقت

الشيخ محيي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي وهو وأولاده الثلاثة "عبد الله وعبد الرحمن وعبد الكريم" وأكابر الدولة واحدًا واحدًا، وكان الرجل يستدعي به من دار الخلافة فيذهب به إلى مقبرة الغلال فيذبح كما تذبح الشاة، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه، وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن النيار، وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد، وأراد الوزير ابن العلقمي قبحه الله ولعنه أن يعطل المساجد والمدارس ببغداد ويستمر بالمشاهد ومحال الرفض، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون علمهم وعَلَمهم بها وعليها.

تقديرات ضحايا هذه الخيانة الشيعية:

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الواقعة، فقيل ثمانمائة ألف وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف، وقيل بلغت القتلى ألفي ألف نفس، فإنا لله وإنا إليه راجعون".

"القتلى في الطرقات كأنها التلال، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو، وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون"[1].

بعد عرض تفاصيل هذه الخيانة الرافضية يجب التأكيد علي أمرين:

الأول: لا نستطيع أن نقول إلا أن حال الخليفة العباسي في ذلك الوقت كان في غاية السوء، وفساد الرأي والتدبير، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولم تكن أيدي بني العباس حاكمة على جميع البلاد، وكما كانت بنو أمية قاهرة لجميع البلاد والأقطار والأمصار، فإنه خرج عن بني العباس . . دول حتى لم يبق مع الخليفة إلا بغداد وبعض بلاد العراق، وذلك لضعف خلافتهم واشتغالهم بالشهوات وجمع الأموال في أكثر الأوقات".

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٠ - ٢٠٣).

الثاني: العجب كل العجب من أمر هذا الوزير الرافضي كيف فعل ما فعل برغم تسامح الخليفة السني العباسي من استوزاره له في حين أن الشيعة متى صارت لهم دولة فإنهم لا يمكنون أهل السنة من الوصول إلى أي مناصب قيادية وهذا أمر مضطرد حتى الآن عندهم؛ ففي إيران المعاصرة يحكي الأستاذ ناصر الدين الهاشمي في بيان موقف أهل السنة في إيران، وهو يبين الأمور التي يمنع منها السنة هناك مثل بناء المساجد في المدن الكبيرة، ومنع طبع كتبهم، والإفتاء لهم بمذهبهم.

قال: "وأهل السنة ممنوعون من العمل في الإدارات الحكومية حيث لا يوظف منهم ولو من حملة شهادات الدكتوراه، لا بالوظائف المهمة ولا غير المهمة، ناهيك عن القلة القليلة الباقية من النظام السابق في الإدارات الحكومية وذلك بعد تطهير واسع بعد الثورة"(١).

كلام حول الدافع في خيانة ابن العلقمي:

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أحداث ٦٥٥هـ: "وفيها كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة، فنهبت الكرخ ودور الرافضة حتى دور قرابات الوزير ابن العلقمي وكان ذلك من أقوى الأسباب في ممالأته للتتار"(٢).

وقد يكون هذا بعض الدافع، ولكن الحقيقي لخيانة هذا الرافضي الخبيث هو ما يكنه من عقائد، وقد بينا في البداية أنهم لا يرون إقامة الجهاد إلا بحضور المهدي "وهو إمامهم الثاني عشر" روي الكليني صاحب الكافي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال:

"كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عز وجل" وذكر هذه الرواية أيضًا شيخهم الحر العاملي في وسائل الشيعة.

وفي الصحيفة السجادية الكاملة: "عن أبي عبد الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: ما خرج ولا يخرج منا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلمًا أو ينعش حقًا

---

(١) د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص٥٥.

(٢) البداية والنهاية (١٣/ ١٩٦).

إلا اصطلته البلية، وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشيعتنا".

وروى محدثهم النوري الطبرسي في مستدرك الوسائل: "عن أبي جرف عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: مثل من خرج منا أهل البيت قبل قيام القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ مثل فرخ طار ووقع من وكره فتلاعبت به لصبيان".

فهل كان يرجى من هؤلاء أن يعلنوا الجهاد ضد التتار أو غيرهم وهم يروننا كفارًا، ومهديهم لم يخرج؟[1]

خيانة الشيعة عند دخول التتار:

جاء التتار إلى بلاد الشام في عام ٦٥٨هـ صحبة ملكهم هولاكو خان وجاوزا الفرات على جسور عملوه، ووصلوا إلى حلب في ثاني صفر من هذه السنة، فحاصروها سبعة أيام ثم افتتحوها بالأمان ثم غدروا بأهلها، وقتلوا منهم خلقًا لا يعلمهم إلا الله عز وجل، ونهبوا الأموال، وسبوا النساء والأطفال، وجرى عليهم قريبًا مما جرى على أهل بغداد.

ولما سقطت حلب أرسل صاحب حماة بمفاتيحها إلى هولاكو خان فاستناب عليها رجل يقال له خسروشاه، فخرب أسوارها كمدينة حلب، ثم أرسل هولاكو قائده كتبغا إلى دمشق فأخذوها سريعًا بلا مصانعة ولا مدافعة واستناب عليها رجلا منهم يقال له إيل سيان وكان معظمًا لدين النصارى، فاجتمع به قسوسهم وأساقفتهم فعظمهم جدًّا وزار كنائسهم فصارت لهم دولة وصولة بسببه، وذهب طائفة من النصارى إلى هولاكو وأخذوا معهم هدايا وتحف، وقدموا من عنده ومعهم فرمان أمان من جهته فدخلوا من باب توما ومعهم صليب منصوب يحملونه على رؤوس الناس وهم ينادون بشعارهم، ويقولون ظهر الدين الصحيح دين المسيح ويذمون دين الإسلام وأهله، ومعهم أواني خمر لا يمرون بمسجد إلا رشوا عنده خمرًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومما يدل على خيانة الروافض - هنا أن هولاكو لما أتم تدمير دمشق

---

(١) عبد الله الموصلي: حقيقة الشيعة" ص١٧٠، ١٧١، د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص٥٥.

وبلاد الشام أرسل تقليدًا بولاية القضاء على جميع المدائن الشام والجزيرة والموصل وماردين والأكراد للقاضي كمال الدين عمر بن بدر التفليسي الشيعي ، ويدل على تآمر الشيعة أيضًا أنه لما ظفر المسلمون على التتار في واقعة عين جالوت بقيادة الملك المظفر قطز عوّل أهل الشام على الانتقام من الخونة من النصارى الذين استغلوا الفرصة وفعلوا ما فعلوا ومن الشيعة الذين مالئوا التتار وصانعوهم على أموال المسلمين وقتل العامة وشيخهم الفخر محمد بن يوسف بن محمد الكنجي ، قال عنه ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"شيخًا رافضيًا كان مصانعًا للتتار على أموال المسلمين ، وكان خبيث الطوية ، مشرقيًا ممالئًا لهم على أموال المسلمين قبحه الله ، وقتلوا جماعة مثله من المنافقين ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين"[1] .

ومن طريف ما يذكر ويدلل على أن أهل السنة لم يكونوا بغاة ظالمين في الانتقام من النصارى والشيعة بعد ظفرهم بالتتار بحمد الله ، أن طائفة منهم همت أن تعاقب اليهود ، فقيل لهم أنه لم يكن منهم من الطغيان كما كان من عبدة الصلبان .

فالله أكبر على السنة وأهلها ، لا خيانة ولا ظلم ولا تعدي ، وإن عاقبوا قومًا فبمثل ما عوقبوا به ، وإن اعتدوا على قوم فبمثل ما اعتُدي به عليهم .

وسبحان الله الذي جعل الجزاء من جنس العمل ، فإن هؤلاء الخونة كان الله تعالى ينتقم منهم بأيدي من خانوا من أجلهم ومالؤوهم حتى أن ابن كثير يذكر أن هولاكو ملك التتار استحضر الزين الحافظي وهو سليمان بن عامر العقرباني ، وقال له: ثبت عندي خيانتك ، وقد كان هذا المغتر لما قدم التتار مع هولاكو دمشق وغيرها مالأ على المسلمين وآذاهم ودل على عوراتهم ، فسلطه الله عليه بأنواع العقوبات ، ومن أعان ظالمًا سلطه عليه[2] .

(١) البداية والنهاية ، ١٣/ ٢٢١ ، عماد علي عبد السميع حسين ، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية ، ص٥٥ .

(٢) انظر البداية والنهاية ، ١٣/ ٢٤٤ ، د . عماد علي عبد السميع حسين ، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية ، ص٥٥ .

خيانات نصير الدين الطوسي:

نصير الدين الطوسي هذا كان معاصرًا للوزير ابن العلقمي، وكان شيعيًّا رافضيًّا خبيثًا مثله، تعددت خياناته؛ فكانت ما بين إعانة على قتل أهل السنة وأخذ أموالهم والقضاء على تراثهم الفكري.

أما خيانته في الإعانة على قتل أهل السنة فثابت مستفيض، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

"الخواجا نصير الدين الطوسي وزر لأصحاب قلاع الألموت من الإسماعيلية، ثم وزر لهولاكو، وكان معه في واقعة بغداد".

وقال في موضوع آخر: "كان النصير وزيرًا لشمس الشموس ولأبيه قبله علاء الدين بن جلال الدين، وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدي، وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير، فلما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة - أي في واقعة بغداد ٦٥٦هـ - هون عليه الوزير - الطوسي - ذلك فقتلوه رفسا، وهو في جوالق لئلا يقع على الأرض شيء من دمه وأشار الطوسي بقتل جماعة كبيرة - من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء وأولي الحل والعقد - مع الخليفة فباء بآثامهم"(١).

والشيعة الملاعين يمتدحون ما فعله الطوسي من الخيانة، ويترحمون عليه ويرونه نصرًا حقيقيًّا للإسلام، فمثلاً:

يقول علامتهم محمد باقر الموسى في روضات الجنات في ترجمة الطوسي: "هو المحقق المتكلم الحكيم المتجبر الجليل.. ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره للسلطان المحتشم في محروسة إيران هولاكو خان بن تولي جنكيز خان من عظماء سلاطين التتارية، وأتراك المغول ومجيئه في موكب السلطان مؤيد مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد؛ لإرشاد العباد وإصلاح البلاد، وقطع دابر سلسلة البغي والفساد، وإخماد دائرة الجور والإلباس بإبداد دائرة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام في أتباع أولئك الطغاة إلى أن سال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار فانهار بها في ماء

(١) البداية والنهاية، ١٣/ ٢٦٧، ٢٠١.

دجلة، ومنها إلى نار جهنم دار البوار، ومحل الأشقياء والأشرار".

فيا سبحان الله! الخيانة إرشاد للعباد وإصلاح للبلاد!!

وصدق ربنا - عز وجل - فيما قاله في مثل هؤلاء الخونة المفسدين:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١، ١٢].

وقد امتدح الخميني نصر الدين الطوسي وبارك خيانته هذه واعتبرها نصرًا حقيقيًا للإسلام، قال في كتابه الحكومة الإسلامية:

".. وإذا كانت ظروف التقية تلزم أحدًا منا بالدخول في ركب السلاطين فهنا يجب الامتناع عن ذلك حتى لو أدى الامتناع إلى قتله إلا أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للإسلام والمسلمين مثل دخول علي بن يقطين، ونصير الدين الطوسي ↓".

ويقول أيضًا عنه: "ويشعر الناس بالخسارة أيضًا بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي وأمثاله ممن قدموا خدمات جليلة للإسلام".

وهكذا عندما تنتكس الموازين تصبح خيانة الإسلام والمسلمين خدمات جليلة للإسلام والمسلمين!!.

ألا لعنة الله على من لم يقيموا الوزن بالقسط وأخسروا الميزان.

وتعدت خيانة الطوسي الخيانة في القتل إلى نوع خطير من الخيانة إنه خيانة الأمة الإسلامية في حضارتها، في تراثها وفكرها وثقافتها.

فإن الطوسي نظرًا لأنه كان له معرفة بالعلوم وخصوصًا علم الكلام والفلسفة والمنطق.. فطن أن توجيه هذه الضربة القاصمة للأمة الإسلامية في تراثها الحضاري والفكري فسعى في إهلاك المؤلفات وإتلافها وسرقتها واستبقاء الفلاسفة والمنجمين[١].

---

(١) د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص٦٠.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"وفي سنة ٦٥٧هـ[١] عمل الخواجة نصير الدين الطوسي الرصد بمدينة مراغة ونقل إليها شيئًا كثيرًا من كتب الأوقاف التي كانت ببغداد، وعمل دارًا للحكمة ورتب فيها الفلاسفة، ورتب لكل واحد في اليوم والليلة ثلاثة دراهم"[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد، وزير الملاحدة النصير الطوسي وزير هولاكو شفا نفسه من أتباع الرسول الكريم - وأهل دينه، فعرضهم على السيف، حتى شفا إخوانه من الملاحدة، واشتفى هو فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين، واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة، ونقل أوقاف المدارس والمساجد والربط إليهم، وجعلهم خاصته وأولياءه، ونصر في كتبه قدم العالم وبطلان المعاد وإنكار صفات الرب جل جلاله من علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، وليس فوق العرش إله يعبد ألبتة، واتخذ للملاحدة مدارس، ورام جعل إشارات إمام الملحدين ابن سينا مكان القرآن، فلم يقدر على ذلك، فقال هي قرآن الخواص، وذاك قرآن العوام، ورام تغيير الصلاة وجعلها صلاتين فلم يتم له الأمر وتعلم السحر في آخر الأمر، فكان ساحرًا يعبد الأصنام، وصارع محمد الشهرستاني ابن سينا في كتابه سماه المصارعة أبطل فيه قوله بقدم العالم وإنكار المعاد ونفي علم الرب تعالى وقدرته وخلقه للعالم، فقام له نصير الإلحاد وقعد، ونقضه بكتاب سماه مصارعة المصارعة.. وبالجملة فكان هذا الملحد هو وأتباعه من الملحدين الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر"[٣].

(١) أي بعد دخول التتار بغداد، وأصبح هذا الكلب متصرفًا في البلاد.
(٢) البداية والنهاية (١٣/ ٣١٥).
(٣) ابن القيم: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٢٦٣).

وقال الشيخ محب الدين الخطيب:

"النصير الطوسي . جاء في طليعة موكب السفاح هولاكو ، وأشرف معه على إباحة الذبح العام في رقاب المسلمين والمسلمات ، أطفالاً وشيوخًا ، ورضي بتغريق كتب العلم الإسلامية في دجلة ، حتى بقيت مياهها تجري سوداء أيامًا وليالي من مداد الكتب المخطوطة التي ذهب بها نفائس التراث الإسلامي من تاريخ وأدب ولغة وشعر وحكمة ، فضلاً عن العلوم الشرعية ومصنفات أئمة السلف من الرعيل الأول ، التي كانت لا تزال موجودة بكثرة إلى ذلك الحين ، وقد تلف مع ما تلف من أمثالها في تلك الكارثة الثقافية التي لم يسبق لها نظير"[١] .

ولقد لفتت هذه الخيانة الحضارية والثقافية نظري إلى أمر هام وهو أننا حين نقرأ في كتب تراجم الرجال أو الكتب التي عنيت بتسجيل أسماء الكتب نسمع عن عشرات ومئات من المصنفات الضخام ، ولكن نفاجأ بأنه لم يصل إلينا منها إلا القليل ، فندرك أن مثل هذه الخيانة الحضارية الثقافية كانت وراء ضياع كثير من هذه المؤلفات القيمة ، حتى جاء الاستعمار الحديث فسرق عشرات الموسوعات العلمية من تراث هذه الأمة ونقلها إلى بلاده ، ومن يدري لعل أيدي الخيانة الشيعية هي التي فعلت بتراث الأمة حديثًا ما فعلته قديمًا .

جدير بالذكر أنه في الحرب الأخيرة على العراق لما جاء التتار الجد بقيادة "هولاكو بوش" بغداد نتيجة الخيانة وسادت الفوضى في البلاد عمد الشيعة إلى أماكن السجلات والوثائق فنهبوها عن آخرها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون[٢] .

خيانات الشيعة ومحاولاتهم الفتك بصلاح الدين الأيوبي:

لم ينس الشيعة أن صلاح الدين الأيوبي هو الذي أزل دولتهم الفاطمية

(١) محب الدين الخطيب: الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الاثنى عشرية (ص٤٧ ، ٤٨) .

(٢) د. عماد علي عبد السميع حسين . خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية ، ص٦٩ .

في مصر ومهد للسنة من جديد، لذلك حاولوا مرارًا الفتك به لإقامة الدولة الفاطمية من جديد، واستعانوا في هذه المؤامرات بالفرنج وكاتبوهم.

يقول المقريزي في السلوك:

"وفيها - أي سنة ٥٦٩هـ - اجتمع طائفة من أهل القاهرة على إقامة رجل من أولاد العاضد - آخر خليفة فاطمي بمصر - وأن يفتكوا بصلاح الدين وكاتبوا الفرنج؛ ومنهم القاضي المفضل ضياء الدين نصر الله بن عبد الله بن كامل القاضي، والشريف الجليس، ونجاح الحمامي، والفقيه عمارة بن علي اليماني، وعبد الصمد الكاتب، والقاضي الأعز سلامة العوريس متولي ديوان النظر ثم القضاء، وداعي الدعاة عبد الجابر بن إسماعيل بن عبد القوي، والواعظ زين الدين بن نجا، فوشى ابن نجا بخبرهم إلى السلطان، وسأله أن ينعم عليه بجميع ما لابن كامل الداعي من الدور والموجود كله، فأجيب إلى ذلك؛ فأحيط بهم وشنقوا.. وتتبع - أي صلاح الدين - من له هوى في الدولة الفاطمية، فقتل كثيرًا وأسر كثيرًا، ونودي بأن يرحل كافة الأجناد وحاشية القصر، وزاجل السودان إلى أقصى بلاد الصعيد، وقبض على رجل يقال له قديد بالإسكندرية من دعاة الفاطميين يوم الأحد خامس عشر من رمضان"[1].

وبرغم قتل الخائنين المتآمرين إلا أن الفرنجة جاؤوا حسب المكاتبة.

قال المقريزي: "وفيها نزل أسطول الفرنج بصقلية على ثغر الإسكندرية لأربع بقين من ذي الحجة بغتة وكن الذي جهز هذا الأسطول غاليالم بن رجار متملك صقلية ولي بعد أبيه في سنة ٥٦٠هـ.. ولما أرسى هذا الأسطور على البر أنزلوا من طرائدهم ألفًا وخمسمائة فرس، وكانت عدتهم ثلاثين ألف مقاتل، ما بين فارس وراجل وعدة السفن التي تحمل آلات الحرب، والحصار ست سفن والتي تحمل الأزواد والرجال أربعين مركبًا فكانوا نحو الخمسين ألف راجل، ونزلوا على البر مما يلي المنارة، وحملوا على المسلمين حتى أوصلوهم إلى السور، وقتل من المسلمين سبعة،

(١) السلوك لمعرفة دولة الملوك، ١/ ٥٣، ٥٤.

وزحفت مراكب الفرنج إلى الميناء، وكان بها مركب المسلمين فغرقوا منها، وغلبوا على البر وخيموا به، فأصبح لهم على البر ثلاثمائة خيمة، وزحفوا لحصار البلد، ونصبوا ثلاث دبابات بكباشها وثلاثة مجانيق كبار تضرب بحجارة سود عظيمة، وكان السلطان - صلاح الدين - على فاقوس، فبلغه الخبر ثالث يوم نزول الفرنج؛ فشرع في تجهيز العساكر وفتحت الأبواب وهاجم المسلمون الفرنج وحرقوا الدبابات، وأيدهم الله بنصره :. وقتل كثير من الفرنج، وغنم المسلمون من الآلات والأمتعة والأسلحة ما لا يُقدر على مثله إلا بعناء، وأقلع باقي الفرنج في مستهل سنة سبعين"[1].

أرأيت كم حجم الخيانة ومقدارها لولا أن مَنَّ الله على صلاح الدين ورجاله ونصرهم، وبالطبع كما قال المقريزي بعد عناء وأرواح ودماء أسيلت، وما هذا إلا بفعل الشيعة.

ولم تكد تمضي هذه السنة ٥٦٩هـ وتدخل سنة ٥٧٠هـ حتى دبر الشيعة خيانة أخرى لإقامة الدولة الفاطمية والفتك بصلاح الدين[2].

قال المقريزي:

".. وفيها جمع كنز الدولة والي أسوان العرب والسودان وقصد القاهرة يريد إعادة الدولة الفاطمية، وأنفق في جموعه أموالاً جزيلة، وانضم إليه جماعة ممن يهوى هواهم، فقتل عدة من أمراء صلاح الدين، وخرج في قرية طود رجل يعرف بعباس بن شادي، وأخذ بلاد قوص، وانتهب أموالها؛ فجهز السلطان صلاح الدين أخاه الملك العادل في جيش كثيف ومعه الخطير مهذب بن مماتي فسار وأوقع بشادي وبدد جموعه وقتله.

ثم سار فلقيه كنز الدولة بناحية طود، وكانت بينهما حروب فر منها كنز الدولة بعد ما قتل أكثر عسكره، ثم قتل كنز الدولة في سابع صفر، وقدم العادل إلى القاهرة .."[3].

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/ ٥٥/ ٥٦.
(٢) د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص٨٢.
(٣) السلوك لمعرفة دول الملوك، (١/ ٥٧، ٥٨).

ولم تكن هذه الخيانة مجرد مؤامرة لفتك بصلاح الدين السني الذي أزال دولة الشيعة في مصر، وإنما ترتب عليها أن استفحل خطر الفرنجة في بلاد الشام، وعندما عزم السلطان صلاح الدين على التوجه إليهم كان من أهم معوقاته خيانة الشيعة له في داخل سلطنته بمصر.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"استهلت سنة ٥٧٠هـ والسلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب قد عزم على الدخول إلى بلاد الشام لأجل حفظه من الفرنج، ولكن دهمه أمر شغله عنه، وذلك أن الفرنج قدموا إلى الساحل المصري في أسطول لم يسمع بمثله في كثرة المراكب وآلات الحرب والحصار والمقاتلة..

ومما عوق الملك الناصر عن الشام أيضًا رجلاً يعرف بالكنز سماه بعضهم عباس بن شادي، وكان من مقدمي الديار المصرية والدولة الفاطمية، كان قد استند إلى بلد يقال له أسوان، وجعل يجمع عليه الناس فاجتمع عليه خلق كثير من الرعاع من الحاضرة والغربان وكان يزعم أنه سيعيد الدولة الفاطمية ويدحض الأتابكة التركية.."[1].

ولما تمهدت البلاد، ولم يبق فيها رأس من الدولة العبيدية - الفاطمية - برز صلاح الدين في الجيوش التركية قصدًا البلاد الشامية، وذلك حين مات سلطانها نور الدين محمود بن زنكي، وأخيف سكانها، وتضعضعت أركانها، واختلف حكامها.. وقصده جمع شملها، والإحسان إلى أهلها، ونصرة الإسلام، ودفع الطغام، وإظهار القرآن، وإخفاء سائر الأديان، وتكسير الصلبان، في رضى الرحمن، وإرغام الشيطان.. فدخل دمشق وجاءه أعيان البلد للسلام عليه فرأوا منه غاية الإحسان.. ثم نهض إلى حلب مسرعًا لما فيها من التخبيط والتخليط، واستناب على دمشق أخاه طغتكين بن أيوب الملقب بسيف الإسلام، فلما اجتاز حمص أخذ ربضها، ولم يشتغل بقلعتها، ثم سار إلى حماه فتسلمها من صاحبها عز الدين بن جبريل، وسأله أن يكون سفيره بينه وبين الحلبيين؛ فأجابه إلى ذلك، فسار

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٢٨٧، ٢٨٨).

إليهم ، فحذرهم باسم صلاح الدين ؛ فلم يلتفتوا إليه ، بل أمروا بسجنه واعتقاله ، فأبطأ الجواب على السلطان ؛ فبعث إليهم كتابًا يلومهم فيه على ما هم فيه من الاختلاف وعدم الائتلاف . . وذكرهم بأيامه وأيام أبيه وعمه في خدمة نور الدين في المواقف المحمودة التي يشهد بها أهل الدين ، ثم سار إلى حلب فنزل على جبل جوشن"[1] .

"وهنا نزغ الشيطان الإنسي في قبل ابن الملك نور الدين محمود أن يحرض أهل حلب على قتال صلاح الدين وذلك بإشارة من الأمراء المقدمين ، فأجابه أهل البلد بوجوب طاعته ، على كل أحد ، وشرط عليه الروافض منهم أن يعاد الآذان بحي على خير العمل . وأن يذكر في الأسواق ، وأن يكون لهم في الجامع الجانب الشرقي ، وأن يذكر أسماء الأئمة الاثنى عشر بين يدي الجنائز ، وأن يكبروا على الجنازة خمسًا ، وأن تكون عقود أنكحتهم إلى الشريف بن أبي المكارم حمزة الحسيني ، فأجيبوا إلى ذلك كله ، فأذن بالجامع وسائر البلد بحي على خير العمل وعجز أهالي البلد عن مقاومة الناصر ، وأعملوا في كيده كل خاطر ؛ فأرسلوا أولاً إلى شيبان صاحب الحسبة ، فأرسل نفرًا من أصحابه إلى الناصر ليقتلوه ؛ فلم يظفر منه بشيء ؛ بل قتلوا بعض الأمراء ثم ظهر عليهم فقتلوا عن آخرهم فراسلوا عند ذلك القومص صاحب طرابلس الفرنجي ووعدوه بأموال جزيلة إن هو رحل عنهم الناصر وكان هذا القومص قد أسره نور الدين وهو معتقل عنده مدة عشر سنين ، ثم افتدى نفسه . . وكان لا ينساها لنور الدين . ."[2] .

"وفي سنة ٥٧١هـ في رابع عشر ذي الحجة ، وثب عدة من الإسماعيلية على السلطان صلاح الدين فظفر بهم بعدما جرحوا عدة أمراء والخواص"[3] .

هذه بعض النماذج لخيانات الشيعة ومحاولاتهم الفتك بالملك الناصر – ناصر السنة – صلاح الدين رَحِمَهُ اللَّهُ ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين[4] .

---

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٢٨٨ ، ٢٨٩) .
(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٢٨٩) . .
(٣) السلوك لمعرفة دول الملوك (١/ ٦١) .
(٤) د . عماد علي عبد السميع حسين ، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية ،

وتبرز هنا خيانات الفاطميين فقد أرسل بدر الجمالي وزير المستعلي - الفاطمي الشيعي - سنة ٤٩٠هـ سفارة من قبله إلى قادة الحملة الصليبية الأولى تحمل عرضًا خلاصته أن يتعاون الطرفان للقضاء على السلاجقة في بلاد الشام، وأن تقسم البلاد بينهما بحيث يكون القسم الشمالي من الشام للصليبيين في حين يحتفظ الفاطميون بفلسطين.

ولما كان هدف الصليبيين هو السيطرة على بيت المقدس فقد كان ردهم غامضًا واكتفوا ببث شعور الطمأنينة في نفوس الفاطميين واكتشفوا بذلك ضعف المسلمين وتفككهم.

ولما قام الأمير "كربوق" صاحب الموصل - من قبل السلاجقة بتجهيز قوة لمنع سقوط أنطاكية بيد الصليبيين وقف الفاطميون موقف المتفرج، ولم يكتفوا بذلك بل استغلوا هذه الفرصة فسيروا جيشًا إلى بيت المقدس الذي كان بيد السلاجقة وحاصروه، ونصبوا عليه أكثر من أربعين منجنيقا حتى تهدمت أسواره وسيطروا عليه[1].

واستغل زعماء الشيعة الإسماعيلية الخلاف بين بعض السلاطين السلاجقة في نحو سنة ٤٨٨هـ، وتقربوا من رضوان بن تاج الدولة تتش الذي كان على بلاد الشام، وحصلوا عنده على مكانة مرموقة فتشيع لآرائهم، ولم يعبأ بما أحرزه الصليبيون من انتصارات واستيلاء على بعض بلاد الإسلام في آسيا الصغرى فقد استولوا على أنطاكية سنة ٤٩١هـ ثم سيطروا على المعرة عام ٤٩٢هـ ثم واصلوا سيرهم إلى جبل لبنان؛ فقتلوا من به من المسلمين، ثم نزلوا إلى حمص فهادنهم صاحبها على مال يدفعه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"في جمادى الأولى سنة ٤٩١هـ ملك الفرنجة أنطاكية بعد حصار شديد بمواطأة بعض المستحفظين على الأبراج وهرب صاحبها.. ولما بلغ الخبر

ص٨٨.

(١) د/ أنس أحمد كرزون: نور الدين محمود زنكي القائد المجاهد (٩ - ١١) بتصرف - دار ابن حزم - بيروت ١٩٩٥م.

الأمير كربوق صاحب الموصل جمع عساكر كثيرة واجتمع عليه دقاق صاحب دمشق وجناح الدولة صاحب حمص وغيرهما ، وسار إلى الفرنج فالتقوا معهم بأرضٍ أنطاكية فهزمهم الفرنج ، وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا ، وأخذوا منهم أموالاً جزيلة . . ثم صارت الفرنج إلى معرة النعمان ؛ فأخذوها بعد حصار ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ضياع بيت المقدس بسبب خيانات الشيعة:

"وفي سنة ٤٩٢هـ أخذت الفرنج بيت المقدس ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان ، وكانوا في نحو ألف ألف مقاتل ؛ وقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين ، وجاسوا خلال الديار ؛ وعلوا ما علوا تتبيرًا ، . . وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق مستغثين على الفرنج إلى الخليفة والسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه . . وخرج أعيان الفقهاء يحرضون الناس والملوك على الجهاد فلم يفد ذلك شيئًا : فإنا لله وإنا إليه راجعون"[1] .

وأنشد بعضهم يصور الموقف المهين:

مزجنا دمانا بالدموع السواجم ::: وشر سلاح المرء دمع يريقه
فأيها بني الإسلام إن وراءكم ::: وكيف تنام العين ملء جفونه
وإخوانكم بالشام يضحى مقيلهم ::: تسومهم الروم الهوان
وأنتم فلم يبق منا عرضة للمراجم ::: إذا الحرب شيت نارها بالصوارم
وقائع يلحقن الذي بالمناصم ::: على هفوات أيقظت كل نائم
ظهور المذاكي أو بطون القشاعم ::: تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

ومنها قوله:

مزجنا دمانا بالدموع السواجم ::: فلم يبق منا عرضة للمراجم
وشر سلاح المرء دمع يريقه ::: إذا الحرب شيت نارها بالصوارم
فأيها بني الإسلام إن وراءكم ::: وقائع يلحقن الذي بالمناصم

(١) البداية والنهاية ١٢/١٥٦ .

وكـيف تـنام العين ملء جفونه : : علـى هفـوات أيقظت كل نائم

وإخـوانكم بالشام يضحى مقيلهم : : ظهـور المذاكي أو بطون القشاعم

تـسومهم الـروم الهـوان وأنتم : : تجـرون ذيـل الخفض فعل المسالم

ومنها قوله:

وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة : : تظـل لهـا الوالدان شيب القوادم

وتلك حروب من يغيب عن غمارها : : ليـسلم يقـرع بعدها هاش نادم

سـللن بأيـدي المشركين قواضبا ::: سـتغمد منهم في الكلي والجماجم

أرى أمـتي لا يـشرعون إلى العدا ::: رمـاحهم والـدين واهي الدعائم

ويجتنـبون الـنار خوفًا من الردى ::: ولا يحـسبون العـار ضربة لازم

أيرضـى صناديد الأعاريب بالأذى ::: ويغـضي على ذل كماة الأعاجم

فليـتهموا إذ لم يـذودوا حمـية ::: عـن الـدين ضـنوا غيرة بالمحارم

وإن زهدوا في الأجر إذ حمس الوغى ::: فهـلا أتـوه رغـبة في المغـانم[1]

ومـن أجـل أن تعلم أن ضياع بيت المقدس كانت نتيجة لخيانات الشيعة ومـا يحدثـونه مـن قلاقـل واضطراب يحول دون استتباب الأمور؛ اسمع ما يقوله ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

في سنة ٤٩٤هـ عظم خطب الباطنية - الشيعة - بأصبهان نواحيها فقتل السلطان منهم خلقًا كثيرًا وأبيحت ديارهم للعامة، ونودي فيهم أن كل من قدرتم عليه فاقتلوه وخذوا ماله، وكان قد استحوذوا على قلاع كثيرة، وأول قلعـة ملكـوها في سنة ٤٨٣هـ، وكـان الذي ملكها الحسن بن صباح أحد دعـاتهم.. كان يذكر في دعوته أشياء من أخبار أهل البيت وأقاويل الرافضة الـضلال، وأنهـم ظلمـوا ومـنعوا حقهـم الذي أوجبه الله لهم ورسوله، ثم يقول فإذا كانت الخوارج تقاتل بني أمية لعلي، فأنت أحق أن تقاتل في نصرة إمامـك علـي بـن أبـي طالـب.. وقـد تهـدده قبل ذلك السلطان ملكشاه، وأرسـل إلـيه بفتاوى العلمـاء في أمـره؛ فلمـا قـرأ الكـتاب بحضرة رسول الـسلطان قـال لمـن حـوله مـن الشباب: إني أريد أن أرسل منكم رسولاً إلى

(١) الأبيات كلها: من البداية والنهاية (١٢/ ١٥٦، ١٥٧).

مولاه فاشرأبت وجوه الحاضرين، ثم قال لشاب منهم: اقتل نفسك؛ فأخرج سكينًا فقتل نفسه، وقال لآخر منهم ألق نفسك من هذا الموضع فرمى نفسه من رأس القلعة إلى أسفل؛ فتقطع ثم قال لرسول السلطان هذا هو الجواب[1].

"يعني أنه في قوم شديدو البأس والنكاية مع طاعتهم له أشد الطاعة، وفي سنة ٥٠٠هـ حاصر السلطان محمد بن ملكشاه قلاعًا كثيرة من حصون الباطنية فافتتح منها أماكن كثيرة، وقتل منهم خلقًا، واشتد القتال معهم في قلعة حصينة في رأس جبل منيع بأصبهان كان قد بناها السلطان ملكشاه ثم استحوذ عليها رجل من الباطنية يقال له أحمد بن عبد الله بن عطاء، فتعب المسلمون بسبب ذلك، فحاصرها ابنه السلطان محمد سنة حتى افتتحها وسلخ هذا الرجل وحشى جلده تبنًا وقطع رأسه وطاف به في الأقاليم"[2].

حصار قلعة من قلاع الباطنية يستهلك من جهد المسلمين سنة كاملة والمسجد الأقصى أسير في أيدي الفرنجة؟ إنهم كالخنجر في الظهر.

وفي نفس السنة سعى رضوان الذي تشيع لآراء الإسماعيلية إلى التصدي لزعيم سلاجقة الروم (قلج أرسلان) وهزمه وهو يحاول قتال الصليبيين حول الرها، ولم يكتف بهذا بل انضم إلى الصليبيين ضد الأمير جاولي صاحب حلب سنة ٥٠١هـ.

ولم يقدر الصليبيون هذا الموقف من رضوان بل حاصروا حلب سنة ٥٠٤هـ وضيقوا على أهلها حتى أكلوا الميتات وورق الشجر، وفرضوا على رضوان مبلغًا كبيرًا يحمله إليهم[3].

حتى أنه إذا حدث وحقق سلاطين المسلمين - من أهل السنة - نصرًا على الفرنجة؛ فإن هذا النصر كان يحزن الشيعة لأنهم يرون فيه قوة لجناب السنة وإلى ذاكرة التاريخ نضرب مثالاً على ذلك:

(١) البداية والنهاية (١٢/ ١٦٦، ١٦٧) بتصرف.
(٢) البداية والنهاية (١٢/ ١٦٦، ١٦٧) بتصرف.
(٣) مسفر الغامدي: الجهاد ضد الصليبيين، ص٤٥.

قال أبو الفدا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

"وفي سنة ٥٠٥هـ بعث السلطان غياث الدين بن محمد بن ملكشاه السلجوقي جيشًا كثيفًا صحبه الأمير مودود بن زنكي صاحب الموصل في جملة أمراء ونواب منهم صاحب تبريز وصاحب مراغة، وصاحب ماردين، وعلى الجميع مودود صاحب الموصل لقتال الفرنجة بالشام؛ فانتزعوا من الفرنجة حصونًا كثيرة، وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا ولله الحمد، ولما دخلوا دمشق دخل الأمير مودود إلى جامعها ليصلي فيه فجاءه باطني في زي سائل فطلب منه شيئًا فأعطاه فلما اقترب منه ضربه في فؤاده فمات في ساعته، ووجد رجل أعمى في سطح الجامع ببغداد معه سكين مسموم فقيل إنه كان يريد قتل الخليفة.. ".

خيانات الشيعة للسلطان جلال الدين بن خوارزم شاه:

كان جلال الدين بن خوارزم شاه من أكبر السلاطين السلاجقة وكان على مذهب السنة.

قال ابن كثير في أحداث سنة ٦٢٤هـ:

"فيها كانت عامة أهل تفليس الكرج، فجاؤوا إليهم فدخلوها فقتلوا العامة والخاصة ونهبوا سبوا وخربوا وأحرقوا، وخرجوا على حمية، وبلغ ذلك السلطان جلال الدين فسافر سريعًا ليدركهم فلم يدركهم، وفيها قتلت الإسماعيلية أميرًا كبيرًا من نواب جلال الدين بن خوارزم شاه، فسار إلى بلادهم فقتل منهم خلقًا كثيرًا وخرب مدينتهم وسبي زراريهم ونهب أمواهم، وقد كانوا قبحهم الله من أكبر العون على المسلمين لما قدم التتار إلى الناس وكانوا أضر على الناس منهم"(١).

خيانة البدر لؤلؤ الشيعي صاحب الموصل في أواخر سنة ٦٥٦هـ:

كان بدر الدين لؤلؤ هذا أرمينيا اشتراه رجل خياط، ثم صار إلى الملك نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود الأتاباكي صاحب الموصل وكان

(١) د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص٨٢ البداية والنهاية ١٥٦/١٢.

مليح الصورة فحظى عنده وتقدم في دولته إلى أن صارت الكلمة دائرة عليه، والوفود من سائر جهات ملكهم إليه، ثم إنه قتل أولاد أستاذه واحدًا بعد واحد إلى أن لم يبقى أحد منهم؛ وصفت له الأمور فاستقل هو بالملك وكان في كل سنة يبعث إلى مشهد علي قنديلاً من ذهب زنته ألف دينار، وهذا دليل على تشيعه، وكان ذا همة عالية شديد الدهاء والمكر بعيد الغور.

ثم إنه لما انفصل هولاكو عن بغداد بعد الوقعة الفظيعة سار بدر الدين لؤلؤ لخدمته وطاعته وحمل معه الهدايا والتحف[1]".

وما هذا إلا خيانة لأمانة الجهاد العظمى.

وبعد: فهذه بعض نماذج لخيانات الشيعة للدولة السلجوقية، وإضعاف جانبها لأنها كانت على مذهب أهل السنة، نرى فيها الدروس والعبر، ليعتبر من اغتر بحال الروافض وهو يدرس التاريخ لا يعرف شيئًا من مذاهب الدول ونحل الأمم، ولا يفرق بين من هدم الإسلام وسعى في تقويض أركانه وبين من نصره فأعلاه وشيد أركانه[2].

ومن خيانات الشيعة النصيرية:

النصيرية فرقة من فرق الشيعة الغالية، أسسها رجل ضال يقال له محمد بن نصير، كان ينتمي إلى الشيعة الاثنى عشرية، ثم خالفهم فأسس فرقة وحده واتخذ من مدينة سامراء مقرًا له، وظل المرجع الأعلى للمذهب النصيري إلى أن هلك سنة ٢٦٠هـ، وكان قد ادعى النبوة وأن الذي أرسله هو أبو الحسن علي بن أبي طالب[3].

وأكثر انتشار النصيرية في بلاد الشام، ولهم اعتقادات فاسدة فهم يؤلهون عليًا، ويقولون: محمد متصل بعلي ليلاً منفصل عنه نهارًا، وعلي خلق محمدًا، ومحمد خلق سلمان الفارسي، وسلمان خلق الخمسة الذين بيدهم

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٢١٤) بتصرف.

(٢) د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص٩٩.

(٣) انظر أبي الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين (ص١٥)، البغدادي: الفرق بين الفرق (ص٢٥٢).

مقاليد السموات والأرض ؛ وهم: المقداد: رب الناس وخالقهم الموكل بالرعود والصواعق والزلازل .

وأبو ذر: الموكل بدوران الكواكب والنجوم .

وعبد الله بن رواحه: الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر .

وعثمان بن مظعون: الموكل بالمعدة وحرارة الجسم وأمراض الإنسان .

وقنبر بن ذاذان: الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام .

ويحتج النصيريون لهذه العقيدة بأن الإله يحل في الأجسام متى شاء ، ويعتبر النصيريون كغيرهم من فرق الشيعة الغالية سب الصحابة من الفروض الدينية لأنهم هم الذين اغتصبوا حق العلويين في الخلافة .

ولا يؤمن النصيريون بالبعث والحساب ، ويقولون بتناسخ الأرواح ويستحلون الخمر والزنا وسائر المحرمات .

والنصيريون يسمون أنفسهم بالعلويين ، ويكرهون اسم النصيريين ، ولهم عداء للإسلام والمسلمين تاريخه طويل تمثل في ثورات وخروج على الخلفاء المسلمين تارة ، وفي التعاون مع أعداء المسلمين من الخارج تارة أخرى ، سواء في القديم أو الحديث .

وللعلم هم في سوريا على وجه الخصوص في عصرنا هذا لهم سطوة وسلطان ونفوذ واسع في سائر الدوائر سواء الإعلامية أو السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية[1] .

ومن خيانات النصيريين:

في سنة ٦٩٦هـ تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام فخاف الناس من ذلك خوفًا شديدًا ، ولكن خرج جيش من دمشق للقاء التتار ، فالتقيا

---

(١) انظر: د/ مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ . ، د/ سليمان الحلبي: طائفة النصيرية ، ط المطبعة السلطية – القاهرة(ص٩٥) ، فاروق الدملوجي: الألوهية في المعتقدات الإسلامية – ط بغداد ، (ص١١٥) ، د. عماد علي عبد السميع حسين ، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية ، ص٩٩ .

عند وادي سليمة ؛ فكسر التتار المسلمين ؛ وولي السلطان قازان هاربًا ، وقتل جماعة من الأمراء وغيرهم من العوام خلق كثير . . واقتربت التتار من البلد ، وكثر العبث بالفساد في ظاهر البلد ، ثم فرضت أموال كثيرة على البلد موزعة على أهل الأسواق كل سوق بحسبه من المال ، ثم عمل التتار المجانيق ليرموا بها القلعة . . وحل الفزع بالناس ، فلزموا بيوتهم ، وكان لا يرى بالطرقات أحد إلا القليل ، والجامع لا يصلى فيه أحد إلا اليسير ، ويوم الجمعة لا يتكامل فيه إلا الصف الأول ، وما بعده إلا بجهد جهيد ، ومن خرج من منزله في ضرورة يخرج بثياب زيهم ثم يعود سريعًا ويظن أنه لا يعود إلى أهله . . وكان ذلك بتواطأ النصيريين مع التتار وعلى رأسهم يومئذ الشريف القمي محمد بن أحمد بن القاسم المرتضي العلوي والأصيل بن نصير الطوسي والذي قبض ثم هذه الخيانة مائة ألف درهم .

وانظر كيف يتسمى الخائن شريفًا علويًا ، وما هو إلا خسيس سفلي .

وفي حين كان هذا العلوي (النصيري) يخون كان رجال أهل السنة وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية ينفخون روح الإيمان في الأمة ، ويخرجون للجهاد بأنفسهم حتى أنه في هذه الواقعة السالفة عندما حاصر التتار قلعة دمشق ، وطلب السلطان من نائب القلعة تسليمها إلى التتار ، امتنع النائب لأن شيخ الإسلام ابن تيمية قد قال له لا تسلمها ولو لم يبق فيها إلا حجر واحد ، وكان ذلك في مصلحة المسلمين ، فإن الله عز وجل حفظ لهم هذا الحصن والمعقل الذي جعله الله حرزًا لأهل الشام التي لا تزال دار إيمان وسنة حتى ينزل بها عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وشاء الله تعالى أن تتحرك العساكر من الديار المصرية لنصرة أهل الشام فلما سمع التتار انشمروا عنها . . وعرفت جماعة ممن كانوا يلوذون بالتتر ويؤذون المسلمين وشنق منهم طائفة وسمر آخرون وكحل بعضهم وقطعت ألسن وجرت أمور كثيرة ، ثم سار نائب السلطة في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان "وهي الجبال التي كان يسكنها العلويين وعرفت بعد باسمهم" .

وخرج شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ومعه خلق كثير من المتطوعة

لتقال أهل تلك الناحية بسبب فساد نيتهم، وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتار وهربوا حتى اجتازوا بلادهم وثبوا عليهم ونهبوهم وأخذوا أسلحتهم وخيولهم، وقتلوا كثيرًا منهم، فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤساؤهم إلى الشيخ ابن تيمية فاستتابهم وبين للكثيرين منهم الصواب وجعل بذلك خير كثير، وانتصار كبير على أولئك المفسدين، والتزموا برد ما كانوا أخذوا من أموال الجيش، وقرر عليهم أموالاً كثيرة يحملونها إلى بيت المال[1].

أرأيت كيف كانت خيانة هؤلاء العلويين؟ إنهم لم يهبوا مع الجيش الشامي لقتال التتار والمدافعة عن البلد، وحفظ جناب الأمة.

ولا حتى قبعوا في جبالهم دون أن يعينوا على المسلمين ويدلوا على عوراتهم، ولا حتى آووا من فر إليهم من عساكر المسلمين بل سلبوهم ونهبوهم وقتلوا أكثرهم.. فإنا لله وإنا إليه راجعون[2].

ومن خياناتهم:

في سنة ٧٠٥هـ كمن الجيش التتاري لجيش حلب فقتلوا منهم خلقًا من الأعيان وغيرهم، وكثر النوح ببلاد حلب بسبب ذلك.. ولما كان قد ثبت خيانة العلويين الذين يسكنون بلاد الجرد سار إليهم نائب السلطنة بمن بقي معه من الجيوش الشامية، وكان قد تقدم بين يديه طائفة من الجيش مع ابن تيمية فساروا إلى بلاد الجرد والرفض والتيامنة لغزوهم، فنصرهم الله عليهم وأبادوا كثيرًا منهم، ومن فرقهم الضالة، ووطئوا أراضي كثيرة من بلادهم.. وقد حصل بسبب شهود الشيخ ابن تيمية هذه الغزوة خير كثير، وأبان الشيخ علمًا وشجاعة في هذه الغزوة[3].

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٨).
(٢) د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص١٠٢.
(٣) البداية والنهاية (١٤/ ٣٥) بتصرف.

ومن خيانات النصيريين:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

"وفي سنة ٧١٧هـ خرجت النصيرية عن الطاعة ، وكان من بينهم رجل سموه محمد بن الحسن المهدي القائم بأمر الله ، وتارة يدعى علي بن أبي طالب فاطر السموات والأرض - تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا - وتارة يدعي أنه محمد بن عبد الله صحب البلاد ، وخرج يكفر المسلمين ، وأن النصيرية على الحق ، واحتوى هذا الرجل على عقول كثير من كبار النصيريين الضلال ، وعين لكل إنسان منهم مائة ألف وبلادًا كثيرة ونيابات ، وحملوا على مدينة جبلة فدخلوها وقتلوا خلقًا من أهلها ، وخرجوا منها يقولون: لا إله إلا علي ، ولا حجاب إلا محمد ، ولا باب إلا سلمان ، وسبوا الشيخين ، وصاح أهل البلد" وا إسلاماه وا سلطاناه وا أميراه" ، لم يكن لهم يومئذ ناصر ولا منجد ، وجعلوا يبكون ويتضرعون إلى الله عز وجل ، فجمع هذا الضال الأموال فقسمها على أصحابه وأتباعه قبحهم الله أجمعين ، وقال لهم لم يبق للمسلمين ذكر ولا دولة ولو لم يبق معي سوى عشرة نفر لملكنا البلاد كلها ، ونادى في تلك البلاد أن المقاسمة بالعشر لا غير ليرغب فيه ، وأمر أصحابه بخراب المساجد واتخاذها خمارات ، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين: قل لا إله إلا علي ، واسجد لإلهك المهدي الذي يحيى ويميت حتى يحقن دمك ، ويكتب لك فرمان ، وتجهزوا وعملوا أمورًا عظيمة جدًّا ، فجردت إليهم العساكر فهزموهم وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا . . وقتل المهدي أصلهم ، ويوم القيامة يكون مقدمهم إلى عذاب السعير"[1] .

ومن خيانات النصيريين في العصر الحديث:

إن خيانات النصيريين في العصر الحديث أكثر من أن تحصى ، فهم دائمًا يتقربون من الاستعمار ويتعاونون معه في مقابل الحصول على بعض المكاسب ، فعلى سبيل المثال:

تعاون النصيريون مع الاحتلال الفرنسي أثناء انتدابه على سوريا ،

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٨٣ ، ٨٤) .

وكانوا خير عون لهم على الدولة العثمانية - دولة الخلافة يومئذ - وفي مقابل هذا منح الفرنسيون النصيريون مجموعة من الأراضي نعمت بشبه الاستقلال هي التي سميت بجبال العلويين .

وقد فاحت رائحة هذه الخيانة منٍ خلال كلام النصيريين أنفسهم وهم يعترفون بالجميل لفرنسا ، وما كان جميلا ، بل ثمن خيانة .

قال محمد أمين غالب النصيري:

" إن الأتراك هم الذين حرموا هذه الطائفة من ذلك الاسم - العلويين - وأطلقوا عليهم اسم النصيريين . . نسبة إلى الجبال التي يسكنونها نكاية بهم واحتقارًا لهم ، إلا أن الفرنسيين أعادو لهم هذا الاسم الذي حرموا منه أكثر من ٤١٢سنة أثناء انتدابهم على سوريا . . إذ صدر أمر من القومسيرية العليا في بيروت بتاريخ ١/ ٩/ ١٩٢٠م بتسمية جبال النصيريين بأراضي العلويين المستقلة "[١] .

ومن أشهر رؤوس الخونة النصيريين في العصر الحديث رجل يقال له سلمان المرشد من قرية جوبة برغال شرقي مدينة اللاذقية بسوريا . . وكان هذا الرجل قد ادعى الألوهية فآمن به واتبعه كثير من النصيريين . .

وقد مثل الدور تمثيلاً جيدًا ، فكان يلبس ثيابًا فيها أزرار كهربية ويحمل في جيبه بطارية صغيرة متصلة بالأزر'ر فإذا أوصل التيار شعت الأنوار من الأزرار فيخر له أنصاره ساجدين .

ومن الطريف أن المستشار الفرنسي الذي كان وراء هذه الألوهية المزيفة كان يسجد مع الساجدين . . ويخاطب سلمان المرشد بقوله يا إلهي[٢] .

وقد استماله الفرنسيون واستخدموه وجعلوا للعلويين نظامًا خاصًا . . فقويت شوكته وتلقب برئيس الشعب العلوي الجبدري الغساني ، وعينٍ قضاة وسن القوانين وفرض الضرائب على القرى التابعة له . . وشكل فرقًا خاصة للدفاع سماهم الفدائيين . . وللتعاون الوثيق بينه وبين الاحتلال

(١) محمد أمين غالب الطويل ، تاريخ العلويين (ص٣٩١) .
(٢) انظر: مصطفى الشكعة ، إسلام بلا مذاهب (ص٣٠٩) .

الفرنسي عندما جلا الفرنسيون عن سوريا تركوا لهذا النصيري وأتباعه من الأسلحة ما أغراهم بالعصيان فجردت الحكومة السورية آنذاك قوة فتكت ببعض أتباعه واعتقلته مع آخرين، ثم أعدم شنقًا في دمشق عام ١٩٤٦[١].

ومنهم النصيري الخبيث يوسف ياسين والذي طالما سعى في محاربة الدولة العثمانية بخطبه وأشعاره بل وسلاحه.

قال الدكتور سليمان الحلبي:

"لما احتل الإنكليز فلسطين عام ١٩١٨م تطوع يوسف ياسين بالفرقة التي شكلها الإنكليز للعمل مع لورنس والملك عبد الله بالحجاز لمحاربة الأتراك باسم الجيش العربي، فكان يوسف ياسين يخطب في الأندية وفي الشباب بالقدس داعيًا إلى الجهاد ضد الأتراك.

وقد نشرت جريدة الكواكب الصادرة في ٣/ ٩/ ١٩١٨ بالقاهرة لمراسلها بالقدس واصفًا لحفلة أقيمت في النادي العربي لحث الشباب على التطوع في ذلك الجيش، فقال المراسل: وقف الشاب يوسف ياسين وتكلم بصفته جنديًّا في الجيش العربي ثم أنشد قائلاً:

سنأخذ هذا الحق بالسيف والقنا ::: شيب وشبان على ضُمر بلق

وقد أخذ الإنجليز فلسطين فعلاً، ولكن بالخديعة لا بالسيف ولا بالقنا ولا بالضمر البلق ثم أعطوها لليهود وأقاموا لهم فيها دولة..".

ناهيك عن خيانتهم للأمة الإسلامية بوقوفهم إلى جانب المارونيين النصارى في كثير من الأحداث سواء في سوريا أو لبنان[٢].

وفي سجلات وزارة الخارجية الفرنسية (رقم ٣٥٤٧ وتاريخها ١٥/ ٦/ ١٩٣٦) وثيقة خطيرة تتضمن عريضة رفعها زعماء الطائفة النصيرية في سوريا إلى رئيس الوزراء الفرنسي يلتمسون فيها عدم جلاء فرنسا عن سوريا، ويشيدون باليهود الذين جاؤوا إلى فلسطين ويؤلبون فرنسا ضد

(١) انظر: خير الدين الزركلي: الإعلام (٣/ ١٧٠).
(٢) د. سليمان الحلبي، طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها، (ص ١٠٩، ١١٤، ١١٥).

المسلمين، ووقع على الوثيقة: سليمان الأسد، ومحمد سليمان الأحمد، ومحمود أغا حديد، وعزيز أغا هواش، وسليمان المرشد، ومحمد بك جنيد، وفيما يلي نص الوثيقة نورده لأهميته:

"دولة ليون بلوم، رئيس الحكومة الفرنسية:

إن الشعب العلوي الذي حافظ على استقلاله سنة فسنة بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيرة في النفوس هو شعب يختلف في معتقداته الدينية وعاداته وتاريخه عن الشعب المسلم "السني" ولم يحدث في يوم من الأيام أن خضع لسلطة من التدخل، وإننا نلمس اليوم كيف أن مواطني دمشق يرغمون اليهود القاطنين بين ظهرانيهم على عدم إرسال المواد الغذائية لإخوانهم اليهود المنكوبين في فلسطين، وإن هؤلاء اليهود الطيبين الذين جاؤوا إلى العرب المسلمين بالحضارة والسلام ونثروا على أرض فلسطين الذهب والرخاء ولم يوقعوا الأذى بأحد، ولم يأخذوا شيئًا بالقوة ومع ذلك أعلن المسلمون (السنيون) ضدهم الحرب المقدسة بالرغم من وجود إنكلترا في فلسطين وفرنسا في سوريه، إنا نقدر نبل الشعور الذي يحملكم على الدفاع عن الشعب السوري ورغبته في تحقيق استقلاله، ولكن سوريا لا تزال بعيده عن الهدف الشريف خاضعة لروح الإقطاعية الدينية للمسلمين (السنة) وكسر الشعب العلوي الذي مثله الموقعون على هذه المذكرة نستصرخ حكومة فرنسا ضمانًا لحريته واستقلاله ويضع بين يديها مصيره ومستقبله، وهو واثق أنه لا بد واجد لديهم سندًا قويًا لشعب علوي صديق قدم لفرنسا خدمات عظيمة"[1].

ولم تكن الشيعة النصيرية تكف عن التآمر ضد الدولة العثمانية في محاولة إزالتها فقد ساهم الزعيم النصيري (الشيخ: صالح العلوي) في إسقاط الدولة العثمانية عندما قام بقطع الطريق الذي يصل طرطوس بحماه، فكانت خسائر الأتراك كبيرة نتيجة قطع الطريق عليهم، وقام بعقد اتفاقية مع كمال أتاتورك عام ١٩٢٠ وبعد ثورة مشبوهة ضد الفرنسيين استسلم صالح العلي

(١) د/ محمد أحمد الخطيب: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (ص٣٣٥) ط عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض - الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦).

فعفا عنه الفرنسيون على عكس ما كانوا يفعلونه مع المجاهدين المسلمين [(١)] .

وهكذا كان تاريخهم يشهد بخيانتهم وممالأتهم المستمرة لأعداء الإسلام في الظاهر والباطن[(٢)] .

من خيانات الشيعة الاثنى عشرية في لبنان بالتحالف مع النصيريين:

شيعة لبنان اثنى عشرية رافضية خبيثة ، وهم كسلفهم في الخيانة والبغض لأهل السنة ، وما شاع خبره في التاريخ الحديث بالحرب الأهلية في لبنان لم يكن إلا مسلسلاً دمويًّا تضافرت فيه أكثر من جهة ، النظام السوري النصيري والشيعة الاثنى عشرية في مليشيات أمل وجيش لبنان ، ويجمع كل هؤلاء عداؤهم لأهل السنة .

"بدأت الحرب الأهلية في لبنان بحادث الأتوبيس في عين الرمانة في ١٣/ ٤/ ١٩٧٥ ووجد الفلسطينيون الذي يسكنون المخيمات أنفسهم طرفا في هذه الحرب . . وتدخلت القوات السورية النصيرية بجيش قوامه ٣٠ألف جندي وخاضت معارك طاحنة تحالف معها أثناءها الشيعة ممثلين في حركة أمل وبعض لواءات الجيش اللبناني ومعهم الموارنة النصارى . .

ويدؤوا بحصار تل الزعتر . . وكان حصار التجويع ومنع رغيف الخبز ، ومنع الأدوية مع القصف الرهيب المتوالي على المخيمات الفلسطينية . . فانطلقوا كالوحوش الكاسرة داخل المخيم يذبحون الأطفال والشيوخ ، ويبقرون البطون ، ويهتكون أعراض الحرائر . . وسوريا النصيرية تغطي جو هذه المذابح بستار فض الحرب الأهلية . .

حتى أنه انهالت عليها المساعدات من الأنظمة العربية تتعهد بتغطية نفقات القوات السورية العاملة في لبنان . . وتم تدمير مخيم تل الزعتر بأكمله" .

ثم كان الاتجاه إلى مخيم عين الحلوة للاجئين الفلسطينيين خارج صيدا ، ويعتبر أكبر مخيم في لبنان ؛ إذ كان يقطنه حوالي ٤٥ ألف شخص نصفهم

(١) أ/ محمد عبد الغني النواوي: مؤامرات الدويلات الطائفية (ص٢٦٣) الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ .

(٢) د . عماد علي عبد السميع حسين ، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية ، ص١٠٣ .

من اللبنانيين الفقراء، ويضم المخيم ملاجئ كثيرة تحت الأرض كان السكان يستخدمونها تفاديًا للغارات الجوية الإسرائيلية . . وبدأ القصف العام حتى في المستشفى الذي دمر فيه جناحين التجأ المرضى إليها أثناء القصف[1] .

فهل هذا من فض الحرب الأهلية؟ أم أنه مخطط رافضي خبيث، تنفذ حلقاته وتوزع أدواره بدهاء وخبث، وبالطبع أنكرت القوات النصيرية مسئوليتها عن ما حدث ونسبته إلى اشتباك كان بين الفدائيين[2] .

"ونمضي بعجلة الزمان سريعًا فإن التقليب في هذه الجراح لا يزيدنا إلا توجعًا وهمًا، لنصل إلى عام ١٩٨٢ عندما حصل الاجتياح الإسرائيلي للبنان بحوالي ٢٠ ألف جندي، اكتسحت جنوب لبنان بسرعة خاطفة، ثم واصلت سيرها نحو بيروت العاصمة، وهناك استقبلتها المارونية بحفاوة بالغة وأمدتها بالعون والنصيحة . . وقصفت القوات الإسرائيلية بيروت الغربية - بيروت السنة - برًا وبحرًا وجوًا، ومنع الماء والغذاء والدواء عن المسلمين السنة في بيروت الغربية، ومن الأمثلة على القصف الرهيب الذي تعرضت له بيروت الغربية ما حدث في يوم الأحد ١/٨/١٩٨٢ حيث استمر القصف الإسرائيلي برًا وبحرًا وجوًا مدة أربع عشرة ساعة متواصلة سقطت خلالها ١٨٠ ألف قذيفة، أي بمعدل ما يزيد على ٢١٤ قذيفة في الدقيقة الواحدة، وتكرر مثل هذا القصف يومي الثالث والرابع ثم العاشر والثاني عشر من الشهر نفسه، لقد هدمت المنازل وروع الأطفال، وقتل الشيوخ . . وامتزجت دماء المسلمين اللبنانيين بدماء المسلمين الفلسطينيين وبعد هذا أخذ الشيعة الروافض والدروز والعلمانيين يطالبون منظمة التحرير الفلسطينية بالخروج من بيروت بل من لبنان كلها . وقد حدث".

"وقد وقف النظام النصيري السوري من هذا الاجتياح موقف المتفرج . . بل أعلنها صراحة: إن القوات السورية دخلت إلى لبنان لأداء مهمة محددة هي إنهاء الحرب الأهلية . . ولم تذهب لتحارب إسرائيل من هناك".

---

(١) عبد الله محمد الغريب، وجاء دور المجوس (٢/ ٤٢ - ٤٦).
(٢) د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص١٠٥ .

"وكذلك كان موقف الشيعة انروافض في لبنان فقد باركوا هذا النصر ، لأن إسرائيل حققت لهم حلمهم في طرد الفلسطينيين من جنوب لبنان ، وكانت إذاعات العدو الصهيوني تنقل تصريحات أعيانهم في تأييد إسرائيل"[1] .

وجملة القول: فإن إسرائيل خاضت حربًا ضروسًا مع المسلمين السنة وحدهم . . وهذا ما أكدته صحيفة الأنباء الكويتية الصادرة بتاريخ ٣٠/ ٤/ ١٩٨٥ تحت عنوان "الإسرائيليون جردوا المنظمات السنية من السلاح وحدها . . لقد حصر الإسرائيليون عملية التجريد من الأسلحة بالفلسطينيين أولاً ثم بالسنيين من اللبنانيين دون سواهم . . أما الدروز ومليشيات حركة أمل والمارونيون لم يحدث لهم أي تجريد . . فأدركت القيادات الإسلامية السنية أنها في مواجهة استراتيجية أوسع مما كان يرى بالعين المجردة ، استراتيجية ترتكز على النظرية الإسرائيلية التي تسوي بين السني اللبناني والفلسطيني المقيم في لبنان ، فالمناطق السنية كانت وستبقى الأرض الخصبة لنمو المقاومة الفلسطينية[2] .

من خيانات حركة أمل الشيعية:

حركة أمل هذه حركة مسلحة نشأت في لبنان ، وهي شديدة النكاية ليس في العدو الصهيوني ، بل في سكان المخيمات الفلسطينية وبيروت الغربية ، وذلك لأنهم سنيون . . وتتلقى حركة أمل دعمها المالي من النظام النصيري في سوريا ومن النظام الاثنى عشري في إيران .

وقد قامت حركة أمل بعمل عدة مجازر في أهل السنة ، ربما لم يرتكب العدو الصهيوني مثلها .

" ففي ليلة الاثنين ٢٠/ ٥/ ١٩٨٢ ، اقتحمت مليشيات أمل مخيمي صابرا وشاتيلا ، واعتقلوا جميع العاملين بمستشفى غزة . . وبدأ القصف المركز بمدافع الهاون والأسلحة المباشرة ، وامتد فشمل مخيم برج البراجنة . .

---

(١) انظر: عبد الله محمد الغريب ، وجاء دور المجوس (٢/ ٤٩ - ٥٢ .
(٢) انظر: عبد الله محمد الغريب ، وجاء دور المجوس (٢/ ٥٢ - ٥٣ .

وانطلقت حرب أمل المسعورة تحصد الرجال والنساء والأطفال . . وكانت أمل في وضع متميز لأنها قادرة على الكر والفر ، وهي التي كانت تفرض المعركة متى أرادت ، أما المقاتلون الفلسطينيون فكانوا يدافعون عن أنفسهم ولا يملكون التراجع عن مواقعهم . . ورغم ذلك فقد عجزت حركة أمل عن الصمود أمام المقاتلين الفلسطينيين فترة طويلة . . وهنا أصدر المجرم المحترف الشيعي نبيه بري أوامره لقادة اللواء السادس في الجيش اللبناني لخوض المعركة وليشارك قوات أمل في ذبح المسلمين السنة في لبنان ، ولم تمض ساعات إلا واللواء السادس يشارك بكامل طاقاته في المعركة . . جدير بالذكر أن أفراد اللواء السادس كلهم من طائفة الشيعة ، وقد خاض هذا اللواء معارك شرسة ضد المسلمين السنة في بيروت الغربية قبل ذلك[1] .

وجرت عدة محاولات لوقف إطلاق النار ولكن دونما جدوى ، لأن زعماء حركة أمل الشيعية كانوا مراوغين يعطون الوعود بوقف إطلاق النار ولا يصدرون هذه الأوامر لمليشيات الحركة . .

واستمرت الحرب تشتد حينًا وتخف حينًا آخر . . ورغم وقوف اللواء السادس مع حركة أمل في خندق واحد لم تستطع أمل أن تحسم المعركة لصالحها . . فتدخل اللواء الثامن من الجيش اللبناني إلى جانب حركة أمل ضد الفلسطينيين . . وطوق جيش النظام النصيري مخيم الخليل الفلسطيني في منطقة البقاع ، وقام باعتقال عدد من شباب المخيم . . وتدخل الطرف الذي تجري لمصلحته كل هذه المعارك إذ اخترقت أسراب من الطائرات اليهودية الأجواء فوق المخيمات محدثة دويًا هائلاً . وواصلت تحليقها بانخفاض فوق بيروت والجبل كي تتمتع برؤية عمليات التصفية ، وتصور أمجاد عملائها ، وتدخل مزيدًا من الرعب في قلوب الأطفال والشيوخ والنساء في المخيمات المنكوبة"[2] .

صحف العالم تتحدث عن فظائع شيعة أمل:

وقد تحدثت صحف العالم عن بشاعة ما ارتكبته حركة أمل وأعوانها في

(١) عبد الله محمد الغريب ، وجاء دور المجوس ، ٢/ ٧٤ .
(٢) عبد الله محمد الغريب ، وجاء دور المجوس (٣/ ٧٤ - ٨١) باختصار .

حق سكان بيروت الغربية ومخيمات الفلسطينيين فمن ذلك:

يقول مراسل صحيفة (صنداي تايمز): "إنه من الاستحالة نقل أخبار المجازر بدقة لأن حركة أمل تمنع المصورين من دخول المخيمات، وبعضهم تلقى تهديدًا بالموت.. وقد جرى سحب العديد من المراسلين خوفًا عليهم من الاختطاف والقتل، ومن تبقى منهم في لبنان يجدون صعوبة في العمل.. "[1].

وقالت صحيفة الوطن الكويتية: "لقد منعت حركة أمل واللواء السادس مراسلي الصحف حتى بعد سقوط مخيم صبرا من الدخول وحطموا الكاميرات والأفلام التي استطاع بعض الصحفيين التقاطها لآثار الدماء فقط، فما بالك بالجرائم التي صاحبت الأحداث".

وذكرت وكالة الأنباء الفرنسية: "أنه بعد سقوط مخيم صبرا انتشرت مجموعات من الشيعة في الجيش وحركة أمل في حالة عصبية كل عشرة وعشرين مترًا لمنع الصحفيين والمصورين من التقاط أيَّة صور. وذكرت صحيفة صنداي تايمز أيضًا أن عددًا من الفلسطينيين قتلوا في مستشفيات بيروت، وأن مجموعة من الجثث الفلسطينية ذبح أصحابها من الأعناق".

وذكرت وكالة (اسو شيتدبرس): "عن اثنين من الشهود أن مليشيات أمل جمع العشرات من الجرحى والمدنيين خلال ثمانية أيام من القتال في المخيمات الثلاثة وقتلتهم.. وكان من بينهم نحو ٤٥ من الجرحى في مستشفى غزة.. وذكرت صحيفة (ريبوبليكا) الإيطالية أن فلسطينيًا من المعاقين لم يكن يستطيع السير منذ سنوات رفع يديه مستغيثًا في شتيلا أمام عناصر حركة أمل طالبًا الرحمة.. وكان الرد عليه قتله بالرصاص.. وقالت الصحيفة في تعليقها على الحادث: إنها الفظاعة بعينها".

وشاهد مراسل (كونا): "بعض النسوة خرجن من مخيم صابرا وشاتيلا أمام مبنى مستشفى عكا على الطريق العام لمدخل صبرا الجنوبي، وقالت

(١) صندي تايمز: بتاريخ ٣/٦/١٩٨٥ نقلاً عن خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص١٠٦.

إحداهن: أسفي على الشباب . هذه المعارك المفتعلة لصالح من؟ وقالت الثانية: نحن لسنا أعداء، عدونا المشترك واحد وهو إسرائيل، وهدفنا تحرير أرضنا فلسطين للعودة إلى ديارنا"[(١)] .

ولقد بالغت هذه المسكينة في إحسانها الظن بالشيعة حين قالت: ولسنا أعداء، وربما لها عذر فهي كغيرها من كثير من أهل السنة الضائعين الذين لا يعرفون العدو من الصديق[(٢)] .

وفي تقرير طويل نشره (جون كيفنز) في صحيفة نيويورك تايمز جاء فيه:

"دخل مجموعة من الصحفيين إلى مخيم برج البراجنة .. فبدا المخيم تقريبًا محطمًا بصورة سيئة للغاية . . حتى أن بعض الفلسطينيين ذكروا أن إسرائيل لم تفعل بهم ما فعلته بهم حركة أمل . . لقد كانت هناك مرارة في المخيمات ليس فقط تجاه مليشيات أمل بل وربما أكثر تجاه سوريا التي تعتبر على نطاق واسع قد خططت لحصار المخيم وساندته من أجل تحطيم نفوذ ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، ولكي تعزز بالوكالة سيطرتها على لبنان".

وهذا غيض من فيض، وقليل من كثير من تقارير عالمية تابعت الأحداث في حين غفل عنها أو تغافل كثير من المسلمين السنة، ولا زالوا ينادون بالتقريب ويخدعون بتقية القوم، فإنا لله وإنا إليه راجعون[(٣)] .

تعاون الشيعة مع اليهود حقيقة لا وهم:

قال الأستاذ/ عبد الله محمد الغريب: "تعاون الشيعة مع العدو الصهيوني في جنوب لبنان حقيقة ثابتة وليس أسطورة اخترعها خصوم الرافضة، فلقد تحدثت الصحف وركالات الأنباء المحلية والعالمية عن هذا التعاون ولمسه المسلمون والنصارى في الجنوب لمس اليد واعترف به الطرفان الشيعي واليهودي".

---

(١) عبد الله محمد الغريب، وجاء دور المجوس (٢/ ٩٠ – ٩٥) بإيجاز .

(٢) د . عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص١٠٧ .

(٣) د . عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص١٠٧ .

قالت وكالة رويتر في تقرير لها من النبطية في ١/ ٧/ ١٩٨٢: "إن القوات الصهيونية التي احتلت البلد سمحت لمنظمة أمل بأن تحتفظ بالمليشيات الخاصة التابعة لها وبحمل جميع ما لديها من أسلحة. وصرح أحد قادة مليشيات منظمة أمل ويدعى حسن مصطفى أن هذه الأسلحة ستستخدم في الدفاع عنا ضد الفلسطينيين، وبعد أن أعلنت إسرائيل عن عزمها الانسحاب من لبنان ضاعفت منظمة أمل من مطاردتها للقوات الفلسطينية في بيروت الغربية والجنوبية، وفي جنوب لبنان، وكانت ادعاءات إسرائيل ضد منظمة التحرير الفلسطينية تشبه ادعاءات أمل، فهل تتم مثل هذه الأمور بشكل عفوي بين الطرفين؟".

تجيبنا على هذا السؤال صحيفة (الجروزاليم بوست) في عدد لها بتاريخ ٢٣/ ٥/ ١٩٨٥: "إنه لا ينبغي تجاهل تلاقي مصالح أمل وإسرائيل، التي تقوم على أساس الرغبة المشتركة في الحفاظ على منطقة جنوب لبنان وجعلها منطقة آمنة خالية من أي هجمات ضد إسرائيل.. إن إسرائيل ترددت حتى الآن في تسليم أمل مهمة الحفاظ على الأمن والقانون على الحدود بين فلسطين ولبنان، وإن الوقت قد حان لأن تعهد إسرائيل إلى أمل بهذه المهمة". كما يجيبنا على هذا السؤال رئيس الاستخبارات العسكرية اليهودية إيهود براك حيث يقول: "إنني على ثقة تامة من أن أمل ستكون الجبهة الوحيدة المهيمنة في منطقة الجنوب اللبناني، وأنها ستمنع رجال المنظمات والقوى الوطنية اللبنانية من التواجد في الجنوب والعمل ضد الأهداف الإسرائيلية".

ويجيبنا على السؤال - أيضًا - وزير الخارجية السويدي (بيير أوبيرت) الذي أكد في جنيف في ٢٤/ ٦/ ١٩٨٥ أنه نقل رسالة من رئيس حركة أمل نبيه بري إلى القيادة الإسرائيلية.. إلا أنه رفض إعطاء تفاصيل عن الرسالة..[1].

وفي تقرير نشرته مجلة الأسبوع العربي بتاريخ ٢٤/ ١٠/ ١٩٨٣عن مقابلة أجرتها المجلة مع حيدر الدايخ أحد قادة أمل في الجنوب جاء فيه:

(١) عبد الله محمد الغريب، وجاء دور المجوس (٢/ ١٦٠ - ١٦٢) بإيجاز.

"وصلنا إلى معسكر حيدر الدايخ . . وكانت عناصره ترتدي الثياب العسكرية وتحمل الأسلحة . . بعضهم لم يتجاوز العشرين وبعضهم أطلق لحيته فأدركنا عندئذ أن هذه العناصر من أفراد الجيش الشيعي ، وأن إسرائيل هي التي تدربهم ، خصوصًا عندما شهدنا على بعد أمتار قليلة من المعسكر (فيلا) يتمركز فيها الإسرائيليون . . وكان أحد الإسرائيليين بين الحين والآخر يرفع منظاره إلى عينيه ويحدق في الوجوه . .

اقتربنا من حيدر الدايخ في وسط المعسكر ، وقد رفع العالم اللبناني وقد كتبت بعض السيارات (قوات كربلاء) وسألنا حيدر عن سبب التسمية فقال: موقعة كربلاء لها مدلولات كثيرة في نظري ، هي مأساة الإمام الحسين الذي حارب الظلم ، ونحن نحارب الظلم ، وفي رأي أن لبنان كله يمر بكربلاء حاليًا ، لأن موقف لبنان مثل موقف الحسين بكربلاء ، كان أعداء الإمام كثيرين والأصدقاء تخلوا عنه ، وهكذا لبنان ، لذلك نسترشد بالإمام الحسين ونمشي على خطاه .

وسألنا: أحد عساكر الدايخ عن سبب حمله السلاح فأجاب: إن السبب في حملي السلاح يعود إلى المخاطر التي تتعرض لها الطائفة الشيعية وإلى التفتت الذي قد يعترضها في المستقبل .

وسألنا حيدر الدايخ: هل تعتبر أن تسميتكم الجيش الشيعي تعود إلى أن عناصركم من الطائفة الشيعية؟ فقال نحن في منطقة شيعية وجميع عناصري (أولاد الجنوب اللبناني) هم من الطائفة الشيعية ، لكن هذا لا يعني أننا طائفيون ، بل ليس لدينا أي بعد أو تفكير طائفي ، يا أخي إذا كنا شيعة ماذا نفعل؟ هل نغير هويتنا؟ هل نغير طائفتنا كي نرضي بعض الناس؟ نحن لا يمكن أن نتخلى عن هذه الهوية ، ولا يمكن أن ننكر بأننا إسلام .

ثم يمضي الدايخ في حديثه: "كل الناس تعلم والحكومة أيضًا بأننا نحمل السلاح منذ بداية الأحداث ، وخضنا المعارك ضد الإرهاب الفلسطيني وضد التجاوزات التي كانت تحدث في الجنوب".

ثم يثني على إسرائيل فيقول: "كنا نحمل السلاح قبل دخول إسرائيل إلى الجنوب ، ومع ذلك فإنها فتحت لنا يدها وأحبت أن تساعدنا فقامت باقتلاع

الإرهاب الفلسطيني من الجنوب وغيرها ولن نستطيع أن نرد لها الجميل ولن نطلب منها أي شيء لكي لا نكون عبئًا عليها"[1] .

وأرجو بعد نقل هذه الدلائل على خيانة القوم وتعاونهم مع العدو الصهيوني أن يفيق كل مسلم يرى بعض الفصائل الشيعية في لبنان كحزب الله وهي تحارب إسرائيل فيخدع بمواقفها ، إن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد دفاع قومي أو وطني تتأجج ناره وتخمد حسب تقلبات السياسة ، فمتى غضبت عليهم إسرائيل حصل التصادم ، ومتى رضيت أخمدت النار ، وفي الأمر من الخفايا ما سينكشف إن شاء الله ربما لنا ، وربما لأجيال من بعدنا[2] .

من خيانات الشيعة الدروز:

الدروز هي طائفة من الطوائف التي انشقت عن المذهب الإسماعيلي الفاطمي فهي تعد من غلاة الشيعة الإسماعيلية ، وهي تنسب إلى أبي محمد الدرزي من أهل موالاته الحاكم بأمر الله الفاطمي . . ولهم معتقدات كفرية أقبحها الاعتقاد في ألوهية الحاكم بأمر الله .

ومبنى هذه العقيدة أن الدرزي كان قد صنف كتابًا للحاكم ذكر فيه أن روح آدم انتقلت إلى علي بن أبي طالب وانتقلت روح علي إلى أبي الحاكم ثم انتقلت إلى الحاكم وساعده الدرزي على ادعاء الربوبية . . ويعتقدون بنسخ الشريعة الإسلامية وأنها منسوخة بشريعتهم التي ابتدعوها . . ويعتقدون في تناسخ الأرواح وانتقالها إلى الأحياء في صورة الإنسان والحيوان . . وينكرون الجنة والنار والثواب والعقاب الأخريين . .

ويبغضون أهل كل الأديان خصوصًا المسلمين السنة ويستبيحون دماءهم وأموالهم . . وغير ذلك من العقائد الكفرية الباطلة[3] .

---

(١) عبد الله محمد الغريب ، وجاء دور المجوس (٢/ ١٦٣ - ١٦٥) .

(٢) د . عماد علي عبد السميع حسين ، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية ، ص١٠٩ .

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى (١٣/ ٢٤٨) ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، والنجوم الزاهرة (٤/ ١٧٦) ودكتور محمد كامل حسين طائفة الدروز تاريخها وعقائدها (ص٨٦ - ١٢٧) ط دار المعارف بمصر ١٩٦٢م .

ويتمركز أكثر الدروز الآن في لبنان وهم محيرون للغاية في طبيعة عقيدتهم، هل لازالوا يقولون بألوهية الحاكم أم لا؟

فيرى بعض الباحثين أنهم لا زالوا يؤمنون بطبيعة الحاكم الإلهية، ويرى البعض أنهم تخلو عن بعض هذه المعتقدات لكن السرية الشديدة هي التي تصعّب مسألة الحكم عليهم[1] ولكن تاريخ القوم ولو في العصر الحديث فقط مليء بالخيانات التي كان لها أعظم الأثر في تعريض الأمة للهزائم والانكسارات.

فقد قاموا بعدة ثورات متلاحقة تسببت في زعزعة الأمن، وإرباك الدولة العثمانية واستنفاد كثير من الطاقات البشرية والمادية في سبيل القضاء عليها.

ولما سير محمد علي باشا جيشًا لاحتلال بلاد الشام بقيادة ابنة إبراهيم بعد أن شق عصا الطاعة على الدولة العثمانية عام ١٢٤٧هـ كان الدروز من الموالين له والمناوئين للدولة العثمانية.

وكان الأمير بشير الشهابي (المتوفي ١٢٦٦هـ) أمير الدروز وجنوده يقاتلون جنبًا إلى جنب مع جيش محمد علي وقد غدت مهمة إبراهيم باشا بن محمد علي قائد الحملة المصرية بفضل تعاون الأمير بشير مهمة سهلة، فتمكن من الاستيلاء على دمشق وهزم الجيش التركي (العثماني) في حمص، وعبر جبال طورس وأوغل في قلب بلاد الأتراك، وكاد ينزل الضربة القاضية برجل أوربا المريض لكن بريطانيا والنمسا وروسيا اضطرته إلى الانسحاب.

وقد حرص الدروز على استغلال كل فرصة مناسبة من أجل إقامة دولة درزية ولأجل ذلك هاجروا إلى جبل حوران الذي سمي ذلك بجبل الدروز بعد أن تمكنوا من طرد أهله المسلمين واستقلوا به تمامًا[2].

---

(١) انظر: د/ فتحي الزغبي: غلاة الشيعة (ص٢١٦) وما بعدها - الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

(٢) انظر: د/ على بن بخيت الزهراني: الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، دار طيبة مكة المكرمة - الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م (١/ ٥٧٥، ٥٧٦)، فيليب حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين (٢/ ٣٤١) ط دار الثقافة بيروت ١٩٥٩، ترجمة د/ كمال اليازجي.

ولم يكف الدروز في هذه المرحلة عن مناوشة المسلمين والنصارى من أهل القرى والبادية وقتالهم، بل قد قاموا في غضون ذلك بمذابح مروعة كالتي وقعت في عام ١٢٩٨هـ حين هجموا على قريتي الكرك وأم ولد، وذبحوا سكانهما عن بكرة أبيهم، ولم يبقوا حتى على الأطفال الرضع، وقد حاولت الدولة العثمانية تأديبهم أكثر من مرة؛ لكنها فشلت وتراجعت أمام ضغوط الإنكليز.

وحين احتل الفرنسيون مصر عام ١٢١٣هـ بقيادة نابليون الذي توجه بعد إخضاعها إلى بلاد الشام، وبينما كان محاصرًا لعكا بعث الرسالة الآتية:

"مخيم عكا ٢٠ آزار ١٧٩٨م إلى بشير: "بعد السيطرة على مصر دخلت صحراء سيناء.. فأتيت إلى العريش ثم إلى غزة ثم إلى يافا بعد أن التقيت بجيوش الجزار وسحقتها، ومنذ يومين وصلت إلى عكا وأنا أحاصره الآن.

وأسرع إلى إعلامك بكل ذلك لأنك لا شك في أنك تفرح لهزائم هذا الطاغية (يعني الجزار) الذي سبب الكثير من الذعر للإنسانية عامة وللدروز الأباة بشكل خاص، ورغبتي المخلصة هي أن أقيم للدروز استقلالهم وأعطيهم مدينة بيروت ذات المرفأ كمركز تجاري لهم.

لذلك فإني أرغب في أن تأتي شخصيًا أو ترسل حالاً من يمتلك لرسم خطة للتغلب على عدونا المشترك؛ ويمكنك أن تذيع في جميع القرى الدرزية أن كل من يأتي لنا بالمؤن وخاصة الخمر سيكافأ بسخاء"[(١)].

ويقول الكابتن (بورون): "إن الأمير بشير لم يجب على رسالة نابليون ولكن قوة من الدروز والموارنة انضمتا إلى جيش نابليون الذي كان يحاول إخضاع عكا في آذار ١٧٩٩، أتت قوة من الخيالة الدروز والموارنة لنجدة نابليون الذي كان يحاول إخضاع عكا.. ثم يقول إن الدروز والموارنة آزروا نابليون، وإن الأمير بشير أمده بالقادة والمستشارين، وإن فارس بك الأطرش قال له: إن جده إسماعيل كان يملك عدة رسائل بإمضاء نابليون موجهة إلى

(١) أ/ محمد عبد الغني النواوي: رؤية إسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي (ص٣١)، د/ على بن بخيت الزهراني، الانحرافات العقيدية والعلمية (١/ ٥٧٦، ٥٧٧).

والده إسماعيل، ولكن هذه الأوراق أتى عليها حريق شب في المنزل".

ومنذ تاريخ ٢٥/٧/١٩٢٠ وحتى ١٧/٤/١٩٤٦ والمسلمون يقاومون الاستعمار الفرنسي بكل ما يملكون من قوة مادية كانت أو معنوية.. غير أن الدروز كان لهم موقف في جبلهم، لقد رحبوا بالغزاة المحتلين، وقدموا لهم كل ما يقدرون عليه من دعم أو مساعدة، واطمأن الفرنسيون إليهم وأمنوا مكرهم ومن ذلك أنه حينما دخل الفرنسيون دمشق بعد معركة ميسلون سنة ١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م اتخذ القائد الفرنسي (غورو) حرسه الخاص من الدروز بمعرفة متعب الأطرش، مما يدل على الثقة الكاملة التي أولاها الفرنسيون هؤلاء، الفرنسيون أجروا اتصالاتهم ورفعوا عريضة للمسئول الفرنسي يطلبون الاستقلال وهذه مقدمة عريضتهم:

"لحضرة رئيس البعثة الإفرنسي في دمشق الأفخم: بناء على بلاغاتكم المتكررة للرؤساء الروحيين، لنا الشرف أن نقدم لسيادتكم بالنيابة عن الشعب الدرزي في جبل حوران برنامج الاستقلال المدرج أعلاه الذي يطلبه الشعب لكي تتكرموا بتقديمه لحضرة صاحب الفخامة المندوب السامي؛ راجين أن يتوسل بالتصديق عليه من قبل حكومة الجمهورية الإفرنسية المعظمة، واقبلوا فائق احترامنا".

وفي ٢٤تشرين الأول عام ١٩٢٢م أصدر الجنرال غورو قراره رقم ١٦٤١ بإعطاء جبل حوران استقلاله باسم دولة جبل الدروز المستقلة[1].

﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

وقفات مع بعض خيانات الشيعة في البلاد العربية في العصر الحديث:

تعتبر إيران بمثابة الأم الراعية لكل الشيعة وخصوصًا الاثنى عشرية في كل مكان والشيعة أينما توزعوا فإنهم يدينون بالولاء لإيران أكثر من ولاءهم للأرض التي يعيشون فيها.

وحكومات إيران ترى في دول الخليج العربي امتدادًا لأرض

(١) راجع هذه المراسلات في: "رؤية إسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي لمحمد عبد الغني النواوي، (ص٣٦ - ٤٩).

الإمبراطورية الفارسية القديمة ، ولها فيها أطماع تزايدت بعد ظهور النفط في دول الخليج العربي ، فجعلت الحكومات الإيرانية تتخذ من شيعة هذه البلاد مثار قلاقل لهذه البلاد وتكأة تعتمد عليها في تنفيذ بعض مآربها . وعندما قامت ثورة الخميني لقيت تأييدًا حافلاً من الشيعة في كافة الأنحاء واعتبرها الشيعة الشرارة الأولى التي ستفجر كل المنطقة .

ففي البحرين:

"ولم تمضي إلا فترة وجيزة حتى أعلنت إيران عن نواياها وصرح مسئول رسمي بالمطالبة بضم البحرين إلى إيران وبعض جزر في الكويت وغير ذلك . . وادعى أن نحو ٨٥٪ من سكان البحرين هم من الشيعة ، وهم مضطهدون وعلى رأسهم رجال الدين الشيعة ، وخصوصًا من أسموه حجة الإسلام سيد هادي المدرسي الممثل الخاص في البحرين لآية الله الخميني . . وأذاع راديو طهران في ١٩٧٩/٨/٣٠ نداء للسلطة في البحرين بالإفراج عن سيد هادي المدرسي" .

وعلى أثر هذا قام نحو اثنى عشر زعيمًا شيعيًّا في البحرين بتفجير الثورة في أنحاء البلاد وقاموا بأحداث شغب واسع النطاق .

وكان المدرسي هذا إيراني أصلاً توطن في البحرين لتنفيذ هذه الأغراض الشيعية الرافضية .

وقد ساعد على تعميق الفجوة بين السنة والشيعة من جراء خطبه وتصريحاته المتطرفة ، والتي فيها دائمًا نزعة التحيز والولاء لإيران مع النقمة على أهل السنة وخصوصًا الحاكمين في البحرين .

وفي الكويت:

"حدثت أعمال شغب كهذه ، حيث قام المدعو أحمد عباس المهري (من عائلة المهري وهم شيعة إيرانيون) بعقد ندوات في مساجد الشيعة ، وأخذ يثير قضايا سياسية مثل قضايا الإسكان وإنصاف الشيعة . .

وتجاوب معه الشيعة في الكويت بأثرها . . وصدرت الأوامر من الخميني بتسمية المهري الممثل الخاص للخميني في الكويت والمسؤول علن صلاة

الجمعة فيها . .

وتـوالت التصريحات في طهران تارة تعرب عن قلقهـ من المضايقات التي تعرض لها ممثل الخميني وشيعته وتارة تهدد بالتدخل . .

والـذي جعـل اللهجـة الإيـرانية شديدة في أحداث لكويت هو أن أحمد عباس المهري هذا كان صهرًا للخميني(١) .

وفي السعودية:

حـيث يـوجد في المنطقة الشرقية تجمعات من الشيعة الاثنى عشرية تعتبر سـكانيًا امـتدادًا للأغلبـية الـشيعية في إيـران والعـراق ، وقد شهدت المنطقة الـشرقية مـنذ أن استولى الملـك عـبد العزيـز آل سـعود علـيها عام ١٩١٣م معارضات من حين لآخر للحكم السعودي قام بها الموطنون الشيعة .

وفي عـام ١٩٢٥ أنـشئت جمعـية شـعبية بقـيادة محمـد الحبشي لتعبر عن المطالـب المحلـية وسـرعان مـا اعتـبرتها الحكـومة غـير قانونية وحين اكتشف الـنفط ، أصـبح للمـنطقة الـشرقية أهمـية جديـدة حـيث عمـل كثيرون من المواطـنين الـشيعة في صـناعة الـنفط ، وفي أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها نظـم هـؤلاء العمـال الـشيعة تظاهـرات ، وأظهـروا اسـتياء متزايدًا من قبل الحكومة والجالية الأميركية الكبيرة ، وفي عام ١٩٤٨ وصـت القلاقل الشيعية إلى حـد الانفجـار في مظاهـرات واسـعة الـنطاق وفوضى في منطقة القطيف بقـيادة محمـد بن حسنين الهراج ، وقد تم بسهولة سحق المتمردين الذين كانوا يطالـبون بالانفـصال عـن المملكة ، وفي عام ١٩٤٩ اكتشفت الحكومة وجود جماعـة ثـورية في القطـيف تحـت اسم جمعية تعليمية ، حلت الجمعية ، ومات أحـد زعمائها في السجن ، وقد امتدت هذه الحركة إلى جبيل حتى تم سحقها في عـام ١٩٥٠ ، وفي الوقت نفسه كانت هناك مظاهرات عمالية كبيرة خلال ١٩٤٤ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥٣ احـتجاجًا علـى ظـروف العمل ، وفي سنة ١٩٧٠ أحدثت الشيعة قلاقل كبيرة في القطيف - أيضًا - فأرسلت الحكومة الحرس الـوطني لاحـتواء الاضـطرابات ، وفي عـام ١٩٧٨ حـدث انفجـار آخـر

(١) انظر: وجاء دور المجوس (١/ ٣٥٠ - ٣٥٢) .

وتظاهرات أدت إلى اعتقالات وخسائر واسعة النطاق . . وقد تزامنت الاضطرابات الواسعة في القطيف أواخر ١٩٧٩م مع أيام الحداد الديني الشيعي (عاشوراء) وكان ذلك في أعقاب الثورة الإيرانية ، وفي الواقع أن هذا كان بدعوة من آية الله الخميني لشيعة المنطقة الشرقية تضمنت الدعوة إلى الثورة[(١)] .

هذا وقد مر بنا الكلام على خيانات الشيعة في سوريا وفي لبنان ، وإضافة إلى ذلك فإن الشيعة في لبنان عندما أعلن الخميني ثورته في إيران قامت بإعلان مبايعتها على أنه إمام المسلمين في كل مكان[(٢)] .

وهكذا حينما وجدوا فولاءهم ليس للبلد الذي يعيشون على أرضه ويأكلون خيره أو للدين الذي ينتسبون إليها وإنما ولاءهم لإيران ولسياستها الاثنى عشرية المنهورة في أكثر المواقف .

وفي اليمن:

يقول القاضي حسين بن أحمد العرشي متحدثًا عن الباطنية - أي الشيعة - وأثرهم في زعزعة الأمن وإثارة الثورات في بلاد اليمن:

"اعلم أن الباطنية أخزاهم الله تعالى أضر على الإسلام من عبدة الأوثان ، وسموا بها لأنهم يبطنون الكفر ويتظاهرون بالإسلام ، ويختفون حتى تمكنهم الوثبة وإظهار الكفر ، وهم ملاحدة بالإجماع ، ويسمون بالإسماعيلية ؛ لأنهم ينسبون أئمتهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وبالعبيدية لدعائهم إلى عبيد الله بن ميمون القداح . . والآن يسمون شيعة لكونهم مظهرين أن أئمتهم من أولاد الرسول حين عرفوا أنهم لا يستقيم لهم إمالة الحق والدخول إلى دهليز المفر إلا بإظهار المحبة والتشيع ولهم قضايا شنيعة وأعمال فظيعة كالإباحية ، وغيرها ، وينكرون القرآن والنبوة والجنة والنار . . وتراهم إذا وجدوا لأنفسهم قوة أظهروا أمرهم وأعلنوا كفرهم ،

---

(١) ريتشارد هرير دكمجيان ، الأصولية في العالم العربي ، ترجمة وتعليق عبد الوارث سعيد - المنصورة: دار الوفاء ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، (ص٢٠٣ ، ٢٠٤) .
(٢) وجاء دور المجوس (٢/ ١٩٨٢) .

فإن غلبوا ولم تساعدهم الأيام كمنوا كما تمكن الحية في جحرها، وهم مع ذلك يؤملون الهجوم والوثبة وأن ينهشوا عباد الله . . ولا ينبغي لذي معرفة وقوة أن يعرف منهم أحدًا يقتدر عليه فيتركه وشأنه فإنهم أهلكهم الله تعالى شياطين الأرض"[1] .

وحتى الشيعة الزيدية في اليمن كانوا يضطهدون أهل السنة هناك حيث كانوا يسيطرون على مقاليد الحكم في ظل الدولة العثمانية، ولما أراد الترك الجلاء عن بلاد اليمن عام ١٣٣٧هـ، خشي أهل السنة من سيطرة الزيدية على بلادهم . . وحاول بعض أهل السنة المقاومة فلم تتحد كلمتهم، وباغتهم إمام الزيدية في اليمن آنذاك بجيش من قبائل الزيدية ودارت معارك طاحنة استمرت ستة أشهر، ثم هزمت جموع أهل السنة وأذعن جميعهم لحكم الإمام وسيطرة الزيدية . .

وفي بلاد الضالع استمرت المعارك بين الزيدية والسنة عامين كاملين كانت الحرب فيها سجالا .

وكم عذبوا وآذوا وقتلوا من علماء السنة في اليمن كما فعلوا بالشيخ محمد صالح الأخرم، حيث اعتقلوه وهو في شيخوخته، واختطفوا الشيخ مقبل بن عبد الله وقتلوا العلامة محمد بن علي العمراني الصنعاني أحد تلامذة الإمام الشوكاني المشهورين[2] .

ولعل أحدًا من أهل السنة لا يخدع ويردد أن الزيدية أقرب فرق الشيعة من أهل السنة والجماعة - حيث تتصف بالاعتدال والقصد والابتعاد عن التطرف والغلو - بعدما ذكرنا .

ومن أراد المزيد فليراجع كتاب هدية الزمان في أخبار ملوك الحج وعدن لمؤلفه (العبدلي مؤرخ حضرموت) .

ولعل ذلك هو الذي حدا بالشيخ محمد أبي زهرة إلى أن يقول:

---

(١) بلوغ المرام شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام (ص٢١) مطبعة التبريز - القاهرة ١٩٣٩م .
(٢) الانحرافات العقدية والعلمية (١/ ٥٨٤ - ٥٨٦) .

"وضعف المذهب الزيدي فقد غالبته المذاهب الشيعية الأخرى أو طوته أو لقحته ببعض مبادئها ولذلك كان الذين حملوا اسم هذا المذهب من بعد لا يجوزون إمامة المفضول فأصبحوا يعدون من الرافضة، وهم الذين يرفضون إمامة الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبذلك ذهب من الزيدية الأولى أبرز خصائصها"[1].

ومن طريف ما يذكر في قتالات الشيعة الزيدية وأهل السنة في اليمن ما قاله الشيخ الدفتردار:

"حدثني صديق قضى في اليمن ردحًا من الزمن، وشاهد ثورات الزيدية الشافعية وقد انتدب ليدرس بواعثها وأسبابها، فإذا هو يسقط على الحقيقة إذا وجد وقد الفتن من جهل أعشار الشيوخ بمثل القرآن العليا، وقد سمع حديثًا يدور بين شيخين كانا في نظره - كما يقول - أمثل من يعرف هناك، لما يجد بينهما من مودة على اختلاف فرعيهما، وكم كان يتمنى أن تنتقل هذه المودة إلى أتباعهما المساكين المختلفين، سمعهما يتساران بالحديث التالي:

قال الشيخ الشافعي:

ألا يجدر بنا أن نفهمهم أنهم إخوة يسكنون وطنًا واحدًا وتظلهم سماء واحدة ويجمع كلمتهم وحي واحد واعتصموا بحبل الله جميعًا فكم من نساء رملت، وأسر تداعت وإثم ذلك راجع إلينا.

قال الشيخ الزيدي الشيعي:

دعهم دعهم فهم أهل لكل شقاق وشتات لأنهم لا يحملون لنا المودة ولا يعطوننا ما نستحقه من أجر؛ فإذا فهموا أن الوحي يجمعهم اكتفوا بأحدنا.

قال الشيخ الشافعي:

ولكن كيف نلقى الله وحالنا معهم ما تعلم من فتن وتمزيق وخلاف.

---

(١) انظر: الشيخ/ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ١/ ٥١.

قال الشيخ الزيدي:

لا لا لا تمزيق ولا خلاف، هم المسؤولون عن تمزيق أنفسهم ومالنا من أثر إلا أننا تركناهم على حالهم وسرنا مع أهوائهم.

قال الشيخ الشافعي:

بل نحن المسؤولون أمام الله والإنسانية والحكومة لو كانت تدري، أما علمت أن رسول الله هدم مسجدًا شيده المنافقون إرصادًا لتمزيق الكلمة وفتنة للناس عن الهدى، أجل هدمه وهو مسجد!! فكيف حالنا ونحن الذين أغرينا بينهم العداوة والبغضاء؟

قال الشيخ الزيدي:

هل تعتقد لو تركناهم على حالهم يجتمعون؟

قال الشيخ الشافعي:

طبعًا طبعًا يجتمعون فهذه الحيوانات تسير مجتمعه فهل يكون الإنسان أقل من الحيوانات عقلاً وفكرًا ونفسًا وضميرًا؟

قال الشيخ الزيدي:

وكيف تعيش إذا اجتمعوا؟ محال أن نفهمهم الحقيقة فإذا ذلك المبعوث يظهر فجأة بينهما قائلاً:

لعيشكما وهم مجتمعون أرغد وأوسع من عيشكما وهم مختلفون لأن لحوم البشر لا تغذي الأحشاء يا أخباث[1].

وهذا الحوار يدلك على أن أئمة الشيعة يرون في إحاطة أنفسهم بهالة من السرية والتقديس سبيل للتكسب والتعيش الرغيد والسلطنة والجاه، فلا إله إلا الله.

وفي العراق: الجرح الغائر في أعماق الأمة الإسلامية والذي لم يندمل

(١) هاشم الدفتردار المدني، ومحمد علي الزغبي، الإسلام بين السنة والشيعة، ١٣٠) ط مطبعة الإنصاف - بيروت ١٩٥٠م، ص ١٢٩.

بعد هناك شيعة ولاءها لإيران، وقد كان الخميني يستخدمهم كأداة تخريبية في العراق في أكثر الأحيان.

وخيانة الشيعة في العراق للأنظمة المتعاقبة في حكمها ترجع إلى شعورهم بالاضطهاد ونقمتهم على حكامهم من أهل السنة وولائهم المتزايد نحو شيعة إيران.

"فالشيعة في العراق اليوم يعتقدون أن نسبتهم أكثر من ٧٠٪ ومع ذلك فهم محرومون مضطهدون.. وعلى شيعة العراق أن يتحرروا من القيادة السنة التي تتحكم بهم منذ عصور طويلة كما أن وجود المدن الثلاثة المقدسة عند الشيعة (النجف - كربلاء - الكاظمية) وبها المزارات جعل شيعة العراق يتطلعون إلى التأييد العام في الشيعة في كل مكان إذا هم أعلنوا الثورة"[(١)].

وفعلاً استغل الشيعة ذكرى الأربعين للحسين في ٥/ ٢/ ١٩٧٧ فأطلقوا شرارة الثورة، وقاموا بمظاهرات وحوادث شغب شملت معظم المدن في جنوب العراق، ويبدو أن الأمر كان أكبر من مجرد مظاهرة واضطراب، فلقد كان الشيعة يوزعون نشرات دورية في العراق والخليج تحت عنوان (العراق الحر) (صوت الشعب المضطهد) وفي هذه النشرات كانوا ينادون بالثورة على حكام بغداد، ومن يقرأ هذه النشرات يعلم أنها شيعية لأول وهلة فهم إذا أرادوا وصف ظلم حكام بغداد شبهوهم بهارون الرشيد أو بحكام العصر الأموي وبعد حوادث النجف وكربلاء أسس الشيعة ما يسمى بالجبهة الوطنية الإسلامية في العراق، وأصدروا كتيبًا تحت عنوان برنامج الجبهة الوطنية الإسلامية في ٢٢/ ٢/ ١٩٧٧ أي بعد الحوادث بأسبوعين[(٢)]..

وقد نظرت حكومة العراق إلى هذا الحزب في ضوء التشجيع الواضح من الخميني للنضالية الشيعية على اعتباره طابورًا خامسًا يهدف إلى توحيد العراق وإيران.. فقامت الحكومة العراقية بعمليات قمع واسعة النطاق.. ووجهت تهمة الخيانة بالتخطيط لإقامة دولة شيعية في العراق إلى بعض زعماء الشيعة وقامت بإعدامهم وكان على رأسهم باقر الصدر وأخته بنت

(١) وجاء دور المجوس (١/ ٣٦٤)، الأصولية في العالم العربي (ص١٨٣).
(٢) وجاء دور المجوس (١/ ٣٦٦، ٣٦٧).

المدى ، وتم إعدامهم في أبريل ١٩٨٠ .

وبرغم ما حاول النظام العراقي فيما بعد اتباع سياسة الاسترضاء ، فقام بإنفاق مبالغ كبيرة في إعمار المساجد والمراكز الدينية الشيعية في العراق ، وإعطاء الحوافز للقادة والأفراد الشيعيين ، بل أعلن صدام حسين رئيس النظام أنه من نسل الحسين بن علي ، وأعلن ميلاد علي بن أبي طالب عيدًا قوميًّا . . وبرغم ذلك كله فإن كبار أئمة الشيعة رفضوا التعاون مع البعث[١] .

وظلت روح التذمر موجودة تتحين الفرص من آن لآخر للفتك بهؤلاء الحكام[٢] .

حول خيانة الشيعة في الحرب الأمريكية على العراق:

لم تزل روح التذمر والسخط موجودة عند الشيعة في العراق فهي لا تبرح صدروهم ، ومع طلعة كل شمس كانوا يتطلعون إلى إعلان دولة الشيعة في العراق أو التوحيد مع أم الشيعة إيران ، وهذا لا يكون إلا بالإطاحة بالنظام الحاكم والتخلص من قيوده .

وبمجرد ما واتتهم الفرصة عندما أعلنت أمريكا وبريطانيا الحرب على العراق بحجة محاربة الإرهاب وإحلال الديمقراطية . . وجد الشيعة لهم متنفسًا للتخلص من نظام صدام حسين .

وظهرت خيانتهم في أنهم لم يشاركوا في المقاومات التي قام بها سواء الجيش أو الشعب العراقي ضد هذا العدو الغازي ، ووقفوا موقف المتفرج ، ومن يدري لعلهم أعانوا العدو الصليبي وأمدوه بما استطاعوا من المعلومات كما فعل ابن العلقمي والطوسي . . قديمًا أيام التتار .

وعندما سقطت بغداد خرج الشيعة في الشوارع كالكلاب المسعورة يخطفون وينهبون ويخربون حتى المستشفيات . . وكل هذا في ظل نظام حماية

(١) الأصولية في العالم العربي ، ص١٨٥ ، ١٨٩ .
(٢) د . عماد علي عبد السميع حسين ، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية ، ص١١٢ .

سادتهم الأمريكيين . .

واستغل العدو الأمريكي هذه المناظر التي أحدثها الشيعة في العراق في إظهار نفسه بدور المنقذ المخلص لهذا الشعب المضطهد . .

والواقع أننا في الوقت الحالي أمام مشكلة معلوماتية يعرف منها حقيقة الأمر تفصيلاً ، وذلك لما اكتنف هذه الحرب من غموض ، ولكن يومًا سنكشف إن شاء الله هذا الغموض ، إما لنا وإما لأجيال بعدنا ليؤكد الحقيقة التي لا تستبعد على القوم وهي تآمرهم وخيانتهم .

ومن بعض المقتطفات الإخبارية يمكن أن نرى كيف أن الشيعة كانوا متطلعين إلى زوال النظام العراقي وإحلال نظام شيعي محله أو تكون فيه أغلبية شيعية .

والطريف في هذا ما أعلن عن عودة كثير من القادة الشيعيين الذين كانوا قد نفاهم نظام صدام لإحداثهم الشغب وإشعال الثورة في البلاد وتركيزهم بعد العودة على المطالبة بأن تضم الحكومة الجديدة الانتقالية التي أزمعت أمريكا تشكيلها أكبر عدد من رجال الحوزة الدينية الشيعية .

نشرت جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ١٢/٧/٢٠٠٣ بأن محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية (شيعي) عاد إلى العراق وعندما طرحت أمريكا تشكيل مجلس مؤقت لإدارة العراق اشترط ضم أكبر عدد ممكن من الشيعة للمجلس ليشكلوا غالبية مريحة من الأعضاء ، على أن توضع صيغة مكتوبة تنص على صلاحيات المجلس التنفيذية كضمان لعدم التراجع . . وأن يتولى رئاسة المجلس الجديد مسعود البرزاني (شيعي) .

وفي ذات الجريدة في نفس العدد:

"ذكرت أن الإمام المهدي مدرسي من أبرز علماء الشيعة العراقيين قد عاد إلى بغداد في يوم ١١/٧/٢٠٠٣ بعد غياب ٣٠سنة قضاها في المنفى . . ألقى مدرسي خطبة أمام أنصاره بمسجد الكاظمية في شمال بغداد طالب فيه بضرورة تنصيب حكومة منتخبة بالعراق بأسرع وقت ممكن وأكد أن حقوق الأقليات في العراق سوف تكون مكفولة إذا وصلت إلى السلطة حكومة تمثل

غالبية أبناء الشعب".

أرأيت كيف ينظر الشيعة إلى السنة على أنهم أقلية، ويدعي أن حقوقهم ستكون مكفولة عند تشكيل حكومة غالبيتها من الشيعة!!

وفي نفس العدد: "ذكر تومي فرانكس القائد السابق للقيادة المركزية الأمريكية أن هناك عناصر إيرانية تنشط في العراق وتحاول التأثير على مجريات الأحداث وأوضح أن هناك رجال دين مدعومين من إيران يشاركون في الحوار السياسي في إطار الطائفة الشيعية كما أن أجهزة المخابرات الإيرانية تنشط في الجنوب العراقي لكن دون تقديم أي دعم عسكري ضد الجنود الأمريكيين".

إنهم ينشطون لجني ثمار الخيانة، ولا يعترضون على العدو الأمريكي!!

وفي جريدة الأهرام - أيضًا - بتاريخ ٢٢/٦/٢٠٠٣ ذكرت أن حشدًا كبيرًا من الشيعة في العراق شكلوا مظاهرة سلمية توجهوا بها إلى مقر القيادة الأمريكية البريطانية، وقدم ممثلون عنهم عريضة يطالبون فيها بسرعة تشكيل حكومة عراقية وبإقامة مجالس محلية وحكومية تحت إشراف الحوزة الدينية الشيعية.. ونظم المظاهرة أنصار مقتدى الصدر نجل الإمام آية الله محمد صادق الصدر الذي اغتيل في عام ١٩٩٥ في النجف.

وفي جريدة الأهرام - أيضًا - بتاريخ ١٦/ ٥/ ٢٠٠٣ ذكرت أنه تظاهر نحو ٥٠٠ عراقي في بغداد للمطالبة بإقامة حكومة إسلامية وأعلنوا رفضهم قيام أي حكومة علمانية تشكلها الولايات المتحدة وطالب المتظاهرون الذين يمثلون الحوزة الشيعية في مدينة النجف بمنع العراقيين حريتهم في اختيار حكومتهم.

وفي جريدة الأسبوع المصرية بتاريخ ٧/ ٤/ ٢٠٠٣ تحت عنوان: "قادة المعارضة العراقية عملاء مباشرون لإسرائيل" ذكرت أنه عندما أطلقت أمريكا ما أسمته إعادة ترتيب العراق روجت دوائر صهيونية عديدة في أمريكا وإسرائيل على حد سواء لاسم (أحمد الجلبي) أحد قادة المعارضة العراقية الواقعين المعترفين بالكيان الصهيوني وإمكانية تعاونه مع هذا الكيان

في وقت لاحق في مرحلة ما بعد إعادة ترتيب العراق . . وكان جلبي في إشارة واضحة تبين موقفه من الكيان الصهيوني قد قال في لقاء صحفي نشرته صحيفة (هاآرتس العبرية) من المفضل ألا يقترب منا القادة الإسرائيليون وألا يبحثون عن اتصال . . مضيفاً: عليهم ألا يسارعوا إلينا عندما نكون في السلطة - وهذا لتمويه وصرف الأعين عن علاقته بالكيان الصهيوني - وأحمد جلبي أحد قادة المعارضة الشيعة يعتبر من وجهة نظر الصهاينة أحد أهم المعارضين المعروفين على الساحة الدولية منذ عام ١٩٩١ ؛ خاصة بعد فشل التمرد الشيعي في ذلك العام والذي نفي على أثره . . علمًا بأنه قد قام بزيارات سرية لإسرائيل عدة مرات التقى فيها بعدد من المسؤولين الصهاينة ، من أبرزهم (إفرايم هاليفي) رئيس المؤسسة الأمنية الإسرائيلية المسماة مجلس الأمن القومي والرئيس السابق لجهاز المخابرات الإسرائيلية الموساد ، وليس أحمد جلبي فقط هو من يصارع في هذا المجال . . فهناك غيره كثير على هذه الشاكلة أغلبهم يرى نفسه أحق المتآمرين للحصول على أكبر قدر من الغنائم وأهمها كرسي الحكم .

منهم ذلك المعارض الذي يسكن واشنطن (نجيب صالحي) أحد الضباط الكبار في الجيش العراقي قبل أن يفر إلى الولايات المتحدة ليخدم بكل ما أوتي من قوة أعداء العراق .

ومنهم - كما جاء في إحدى المجلات البحثية التي يصدرها مركز الدراسات الإسرائيلية عن الحالمين بالحكم في بغداد - الشريف علي بن الحسين من سلالة العائلة الحاكمة التي حكمت العراق قبل الإطاحة بالملكية وإبعادها عن الحكم . . وهو يعتقد أن على العراق العودة إلى النظام الملكي .

ومنهم: سعيد صلاح جعفر يقول عنه الإسرائيليون إنه الصديق المخلص لدولة إسرائيل: "أن والد سعيد قدم خدمات جليلة لليهود يوم أن كان وزيرًا للداخلية بالعراق . ولولا مساعدته لما نجحت حملة تهجير اليهود ، ويضيف أن سعيد ورث حب إسرائيل واليهود عن أبيه ، وقد هرب إلى لندن ليعمل على توحيد قوى المعارضة العراقية وانتخب رئيسًا لبرلمان المنفى خاصة بعد دعم الولايات المتحدة له .

وسعيد صالحي هذا له علاقات قوية جدًا مع قادة يهود العالم خاصة داخل أمريكا وبريطانيا وإسرائيل ذلك إلى جانب دعمهم المالي السري كي يستميل أكبر عدد من المعارضة العراقية لصالح إسرائيل".

وفي جريدة الأخبار المصرية بتاريخ ١٣/ ٧/ ٢٠٠٣ تحت عنوان: "الشيعة يطالبون أمريكا بتعويضهم عن عقود الاضطهاد تحت حكم صدام": "ذكرت الصحيفة أنه في انعقاد أول جلسة لمجلس الحكم الانتقالي والذي مثل الشيعة فيه ١٣ ممثلاً والسنة ٥، والأكراد٥، وتركماني١، ومسيحي١، وطالب رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق محمد باقر الحكيم قوات الاحتلال الأمريكي بتعويض الشيعة عن عقود الاضطهاد، وكان قد صرح لوكالة رويتر بأن شيعة العراق قد ينقلبون ضد قوات الاحتلال إذا لم يحصلوا على تعويض سياسي مناسب عن عقود الاضطهاد التي عانوا خلالها في ظل الحكم السابق".

إن القوم لا يهمهم إلا الصالح الشخصي لهم فقط، فهم يعلنوها صراحة بأنهم لم يعترضوا على الاحتلال إلا إذا لم يلبوا مطالبهم ويقوم بتعويضهم عما أسموه الاضطهاد السياسي، وأعتقد أنه سيفعل لأن العدو ماهر في شراء ذمم الخونة.

وفي حين يطالب الشيعة بتعويض عن الاضطهاد السياسي في العقود الماضية كما زعموا[1] يقاوم أهل السنة الاحتلال الأمريكي البريطاني ويبذلون دمائهم في سبيل الله عز وجل.

وفي تقرير إخباري لجريدة الأخبار بتاريخ ١٣/ ٧/ ٢٠٠٣ نشرت صورة لجمع كبير من الناس في مسجد وهم يتبرعون بدمائهم للجرحى المقاومين وكان التعليق تحتها:

"المسلمون السنة في العراق يتبرعون بدمائهم بعد صلاة الجمعة في جامع عبد القادر الجيلاني في بغداد - الصورة للأخبار من أ. ف. ب".

وهكذا لو قلبت في وابل الأخبار والنشرات التي تصدر عن الأوضاع في

(١) لم يكن هذا اضطهادًا، وإنما كان ردًا على خيانتهم وشغبهم الذي لا ينتهي.

العراق لما أعجزك أن تقف على خيانات الشيعة في العراق والتعامل مع كل الأعداء اليهود والصليبيين ظنًا منهم بأنهم هم الذين سيعيدون الحكم للحوزة الشيعية ويعاونوهم في تأسيس دولة شيعية .

ولكن بإذن الله ستظل المقاومة – مقاومة أهل السنة – حتى يرحل الغزاة أو يهلكون ساعتها ستنكشف خيانات الخائنين أكثر وأكثر ، طال الأمد في تحقيق هذا الهدف أو قصر ، والرجاء في الله وحده فهو المستعان[1] .

ولقد بلغت الخيانة الشيعية ذروتها ، وهي تسعى في مواجهة أهل السنة أن يفكر أحد الحكام الإيرانيين في استدعاء حملات تنصيرية وعقد اتفاق معها لتنصير المسلمين السنيين من الأكراد .

قالت الدكتورة/ أمال السبكي في كتابها تاريخ إيران السياسي:

"من الأشياء المريبة حقًا في السياسة التبشيرية الأمريكية أن يتم عقد اتفاق مع حكومات كل من إيران والعراق وتركيا في أدنبرة ١٩١٠ ينص صراحة على حق الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في القيام بالتبشير للديانة المسيحية بين شعب الأكراد المسلمين في الأقطار الإسلامية الثلاث . . وقد جددت الحكومية الإيرانية في عهد الشاه رضا بهلوي الاتفاق سنة ١٩٢٨ ، وكان قصد الشاه الإيراني تحقيق أهداف عدة منها:

أولاً: التخلص من الكثافة السكانية الكردية التي تقطن بأذربيجان بإيران منذ مئات السنين ، والتي كثيرًا ما عاونت تركيا السنية ضد إيران للتخلص من الظلم الواقع عليهم .

ثانيًا: كسر شوكتهم بتحويل الكثير منهم إلى المسيحية بعد أن تغير موقف الحكومة التركية عن تأييدهم بعد ثورة كمال أتاتورك في الربع الأول من القرن العشرين .

ثالثًا: تذويب الهوية الكردية (السنية) في القومية الإيرانية لإحكام السيطرة عليهم ، والحيلولة دون التئام شمل القومية الكردية مع نظائرها في

(١) د . عماد علي عبد السميع حسين ، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية ، ص١١٢ – ١١٥ .

العراق وتركيا وسوريا"[1].

عجبًا تفكير هؤلاء الخونة:

أيرضى علي بن أبي طالب أو أحد من آل البيت بارتداد واحد عن الإسلام إلى النصرانية أو غيرها؟

ثم هم يرون الأكراد (وهم سنيون) أنهم لو تحولوا إلى النصرانية لخفت حدتهم، ولأمنوا شرهم.

وهذا ليس مجرد سياسة بل عقيدة عند القوم، وأن الناصبي (السني) أشد كفرًا من النصراني واليهودي، ولذلك يرى أئمتهم جواز الصدقة على الذمي وعدم جوازها على السني[2].

وبعد فهذه جزء من خيانة الشيعة الغالية؛ فوجدناها من الكثرة بحيث لا نستطيع إحصاءها، فضربنا أمثلة واقتطفنا من سجلات التاريخ قطوفا، وكيف نستطيع إحصاء خياناتهم والخيانة في دمائهم وعروقهم، وهي لهم كالماء والهواء، ففي كل يوم لهم خيانات، وما ذكرناه من أمثلة ليس إلا بعض ما ذاع أمره واشتهر خبره، وخرج من حيز السر إلى العلانية، وأما ما يتواصون بكتمانه فالله أعلم بكثرته[3].

* * * * *

(١) د/أمال السبكي، تاريخ إيران السياسي، سلسلة عالم المعرفة عدد رقم (٢٥٠). ص١١٥، ١١٦.

(٢) د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص١١٦.

(٣) للمزيد من نماذج تاريخ الشيعة الأسود وخيانتهم للإسلام والمسلمين انظر الكتاب القيم للدكتور، عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية.

التاريخ الأسود للشيعة مع آل البيت

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وهو ابن عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويلتقي معه في جده الأول عبد المطلب بن هاشم، وولده أبو طالب شقيق عبد الله والد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان اسم عليٍّ عند مولوده أسد، سمته بذلك أمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا باسم أبيها أسد بن هاشم، ويدل على ذلك ارتجازه يوم خيبر حيث يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة[1] ::: كليث غابات كريه المنظرة

وكان أبو طالب غائبًا فلما عاد، لم يعجبه هذا الاسم وسماه عليًا [2].

يكني أبو الحسن، نسبه إلى ابنه الأكبر الحسن وهو من ولد فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويكنى أيضًا بأبي تراب، كنية كناه بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يفرح إذا نودي بها، وسبب ذلك أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بيت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فلم يجد عليًا في البيت، فقال: أين ابن عمك؟ قالت كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل [3] عندي، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإنسان: «انظر أين هو؟» فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مضطجع وقد سقط رداءه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمسحه عنه ويقول: قم أبا تراب[4].

اختلفت الروايات وتعددت في تحديد سنة ولادته، فقد ذكر الحسن

---

(١) حيدرة: من أسماء الأسد.

(٢) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١/٣٠٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ٧/٣٣٣، عبد الحميد بن علي ناصر فقيهي، خلافة عليّ بن أبي طالب، ص ١٨.

(٣) من قال يقيل فالقيلولة: الظهيرة، وتكون بمعنى النوم في الظهيرة.

(٤) مسلم في صحيحه رقم ٢٤٠٩.

البصري أن ولادته قبل البعثة بخمس عشرة أو ست عشرة سنة ، وذكر ابن إسحاق أن ولادته قبل البعثة بعشر سنين[1] .

كان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من نسب عربي أصيل فهو من قبيلة قريش التي أقر العرب كلهم بعلو نسبها ، وسيادتها ، وفصاحة لغتها ، ونصاعة بيانها ، وكرم أخلاقها وشجاعتها وفتوتها ، وذهب ذلك مثلاً لا يقبل نقاشًا ولا جدالاً[2] .

أما عبد المطلب بن هاشم جد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد ولي السقاية والرفادة[3] بعد عمه المطلب ، فأقامهما للناس ، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم ، وشرف في قومه شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه ، وأحبه قومه وعظم خطره فيهم ، ولم يكن عبد المطلب أغنى رجل في قريش ، ولم يكن سيد مكة الوحيد المطاع ، كما كان قصي ، إذا كان في مكة رجال كانوا أكثر منه مالا وسلطانًا ، إنما كان وجيه قومه ، لأنه كان يتولى السقاية والرفادة ، وبئر زمزم ، فهي وجاهة ذات صلة بالبيت ، ويتجلى إيمان عبد المطلب بأن لهذا البيت مكانة عند الله ، وأنه حاميه ومانعه ، وتتجلى نفسية سيد قريش السامية ، وشخصيته القوية الشامخة في حديث دار بينه وبين أبرهة ملك الحبشة ، وقد غزا مكة وأراد أن يهين البيت ويقضى على مكانته ، وقد أصاب لعبد المطلب مائتى بعير ، فاستأذن له عليه ، وقد أعظمه أبرهة ونزل له عن سريره فأجلسه معه ، وسأله عن حاجته ، فقال: حاجتي أن يرد عليّ الملك مائتى بعير أصابها لي . فلما قال له ذلك زهد فيه الملك وتفادته عينه ، وقال: أتكلمني في مائتى بعير أصبتها لك ، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك ، قد جئت لهدمه ، لا تكلمني فيه؟! قال عبد المطلب: إني أنا رب الإبل ، وإن للبيت ربًا سيمنعه ، قال: ما كان يمتنع مني ، قال: أنت وذاك ، وقد كان ما قاله عبد المطلب ، فحمي رب البيت بيته ، وجعل كيد أبرهة وجيشه في تضليل ، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ، ١/ ٥٤ ، السيرة النبوية ، ١/ ٢٦٢ ، الإصابة ، ٢/ ٥٠١ .

(٢) علي محمد الصلابي ، سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م ، ١/ ٣١ .

(٣) الرفادة: إطعام الحجاج في أيام الموسم حتى يتفرقوا .

عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ صدق الله العظيم ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ صدق الله العظيم ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[الفيل:٣ – ٥] .

أما أبو طالب والد على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أبو طالب لا مال له ، كان يحب ابن أخيه حبًا شديدًا ، فإذا خرج خرج معه ، فقد كان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد جده ، فكان إليه ومعه ، وعندما أعلن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعوة إلى الله وصدع بها وقف أبو طالب بجانب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصمم على مناصرته وعدم خذلانه ، فاشتد ذلك على قريش غمًا وحسدًا ومكرًا ، وإن المرء ليسمع عجبًا ويقف مذهولاً أمام مروءة أبى طالب مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد ربط أبو طالب مصيره بمصير ابن اخيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل واستفاد من كونه زعيم بني هاشم أن ضم بنى هاشم ، وبنى المطلب إليه في حلف واحد على الحياة والموت ، دفاعًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مسلمهم ومشركهم على السواء ، وأجار ابن أخيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إجارة مفتوحة لا تقبل التردد والإحجام . واستمر أبو طالب في مناصرة ابن أخيه ، ولما تغلغل الإسلام في قلوب أبناء بعض القبائل ، اجتمعت قريش فائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب ، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم ، وكتبوا صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة ، وتواثقوا على ذلك ، وانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبى طالب فدخلوا معه في شعبه ، ومكث بنو هاشم على ذلك نحو ثلاث سنوات لا يصل إليهم شيء إلا سرًا ، ثم كان ما كان من أكل الأرضة للصحيفة ، وإخبار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا طالب بذلك ، وتمزيق الصحيفة ، وبطلان ما فيها ، ومات أبو طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من النبوة ، وهو ابن بضع وثمانين سنة ، ولم يسلم أبو طالب ، وهو العام الذي ماتت في خديجة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتتابعت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المصائب ، وسمى هذا العام بعام الحزن[١] .

(١) علي محمد محمد الصلابي ، سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ، ١/ ٣٣ .

وأم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هي الصحابية الجليلة السيدة الفاضلة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمية ، وقد حظيت برعاية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما كفله عمه أبو طالب بناء على وصية أبيه عبد المطلب ، فكانت له أمًا بعد أمه تقوم على شؤونه وترعى أموره ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، وقد قضى الحبيب المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرابة عقدين من حياته في كنفها ، وقد استجابت لدعوة الإسلام وأصبحت من السابقات الأوليات وصارت من صفوة النساء ممن أخذن المكانة العليا في ساحة الفضيلة .

ولقد كان حظ السيدة فاطمة مباركًا في حياتها وعند وفاتها ، وحظيت بالتكريم إذ توفيت في حياة الحبيب المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا دخل عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمي ، كنت أمي بعد أمي ، تجوعين وتشبعينني ، وتعرين وتكسينني ، وتمنعين نفسك طيبا وتطعمينني ، تريدين بذلك وجه الله والدار الأخرة ، ثم أمر أن تغسل ثلاثًا ثلاثًا ، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله بيده ، ثم خلع رسول الله قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه ، ثم دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحفرون ، فحفروا قبرها ، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاضطجع فيه وقال: «**الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي. فإنك أرحم الراحمين**» وكبر عليها أربعًا وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [1] .

وكان لأبي طالب أربعة أبناء ، وهم: طالب ، وهو الذي تكنى به ، وعقيل ، وجعفر ، وعلي ، وبنتان هما: أم هانئ ، وجمانة ، وكلهم من فاطمة بنت أسد ، وكان بين كل واحد منهم وبين أخيه عشر سنوات ، فطالب كان

(١) السلسلة الضعيفة للألباني .

أكـبر من عقيل بعشر سنوات ، وكذلك الشأن مع جعفر وعلى ، فكان جعفر أكبر من على بعشر سنوات[1] .

وِلـد لـه مـن فاطمـة بـنت رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهـى أول زوجـة تـزوجها على بن أبى طالب ولم يتزوج عليها حتى ماتت -: الحسن والحسين وزينـب الكبرى وأم كلثوم الكبرى ، وولد له من خولة بنت جعفر ابن قيس بـن مسلمة ، محمد الأكبر (محمد ابن الحنفية) ، ووُلد له من ليلى بنت مسعود بـن خالد من بنى تميم ، عبيد الله وأبو بكر ، وولد له من أم البنين بنت حزام بـن خالـد بـن جعفـر بـن ربيعة: العباس الأكبر ، وعثمان ، وجعفر الأكبر ، وعـبد الله ، وولد له من أسماء بنت عميس الخثعمية: يحيى وعون ، وولد له من الصهباء ، عمر الأكبر ورقية ، وولد له من أمامة بنت العاص بن الربيع ، محمـد الأوسـط ، وولـد لـه مـن أم سـعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي ، أم الحـسن ، ورملـة الكـبرى ، وولـد له من أمهات أولاد ، محمد الأصغر ، وأم هانـئ ومـيمونة ، وزيـنب الصغرى ، ورملة الصغرى ، وأم كلثوم الصغرى ، وفاطمـة ، وأمامـة ، وخديجـة ، وأم الكـرام ، وأم سـلمة ، وأم جعفـر ، جمانة ونفيسة ، وولد له من محياة بنت امرئ القيس ، ابنة هلكت وهي جارية . قال ابـن سـعد: لم يـصح لنا من ولد على رضي الله عن غير هؤلاء ، وجميع ولد علـى بـن أبـى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لصلبه أربعة عشر ذكرًا ، وتسع عشرة امرأة ، وقـيل: سـبع عشرة امرأة ، وكان النسل من ولده لخمسة ، الحسن والحسين ، ومحمد ابن الحنفية ، والعباس ابن الكلابية ، وعمر ابن التغلبية[2] .

كـان مـن نعمـة الله عـز وجل على عليّ بن أبى طالب وما صنع الله له وأراد بـه من الخير أن قريشًا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كـثيرة ، فقـال رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعباس عمه - وكان من أيسر بنى هاشـم -: يـا عـباس ، إن أخـاك أبا طالب كثير العيال ، وقد ترى ما أصاب الـناس من هذه الأزمة ، فانطلق بنا فلنخفف عنه عياله ، آخذ من بيته واحدًا

(١) أحمـد الـسيد ، أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ص٢٤ ، علي محمد محمد الصلابي ، سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، ١/ ٣٣ .

(٢) ابـن كـثير ، البداية والنهاية ، ٧/ ٣٣٢ ، علي محمد محمد الصلابي ، سيرة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - ، ١/ ٣٦ .

وتأخذ واحدًا ، فنكفيهما عنه ، فقال العباس: نعم . . فانطلق حتى أتيا أبا طالب ، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما: إن تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما ، فأخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًا فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفرًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فضمه إليه ، فلم يزل على بن أبى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بعثه الله نبيًا ، فاتبعه علىّ ، فأقر به وصدقه ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه[1] .

أما عن قصة إسلام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيروى عن ابن إسحاق أن على بن أبى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جاء إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد إسلام خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، فوجدهما يصليان ، فقال على: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«دين الله الذي اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده وإلى عبادته، وتكفر باللات والعزى»** فقال له على: هذا أمر لم أسمع به من قبل اليوم ، فلست بقاض أمرًا حتى أحدث أبا طالب ، فكره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يفشى عليه سره ، قبل أن يستعلن أمره ، فقال له: **«يا على إذا لم تسلم فاكتم»** ، فمكث على تلك الليلة ، ثم إن الله أوقع في قلب على الإسلام ، فأصبح غاديًا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حتى جاءه فقال: ما عرضت علىَّ يا محمد؟ فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد»** ، ففعل علىّ وأسلم ، ومكث علىّ يأتيه على خوف من أبى طالب ، وكتم على إسلامه ولم يظهر به .

قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه على بن أبى طالب مستخفيًا من أبيه أبى طالب ، ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، يصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا ، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يومًا وهما يصليان ، فقال لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١/ ٢٤٦ ، علي محمد محمد الصلابي ، سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ، ١/ ٣٦ .

يـا ابـن أخي ، ما هذا الدين الذي تدين به؟ قال: «**أي عم، هذا دين الله ودين ملائكـته وديـن رسله ودين أبينا إبراهيم**» ، أو كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**بعثني رسـولا إلى العـباد وأنـت - أي عـم - أحـق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهـدى، وأحـق من أجابني إليه وأعانني عليه**» ، أو كمـا قال . فقال أبو طالب: أي ابـن أخـي ، إنـي لا أسـتطيع أن أفارق دين آبائى وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يُخلـص إليك بشيء تكرهه ما بقيت ، ذكروا أنه قال لعلى:أي بنى ، مـا هـذا الـدين الـذي أنـت علـيه؟ فقـال: يـا أبـت آمنت بالله وبرسـول الله وصـدقته بمـا جاء به ، وصليت معه لله واتبعته ، فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه [1] .

وعـندمات اجـتمعت قبيلة قريش في دار الندوة ، وأجمعوا على قتل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والـتخلص مـنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أعلـم الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بـذلك ، وكـان الـنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحكم خلق الله ، فأراد أن يبقى من أراد قتله ينظر إلى فراشه ينتظرونه يخرج عليهم ، فأمر على بن أبى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يـنام في فراشـه تلـك اللـيلة ، ومـن يجرؤ على البقاء في فراش رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأعـداء أحاطـوا بالبيت يتربصون به ليقتلوه؟ من يفعل هذا ويـستطيع الـبقاء في هـذا الـبيت هـو يعلـم أن الأعـداء لا يفرقون بينه وبين الرسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مضجعه؟ إنه لا يفعل ذلك إلا أبطال الرجال وشـجعانهم بفضل الله [2] - تعالى - ، وقد أمره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقيم بمكـة أيامًـا حتـى يؤدي أمانة الودائع والوصايا التي كانت عنده إلى أصحابها مـن أعدائه كاملة غير منقوصة ، وهذا من أعظم العدل ، وأداء الأمانة ، وقد جـاء في روايـة: أن رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـال لـه: نم في فراشي ، وتَسَجَّ بـبردي هذا الخضري ، فنم فيه ، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم [3] . وقـال ابن حجر ، وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: فرقد عليٌ على فـراش رسـول الله يـوارى عـنه ، وباتت قريش تختلف ، وتأتمر ، أيهم يهجم

---

(١) ابـن كـثير ، الـبداية والـنهاية ، ٧/ ٣٣٢ ، علـي محمـد محمـد الـصلابي ، سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، ١/ ٣٦ .
(٢) القحطاني ، الحكمة في الدعوة إلى الله ، ص٢٣٥ .
(٣) السيرة لابن هشام ، ٢/ ٩١ ، فتح الباري ، ٧/ ٢٣٦ .

على صاحب الفراش فيوثقه، حتى أصبحوا فإذا هم بعلى، فسألوه، فقال: لا علم لي، فعلموا أنه قد فر، وعن ابن عباس: إن عليًا قد شرى نفسه تلك الليلة حين لبس ثوب النبي، ثم نام مكانه، وفي على وإخوانه من الصحابة المجاهدين الذين يبتغون رضوان الله والدار الآخرة نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[البقرة: ٢٠٧] .

لما أصبح على، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قام عن فراشه، فعرفه القوم وتأكدوا من نجاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا لعلى: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، أو رقيبًا كنت عليه؟ أمرتموه بالخروج فخرج. وضاق القوم بتلك الإجابة الجريئة وغاظهم خروج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بين أظهرهم، وقد عموا عنه فلم يروه، فانتهروا عليًا وضربوه، وأخذوه إلى المسجد فحبسوه هناك ساعة، ثم تركوه، وتحمل على ما نزل به في سبيل الله، وكان فرحه بنجاة رسول الله أعظم عنده من كل أذى نزل به، ولم يضعف ولم يخبر عن مكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانطلق على في مكة يجوب شوارعها باحثًا عن أصحاب الودائع التي خلفه رسول الله من أجلها، وردها إلى أصحابها، وظل يرد هذه الأمانات حتى برئت منها ذمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهناك تأهب للخروج ليلحق برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ثلاث ليال قضاهن في مكة[1] .

وقد نزلت بعض الآيات التي خلدت بعض المآثر للإمام علي وبعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين .

- منها قول تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ صدق الله العظيم يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ صدق الله العظيم وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ صدق الله العظيم كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ صدق الله العظيم إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا

(١) تاريخ الطبري، ٢/ ٣٧٤، علي محمد محمد الصلابي، علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - شخصيته وعصره، ص٨٣ .

حَرِيرٌ﴾[الحج: ١٩ - ٢٣].

روى البخاري بسنده عن علي بن أبي طالب أنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة»، وقال قيس بن عبادة: فيهم نزلت: ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين تبارزا يوم بدر، حمزة وعلي وأبو عبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد ابن عتبة [(١)].

- وهو أحد من نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. وذلك في وفد نجران حينما جادلهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عيسى ابن مريم، وأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى أمه الطاهرة، فأجابته، وكذبهم في أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة، ودعاهم إلى الإسلام، فأبوها فدعاهم إلى المباهلة، فعن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: ولما نزلت: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله عليًا، وفاطمة، وحسنًا وحسينًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فقال: «اللهم هؤلاء أهلي» [(٢)].

- وقد نزل القرآن موافقا له في كون الجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام:ففي الصحيح أن رجلاً قال: لا أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، فقال علي بن أبي طالب: "الجهاد في سبيل الله أفضل من هذا كله"، فقال عمر بن الخطاب "لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن إذا قضيت الصلاة سألته عن ذلك، فسأله، فأنزل الله هذه الآية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ صدق الله العظيم الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ صدق الله العظيم يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ صدق الله العظيم

(١) البخاري رقم (٣٩٦٥).
(٢) مسلم، ٤/ ١٨٧١ - ٤٢٥، ١/ ١٧١.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩ - ٢٢] . فبين لهم أن الإيمان والجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام والحج والطواف ومن الإحسان إلى الحجاج .

- وكان الإمام علي شفيق بالأمة الإسلامية فقد روى عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة:١٢] قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلى: «مرهم أن يتصدقوا» ، قال: يا رسول الله ، بكم؟ قال: «بدينار» ، قال: لا يطيقونه . قال: «بنصف دينار» . قال: لا يطيقونه ، قال: «فبكم؟» قال: بشعيرة ، قال: فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلى: «إنك لزهيد» ، قال: فأنزل الله: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [المجادلة:١٢] . قال: فكان على يقول: في خفف الله عن هذه الأمة .

وكان على رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ واحدًا من المكيين الذين قرؤوا وكتبوا في مجتمعهم الأمي ، وهذا دليل على حبه للعلم وشغفه به منذ صغره ، وقد وفقه الله تعالى أن يعيش منذ طفولته في بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فتربى على يديه وزادت عناية رسول الله به بعد إسلامه ، فكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرافد القوى الذي أثر في شخصيته وصقل مواهبه وفجر طاقته ، وهذب نفسه ، وطهر قلبه ونور عقله ، وأحيا روحه ، فقد لازم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة والمدينة ، وقد كان حريصًا على التتلمذ على يدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الذي كان يربي أصحابه على القرآن الكريم ، فقد كان هو الينبوع المتدفق الذي استمد منه على رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علمه وتربيته وثقافته ، وقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنزل عليه الآيات منجمة على حسب الوقائع والأحداث ، وكان يقرؤها على أصحابه الذين وقفوا على معانيها وتعمقوا في فهمها ، وتأثروا بمبادئها ، وكان له أعمق الأثر في نفوسهم وعقولهم وقلوبهم وأرواحهم ، كما كان على رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ واحدًا من الذين تأثروا بالتربية القرآنية على يدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتشرب تعاليمه وتوجيهاته النبوية ، وقد اهتم على رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ منذ أسلم بحفظ القرآن الكريم وفهمه وتأمله ، وظل ملازمًا للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتلقى عنه ما أنزل عليه حتى تم

لـه حفظ جميع آياته وسوره، لقد حصل على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ببركة صحبته لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتـربيته علـى يديـه خـيرًا كـثيرًا، وأصـبح مـن الخلفـاء الراشـدين فـيما بعـد، فقـد حـرص على التبحر في الهدى النبوي الحكيم في غـزواته وسـلمه، وأصـبح لعلـي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علم واسع ومعرفة غزيرة بالسنة النـبوية المطهرة، فقد استمد من رسول الله علمًا وتربية ومعرفة بمقاصد هذا الدين العظيم، وقد جمع بين رسول الله وبين على حب شديد، والحب عامل مهـم في تهيـئة مـناخ علمـي ممـتاز بـين المعلـم وتلمـيذه، يأتـي بخـير النتائج العلمية، والثقافية، لما له من عطاء متجدد، وعلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حـبًا جمًا، وتعلق فؤاده به، وقدم نفسه فداء له، وتضحية في سبيل نشر دعوته[1].

وقـد شـارك علـي بـن أبي طالب في السرايا والغزوات بعد هجرته إلي المدينة ومنها:

- غـزوة العـشيرة: وقـد حـدث عمـار بـن ياسـر عـن مشاركته وعلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تلـك الغـزوة، فعن عمار ابن ياسر قال: كنت أنا وعلى رفيقين في غـزوة ذى العـشيرة، فلمـا نـزلها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقام بها رأينا ناسًا من بنى مدلج يعملون في عين لهم في نخل، فقال لي على: يا أبا اليقظان هـل لـك أن تأتـي هؤلاء فتنظر كيف يعملون؟ فجئناهم، فنظرنا إلى عملهم سـاعة، ثـم غـشينا الـنوم، فانطلقـت أنـا وعلـى، فاضـطجعنا في صور من الـنخل، في دقعـاء مـن الـتراب فنمـنا، فـوالله مـا أهبـنّا إلا رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحـركنا بـرجله، وقـد تتربـنا مـن تلـك الـدقعاء، فيومئذ قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلـي: يا أبا تراب، لما رأى عليه التراب قال: «ألا أحـدثكما بأشقى الناس رجلين؟» فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: «أحيمر ثمود الـذي عقـر الـناقة والـذي يضربك يا على على هذه يعنى قرنه حتى تُبَل منه هذه يعنى لحيته»[2].

- غـزوة بـدر الأولى: وفيها أعطى الحبيب المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمير

---

(١) علي محمد الصلابي، الإمام علي، ص١٢٩.
(٢) فضائل الصحابة، ٢/ ٨٥٥، رقم ١١٧٢إسناده حسن.

المؤمنين عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لواءه الأبيض .

– غـزوة بدر: – قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأجمع أهل التواريخ على شهوده بـدرًا ، وسائر المشاهد غير تبوك ، قالو : وأعطاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللواء في مواطن كثيرة .

وكان على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد المجاهدين الذين شاركوا في غزوة بـدر ، فعـن حارثـة بن مضرب بن على أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتخبَّر عن بدر ، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا ، سار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بـدر ، وبـدر بئـر ، فسبقنا المشركين إليها ، فوجدنا فيها رجلـين مـنهم ، رجـلاً مـن قـريش ومولى لعقبة بن أبى معيط ، فأما القرشي فانقلـب ، وأمـا مولى عقبة فأخذناه ، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كـثير عـددهم ، شـديد بأسـهم ، فجعـل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتـى انـتهوا بـه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال له: كم القوم؟ قال: هم والله كـثير عـددهم ، شـديد بأسهم ، فجهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يخبره كم هم ، فأبى ، ثم إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأله: **«كم ينحرون من الجزر»** ، فقال: عشرًا كـل يـوم ، فقـال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«القـوم ألـف، كـل جـزور لمئة وتـبعها»** ، ثـم إنـه أصـابنا مـن اللـيل طـش من مطر ، فأنطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها ، من المطر ، وبات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ربه عـز وجـل يقـول: **«اللهـم إنـك إن تهلـك هذه الفئة لا تعبد»** ، قال: فلما طلع نـادى: الـصلاة عباد الله ، فجاء الناس ، من تحت الشجرة والحجف ، فصلى بـنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وحرض على القتال ، ثم قال: إن جمع قريش تحـت هـذه الـضّلع الحمـراء مـن الجبل . فلما دنا القوم منا وصافقناهم ، إذا رجـل مـنهم علـى جمـل لـه أحمـر يـسير في القـوم ، فقـال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يـا عـلى نـاد حمزة»** . وكان أقربهم من المشركين: من صاحب الجمل الأحمر ، وماذا يقول لهم ، ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«إن يكن في القـوم أحـد يأمـر بخير، فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر»** ، فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة ، وهو ينهي عن القتال ، ويقول لهم: يا قوم إني أرى قومًا مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير ، يا قوم اعصبوها اليوم برأسي ، وقولـوا: جَبُن عتبة بن ربيعة ، وقد علمتم أني لست بأجبنكم ، قال ، فسمع

ذلك أبو جهل ، فقال: أنت تقول هذا؟ والله لو غيرك يقول هذا لأعضضته ، قد ملئت رئتك وجوفك رعبًا . قال عتبة: إياى تُعيّر يا مُصفَّر إسته؟ ستعلم اليوم أينا الجبان . قال: فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية ، فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار ستة ، فقال عتبة: لا نريد هؤلاء ، ولكن يبارزنا من بنى عمنا ، من بنى عبد المطلب ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «قم يا علي، قم يا حمزة، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب» . فقتل الله تعالى عتبة وشيبة ابنى ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وجرح عبيدة ، فقتلنا منهم سبعين ، وأسرنا سبعين ، فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا ، فقال العباس: يا رسول الله ، إن هذا والله ما أسرني ، لقد أسرني رجل أجلح ، من أحسن الناس وجهًا ، على فرس أبلق ، ما أراه في القوم . فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله . فقال: اسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم . فقال علي: فأسرنا من بنى عبد المطلب: العباس وعقيلاً ، ونوفل بن الحارث[1] .

تزوج علي من بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سنة اثنتين للهجرة بعد وقعة بدر ، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم ، قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خُطبت فاطمة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قلت: لا ، قالت: فقد خطبت ، فما يمنعك أن تأتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيزوجك . فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوجك . قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت ، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة . فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «ما جاء بك؟ ألك حاجة؟» فسكت فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ فقلت: نعم ، فقال: «وهل عندك من شيء تستحلها؟» فقلت: لا والله يا رسول الله ، فقال: «ما فعلت درع سلحتكها؟» فوالذي نفس علي بيده إنها لحطمية ما قيمتها أربعمائة درهم ، فقلت: عندي ، فقال: «قد

(١) علي محمد الصلابي ، الإمام علي ، ص١٥٩ .

زوجتكها، فابعث إليها بها فاستحلها بها» ، فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١] .

قالت أسماء بنت عميس: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلما أصبحنا جاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الباب فقال: يا أم أيمن أدعي لي أخي ، فقالت: هو أخوك وتنكحه؟ قال: نعم يا أم أيمن ، قالت: فجاء على فنضح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه من الماء ودعا له ثم قال: ادعي إلى فاطمة ، قالت: فجاءت تعثر من الحياء ، فقال لها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اسكتي فقد أنكحتك أحب أهل بيتي إليَّ ، قالت: ونضح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها من الماء ودعا لها ، قالت: ثم رجع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرأى سوادًا بين يديه ، فقال: من هذا؟ فقلت: أنا ، قال: أسماء؟ قلت نعم ، قال: أسماء بنت عميس؟ قلت: نعم ، قال: جئت في زفاف بنت رسول الله تكرمة له؟ قلت نعم ، قالت: فدعا لي[٢] .

ولما خطب على فاطمة ، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إنه لابد للعرس من وليمة ، قال: فقال سعد: على كبش ، وجمع له رهط من الأنصار آصعًا من ذرة ، فلما كان ليلة البناء ، قال: يا على لا تحدث شيئًا حتى تلقاني ، فدعا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على عليٍّ ، فقال: **«اللهم بارك فيهما وبارك عليهما، وبارك في شبلهما»**[٣] .

وقد رزقه الله منها الحسن ، سبط رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وريحانته في الدنيا ، وأحد سيدي شباب أهل الجنة ، وولد للنصف من رمضان سنة ٣هـ وقيل في شعبان ، وقيل في سنة أربع أو خمس .

وقد سماه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسنًا ، قال على رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لما ولد الحسن سميته حربًا ، فجاء رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أروني ابنى . ما سميتموه؟قلت: حربًا ، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«بل هو حسن»**[٤] .

(١) دلائل النبوة للبيهقي ، ٣/ ١٦٠ ، إسناده حسن .
(٢) فضائل الصحابة ، ٢/ ٩٥٥ ، رقم ١٣٤٢إسناده صحيح .
(٣) المعجم الكبير للطبراني ١١٥٣ ، فضائل الصحابة ، ٢/ ٨٥٨ ، إسناده صحيح .
(٤) البخاري في الأدب ، ٢٨٦) .

والحسين وكان مولده سنة ٤هـ، وقيل غير ذلك، وقال النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عنهما: **«هما ريحانتاي من الدنيا»**[(١)] .

قال ابن حجر: والمعنى أنهما مما أكرمني الله وحباني به، لأن الأولاد يشمون ويقبلون فكأنهم من جملة الرياحين .

وعن أبي هريرة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : **«من أحبها فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»** يعني حسنًا وحسينًا[(٢)] .

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَاللَّهُعَنْهُ عن رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : **«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»**[(٣)] .

وعن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبي بريدة يقول: كان رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من على المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله ورسوله: **﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما[(٤)] .

ومن المواقف المشهودة للإمام علي موقفه في غزوة أحد فقد بدأ القتال بمبارزة بين علي بن أبي طالب رَضِيَاللَّهُعَنْهُ وطلحة بن عثمان، وكان بيده لواء المشركين، وطلب المبارزة مرارًا، فخرج إليه علي بن أبي طالب رَضِيَاللَّهُعَنْهُ فقال له علي: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار أو يعجلني بسيفك إلى الجنة، فضربه علي، فقطع رجله فوقع على الأرض فانكشفت عورته فقال: يا ابن عمي أنشدك الله والرحم! فرجع عنه ولم يجهز عليه، فكبر رسول الله وقال لعلي بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني الرحم حين انكشفت عورته فاستحييت منه . وكان رَضِيَاللَّهُعَنْهُ بعد الالتحام في ميمنة الجيش، وأخذ الراية بعد مقتل مصعب بن

---

(١) البخاري رقم ٣٧٥٣.

(٢) صحيح سنن أبي داود، ٢/ ٢٩، فضائل الصحابة رقم ١٣٥٩ .

(٣) مجمع الزوائد، ٩/ ١٨٤، وصححه الألباني في الأحاديث الصحيحة، ٢/ ٤٤٨ .

(٤) فضائل الصحابة رقم ١٣٥٨إسناده صحيح .

عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقد ظهرت شجاعته في الدفاع عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الذي أخذ بيد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما وقع في الحفرة يوم أحد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وظهرت شجاعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تلك المعركة ، فعندما أشيع أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتل وافتقده عليٌّ رأى أن الحياة لا خير فيها بعده ، فكسر جفن سيفه ، وحمل على القوم حتى أفرجوا له ، فإذا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فثبت معه ودافع عنه دفاع الأبطال ، وقد أصابته ست عشرة ضربة في ذلك اليوم[1] .

وبعد انسحاب جيش المشركين من أرض المعركة أرسل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد الغزوة مباشرة ، وذلك لمعرفة اتجاه العدو فقال له: «**اخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم**» قال علي: فخرجت في أثرهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة فخرج علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وأخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخبر القوم .

وقد شارك علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في غزوة بني النضير: ففي هذه الغزوة فقد الصحابة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذات ليلة ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إنه في بعض شأنكم**» ، فعن قليل جاء برأس عَزْوَكَ ، وقد كمن له حتى خرج في نفر من اليهود يطلب غرة من المسلمين ، وكان شجاعًا راميًا ، فشد عليه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقتله ، وفر اليهود[2] .

وفي غزوة حمراء الأسد التي خرج الجيش الإسلامي وفي مقدمتهم رسول

---

(١) مسند أبي يعلي ، ١/ ٤١٥ ، ٤١٦ ، إسناده حسن ، علي محمد الصلابي ، علي بن أبي طالب ، ص١٨٠ .

(٢) إمتاع الأسماع للمقريزي ، ١/ ١٨٠ .

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحمل اللواء، لواء أحد نفسه عليٌّ بن أبي طالب وصل المسلمون بقيادة رسولهم الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حمراء الأسد حيث حطُّوا الرحال فيها ومكث فيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أيام، وأمر بإيقاد النيران، فكانت تشاهد من مكان بعيد وملأت الأرجاء بأنوارها حتى خيل لقريش أن جيش المسلمين ذو عدد كبير لا طاقة لهم به، فانصرفوا وقد ملأ الرعب أفئدتهم[1].

وفي حادثة الإفك لما اتهم المنافقون عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا به، وكان من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن استدعى عليًا وأسامة واستشارهما في فراق أهله، لما كثر القول وأقلق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستلبث الوحي، فأما أسامة، فأشار عليه بالذي يعلم من براءتها، فقال: يا رسول الله أهلك، ولا نعلم إلا خيرًا، وأما علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بريرة فقال: أي بَريَرة هل رأيت من شيء يَريبك؟ قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا أغمصه[2] عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن[3] فتأكله، فقام رسول الله، فاستعذر[4] يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول قالت: فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على المنبر: فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً[5]، ما علمت عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي[6].

ولعل الكلام الذي قاله عليّ أراد به أن تسكن نفس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل. وكان شديد الغيرة، فرأى علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في بادئ الأمر أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق

(١) الطبقات لابن سعد، ٢/ ٤٩.
(٢) أغمصه: أي أعيبها به وأطعن بها عليه.
(٣) الداجن: هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم.
(٤) فاستعذر: أي قال: من يقوم بعذري إن عاقبته على سوء صنيعه.
(٥) هو صفوان بن المعطل السلمي.
(٦) البخاري رقم ٤٧٥٠.

بسببها إلى أن تتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما.

وقال النووي: رأى علي أن ذلك هو المصلحة في حق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة، لإرادة راحة خاطره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أن عليا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم ينل عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بأدنى كلمة يفهم منها أنه عرَّض بأخلاقها، أو تناولها بسوء، بل كان رأيه خيرًا لها، فهو يقول إن أردت أن ترتاح من المشكلة فإن غيرها كثير، وإن أردت الوصول للحقيقة، فاسأل الجارية توصلك إليها، وهي براءة عائشة، ثم بعد ذلك خطب رسول الله الناس وبين براءة عائشة، وخطورة من يخوض في عرضه ظلمًا وزورًا، وقد بدت نصيحة علي وأسامة بن زيد معًا إيجابيتين، وفي صالح عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فقد ازداد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قناعة بما علم من خير في أهله[1].

كما كان للإمام علي موقف مشهود في غزوة الأحزاب.

قال ابن إسحاق: وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين بعد أن اقتحمت خيل المشركين ثغرة في الخندق حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعدو نحوهم، وكان عمرو بن عبد وقد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراح، فلم يشهد يوم أُحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلمًا ليُرَى مكانه فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى أحد خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النّزل، فقال له: لِمَ يا ابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، قال له علي: لكني والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقرها، وضرب وجهه، ثم أقبل على عليٍّ، فتنازلا وتجاولا فقتله علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة.

(١) دور المرأة السياسي، ص٤٦٢ – ٤٦٣.

وقد ذكر ابن كثير ما رواه البيهقي في دلائل النبوة من أشعار قالها عمرو بن عبد ود وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد قال عمرو لما خرج للمبارزة:

ولقد بححتُ من النداء ::: لجمعِهم هل من مبارز؟

ووقفت إذ جَبُنَ المشجَّع ::: موقف القرن المناجز

ولذاك إني لم أكُن ::: متسرعًا قبل الهَزاهِزْ

إن الشجاعة في الفتى ::: والجود من خير الغرائِزْ

فعندما خرج له على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لا تَعْجَلَنَّ فقد أتاك ::: جيبُ صَوتكَ غير عاجز

في نية وبصيرة ::: والصدق مَنْجَى كلِّ فائز

إني لأرجُو أن أقيم ::: عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يبقى ::: ذكرها عند الهزائز

ولما قتل على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عمرو بن عبد ود ذكروا أنه قال من الشعر:

أعليُّ تفتحم الفوارس هكذا ::: عنيّ وعنهم أخروا أصحابي

اليوم يمنعني الفرارَ حفيظتي ::: ومُصَمِّم في الرأس ليس بنابي

وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت:

فرّ وألقى لنا رمحه ::: لعلَّكَ عَكْرمُ لم تفعلِ

ووليت تعدو كعدو الظَّليم ::: ما أن يحوّر عن المعدل

ولم تلوِ ظهرك مستأنسًا ::: كان قفاك قفا فُرْعَل

وبعد مقتل عمرو بن عبد ود بعث المشركون إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشترون جيفته بعشرة آلاف، فقال: ادفعوا إليهم جيفتهم، فإنه خبيث الجيفة، خبيث الدية، فلم يقبل منهم شيئًا[1].

وفي غزوة بنى قريظة كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حامل راية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المقدمة، إلى أن حكم فيها سعد بن معاذ، وكان في بادئ الأمر لم ينزلوا على حكمه، قال ابن هشام: إن عليّ بن أبي طالب صاح

(١) البداية والنهاية، ٤/١٠٦.

وهم محاصرو بني قريظة: يا كتيبة الإيمان، وتقدم هو والزبير بن العوام، وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة، أو لأقتحمن حصونهم، فقالوا: يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ، وهكذا أنزل الله تعالى الرعب والخوف في قلوب أعداء العقيدة والدين، على لسان ذاك التقى النقي لما آتاه الله من حب الاستبسال والموت في سبيل عزة دين الله تعالى، وقد نادى كتيبته بأحب الأسماء التي ينادي بها الله تعالى عباده ألا وهو نداء الإيمان الذي يتجلى فيه صدق الاعتقاد، وصلاح العمل، وحب الجهاد في سبيله تعالى.

ولما حكم سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن تقتل مقاتلتهم، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم الأموال، فكان من الذين يباشرون القتل علي بن أبي طالب والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [1].

في غزوة الحديبية وقبل الصلح. خرج بعض العبيد (الأرقاء) من مكة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكتب إليه مواليهم بإرجاعهم، فرفض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرجعهم وقال: «**يا معشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن الله قلبه على الإيمان**»، فسأله الصحابة بتلهف: من هو يا رسول الله؟ وكلهم يرجو أن يفوز هو بهذه الشهادة العظيمة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هو خاصف النعل**»، وكان قد أعطى عليًا نعله يخصفها، ولما تم الصلح بين المسلمين ومشركي قريش، كتب علي كتابًا بينهم قال: فكتب: محمد رسول الله، فقال المشركون: لا تكتب محمد رسول الله، لو كنت رسول الله لم نقاتلك. فقال لعلي: امحه قال: ما أنا بالذي أمحوه، فمحاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده فصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا بجلبان[2] السلاح[3]، وقد امتنع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن محو كلمة (رسول الله) بدافع محبته لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعظيمه.

وفي غزوة خيبر تجلت بطولة علي بن أبي طالب، ومكانته عند الله وعند

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ٣/ ٢٦٣، البخاري رقم ٤١٢١.
(٢) الجلبان: شبه جراب من الأدم يوضع فيه السيف المغمور.
(٣) مسلم، ٣/ ١٤٠٩.

رسوله ، وما قدر الله من فتح هذه المستعمرة اليهودية ، ذات الأهمية العسكرية الاستراتيجية على يده في مظهر جلي رائع فقد كانت خيبر مستعمرة يهودية تتضمن قلاعًا حصينة ، وقاعدة حربية لليهود ، آخر معقل من معاقلهم في جزيرة العرب ، وكانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر ، ويتآمرون مع يهود المدينة وخارجها لغزو المدينة ، فأراد رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن يستريح منهم ، ويأمن من جهتهم ، وكانت في الشمال الشرقي للمدينة على بعد سبعين ميلاً منها ، توجه رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بجيشه إلى خيبر ، وكانوا ألفًا وأربعمائة ، ونازل حصون خيبر ، وبدأ يفتحها حصنًا حصنًا ، واستعصى حصن القموص على المسلمين ، وكان على بن أبى طالب رمدًا فقال رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ : «**لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**» ، فبات الناس يدوكون[1] ليلتهم أيهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس ، غدوا على رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كلهم يرجون أن يعطاها ، فقال: «**أين عليّ بن أبى طالب؟**» فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه . قال: «**فأرسلوا إليه**» ، فأتى به ، فبصق رسول الله في عينيه ، ودعا له فبرأ حتى كأنه لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال على: يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . فقال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم**» فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر ، وكان من صور بطولته فيها أن خرج له مرحب ملكهم .

وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ::: شاكي السلاح بطل مُجرب
إذا الحروب أقبلت تَلَهَّبُ

فقال على:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة ::: كليث غابات كريه المنظرة

(١) أي: بات الناس في اختلاط واختلاف .

أُوفيهــم بالصاع كيــل السنــدرة

فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه[1].

وفي فتح مكة وغزوة حنين ٨هـ، كانت لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مواقف متعددة منها: إحباط محاولة تجسس لصالح قريش: عن حسن بن محمد بن علي بن عبيد الله ابن أبي رافع أنه سمع عليًا يقول: بعثني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنا والزبير والمقداد فقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإنَّ بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها**». فانطلقنا تَعَادى بنا خيْلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي من كتاب. قلنا لتُخرجنَّ الكتاب أو لنُلقينَّ الثياب قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب، فأتينا به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال رسول الله: «**يا حاطب ما هذا؟**» قال: لا تعجل عليَّ، إني كنت امرأ مُلْصَقًا في قريش، ولم أكن من أنفُسها، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتَّخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا، ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله: «**إنه قد صدقكم**» فقال عمر: دَعني أضرب عنُق هذا المنافق. فقال: «**إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعلَّ الله قد اطَّلعَ إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**»[2].

وفي هذا الفتح العظيم، كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عهد إلى أمرائه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، غير أنه أهدر دمَ نفر سمّاهم، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم الحويرث بن نقيذ بن وهب، كان ممن يؤذي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة، ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم، نخس[3] بهما الحويرث الجمل الذي هما عليه فسقطتا على الأرض، فلما أهدر دمه وظفر

(١) مسلم، ٣/ ١٤٤١، رقم ١٨٠٧.
(٢) إسناده صحيح، الموسوعة الحديثية مسند أحمد رقم ٦٠٠.
(٣) نخس الدابة: هيجها.

به عليّ قتله[1] .

وقد أرسله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بني جذيمة ، ليتلافى خطأ خالد بن الوليد في قتل بعضهم ، وذلك أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث خالدًا في السنة الثامنة للهجرة عقب فتح مكة ، إلى بني جذيمة يدعوهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، وقالوا: صبأنا ، فأخذ خالد يقتل منهم ويأسر . . فلما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما صنع خالد ، رفع يديه فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع ، مرتين ، فبعث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًا إليهم ، لينظر في أمرهم وبعث معه بمال ، فقام عليّ بمهمته خير قيام ، فودى قتيلهم وعوضهم عما أصيب في الدماء والأموال حتى أنه ليدي ميلغة[2] الكلب ، ولما انتهى من ذلك كله ، سألهم: هل بقى لكم بقية من دم أو مال لم يود إليكم؟ قالوا: لا ، قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال ، إحتياطًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما لايعلم ولا تعلمون ، ففعل ، ولما رجع إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبره بالخبر قال: «**أصبت وأحسنت**»[3] .

وبهذه المهمة الجليلة الموفقة ، أزال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ همًّا وحملاً أثقل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبهذا الهدى النبوي الحكيم واسى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بني جذيمة ، وأزال ما في نفوسهم من أسى وحزن وكان قتل خالد لبني جذيمة تأولاً منه واجتهادًا خاطئًا ، وذلك بدليل أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعاقبه على فعله ولم يعزله .

وفي غزوة حنين ظهرت بطولة علي بن أبي طالب عندما ثبت مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مع من ثبت معه من المهاجرين والأنصار ، وكان في جيش هوازن رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه ، فأدرك علي بعبقريته الحربية ، وتجربته الطويلة ، أن لهذا الرجل عاملاً مؤثرًا في حماس هوازن وشدتها ، فاتجه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورجل من الأنصار نحوه واستطاعا

---

(١) فتح الباري ، ٨/ ١٠١ ، السيرة النبوية لابن هشام ، ٤/ ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) ميلغة: اسم آلة ، والفعل "يلغ" بمعنى يشرب .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ، ٤/ ٧٢ ، ٧٣ ، إسناده ضعيف وله شواهد .

إسقاطه من على جمله وقتله ، فما كانت إلا ساعة حتى انهزموا وولوا الأدبار وانتصر المسلمون[1] .

وبعد أن طهر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البيت الحرام من الأوثان التي كانت فيه ، كان لابد من هدم البيوت التي كانت معالم للجاهلية ردحًا طويلاً من الزمن فكانت سرايا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تترى لتطهير الجزيرة منها ، فكانت من نصيب على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صنم الفلس في بلاد طيء ، ففي ربيع الآخر خرجت سرية على بن أبى طالب إلى الفلس - صنم لطيء - ليهدمه ، وكان تعدادها خمسين ومائة رجل من الأنصار ، على مائة بعير وخمسين فرسًا ، ومع راية سوداء ولواء أبيض ، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم - حاتم الطائى الذي ضرب المثل بجوده - مع الفجر فهدموا الفلس وخربوه ، وملؤوا أيديهم من السبى والنعم والشاء ، وفي السبى أخت عدى بن حاتم ، وهرب عدى إلى الشام[2] .

وفي غزوة تبوك ٩هـ استعمل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المدينة عليًا ، فوجد المنافقون فرصة للتنفيس عما بداخلهم من حقد ونفاق ، فأخذوا يتكلمون في على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بما يسيء إليه ، فمن ذلك قولهم: ما تركه إلا لثقله عليه ، وهذا العمل والقول السيئ منهم في حقه علامة بارزة واضحة على نفاقهم ، ففي الحديث الصحيح أن عليًّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي**» ، «**أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق**» . عند ذلك أدرك على الجيش ، وأراد الغزو معهم قائلا: يا رسول الله أتخلفني في الصبيان والنساء ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي**»[3] .

وفي حجة أبى بكر بالناس ٩هـ ما خرج الصديق بركب الحجيج نزلت سورة براءة فدعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأمره أن يلحق بأبى بكر الصديق ، فخرج على ناقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العضباء حتى أدرك

(١) مسند أبي يعلى ، ٣/ ٣٨٨ ، حسن الإسناد ، الصحيح المسند: ص ١٤١ للعدوي .
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي: ص ٦٢٤ .
(٣) البخاري رقم ٢٤٠٤ .

الصديق أبا بكر بذى الحليفة، فلما رآه الصديق قال له: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم سارا، فأقام أبو بكر للناس الحج على منازلهم التي كانو عليها في الجاهلية، وكان الحج في هذا العام في ذي الحجة كما دلت على ذلك الروايات الصحيحة لا في شهر ذي القعدة كما قيل، وقد خطب الصديق قبل التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم النفر الأول، فكان يعرف الناس مناسكهم: في وقوفهم وإفاضتهم، ونحرهم، ونفرهم، ورميهم للجمرات . . إلخ، وعلى يخلفه في كل موقف من هذه المواقف، فيقرأ على الناس صدر سورة براءة ثم ينادي في الناس بهذه الأمور الأربعة، لا يدخل في الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد فعهده إلى مدته، ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا، وقد أمر الصديق رهطًا آخر من الصحابة لمساعدة على بن أبى طالب في إنجاز مهمته[1].

ولما وفد نصاري نجران، كتب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم كتابًا قال فيه: «**أما بعد، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية. فإن أبيتم آذنتكم بحرب. والسلام**» فلما أتى الأسقف الكتاب، جمع الناس وقرأه عليهم، وسألهم عن الرأي فيه؟ فقرروا أن يرسلوا إليه وفدًا يتكون من أربعة عشر من أشرافهم، وقيل: ستين راكبًا، منهم ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم: العاقب، وهو أميرهم وصاحب مشورتهم والذين يصدرون عن رأيه، والسيد وهو صاحب رحلتهم، وأبو الحارث أسقفهم وحبرهم وصاحب مدارسهم، ولما جاء وفد نصاري نجران إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة، وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللاً لهم يجرونها من الحبرة، وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه طويلا، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وكانا على معرفة لهم، كانا يخرجان العير في الجاهلية إلى نجران، فيشتري لهما من برها وثمرها

(١) السيرة النبوية لأبى شهبة، ٢/ ٥٣٧.

وذرتها، فوجدوهما في ناس من الأنصار في مجلس، فقالوا: يا عثمان، ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب، فأقبلنا مجيبين له، فسلمنا عليه، فلم يرد علينا سلامنا، وتصدينا لكلامه نهارًا طويلاً، فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما، أنعود؟

فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ قال: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يأتوا إليه، ففعل الوفد ذلك، فوضعوا حللهم وخواتيمهم، ثم عادوا إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فرد سلامهم، ثم سألهم وسألوه فلم تزل بهم وبه المسألة. وقالوا لرسول الله ﷺ:كنا مسلمين قبلكم، فقال النبي ﷺ: «**يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وزعمكم أن لله ولدًا**» وكثر الجدال والحجاج بينه وبينهم، والنبي يتلو عليهم القرآن ويقرع باطلهم بالحجة، وكان مما قالوه لرسول الله ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا وتقول: إنه عبد الله، فقال: «**أجل إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول**»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانًا قط من غير أب، فإن كنت صادقًا فأرنا مثله؟ فأنزل الله في الرد عليهم قوله سبحانه: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ صدق الله العظيم الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠]. فكانت حجة دامغة شبه فيها الغريب بما هو أغرب منه، فلما لم تُجد معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى المباهلة، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ [آل عمران:٦١].

وخرج النبي ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة وقال: «**وإذا أنا دعوت فأمّنوا**». فائتمروا فيما بينهم، فخافوا الهلاك لعلمهم أنه نبي حقا، وأنه ما باهل قوم نبيًا إلا هلكوا، فأبوا أن يلاعنوه وقالوا: احكم علينا بما أحببت، فصالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب وألف في صفر[1].

---

(١) السيرة النبوية لأبي شهبة، ٢/ ٥٤٧.

وبعد فتح مكة استجابت القبائل العربية بالجزيرة إلى الإسلام، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرسل الدعاة إلى القبائل التي لم تستجب بعد، فأرسل عليًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى همدان باليمن، يقول البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: .. فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر، فجمعوا له، فصلى علي بنا الفجر، فلما فرغ، صفنا صفًا واحدًا ثم تقدم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما قرأ كتابه خر ساجدًا، وقال: «**السلام على همدان، السلام على همدان**»[1].

ولما توفى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان علي ممن باشر غسله مع الفضل بن العباس وأسامة بن زيد. وقال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: غسلت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئًا وكان طيبًا حيًا وميتًا، وقال: بأبي الطيب، طبت حيًا وطبت ميتًا، وكان علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من ضمن من نزل في قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وباشروا دفنه هو والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وشقران مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

ولما تولي أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الخلافة كان علي بن أبي طالب أول من بايع هو والزبير - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لما توفى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام خطباء الأنصار.. فذكر بيعة السقيفة ثم قال: ثم انطلقوا فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير عليًا، فسأل عنه، فقام أناس من الأنصار، فأتوا به، فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبايعه، ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جاؤوا به، فقال: ابن عمّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعاه[3].

---

(١) زاد المعاد، ٣/ ٦٢٢، إسناده صحيح.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ٤/ ٣٢١.
(٣) المستدرك، ٣/ ٧٦، السنن الكبرى، ٨/ ١٤٣، بإسنادين صحيحين.

وفي رواية حبيب بن أبي ثابت ، حيث قال: كان علي بن أبي طالب في بيته ، فأتاه رجل ، فقال له: قد جلس أبو بكر للبيعة ، فخرج عليّ إلى المسجد في قميص له ، ما عليه إزار ولا رداء ، وهو متعجّل ، كراهة أن يبطئ عن البيعة ، فبايع أبا بكر ، ثم جلس ، وبعث إلى ردائه فجاءوه به ، فلبسه فوق قميصه[1] .

وقد سأل عمرو بن حريث سعيد بن زيد ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فقال له: متى بويع أبو بكر؟ قال سعيد: يوم مات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كره المسلمون أن يبقوا بعض يوم ، وليسوا في جماعة .

قال: هل خالف أحد أبا بكر؟ قال سعيد: لا . لم يخالف إلا مرتد ، أو كاد أن يرتد ، وقد أنقذ الله الأنصار ، فجمعهم عليه وبايعوه . قال: هل قعد أحد من المهاجرين عن بيتعه؟ قال سعيد: لا لقد تتابع المهاجرون على بيعته ، وكان مما قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لابن الكواء وقيس بن عباد حينما قدم البصرة وسألاه عن مسيره قال: "لو كان عندي من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند في ذلك ما تركت أخا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ولقاتلتهما ولو لم أجد إلا بردى هذا ، ولكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقتل قتلاً ولم يمت فجأة ، مكث في مرضه أيامًا وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة ، فيأمر أبا بكر فيصلى بالناس ، وهو يرى مكاني ، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال: «**أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس**» فلما قبض الله نبيه ونظرنا في أمورنا ، فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله ، وكانت الصلاة أصل الإسلام ، وهي أعظم الأمور وقوام الدين ، فبايعنا أبو بكر ، وكان لذلك أهلاً ، ولم يختلف عليه منا اثنان ، ولم يشهد بعضنا على بعض ، ولم نقطع منه البراءة ، فأديت إلى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده ، وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي[2] .

(١) الطبري ، ٣/ ٢٠٧ ، والأثر مرسل وفي الإسناد سيف بن عمر متروك ، وعبد العزيز بن سياه صدوق يتشيع ، التقريب ، ٣٥٧ .
(٢) عبد العزيز سليمان ، خلافة أبي بكر الصديق ، ص٦٥ .

وكـان مما قـال في خطبته على منبر الكوفة في ثنائه على أبي بكر وعمر: **«فأعطـي المسلمون البيعة طائعين، فكـان أول مـن سبق في ذلك من ولد عبد المطلب أنا»**[1].

وبالرغم من أن بعض المؤرخين قد ذكروا روايات تدل على أن علي بن أبـي طالـب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـد تأخـر في مـبايعة أبـو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا أن الـثابت أن علـيًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يفـارق الصديق في وقت من الأوقات ولم ينقطع عـنه في جماعـة مـن الجماعـات ، وكـان يـشاركه في المشورة ، وفي تدبير أمور المسلمين .

ومـن الـدلائل الـساطعة علـى إخلاصـه لأبـى بكـر ونـصحه للإسلام والمـسلمين وحرصـه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة واجتماع شمل المسلمين ما جـاء مـن مـوقفه مـن توجه أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنفسه إلى ذي القصة ، وعزمه علـى محاربة المرتدين ، وقيادته للتحركات العسكرية ضدهم بنفسه ، وما كان في ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامي ، فعن ابن عمر ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقـول: "أقـول لـك ما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد: لم سيفك ولا تفجعـنا بنفسك ، وارجع إلى المدينة ، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا" ، فرجع[2] .

فلـو كـان على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أعاذه الله من ذلك – لم ينشرح صدره لأبى بكـر وقـد بايعـه علـى رغمًا من نفسه ، فقد كانت هذه فرصة ذهبية ينتهزها علـى ، فيترك أبا بكر وشأنه ، لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو الجو لـه ، وإذا كـان فـوق ذلـك – حـشاه الله – مـن كـراهته لـه ، وحرصه على التخلص منه ، أغرى به أحدًا يغتاله ، كما يفعل الرجال السياسيون بمنافسيهم وأعـدائهم ، وقد كان رأي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقاتلة المرتدين ، وقال لأبى بكر لما قـال لعلـي: مـا تقـول يا أبا الحسن؟ قال: أقول: إنك إن تركت شيئًا مما كان أخـذه منهم رسول الله فأنت على خلاف سنة الرسول ، فقال: أما لئن قلت

---

(١) أسد الغابة ، ٤/ ١٦٦ ، ١٦٧ ، خلافة أبي بكر ، ص٦٦ .
(٢) البداية والنهاية ، ٦/ ٣١٤ ، ٣١٥ .

ذاك لأقاتلنهم وإن منعوني عقالاً[1].

وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من ضمن من استشارهم الصديق فيمن يتولى الخلافة من بعده، وكان رأي علي أن يتولى الخلافة بعد الصديق الفاروق[2].

ولما مات أبو بكر، أقبل علي بن أبي طالب مسرعًا، باكيًا، مسترجعًا ووقف على البيت الذي فيه أبو بكر فقال: رحمك الله يا أبا بكر كنت إلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم يقينًا، وأشدهم لله تقوى، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء في دين الله عز وجل، وأحوطهم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحدبهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله هديًا وسمتًا، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عنده، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله وعن الإسلام أفضل الجزاء، صدقت رسول الله حين كذبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر، سماك الله في تنزيله صديقًا فقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر:٣٣]، واسيته حين بخلوا، وقمت معه على المكاره حين قعدوا، وصحبته في الشدة أكرم الصحبة، ثاني اثنين صاحبه في الغار، والمنزل عليه السكينة، ورفيقه في الهجرة، وخليفته في دين الله وأمته، أحسن الخلافة حين ارتدوا، فقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي، ونهضت حين وهن أصحابه، وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ وهنوا، وكنت كما قل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضعيفًا في بدنك قويًا في أمر الله، متواضعًا في نفسك عظيمًا عند الله تعالى، جليلاً في أعين الناس كبيرًا في أنفسهم، لم يكن لأحدهم فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف عندك قوي عزيز حتى تأخذ بحقه، القريب والبعيد عندك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عز

---

(١) الزمخشري، المختصر من كتب الموافقة بين أهل البيت والصحابة، ص ٤٨، الرياض النضرة، ص ٦٧٠.
(٢) الكامل لابن الأثير، ٢/ ٧٩.

وجل وأتقاهم . . شأنك الحق والصدق ، والرفق ، قولك حكم وحتم ، أمرك حلم وحزم ، ورأيك علم وعزم ، اعتدل بك الدين ، وقوى بك الإيمان ، وظهر أمر الله ، فسبقت - والله - سبقًا بعيدًا ، وأتعبت من بعدك إتعابًا شديدًا ، وفزت بالخير فوزًا مبينًا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، رضينا عن الله عز وجل قضاءه وسلمنا له أمره ، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبدًا ، كنت للدين عزًا ، وحرزًا وكهفًا ، فألحقك الله عز وجل بنبيك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا حرمنا أجرك ، ولا أضلنا بعدك ، فسكت الناس حتى قضى كلامه ، ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا: صدقت[1] .

وفي عهد الفاروق كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عضوًا بارزًا في مجلس شورى الدولة العمرية ، بل كان هو المستشار الأول ، فقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعرف لعلي فضله ، وفقهه ، وحكمته ، وكان رأيه فيه حسنًا ، فقد ثبت قوله فيه: أقضانا علي[2] ، وقال ابن الجوزي: كان أبو بكر وعمر يشاورانه ، وكان عمر يقول: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن ، وقال مسروق: كان الناس يأخذون عن ستة: عمر وعلي وعبد الله وأبي موسى وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب وقال: شاممت أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة نفر: عمر وعلي وعبد الله وأبي الدرداء وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ، ثم شاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين منهم: إلى علي ، وعبد الله ، وقال أيضًا: انتهى العلم إلى ثلاثة ، عالم بالمدينة ، وعالم بالشام ، وعالم بالعراق ، فعالم المدينة علي بن أبي طالب ، وعالم الكوفة عبد الله بن مسعود ، وعالم الشام أبو الدرداء ، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق ، عالم المدينة ولم يسألهما[3] ؛ فكان علي من هؤلاء المقربين ، يشد من أزر أخيه ، ولا يبخل عليه برأيه ، ويجتهد معه في إيجاد حلول للقضايا ، التي لم يرد فيها نص ، وفي تنظيم أمور الدولة الفتية .

ولما ولي عمر بن الخطاب أمر المسلمين بعد أبي بكر مكث زمانًا ، لا

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ، ١/ ٤٧٧ - ٤٧٩ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ص ١١٠٢ ، المعرفة والتاريخ ، ١/ ٤٨١ .

(٣) المعرفة والتاريخ ، ١/ ٤٤٤ .

يأكل من بيت المال شيئًا حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة، ولم يعد يكفيه ما يربحه من تجارته، لأنه اشتغل عنها بأمور الرعية، فأرسل إلى أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاستشارهم في ذلك فقال: قد شغلت نفسي في هذا الأمر فما يصلح لي فيه؟ فقال عثمان بن عفان: كل وأطعم، وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وقال عمر لعلي: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فأخذ عمر بذلك، وقد بين عمر حظه من بيت المال فقال: إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة قيم اليتيم، إن استغنيت عنه تركت، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف[1].

ولما فتحت أرض السواد بالعراق عنوة، أشار عدد من الصحابة - رضوان الله عليهم - على عمر بتقسيمهم بين الفاتحين، ولكن لسعة الأرض وجودتها، ونظرة عمر البعيدة لمن سيأتي بعد ذلك، لم يطمئن عمر لتقسيمها، فاستشار عليًا في ذلك فكان رأيه موافقًا لرأي الخليفة عمر ألا تقسم فأخذ برأيه وقال: لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها، كما قسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيبر[2].

وبالإجمال كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمستشار الأول لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان عمر يستشيره في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي وضع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور، وكان على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طيلة حياة عمر مستشارًا ناصحًا لعمر، محبًا له خائفًا عليه، وكان عمر يحب عليًا وكانت بينهما مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك يأبى أعداء الإسلام إلا أن يزوروا التاريخ، ويقصوا بعض الروايات التي تناسب أمزجتهم ومشاربهم ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن أن كل واحد منهم كان يتربص بالآخر الدوائر لينقض عليه، وكل أمورهم كانت تجري من وراء الكواليس.

(١) الأموال، القاسم بن سلام، ص ٥٧.
(٢) د. يحيى، الخلافة الراشدة، ص ٢٧٠.

إن من أبرز ما يلاحظه المتأمل في خلافة عمر تلك الخصوصية في العلاقة، وذلك التعاون المتميز الصافي، بين عمر وعلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقد كان علي هو المستشار الأول لعمر في سائر القضايا والمشكلات، وما اقترح عليّ عمر رأيًا إلا واتجه عمر إلى تنفيذه عن قناعة، وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يمحضه النصح في كل شئونه وأحواله، فمثلا عندما تجمع الفرس بنهاوند في جمع عظيم لحرب المسلمين جمع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس واستشارهم في المسير إليهم بنفسه، فأشار عليه عامة الناس بذلك، فقام إليه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم، وإنك إن أشخصت أهل اليمن إلى ذراريهم من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإنك إن أشخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات، أقرر هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل البصرة، فليتفرقوا ثلاث فرق، فرقة في حرمهم وذراريهم، وفرقة في أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مددًا لهم. إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدًا قالوا: هذا أمير العرب وأصلها، فكان ذلك أشد لكلبهم عليك، وأما ما ذكرت من مسير القوم، فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر، فقال عمر: هذا هو الرأي كنت أحب أن أتابع عليه[1].

كانت نصيحة على نصيحة المحب لعمر الغيور عليه، والضنين ألا يذهب، وأن يدير رحى الحرب بمن دونه من العرب وهو في مكانه، وحذره من أنه إذا ذهب، فلسوف ينشأ وراءه من الثغرات ما هو أخطر من العدو الذي سيواجهه، أرأيت لو أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلن أن الخلافة من بعده لعلي، أفكان لعلي أن يرغب عن أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا، وأن يؤيد المستلبين لحقه بل لواجبه في الخلافة بمثل هذا التعاون المخلص البناء؟ بل أفكان للصحابة، رضوان الله عليهم، كلهم أن يضيعوا أمر رسول

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ٤٨٠، تحقيق مواقف الصحابة، ٢/ ٩٤.

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ بل أفكان من المتصور أن يجمعوا وفي مقدمتهم على رضوان الله عليه على ذلك؟ بوسعنا أن نعلم إذن بكل بداهة، أن المسلمين إلى هذا العهد - نهاية عهد عمر - بل إلى نهاية عهد على كانوا جماعة واحدة، ولم يكن في ذهن أي من المسلمين أي إشكال بشأن الخلافة، أو شأن من هو أحق بها.

إن كثرة مشاورة عمر لعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وغيره من الصحابة، لا يعني هذا أنه دونهم في الفقه والعلم، فقد بينت الأحاديث الصحيحة التي تدل على علو علمه، واكتمال دينه، ولكن إيمانه وحبه للشورى، وتعويده للحكام فيما بعد على المشاورة، وعدم الاستبداد بالأمر والراي، وإلا فإن عليًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان كثيرًا ما يرجع عن رأيه إلى رأي عمر، فقد جاء عن عائشة، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، في معرض حديثها عن عمر قولها: وقد كان على رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يتابع عمر بن الخطاب، فيما يذهب إليه ويراه، مع كثرة استشارته عليًا، حتى قال على رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يشاورني عمر في كذا، فرأيت كذا، ورأي هو كذا، فلم أر إلا متابعة عمر[1].

وقد تزاوج عمر من أم كلثوم بنت على بن أبي طالب حينما سأله زواجها منه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بما يطلب، وثقة فيه وإقرارًا لفضله ومناقبة، واعترافًا بمحاسنه وجمال سيرته، وإظهارًا بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة والصلات المحكمة المباركة ما يحرق قلوب الحساد من أعداء الأمة المجيدة، ويرغم أنوفهم فقد كان عمر يكن لأهل البيت محبة خاصة لا يكنها لغيرهم لقرابتهم من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما أوصى به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من إكرام أهل البيت ورعاية حقوقهم، فمن هذا الباعث خطب عمر أم كلثوم ابنة على وفاطمة رضوان الله عليهم وتودد إليه في ذلك قائلا: فوالله ما على الأراض رجل يرصد من حسن صحبتها ما أرصد، فقال على: قد فعلت، فأقبل عمر إلى المهاجرين، وهو مسرور قائلاً: رفئوني .. ثم ذكر أن سبب زواجه منها ما سمعه من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) عبد الحميد على، خلافة على بن أبي طالب، ص، ٧٧، الأصبهاني، الإمامة والرد على الرافضة ص، ٢٩٥.

«كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي» ، فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبب[1] .

وولدت أم كلثوم بنت على من عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ابنة سميت (رقية) وولدًا سمته زيدًا ، وقد روى أصحاب زيد أن زيد بن عمر حضر مشاجرة في قوم من بنى عدى بن كعب ليلا فخرج إليهم زيد بن عمر ليصلحهم فأصابته ضربة شجت رأسه ومات من فوره ، وحزنت أمه لقتله ووقعت مغشيًا عليها من الحزن فماتت من ساعتها ، ودفنت أم كلثوم وابنها زيد بن عمر في وقت واحد ، وصلى عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، قدمه الحسن ابن على بن أبي طالب وصلى خلفه[2] .

ولما طُعن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وظن أنه سيفارق الحياة ، وأخذ المسلمون يدخلون عليه ، ويقولون له: أوصِ يا أمير المؤمنين ، استخلف ، فقال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عنهم راض فسمى عليًا ، وعثمان ، والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن ، ثم دعا خاصتهم وهم عبد الرحمن ، وعثمان ، وعلى فوعظهم[3] .

وقال ابن عباس كما هو في صحيح البخاري: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون ، قبل أن يرفع ، وأنا فيهم ، فلم يرعنى إلا رجل آخذ منكبي ، إذا على بن أبي طالب ، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحدًا أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وحسبت أني كنت كثيرًا ما أسمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر

---

(١) إسناده حسن ، أخرجه الحاكم في المستدرك ، ٣/ ١٤٢ ، صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي متعقبًا: منقطع ، وأورده الهيثمي في (مجمع الزائد ٩/ ١٧٣ ، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة ، وهناك من ضعفه .

(٢) أسد الغابة ، ٧/ ٤٥ .

(٣) البخاري رقم ٣٧٠٠ .

وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر[1].

وعن عبد خير قال: كنت قريبًا من علي حيث جاء أهل نجران قال: قلت: فإن كان رادًا على عمر شيئًا فاليوم، قال: فسلموا واصطفوا بين يديه، قال: ثم أدخل بعضهم يده في كمه فأخرج كتابًا فوضعه في يد علي، قالوا: يا أمير المؤمنين، خطك بيمينك وإملاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليك، قال: فرأيت عليًا وقد جرت الدموع على خده قال: ثم رفع رأسه إليهم فقال: يا أهل نجران، إن هذا لآخر كتاب كتبته بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا: فأعطنا ما فيه، قال: سأخبركم عن ذاك؛ إن الذي أخذه عمر لم يأخذه لنفسه، إنما أخذه بجماعة من المسلمين، وكان الذي أخذه منكم خيرًا مما أعطاكم والله لا أرد شيئًا مما صنعه عمر إن عمر كان رشيد الأمر[2].

وبعد أن فرغ الناس من دفن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حتى أسرع رهط الشورى وأعضاء مجلس الدولة الأعلى إلى الاجتماع في بيت عائشة أم المؤمنين، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وقيل أنهم اجتمعوا في بيت فاطمة بنت قيس الفهرية أخت الضحاك بن قيس، ليقضوا في أعظم قضية عرضت في حياة المسلمين - بعد وفاة عمر -، وقد تكلم القوم وبسطوا آراءهم واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمة سواء رضيها الخاصة والكافة من المسلمين، وقد أشرف على تنفيذ عملية الشورى واختيار الخليفة عبد الرحمن بن عوف، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وحقق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أول مظهر من مظاهر الشورى المنظمة في اختيار من يتحمل أعباء الخلافة ويسوس أمور المسلمين، فهو قد اصطنع من الأناة والصبر والحزم وحسن التدريب ما كفل له النجاح في أداء مهمته العظمى، وقاد ركب الشورى بمهارة وتجرد، مما يستحق أعظم التقدير، قال الذهبي: ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزل نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابيًا فيها لأخذها لنفسه، أو لولاها ابن عمه وأقرب

(١) البخاري، رقم ٣٦٨٥.
(٢) تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كنعان، ص ٣٨٣.

الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص، وقد تم الاتفاق على بيعة عثمان بعد صلاة صبح يوم البيعة اليوم الأخير من شهر ذى الحجة ٢٣هـ/ ٦ نوفمبر ٦٤٤م، وكان صهيب الرومي الإمام إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف، وقد اعتم بالعمامة التي عممه بها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان قد اجتمع رجال الشورى عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضرًا من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد، منهم: معاوية أمير الشام، وعمير بن سعد أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر وصاحبوه إلى المدينة، وجاء في رواية البخاري: فلما صلى الناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضرًا من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد، يا على إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل على نفسك سبيلاً فقال: أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون[(١)]، وجاء في رواية صاحب التمهيد والبيان أن على بن أبي طالب أول من بايع بعد عبد الرحمن بن عوف[(٢)].

وقد أقام على الحدود في عهد عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فعن حصين بن المنذر، قال: شهدت عثمان بن عفان، وأتى بالوليد فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه لم يتقيأ، فقال عثمان: إنه لم يتقيأ حتى شربها، فقال: يا على قم فاجلده فقال على: قم يا حسن فاجلده، فقال الحسن: ولّ حارها من تولى قارها[(٣)] فكأنه وجد عليه، فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده، فجلده وعلى يعد، حتى بلغ أربعين فقال: أمسك، ثم قال: جلد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة، وهذا أحب إلىّ[(٤)]. ويؤخذ من هذا الحديث أن عليًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان قريبًا من عثمان ومعينًا له على طاعة الله، وكان على رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول في

(١) البخاري، ك الأحكام، رقم ٧٢٠٧.
(٢) التمهيد والبيان، ص٢٦.
(٣) أي: ولِّ بشدتها وأوساخها من ولي هنيئها ولذاتها.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ك الحدود، ١١/ ٢١٦.

معرض دفاعه عن عثمان ردًا على من يعيب على عثمان بفعل المنسوب للوليد: إنكم ما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل ردءه[1]، ما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بفعله وعزله عن عمله، وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا[2].

والحقيقة أعداء الإسلام استخدمو فتنة مقتل عثمان في إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيرًا، والتحريض، والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس، والطعن على الولاة، واستخدام تزوير الكتب واختلاقها على لسان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عائشة وعلى وطلحة والزبير، والإشاعة بأن على بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأحق بالخلافة، وأنه الوصى بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتنظيم فرق في كل من البصرة والكوفة ومصر، أربع فرق من كل مصر مما يدل على التدبير المسبق، وأوهموا أهل المدينة أنهم ما جاؤوا إلا بدعوة الصحابة، وصعدوا الأحداث حتى وصلت إلى القتل، وإلى جوار هذه الوسائل، استخدموا مجموعة من الشعارات منها، التكبير، ومنها أن هذا ضد المظالم، ومنها أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلى خلع عثمان، إلى أن تمادوا في جرأتهم وطالبوا بل سارعوا إلى قتل الخليفة، وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة، فزادهم حماسهم المحموم لتضيق الخناق على الخليفة، والتشوق إلى قتله بأي وسيلة.

وكان التنظيم السبئي بقيادة عبد الله بن سبأ اليهودي خلف تلكم الأحداث والتي بعدها، وسيأتي الحديث عنه بإذن الله، وعن عثمان الذي هز مقتله العالم الإسلامي وأثر في كثير من الأحداث إلى يومنا هذا.

والحقيقة أن موقف علي بن أبي طالب كان واضحا منذ بداية الأزمة فعندما نزل المتمردون في ذى المروة قبل مقتل عثمان بما يقارب شهرًا ونصفًا، أرسل إليهم عثمان عليًا ورجلا آخر لم تسمه الروايات والتقى بهم

(١) الردء هو العون: علي محمد محمد الصلابي، علي بن أبي طالب، ص٢٨٨.
(٢) علي محمد محمد الصلابي، علي بن أبي طالب، ص٢٨٨.

على رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقال لهم: تعطون كتاب الله، وتعتبون من كل ما سخطتم، فوافقوا على ذلك، وفي رواية أنهم شادوه مرتين أو ثلاثًا، ثم قالوا: ابن عم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله فقبلوا، فاصطلحوا على خمس: على أن المنفي يقلب، والمحروم يعطى، ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة، وكتبوا ذلك في كتاب، أن يرد ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبو موسى على الكوفة، وهكذا اصطلح عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مع كل وفد على حدة ثم انصرفت الوفود إلى ديارها، وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعًا راضين تبين لمشعلي الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقق، لذا خططوا تخطيطًا آخر - يذكي الفتنة ويحييها - يقتضي تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمصار، وعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وزعموا أن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أرسل كتابا لعماله علي الأمصار يأمرهم بصلبهم أو قتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوها، ونفي عثمان، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم: إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يمين بالله لذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت، ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم، فلم يصدقوه، وهو الصادق البار لغاية في نفوسهم، وهذا الكتاب الذي زعم هؤلاء المتمردون البغاة المنحرفون أنه من عثمان وعليه خاتمه يحمله غلامه على واحد من إبل الصدقة إلى عامله بمصر ابن أبي سرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين هو كتاب مزور مكذوب على لسان عثمان، وإلا فكيف علم العراقيون بالأمر وقد اتجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن المصريين - الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم - مسافة شاسعة، فالعراقيون في الشرق والمصريون في الغرب، ومع ذلك عادوا جميعًا في آن واحد، كأنما كانوا على ميعاد؟ لا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوروا الكتاب واستأجروا راكبًا ليحمله ويمثل الدور في البويب أمام المصريين، قد استأجروا راكبًا آخر انطلق إلى العراقيين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتابًا بعث فيه عثمان لقتل المنحرفين المصريين، وهذا ما احتج به على بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا، بل

إن عليًا يجزم: هذا والله أمر أبرم بالمدينة .

إن هذا الكتاب المشئوم ليس أول كتاب يزوره هؤلاء المجرمون ، بل زوروا كتبًا على لسان أمهات المؤمنين ، وكذلك على لسان علي وطلحة والزبير ، فهذه عائشة ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، تُتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان فتنفي وتقول: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا ، فكانوا يرون أنه كتب على لسانها ، ويتهم الوافدون عليًا بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة ، فينكر ذلك عليهم ويقسم: والله ما كتبت إليكم كتابا ، كما ينسب إلى الصحابة بكتابة الكتب إلى أهل الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم ، فدين محمد قد فسد وترك ، والجهاد في المدينة خير من الرباط في الثغور البعيدة ، ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلاً: وهذا كذب على الصحابة ، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم ، فقد كتب من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج - قتلة عثمان - كتب مزورة عليهم أنكروها ، وكذلك زور هذا الكتاب على عثمان أيضا ، فإنه لم يأمر به ، ولم يعلم به ، ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبري وخليفة من استنكار كبار الصحابة - علي وعائشة والزبير - أنفسهم لهذه الكتب في أصح الروايات[1] . إن الأيدى المجرمة التي زورت الرسائل الكاذبة على لسان أولئك الصحابة هي نفسها التي أوقدت نار الفتن من أولها إلى آخرها ، ورتبت ذلك الفساد العريض ، وهي التي زورت وروجت على عثمان تلك الأباطيل ، وأنه فعل وفعل ، ولقنتها للناس ، حتى قبلها الرعاع ، ثم زورت على لسان عثمان ذلك الكتاب ، ليذهب عثمان ضحية إلى ربه شهيدًا سعيدًا ، ولم يكن عثمان الشهيد هو المجني عليه وحده في هذه المؤامرة السبئية اليهودية ، بل الإسلام نفسه كان مجنيًا عليه قبل ذلك ، ثم التاريخ المشوه المحرف ، والأجيال الإسلامية التي تلقت تاريخها مشوهًا هي كذلك ممن جنى عليهم الخبيث اليهودي ، وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحقد الدفين ، أما آن للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق ، وسير رجالاتها العظام؟ بل ألم يأن لمن يكتب في هذا

(١) تحقيق مواقف الصحابة ، ١/ ٣٣٥ ، نقلا عن الصلابي ، علي بن أبي طالب ، ص ٢٥٩ .

العصر من المسلمين أن يخاف الله ولا يتجرأ على تجريح الأبرياء قبل أن يحقق ويدقق حتى لا يسقط كما سقط غيره(١).

واشتد الحصار على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى منع من أن يحضر للصلاة في المسجد، وكان صابرًا على هذه البلوى التي أصابته كما أمره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، وكان مع إيمانه القوي بالقضاء والقدر، يحاول أن يجد حلاً لهذه المصيبة، فنراه تارة يخطب الناس عن حرمة دم المسلم، وأنه لا يحل سفكه إلا بحقه، ن وتارة يتحدث في الناس ويظهر فضائله وخدماته الجليلة في الإسلام، ويستشهد على ذلك ببقية العشرة رضوان الله عليهم، وكأنه يقول: من هذا عمله وفضله هل من الممكن أن يطمع بالدنيا ويقدمها على الآخرة؟ وهل يعقل أن يخون الأمانة ويعبث بأموال الأمة ودمائها وهو يعرف عاقبة ذلك عند الله وهو الذي تربى على عين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذي شهد له وزكاه وكذلك أفاضل الصحابة، أهكذا تكون معاملته؟!.

واشتدت سيطرة الثوار على المدينة حتى أنهم ليصلون بالناس في أغلب الأوقات، وحينما أدرك الصحابة أن الأمر ليس كما حسبوا، وخشوا من حدوث ما لا يحمد عقباه، وقد بلغهم أن القوم يريدون قتله، فعرضوا عليه أن يدافعوا عنه، ويخرجوا الغوغاء عن المدينة، إلا أنه رفض أن يراق دم بسببه، وأرسل كبار الصحابة أبناءهم دون استشارة عثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن هؤلاء الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعبد الله بن الزبير حيث تذكر بعض الروايات أن الحسن حُمل جريحًا من الدار، كما جرح غير الحسن، عبد الله بن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن الحكم، كما كان معهم الحسين بن علي وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد كان علي من أدفع الناس عن عثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وشهد له بذلك مروان بن الحكم، أقرب الناس إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وألصقهم به في تلك المحنة القاسية الأليمة، وقد أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن عليًا أرسل إلى عثمان فقال: إن معي خمسمائة دارع، فأذن لي، فأمنعك من القوم، فإنك لم تحدث شيئًا يستحل به

(١) الصلابي، علي بن أبي طالب، ص ٢٥٩.

دمك، فقال: جزيت خيرًا، ما أحب أن يهراق دم في سببي[1] وقد وردت روايات عديدة تفيد وقوفه بجانب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أثناء الحصار، فمن ذلك: أن الثائرين منعوا عن عثمان الماء حتى كاد أهله أن يموتوا عطشًا، فأرسل على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليه بثلاث قرب مملوءة ماء، فما كادت تصل إليه، وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبنى أمية حتى وصلت، ولقد تسارعت الأحداث فوثب الغوغاء على عثمان وقتلوه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأرضاه، ووصل الخبر إلى الصحابة وأكثرهم في المسجد، فذهبت عقولهم، وقال على لأبنائه وأبناء إخوانه: كيف قتل عثمن وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن، وكان قد جرح وضرب صدر الحسين، وشتم ابن الزبير وابن طلحة، وخرج غضبان إلى منزله ويقول: تبًا لكم سائر الدهر، اللهم إني أبرأ إليك من دمه أن أكون قتلت أو مالأت على قتله[2].

وهكذا كان موقف على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نصحًا وشورى، سمعًا وطاعة، وقفة قوية بجانبه أثناء الفتنة، ومن أدفع الناس عنه، ولم يذكره بسوء قط، يحاول الإصلاح وسد الخرق بين الخليفة والخارجين عليه، لكن الأمر فوق طاقته، وخارج إرادته، إنها إرادة الله عز وجل أن يفوز أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالشهادة[3].

بيعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة:

عن محمد بن الحنفية، وهو محمد بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أتى علي دار عثمان وقد قتل، فدخل إلى داره وأغلق بابه عليه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولابد للناس من خليفة، ولا نعلم أحدا أحق بها منك.

فقال لهم علي: لا تريدوني؛ فإني لكم وزير، خير لكم مني أمير. فقالوا: لا والله لا نعلم أحدا أحق بها منك، قال: فإن أبيتم علي فإن بيعتي

---

(١) تاريخ دمشق، ص٤٠٣.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ١٥/ ٢٠٩، إسناده صحيح.
(٣) عبد الحميد على، خلافة على بن أبي طالب، ص ٨٧، الصلابي، علي بن أبي طالب، ص ٢٦٢.

لا تكون سرا ، ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني . فخرج إلى المسجد فبايعه الناس[1] .

وبايعه المهاجرون والأنصار الذين كانوا في المدينة ، وقيل: إنه تخلف عن بيعته بعض الصحابة كسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة وغيرهم ، وقيل: إنه بويع من الجميع ، وهذا هو المشهور ، إنما تخلف سعد ، وابن عمر ، ومحمد بن مسلمة عن القتال معه ، أما البيعة فقد بايعوه .

قال عوف بن أبي جميلة: كنت عند الحسن البصري ، وكان في المدينة عند مقتل عثمان ، فذكروا أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال ابن جوشن الغطفاني: يا أبا سعيد إنما زري بأبي موسى اتباعه عليا ، فغضب الحسن حتى تبين في وجهه فقال: فمن يتبع ؟! قتل أمير المؤمنين مظلوما فعمد الناس إلى خيرهم فبايعوه فمن يتبع ؟! حتى رددها مرارا[2] .

وأهل السنة مجمعون على أن أفضل الصحابة بعد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فأهل السنة مجمعون على أن أفضل الصحابة بعد رسول الله أبو بكر ، ثم عمر ، ثم اختلفوا كما ذكرنا في عثمان وعلي ، والجمهور على أن عثمان أفضل من علي ، ثم اتفقوا بعد ذلك على أن علي بن أبي طالب رابع الخلفاء .

ولما بويع علي بن أبي طالب ، استأذن طلحة والزبير عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الذهاب إلى مكة فأذن لهما ، فالتقيا هناك بأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وكان الخبر قد وصل إليها أن عثمان قد قتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فاجتمعوا هناك في مكة وعزموا على الأخذ بثأر عثمان .

فجاء يعلى بن منية من البصرة ، وجاء عبد الله بن عامر من الكوفة ، واجتمعوا في مكة على الأخذ بثأر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فخرجوا من مكة بمن تابعهم إلى البصرة يريدون قتلة عثمان ، وذلك

---

(١) أخرجه أحمد في "فضائل الصحابة"، ٢/ ٥٧٣ رقم ٦٩٦ ، وإسناده صحيح .

(٢) أخرجه أحمد في "فضائل الصحابة"، ٢/ ٥٧٦ رقم ٩٧٦ ، بإسناد صحيح .

أنهم يرون أنهم قد قصروا في الدفاع عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المدينة: وكان عثمان بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واليا على البصرة من قبل علي بن أبي طالب. فلما وصلوا إلى البصرة أرسل إليهم عثمان بن حنيف: ماذا تريدون؟قالوا: نريد قتلة عثمان. فقال لهم: حتى يأتي علي، ومنعهم من الدخول. ثم خرج إليهم جبلة، وهو أحد الذين شاركوا في قتل عثمان فقاتلهم في سبعمائة رجل فانتصروا عليه، وقتلوا كثيرا ممن كان معه، وانضم كثير من أهل البصرة إلى جيش طلحة والزبير وعائشة رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين. خرج علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المدينة إلى الكوفة وذلك لما سمع أنه وقع هناك قتال بين عثمان بن حنيف وهو والي علي على البصرة وبين طلحة والزبير وعائشة ومن معهم، فخرج علي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجهز جيشا قوامه عشرة آلاف لمقاتلة طلحة والزبير.

وهنا يظهر لنا جليا أن علي بن أبي طالب هو الذي خرج إليهم ولم يخرجوا عليه، ولم يقصدوا قتاله كما تدعي بعض الطوائف ومن تأثر بهم، ولو كانوا يريدون الخروج على علي لذهبوا إلى المدينة مباشرة وليس إلى البصرة. فطلحة، والزبير، وعائشة ومن كان معهم لم يحدث قط أنهم أبطلوا خلافة علي ولا طعنوا عليه ولا ذكروا فيه جرحا ولا بايعوا غيره ولا خرجوا لقتاله إلى البصرة فإنه لم يكن بالبصرة يومئذ. ولذلك قال الأحنف بن قيس: لقيت طلحة والزبير بعد حصر عثمان فقلت: ما تأمراني فإني أراه مقتولا؟ قالا: عليك بعلي. قال: ولقيت عائشة بعد قتل عثمان في مكة فقلت: ما تأمريني؟ قالت: عليك بعلي.

وأرسل علي المقداد بن الأسود والقعقاع بن عمرو ليتكلما مع طلحة والزبير، واتفق المقداد والقعقاع من جهة وطلحة والزبير من جهة أخرى على عدم القتال وبين كل فريق وجهة نظره. فطلحة، والزبير يريان أنه لا يجوز ترك قتلة عثمان، وعلي يرى أنه ليس من المصلحة تتبع قتلة عثمان الآن، بل حتى تستتب الأمور، فقتل قتلة عثمان متفق عليه، والاختلاف إنما هو في متى يكون ذلك.

وبعد الاتفاق نام الجيشان بخير ليلة، وبات السبئية (وهم قتلة عثمان) بشر ليلة؛ لأنه تم الاتفاق عليهم وهذا ما ذكره المؤرخون الذين أرخوا لهذه المعركة أمثال: الطبري[1]، وابن كثير[2]، وابن الأثير[3]، وابن حزم[4]، وغيرهم[5].

عند ذلك أجمع السبئيون رأيهم على أن لا يتم هذا الاتفاق، وفي السحر والقوم نائمون، هاجم مجموعة من السبئيين جيش طلحة والزبير وقتلوا بعض أفراد الجيش وفروا، فظن جيش طلحة أن جيش علي غدر بهم، فناوشوا جيش علي في الصباح، فظن جيش علي أن جيش طلحة والزبير قد غدر، فاستمرت المناوشات بين الفريقين حتى كانت الظهيرة فاشتعلت المعركة.

وقد حاول الكبار من الجيشين وقف القتال، ولكن لم يفلحوا، فكان طلحة يقول: يا أيها الناس أتنصتون؟ فأصبحوا لا ينصتونه فقال: أف أف فراش نار، وذبان طمع[6]. وعلي يمنعهم ولا يردون عليه، وأرسلت عائشة كعب بن سور بالمصحف لوقف المعركة، فرشقه السبئيون بالنبال حتى أردوه قتيلا.

وكانت وقعة الجمل في سنة ست وثلاثين من الهجرة، أي: في بداية خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بدأت بعد الظهر وانتهت قبيل مغيب الشمس من اليوم نفسه. وكان مع علي عشرة آلاف، وأهل الجمل كان عددهم ما بين الخمسة والستة آلاف، وراية علي كانت مع محمد بن علي بن أبي طالب، وراية أهل الجمل مع عبد الله بن الزبير.

وقتل في هذا اليوم كثير من المسلمين، وهي فتنة سلم الله تبارك وتعالى

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ٥١٧.
(٢) البداية والنهاية، ٧/ ٥٠٩.
(٣) الكامل في التاريخ، ٣/ ١٢٠.
(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٤/ ٢٩٣.
(٥) عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، ص ١٧٧.
(٦) تاريخ خليفة بن خياط، ص١٨٢.

منها سيوفنا ونسأل الله لهم الرضوان والمغفرة .

وقتل طلحة والزبير ومحمد بن طلحة ، أما الزبير فلم يشارك في هذه المعركة ولا طلحة . وذلك أنه يروى أن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما جاء إلى المعركة لقي علي بن أبي طالب فقال له علي: أتذكر أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: تقاتل عليا وأنت ظالم" فرجع الزبير في ذلك اليوم ولم يقاتل[1] . فالصحيح أنه لم يقاتل ، ولكن هل وقع هذا بينه وبين علي؟الله أعلم؟ لأنه ليس للرواية سند قوي ولكن هي المشهورة في كتب التاريخ . والمشهور أكثر أن الزبير لم يشارك في هذه المعركة ، وقتل الزبير غدرا على يد رجل يقال له ابن جرموز . وقتل طلحة بسهم غرب (بسهم غير مقصود) ، والمشهور أن الذي رماه مروان بن الحكم أصابه في قدمه مكان إصابة قديمة فمات منها رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وهو يحاول منع الناس من القتال ولما انتهت هذه المعركة وقتل الكثير خاصة في الدفاع عن جمل عائشة لأنها كانت تمثل رمزا لهم فكانوا يستبسلون في الدفاع عنها .

ولذلك بمجرد أن سقط الجمل هدأت المعركة وانتهت ، وانتصر علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وإن كان الصحيح أنه لم ينتصر أحد ، ولكن خسر الإسلام وخسر المسلمون في تلك المعركة[2] .

فلما انتهت المعركة صار علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يمر بين القتلى فوجد طلحة بن عبيد الله ، فقال بعد أن أجلسه ومسح لتراب عن وجهه:

عزيز علي أن أراك مجدلا تحت نجوم السماء أبا محمد .

وبكى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وقال: وددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة[3] .

وكذلك رأى علي محمد بن طلحة فبكى ، وكان محمد بن طلحة يلقب

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ، ١٥/ ٢٨٣ رقم ١٩٦٧٤ ، وفيه رجل مجهول . وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ، ٤٤١٢ .

(٢) عثمان بن محمد الخميس ، حقبة من التاريخ ، ص ١٨٠ .

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر . المختصر . ١١/ ٢٠٧ ، أسد الغابة ، ٣/ ٨٨ ، وقال البوصيري: رجاله ثقات . نقله عنه الحافظ ابن حجر في ، المطالب العالية ، ٤/ ٣٠٢ ، مع اختلاف يسير في ألفاظه .

بـ "السجاد" من كثرة عبادته رضي الله تبارك وتعالى عنه . وكل الصحابة بلا استثناء الذين شاركوا في هذه المعركة ندموا على ما وقع .

وابن جرموز هذا دخل على علي ومعه سيف الزبير ، يقول: قتلت الزبير ، قتلت الزبير ، فلما سمعه علي قال: "إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ، ثم قال: "بشر قاتل ابن صفية بالنار" ، ولم يأذن له بالدخول عليه[1] .

ولما انتهت المعركة ، أخذ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وأرسلها معززة مكرمة إلى مدينة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما أمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

عن علي قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**سيكون بينك وبين عائشة أمر**» ، قال علي: فأنا أشقاهم يا رسول الله ، قال: «**لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها**»[2] ففعل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما أمر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3] .

وكان معاوية قد امتنع عن المبايعة لعلي حتى يتم القصاص لعثمان فلما انتهى علي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل الجمل قال: لابد أن يبايع معاوية الآن ، وجهز الجيش لمقاتلة معاوية أو يبايع ، فخرج علي بجيش قوامه مئة ألف إلى صفين[4] في الشام ، فلما سمع معاوية بخروج علي إلى قتاله صعد المنبر وقال: إن عليا نهد إليكم في أهل العراق فما الرأي؟ فضرب الناس بأذقانهم على صدورهم فقام ذو الكلاع الحميري فقال: عليك الرأي وعلينا الفعال ، والناس سكوت .

وصعد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المنبر ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: إن معاوية قد نهد إليكم في أهل الشام فما الرأي؟ فأضب أهل المسجد ، يقولون يا أمير المؤمنين الرأي كذا . . الرأي كذا .

---

(١) طبقات ابن سعد ، ٣/ ١٠٥ بسند حسن ، حقبة من التاريخ ، ص ١٨١ .
(٢) أخرجه أحمد في المسند ، ٦/ ٣٩٣ ، وقال الحافظ في الفتح ، ١٣/ ٦٠ ، سنده حسن .
(٣) حقبة من التاريخ ، ص ١٨٢ .
(٤) صفين: قرب الرقة بجانب نهر الفرات . وهي حاليا في سوريا .

فلم يفهم علي كلامهم من كثرة من تكلم، وكثر اللغط، فنزل، وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فذاك حال أهل الشام وهذا حال أهل العراق، فأهل الشام كانوا أهل طاعة وأهل جلد، وأهل العراق كانوا أهل فوضى كما سيأتي، وهم الذين بعد ذلك قاتلوا عليا وقتلوه رضي الله تبارك وتعالى عنه.

وصل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى صفين سنة سبع وثلاثين من الهجرة وذلك في صفر. وكان قتال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صفين والجمل عن رأي رآه واجتهاد تبناه.

فقد أخرج أبو داود في سننه عن قيس بن عباد قال: قلت لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخبرنا عن مسيرك هذا أعهد عهده إليك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم رأي رأيته؟ قال: ماعهد إلي رسول الله شيئا ولكنه رأي رأيته. هل نازع معاوية على الخلافة؟عن أبي مسلم الخولاني أنه دخل على معاوية فقال له: أنت تنازع عليا، أأنت مثله؟ فقال معاوية: لا والله إني لأعلم أن عليا أفضل وأحق بالأمر، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما؟ وأنا ابن عمه، وأنا أطلب بدمه، فأتوا عليا فقولوا له فليدفع إلي قتلة عثمان وأسلم له الأمور، فأتوا عليا فكلموه فأبى عليهم ولم يدفع القتلة.

فمعاوية لم يقل إنه خليفة، ولم ينازع عليا الخلافة أبدا، ولذلك لما تنازعا كما سيأتي وصار التحكيم وكتب هذا ما عاهد عليه علي أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان قال: لا تكتب أمير المؤمنين، لو بايعتك على أنك أمير المؤمنين ما قاتلتك، ولكن اسمك واسمي فقط، ثم التفت إلى الكاتب وقال: اكتب اسمه قبل اسمي لفضله وسابقته في الإسلام[1].

ولم يكن القتال بين علي ومعاوية قتالا بين خليفة وخليفة أبدا، ولكن القتال سببه أن عليا يريد أن يعزل معاوية، ومعاوية رافض للعزل حتى يقتل قتلة ابن عمه أو يسلمون إليه فلم يكن الموضوع الخلافة كما يشاع. وكان عدد جيش علي مئة ألف وكان عدد حيش معاوية سبعين ألفا، وقتل عمار

(١) البداية والنهاية، ٧/ ٢٨٨.

ابن ياسر وكان في جيش علي وكان النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد قال لعمار: «يا عمار ستقتلك الفئة الباغية»[1].

قيل للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُاللَّهُ: حديث: «تقتلك الفئة الباغية؟» . قال: لا أتكلم فيه، تركه أسلم، كما قال رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : «قتلته الفئة الباغية، وسكت»[2].

قال ابن حجر رَحِمَهُاللَّهُ: "ذهب جمهور أهل السنة إلى تصويب من قاتل مع علي، وقد ثبت أن من قاتل عليا كانوا بغاة، ومع هذا التصويب فهم متفقون على أنه لا يذم واحد من هؤلاء بل يقولون: اجتهدوا فأخطؤوا"[3].

وقال: "اتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع منهم ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا إلا عن اجتهاد"[4].

وقال الطبري في تقوية مذهب من ناصر عليا رَضِيَاللَّهُعَنْهُ: "لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهروب منه بلزوم المنازل لما أقيم حد ولا أبطل باطل ولوجد أهل الفسوق سبيلا إلى ارتكاب المحرمات"[5].

قلت: هذا كلام صحيح إذا تبين الأمر، ولكن إذا كانت الأمور مشتبهة لزم الابتعاد، فلذلك تخلف الكثير عن المشاركة في هذه المعركة.

إذن: فالذي يجب أن نعتقده أن طلحة والزبير وعائشة ومن معهم وكذلك عليا ومن معه إنما قاتلوا عن اجتهاد، والأمر كان فتنة، ومعركة الجمل بالذات لم تكن عن استعداد لقتال ولم يكونوا يريدون القتال. ونقل ابن حزم، وابن تيمية عن الجمهور الامتناع عن الكلام في هذه المسألة.

قال ابن تيمية رَحِمَهُاللَّهُ: إن قال قائل: إن عليا بدأهم القتال؟

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد، حديث ٤٤٧، صحيح مسلم، كتاب الفتنة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل...، حديث ٢٩١٥.

(٢) السنة للخلال، ص ٤٦٣ رقم ٧٢٢.

(٣) فتح الباري، ١٣/ ٧٢.

(٤) فتح الباري، ١٣/ ٣٧، انظر: حقبة من التاريخ، ص ١٨٧.

(٥) فتح الباري، ١٣/ ٣٧.

قيل له: وهم أولا امتنعوا عن طاعته، ومبايعته، وجعلوه ظالما مشاركا في دم عثمان، وقبلوا عليه شهادة الزور[1].

وأشيع عند أهل الشام أن عليا رضي بقتل عثمان. وراجت هذه الإشاعة عند أهل الشام لأربعة أمور:

١ - عدم قتل قتلة عثمان.

٢ - معركة الجمل.

٣ - ترك المدينة والسكن بالكوفة، والكوفة هي معقل قتلة عثمان.

٤ - أن في جيش علي من هو متهم بقتل عثمان.

لهذه الأمور الأربعة وقع الشك عند أهل الشام (عند الجهلة منهم) أن لعلي يدا في قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وليس لعلي يد بل كان يلعن قتلة عثمان، فإن قيل: هذا وحده لم يبح له قتالهم. قيل: إنه ما كان يجوز لهم أن يقاتلوا عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكونه عاجزا عن قتل قتلة عثمان، بل لو كان قادرا على قتل قتلة عثمان وتركه إما متأولا أو مذنبا، لم يكن ذلك موجبا لتفريق الجماعة والامتناع عن بيعته، بل كانت مبايعته على كل حال أصلح في الدين وأنفع للمسلمين[2].

قصة التحكيم:

وانتهت معركة صفين بالتحكيم، أي: توقفوا عن القتال بأن رفعت المصاحف على الرماح، ورضي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالتحكيم، ورجع إلى الكوفة ورجع معاوية إلى الشام على أن يكون التحكيم في رمضان، وأرسل علي أبا موسى الأشعري، وأرسل معاوية عمرو بن العاص.

وقصة التحكيم المشهورة هي أن عمرو بن العاص اتفق مع أبي موسى الأشعري على عزل علي ومعاوية، فصعد أبو موسى الأشعري المنبر وقال: أنا أنزع عليا من الخلافة كما أنزع خاتمي هذا، ثم نزع خاتمه، وقام عمرو بن

(١) منهاج السنة، ٤/ ٤١٠، انظر: حقبة من التاريخ، ص ١٨٨.
(٢) منهاج السنة، ٤/ ٤١١، انظر: حقبة من التاريخ، ص ١٨٩.

العاص وقال: وأنا أنزع عليا كذلك كما نزعه أبو موسى وكما أنزع خاتمي هذا ، وأثبت معاوية كما أثبت خاتمي هذا .

فكثر اللغط ، وخرج أبو موسى غاضبا ورجع إلى مكة ولم يذهب إلى علي في الكوفة ، ورجع عمرو بن العاص إلى الشام[1] .

هذه القصة مزورة مكذوبة ، بطلها أبو مخنف . والقصة الصحيحة كما رواها أهل الحق: وهي أن عمرو بن العاص التقى مع أبي موسى الأشعري فقال: ما ترى في هذا الأمر؟ قال أبو موسى: أرى أنه من النفر الذين توفي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو راض عنهم[2] ، فقال عمر وبن العاص: فأين تجعلني أنـ ومعاوية؟ قال أبو موسى: إن يستعن بكما ففيكما المعونة ، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما[3] . ثم انتهى الأمر على هذا فرجع عمرو بن العاص إلى معاوية بهذا الخبر ورجع أبو موسى إلى علي به[4] .

والرواية الأولى لاشك أنها باطلة لثلاثة أمور:

أولا: السند ضعيف فيه أبو مخنف الكذاب .

ثانيا: خليفة المسلمين لا يعزله أبو موسى الأشعري ولا غيره ، إذ لا يعزل عند أهل السنة بهذه السهولة .

فكيف يتفق رجلان على عزل أمير المؤمنين ، هذا كلام غير صحيح ، والذي وقع في التحكيم هو أنهما اتفقا على أن يبقى علي في الكوفة وهو

(١) تاريخ الطبري ، ٤/ ٥١ ، الكامل في التاريخ ، ٣/ ١٦٨ وعمرو بن العاص: صحابي جليل هاجر طوعا لا كرها فلم يكن في المهاجرين نفاق لعدم الحاجة إليه ، وإنما كان النفاق في أهل المدينة وذلك أن أشراف مكة وكبراءها كانوا كفارا وكان المؤمن يؤذى فأنى يتأتى النفاق؟! وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام" رواه أحمد ، ٢/ ٣٠٤ .

(٢) يقصد علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٣) انظر تفصيل قضية التحكيم في كتاب "مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري" وقد عزاه إلى "التاريخ الكبير" ، ٥/ ٣٩٨ . وانظر تاريخ دمشق ، ٤٦/ ١٧٥ - ترجمة: عمرو بن العاص رضي الله عنه .

(٤) حقبة من التاريخ ، ص ١٩٢ .

خليفة المسلمين وأن يبقى معاوية في الشام أميرا عليها، وأن تتوقف الحرب بينهما.

ثالثا: الرواية الصحيحة التي ذكرناها[1].

ولما رجع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الكوفة، فخرج عليه الخوارج وكانوا قد رفضوا التحكيم وقالوا: لا حكم إلا لله، وبدءوا يشغبون على علي حتى في المسجد يقومون ويصيحون: لا حكم إلا لله، لا حكم إلا لله.

وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: "كلمة حق أريد بها باطل". ثم بعد ذلك قتلوا الصحابي الجليل عبد الله بن خباب، وقتلوا زوجته وبقروا بطنها وكانت حاملا متمة في شهرها، فلما بلغ الأمر عليا أرسل إليهم: من قتله؟ فردوا عليه كلنا قتلناه، فخرج إليهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بجيش قوامه عشرة آلاف فقتلهم في النهروان.

عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري قال: جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة ونحن عندها جلوس مرجعه من العراق ليالي قتل علي فقالت له: يا عبد الله بن شداد هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟ تحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي؟ قال: وما لي لا أصدقك! قالت: فحدثني عن قصتهم. قال: فإن عليا لما كاتب معاوية وحكم الحكمان خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس، فنزلوا بأرض يقال لها "حروراء" من جانب الكوفة، وأنهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى، واسم سماك الله تعالى به، ثم انطلقت فحكمت في دين الله الرجال، ولا حكم إلا لله تعالى. فلما أن بلغ عليا ما عتبوا عليه وفارقوه عليه، أمر مؤذنا فأذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن، فلما امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه، فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف! حدث الناس! فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه؟ إنما هو مداد في ورق! ونحن نتكلم بما رويناه منه! فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتاب

---

(١) حقبة من التاريخ، ص ١٩٢.

الله ، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿**وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**﴾ [النساء: ٣٥] . فأمة محمد أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل . ونقموا علي أن كاتبت معاوية "كتب علي بن أبي طالب"[١] .

وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحديبية حين صالح قومه قريشا ، فكتب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بسم الله الرحمن الرحيم**» فقال سهيل: لا تكتب: «**بسم الله الرحمن الرحيم**» ، فقال: كيف نكتب؟ فقال: اكتب: «**باسمك اللهم**» ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فاكتب: «**محمد رسول الله**» .

فقال لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك . فكتب: «**هذا ما صالح محمد ابن عبد الله قريشا**» ، يقول الله تعالى في كتابه: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**﴾ [الأحزاب: ٢١] . فبعث إليهم علي عبد الله بن عباس ، فخرجت معه ، حتى إذا توسطنا معسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس ، فقال يا حملة القرآن إن هذا عبد الله بن عباس ، فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرفه به ، هذا ممن نزل فيه وفي قومه: ﴿**وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون**﴾ [الزخرف: ٥٨] . فردوه إلى صاحبه ، ولا تواضعوه كتاب الله .

فقام خطباؤهم فقالوا: والله لنواضعنه كتاب الله ، فإن جاء بحق نعرفه لنتبعنه ، وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله . فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام ، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب ، فيهم ابن الكواء ، حتى أدخلهم على علي الكوفة[٢] فبعث علي إلى بقيتهم ، فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم ، فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دما حراما أو تقطعوا سبيلا أو تظلموا ذمة ، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين ، فقالت له عائشة: يا ابن شداد ، فقد قتلهم ، فقال: والله ما بعث إليهم حتى

(١) يريد أنهم نقموا عليه أنه كتب اسمه مجردا عن إمرة المؤمنين .
(٢) مستدرك الحاكم ، ٢/ ١٥٠ .

قطعوا السبيل وسفكوا الدم واستحلوا أهل الذمة، فقالت: آالله؟قال: آالله الذي لا إله إلا هو لقد كان، قالت: فما شيء بلغني عن أهل الذمة يتحدثونه، يقولون ذو الثدي وذو الثدي؟قال: قد رأيته وقمت مع علي عليه في القتلى، فدعا الناس فقال: أتعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان يصلي، ورأيته في مسجد بني فلان يصلي، ولم يأتوا فيه بثبت يعرفه إلا ذلك، قالت: فما قول علي حين قام عليه كما يزعم أهل العراق؟ قال: سمعته يقول: صدق الله ورسوله، قالت: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك؟ قال: اللهم لا، قالت: أجل، صدق الله ورسوله، يرحم الله عليا، إنه كان من كلامه لا يرى شيئا يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث[1].

وكان عدد الخوارج ألف رجل فقتلهم، ولم يقتل من جيش علي إلا أربعة أو سبعة في بعض الروايات[2].

وحين هدأت الأمور قليلا بعد معركة النهروان بفترة تقارب السنتين، انتدب ثلاثة من الخوارج، فاجتمعوا بمكة وتعاقدوا ليقتلن علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص. قالوا: نتقرب إلى الله بقتل هؤلاء الثلاثة (وذلك ليريحوا العباد منهم كما يزعمون)، فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادي: أنا لعلي بن أبي طالب، وقال البرك التميمي: أنا لمعاوية، أما عمرو بن بكر التميمي، فقال: أنا لعمرو بن العاص واتفقوا على أن يكون ذلك بعد سبع عشرة ليلة من رمضان. وكان عمرو في مصر، ومعاوية في الشام، وعلي في الكوفة، فطعن ابن ملجم عليا، وهو خارج لصلاة الفجر بخنجر قد سمه أسبوعا، وقال علي لما طعن إن أنا شفيت فأنا حجيجه، وإن أنا مت فاقتلاه بي (يخاطب الحسن والحسين). فقال ابن ملجم: لا والله فإني سممته جمعة (يريد سبعة أيام).

فلما مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاؤوا فقطعوا يدي ابن ملجم وسملوا عينيه وهو

(١) البداية والنهاية، ٧/ ٢٩٨.

(٢) مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج، وانظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث ٣٦١٠، انظر: حقبة من التاريخ، ص ١٩٧.

ثابت لم يجزع ، فلما أرادوا قطع لسانه خاف قالوا: الآن؟ قال: إني أخشى أن أعيش فترة لا أذكر الله فيها!.

سبحان الله!! هذا هو الضلال المبين والعياذ بالله ، يستبيح دم ولي من الأولياء ثم يخشى أن تمر عليه لحظة لا يذكر الله فيها!.

وخرج البرك لمعاوية في صلاة الفجر فضربه ولكن أصابه ولم يقتله ، وعولج ولكن ذكر أنها كانت سببا في قطع نسله .

والذي أراد عمرو بن العاص خرج إلى الصلاة وكان عمرو قد أصيب بإسهال فلم يخرج إلى الصلاة ، فقتل الإمام يظنه عمرو بن العاص ، وكان الإمام خارجة بن أبي حبيب فجاء وضربه فقتله في الصلاة ، فأمسكوه قالوا: ماذا فعلت؟ قال: أرحت الناس من عمرو بن العاص قالوا: ما قتلت عمرا وإنما قتلت خارجة . قال: أردت عمرا وأراد الله خارجة ، فقتل وقتل البرك وقتل عبد الرحمن بن ملجم[1] .

سبب الخلاف بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

المشهور: أن طلحة والزبير وعائشة خرجوا للانتقام لعثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه وعنهم .

أما معاوية: فإن عليا لما أخذ الخلافة عزل بعض الولاة الذين ولاهم عثمان وهم خالد بن سعيد بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، فلما بلغ العزل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفض العزل ، وقال: ممن أعزل؟ قالوا: من علي . قال: وأين قتلة ابن عمي؟ أين قتلة عثمان؟قالوا له: بايع ، ثم طالب بقتلة عثمان . قال: لا . بل يسلمني قتلة عثمان ، ثم أبايعه . وذلك أن معاوية كان يرى أنه على قوة في الشام ، وأنه لن يفرط بهذه القوة التي تؤهله للانتقام من قتلة عثمان ، فقال: لا أبايع حتى يقتل قتلة عثمان ، وعلي يقول تبايع ثم ينظر في قتلة عثمان .

فالاختلاف بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هو في أيهما قبل:

(١) الطبقات الكبرى ، ٣/ ٣٥ ، البداية والنهاية ، ٧/ ٣٣٨ ، انظر: حقبة من التاريخ ، ص ١٩٩ .

علي يرى أن الأولى أن يبايع ثم بعد ذلك ينظر في أمر قتلة عثمان عندما تهدأ الأمور ويستتب الأمن . ومعاوية كان يرى العكس إذ كان يرى أن أول شيء يجب عليهم أن يفعلوه هو قتل قتلة عثمان بعد ذلك النظر في موضوع الخلافة . فالخلاف بين علي ومعاوية هو خلاف أولويات ، وكان رأي طلحة والزبير من رأي معاوية ، وهو الإسراع بقتل قتلة عثمان ، مع أن الفرق بين طلحة والزبير من جهة ومعاوية من جهة أخرى أن طلحة والزبير بايعا ومعاوية لم يبايع بعد[1] .

واختلف موقف الصحابة من تلك المعارك على ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: طلحة والزبير وعائشة ومعاوية ، ترى هذه الطائفة أنه يجب التعجيل بقتل قتلة عثمان .

الطائفة الثانية: علي ومن معه ، ترى هذه الطائفة أن أول شيء يجب أن يكون ويحسم هو أمر الخلافة ، وتأجيل النظر في موضوع قتلة عثمان .

الطائفة الثالثة: ويمثلها سعد ، وابن عمر ، وأبو هريرة ، ومحمد بن مسلمة ، والأحنف ، وأسامة ، وأبو بكرة الثقفي ، وجل الصحابة . ترى هذه الطائفة اعتزال الجميع .

وسبب هذه الاختلافات: أن الأمور كانت مشتبهة والوقت كان وقت فتنة ولذلك لم يستطع أحد أن يتدبر ذلك الأمر ويتبين حقيقته بوضوح[2] .

قال الحافظ ابن حجر: إن الطبري أخرج بسند صحيح عن الأحنف بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقيت طلحة والزبير بعد حصر عثمان فقلت: ما تأمراني فإني أراه مقتولا؟ قالا: عليك بعلي . ولقيت عائشة بعد قتل عثمان في مكة فقلت: ما تأمريني؟ قالت: عليك بعلي[3] .

---

(١) انظر: حقبة من التاريخ ، ص ٢٠٠ .
(٢) انظر: حقبة من التاريخ ، ص ٢٠١ .
(٣) والذي يظهر من هذه الرواية أن (طلحة والزبير وعائشة) ما كانوا ينقمون على (علي) الخلافة أبدا ، إذ هم بايعوه على الخلافة وأمروا (الأحنف) بمبايعته ، وكل ما في الأمر أنهم اجتهدوا في معرفة ما يجب أن يقوموا به أولا .

ولما خرج هؤلاء الصحابة إلى معركة الجمل لقيهم الأحنف فقال لهم: والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين، ولا أقاتل رجلا أمرتموني ببيعته[1].

وقد مر بنا قول رسول الله ﷺ لعلي: يا علي إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر فارفق بها. قال علي: فأنا أشقاهم يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «**لا ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها**»[2].

وموقف أهل السنة من عبد الرحمن بن ملجم، وقتلة عثمان وقاتل الزبير، وقتلة الحسين، وأمثالهم هو كما ذكر الإمام الذهبي: "ابن ملجم عندنا ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، وحكمه هو حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمار، وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله ونكل أمورهم إلى الله تبارك وتعالى"[3].

والحق فيما وقع بين الصحابة هو كما قال رسول الله ﷺ عن عمار: «**تقتله الفئة الباغية**».

وقال عن الخوارج: «**يخرجون على حين اختلاف بين المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق**».

فالحديثان صريحان في أن الحق كان أقرب إلى علي رضي الله عنه.

وفي رواية: «**أقرب الطائفتين إلى الحق**».

فالحديثان ينصان على أن عليا كان أقرب للحق من مخالفيه في الجمل، وكذلك في صفين، ولكن لم يصب الحق كله، لأن الرسول ﷺ قال: «**الأقرب إلى الحق**»، «**الأولى بالحق**»، لا أنه على الحق كله. وليس هذا طعنا في علي رضي الله عنه، ولكن لبيان أن الذين امتنعوا عن المشاركة في الفتنة هم الذين كانوا على الحق كله، فالسلامة لعلي رضي الله عنه كانت في الإمساك

---

(١) فتح الباري، ١٣/ ٣٨.

(٢) رواه أحمد، ٦/ ٣٩٣، وقال الحافظ في، الفتح، ١٣/ ٦٠ سنده حسن. انظر: حقبة من التاريخ، ص ٢٠٢.

(٣) تاريخ الإسلام، ٦٤٥، عصر الخلفاء الراشدين في ترجمة عبد الرحمن بن ملجم.

عن القتال، ولذلك ندم علي لما رأى طلحة قتيلا، وقال: "ليتني مت قبل عشرين سنة".

ولما جاء الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد صفين، وكلم عليا بالذي حدث قال: "والله ما ظننت أن الأمر يصل إلى ذلك".

وندموا كلهم على المشاركة في تلك المعارك..

ولقد أثنى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الحسن وقال: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين من المسلمين**»[١].

فأثنى عليه للصلح، ولم يثن على علي؛ لأنه قاتلهم.

والثناء على علي كان لقتاله أهل "النهروان"، فقد أصاب الحق كله في قتاله للخوارج، ولذلك لم يحزن أحد على قتلهم، بل فرح المسلمون بقتل أهل النهروان.

وعلي سجد لله شكرا لما قتل أهل النهروان، ولكنه بكى لما قاتل أهل الجمل، وحزن لما قاتل أهل صفين[٢].

من أقوال وحكم ومواعظ الإمام علي:

- الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق.

- العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو مع العمل، والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، وصنعة المال تزول بزواله ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد مماته، مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة.

- أن الفقيه كل الفقه الذي لا يقنط الناس من رحمة الله:ولا يؤمنهم من عذاب الله، ولا يرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، بدب مناقب الحسن والحسين، حديث ٣٧٤٦.
(٢) انظر: حقبة من التاريخ، ص ٢٠٣.

غيره، ولا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قرءة لا تدبر فيها[1].

- ما أبردها على الكبد فقيل له: وما ذلك؟ قال: أن تقول للشيء لا تعلمه: الله أعلم[2].

- ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعَلِّموا[3].

- ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهى الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلا أحد رجلين، رجل أذنب ذنبًا فهو تدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عمل في تقوى، وكيف يقل ما يتقبل؟[4].

- كفى بالعلم شرفًا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نُسب إليه، وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نُسب إليه[5].

- إنما زهد الناس في طلب العلم، لما يرون من قلة انتفاع من عَلِمَ بما عَلِم[6].

- من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته بالجواب، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشين له سرًا، ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته.

---

(١) حلية الأولياء، ١/ ٧٧، صفة الصفوة، ١/ ٣٢٥.
(٢) جامع بيان العلم وفضله، ٢/ ٦٦.
(٣) فرائد الكلام، ص، ٣٦١.
(٤) حلية الأولياء، ص، ٧٥.
(٥) فرائد الكلام، ص، ٣٦٦.
(٦) أدب الدين والدنيا، ص، ٨٢، ٨٥.

- من علم وعمل دُعي في ملكوت السماوات عظيمًا .

- العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد ، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف مثله[1] .

وقد قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فاهدوا إليها طرائف الحكمة .

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خير الأمور النمط الأوسط ، إليه يرجع العالي ، ومنه يلحق التالي .

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخاف عليكم اثنين: اتباع الهوى وطول الأمل .

فإن اتباع الهوى يصد عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة .

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم فإن عاجلها ذميم ، وآجلها وخيم ، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب ، فسوفها بالتأميل والإرغاب ، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعا على النفس ذلت لهما وانقادت .

وقد قال علي بن أبي طالب: من تفكر أبصر والمحبوب أسهل شيء تسرع النفس إليه ، وتعجل بالإقدام عليه ، فيقصر الزمان عن تصفحه ويفوت استدراكه لتقصير فعله فلا ينفع التصفح بعد العمل ولا الاستبانة بعد الفوت .

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الناس أبناء ما يحسنون[2] .

قال فيه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اغد عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامس فتهلك)[3] .

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: قلب الحدث كالأراضي الخالية

(١) أدب الدين والدنيا ، ص ، ٨٢ ، ٨٥ .
(٢) أدب الدين والدنيا ، ص ٢٦ .
(٣) أدب الدين والدنيا ، ص ٤٠ .

ما ألقي فيها من شيء قبلته وإنما كان كذلك ؛ لأن الصغير أفرغ قلبا ، وأقل شغلا ، وأيسر تبذلا ، وأكثر تواضعا[1] .

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لا يعرف فضل أهل العلم إلا أهل الفضل[2] .

وقد قال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: عقبى الأخرق مضرة ، والمتعسف لا تدوم له مسرة[3] .

وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا ، حتى أخذ على أهل العلم العهد أن يعلموا[4] .

وروي عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه كان كلما دخل عليه وقت صلاة اصفر لونه مرة واحمر أخرى فقيل له في ذلك ، فقال: أتتني الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها أنا فلا أدري أأسيء فيها أم أحسن[5] . .

وقال عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ما انتفعت ولا اتعظت بعد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بمثل كتاب كتبه إلي علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -: أما بعد فإن الإنسان ليسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه ، فلا تكن بما نلته من دنياك فرحا ، ولا لما فاتك منها ترحا ، ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة بطول الأمل ، فكأن قد والسلام[6] .

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: لا تعمل شيئا من الخير رياء ولا تتركه حياء[7] .

---

(١) أدب الدين والدنيا ، ص ٥٠ .
(٢) أدب الدين والدنيا ، ص ٧٥ .
(٣) أدب الدين والدنيا ، ص ٧٩ .
(٤) أدب الدين والدنيا ، ص ٩١ .
(٥) أدب الدين والدنيا ، ص ١٠٥ .
(٦) أدب الدين والدنيا ، ص ١٢٣ .
(٧) أدب الدين والدنيا ، ص ١٢٨ .

وقال علي بن أبي طالب: مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها، فأعرض عما أعجبك منها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما أيقنت من فراقها، وكن أحذر ما تكون لها وأنت آنس ما تكون بها، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه عنها مكروه، وإن سكن منها إلى إيناس أزاله عنها إيحاش وقال بعض البلغاء: الدنيا لا تصفو لشارب، ولا تبقى لصاحب، ولا تخلو من فتنة، ولا تخلي محنة، فأعرض عنها قبل أن تعرض عنك، واستبدل بها قبل أن تستبدل بك، فإن نعيمها يتنقل، وأحوالها تتبدل، ولذاتها تفنى، وتبعاتها تبقى[1].

وقال علي بن أبي طالب: لا تكن ممن يقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، فإن أعطي منها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع.

يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، وينهى الناس ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي.

يحب الصالحين ولا يعمل بعملهم. ويبغض الطالحين وهو منهم[2].

- وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أيها الناس اتقوا الله الذي إن قلتم سمع، وإن أضمرتم علم، وبادروا الموت الذي إن هربتم أدرككم، وإن أقمتم أخذكم[3].

- وروي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غر جهولا أمله يموت من جا أجله ومن دنا من حتفه لم تغن عنه حيله وما بقاء آخر قد غاب عنه أوله والمرء لا يصحبه في القبر إلا عمله[4].

وذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى

(١) أدب الدين والدنيا، ص ١٣٣ - ١٣٤.
(٢) أدب الدين والدنيا، ص ١٣٥ - ١٣٦.
(٣) أدب الدين والدنيا، ص ١٤٤.
(٤) أدب الدين والدنيا، ص ١٤٦.

لمن تزيد منها[١] .

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصاحب مناسب [٢] .

وكان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول: اللهم إني أعوذ بك ممن لا يلتمس خالص مودتي إلا بموافقة شهوتي ، وممن ساعدني على سرور ساعتي، ولا يفكر في حوادث غدي [٣] .

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره فقد يشكر الشاكر بأضعاف جحود الكافر [٤] .

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن الله تعالى جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها وصلا بينه وبينكم ، فحسب الرجل أن يتصل من الله تعالى بخلق منها[٥] .

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب [٦] .

وقد قال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -: أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره .

وحد الحلم ضبط النفس عن هيجان الغضب .

وهذا يكون عن باعث وسبب .

وأسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس عشرة: أحدها: الرحمة للجهال وذلك من خير يوافق رقة .

---

(١) أدب الدين والدنيا ، ص ١٥٧ .
(٢) أدب الدين والدنيا ، ص ٢٠٦ .
(٣) أدب الدين والدنيا ، ص ٢١٨ .
(٤) أدب الدين والدنيا ، ص ٢٤٨ .
(٥) أدب الدين والدنيا ، ص ٢٨٤ .
(٦) أدب الدين والدنيا ، ص ٢٩٢ .

وقد قيل في منثور الحكم: من أوكد الحلم رحمة الجهال[1] .

وحكي أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال لعامر بن مرة الزهري: من أحمق الناس؟ قال: من ظن أنه أعقل الناس .

قال: صدقت ، فمن أعقل الناس؟ قال من لم يتجاوز الصمت في عقوبة الجهال[2] .

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: الكذاب كالسراب[3] .

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خياركم كل مفتن تواب وإن صدته الشهوة عن مراشده ، وأضله الحرمان عن مقاصده ، فانقاد للطبع اللئيم ، وغلب عليه الخلق الذميم ، حتى ظهر حسده واشتد كمده ، فقد باء بأربع مذام: إحداهن: حسرات الحسد وسقام الجسد ، ثم لا يجد لحسرته انتهاء ، ولا يؤمل لسقامه شفاء[4] .

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: اللسان معيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل[5] .

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: الصبر مطية لا تكبو ، والقناعة سيف لا ينبو[6] .

وقال علي بن أبي طالب كرم 'الله وجهه للأشعث بن قيس: إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور ، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور[7] .

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصبر مستأصل الحدثان ، والجزع

(١) أدب الدين والدنيا ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ .
(٢) أدب الدين والدنيا ، ص ٣١٢ .
(٣) أدب الدين والدنيا ، ص ٣٢٦ .
(٤) أدب الدين والدنيا ، ص ٣٣٨ .
(٥) أدب الدين والدنيا ، ص ٣٤٠ .
(٦) أدب الدين والدنيا ، ص ٣٥٩ .
(٧) أدب الدين والدنيا ، ص ٣٦٢ .

من أعوان الزمان[1] .

وسئل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الدنيا فقال: تغر وتضر وتمر[2] .

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نعم المؤازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد[3] .

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه[4] .

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: سرك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره[5] .

وأتى رجل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: إني احتلمت على أمي .

فقال: أقيموه في الشمس واضربوا ظله الحد[6] .

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: إذا ضحك العالم ضحكة مج من العلم مجة[7] . .

وقال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -: العيون مصائد الشيطان[8] .

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنه الحسن في وصيته له: يا بني إن استضعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا ، فإن اليسير من الله تعالى أكرم وأعظم من الكثير من

(١) أدب الدين والدنيا ، ص ٣٦٦ .
(٢) أدب الدين والدنيا ، ص ٣٦٨ .
(٣) أدب الدين والدنيا ، ص ٣٧٧ .
(٤) أدب الدين والدنيا ، ص ٣٨١ .
(٥) أدب الدين والدنيا ، ص ٣٨٧ .
(٦) أدب الدين والدنيا ، ص ٣٩٣ .
(٧) أدب الدين والدنيا ، ص ٣٩٧ .
(٨) أدب الدين والدنيا ، ص ٤٠٧ .

غيره، وإن كان كل منه كثيرا [(١)] .

وقد روي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: من أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليخفف الرداء .

قيل: وما في خفة الرداء من البقاء؟ قال: قلة الدين [(٢)] .

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الهوى عمى [(٣)] .

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كفى بما يعتذر منه تهمة [(٤)] .

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن كنت بطنا فعد نفسك زمنا [(٥)] .

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من كانت له عند الناس ثلاث وجبت له عليهم ثلاث من إذا حدثهم صدقهم، وإذا ائتمنوه لم يخنهم، وإذا وعدهم وفى لهم وجب له عليهم أن تحبه قلوبهم، وتنطق بالثناء عليه ألسنتهم، وتظهر له معونتهم [(٦)] .

أول كتاب كتبه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلافته: أما بعد فإنه هلك من كان قبلكم فإنهم منعوا الحق حتى اشتري، وبسطوا الباطل حتى اقتني [(٧)] ..

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنما يعرف الحلم ساعة الغضب وكان يقول أول الغضب جنون وآخره ندم ولا يقوم الغضب بذل الاعتذار وربما كان العطب في الغضب، وقيل للشعبي: لأي شيء يكون السريع الغضب سريع الفيئة ويكون بطيء الغضب بطيء الفيئة؟ قال لأن الغضب كالنار

(١) أدب الدين والدنيا، ص ٤١٩ .
(٢) أدب الدين والدنيا، ص ٤٢٠ .
(٣) أدب الدين والدنيا، ص ٢٢ .
(٤) أدب الدين والدنيا، ص ٤٣٣ .
(٥) أدب الدين والدنيا، ص ٤٤٢ .
(٦) الآداب الشرعية، ١/ ٥٣ .
(٧) الآداب الشرعية، ١/ ٥٦ .

فأسرعها وقودا أسرعها خمودا [١] .

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نعم الشيء الهدية أمام الحاجة [٢] .

وكان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: رأي الشيخ خير من مشهد الغلام [٣] .

وكان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: اللهم أنت أرضى للرضى ، وأسخط للسخط ، وأقدر أن تغير ما كرهت وأعلم بما تقدر ، ومن دعاء علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اللهم ارزقني خوف الوعيد وسرور رجاء الموعود ، حتى لأرجو إلا ما رجيت ، ولا أخاف إلا ما خوفت [٤] .

من كلام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق . [٥] .

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: من علم الرجل أن يقول لما لا يعلم! "الله أعلم" لأن الله عز وجل قال لرسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين** ﴾ [٦] .

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكاتبه عبيد الله بن أبي رافع: إذا كتبت فألق دواتك .

وأطل سن قلمك ، وفرج السطور ، وقارب بين الحروف [٧] .

قال علي بن أبي طالب: اصبر على مضض الإدلاج في السحر وفي الرواح إلى الحاجات والبكر لا تضجرن ولا يعجزك مطلبها فالنجح يتلف بين العجز والقصر إني رأيت وفي الأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثر وقل

---

(١) الآداب الشرعية ، ١/ ٥٦ .
(٢) الآداب الشرعية ، ١/ ٣٦٩ .
(٣) الآداب الشرعية ، ١/ ٤٠٤ .
(٤) الآداب الشرعية ، ١/ ٤٣٣ .
(٥) الآداب الشرعية ، ٢/ ٨١ .
(٦) الآداب الشرعية ، ٢/ ١٣٢ .
(٧) الآداب الشرعية ، ٢/ ٢٤٩ .

من جد في شيء تطلبه واستشعر الصبر إلا فاز بالظفر [1].

افتخر رجلان عند علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: أتفتخران بأجساد بالية، وأرواح في النار؟ إن يكن لكما عمل فلكما أصل، وإن يكن لكما خلق فلكما شرف، وإن يكن لكما تقوى فلكما كرم وإلا فالحمار خير منكما ولستما خيرا من أحد.

وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العاقل الذي لم يحرمه نصيبه من الدنيا حظه من الآخرة.

وقال أيضا في وصيته لابنه: لا مال أعود من العقل، ولا فقر أشد من الجهل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا مظاهرة كالمشاورة، ولا حسب كحسن الخلق وكان يقال إذا كان علم الرجل أكثر من عقله كان قمنا أن يضره علمه [2].

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبلة الوالد عبادة وقبلة الولد رحمة، وقبلة المرأة شهوة، وقبلة الرجل إخاء دين [3].

وقد روي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومنهم من يرفعه أنه قال من سعادة ابن آدم أو من سعادة المرء أن تكون زوجته صالحة، وأولاده أبرارا وإخوانه صالحين ورزقه في بلده الذي فيه أهله وفي التوراة ابن آدم أحدث سفرا أحدث لك رزقا [4].

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شرط الصحبة إقالة العثرة، ومسامحة العشرة، والمواساة في العسرة [5].

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الدهاء حسن اللقاء [6].

---

(١) الآداب الشرعية، ٢/ ٢٧٢.
(٢) الآداب الشرعية، ٢/ ٣٠٩.
(٣) الآداب الشرعية، ٢/ ٣٦٣.
(٤) الآداب الشرعية، ٣/ ٤٣٥.
(٥) الآداب الشرعية، ٤/ ٢٦٨.
(٦) الآداب الشرعية، ٤/ ١٦٧.

قال علي بن أبي طالب: "لا تؤاخي الأحمق ولا الفاجر ، أما الأحمق فمدخله ومخرجه شين عليك ، وأما الفاجر فيزين لك فعله ويود أنك مثله".

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "لا خير في صحبة من يجتمع فيه هذه الخصال: من إذا حدثك كذبك ، وإذا ائتمنته خانك ، وإذا ائتمنك اتهمك وإذا أنعمت عليه كفرك وإذا أنعم عليك من عليك".

وقال أيضا: "اصحب من ينسى معروفه عندك ويذكرك حقوقك عليه"(١).

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة ألا وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل.

يا صحاح الأجساد كيف بطلتم ::: لا لعذر عن صالح الأعمال
لو علمتم أن البطالة تجدي ::: حسرة في معادكم والمآل
لتبادرتم إلى ما يقيكم ::: من جحيم في بعثكم ونكال
إنما هذه الحياة غرور ::: أبداً تطمع الورى في المحال
كيف يهنيكم القرار وأنتم ::: بعد تمهيدكم على الارتحال
الهدى واضح فلا تعدلوا عنه ::: ولا تسلكوا سبيل الضلال
وأنيبوا قبل الممات وتوبوا ::: تسلموا في غد من الأهوال(٢)

عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها من عرف الله فأطاعه والثانية من عرف الشيطان فعصاه والثالثة من عرف الحق فاتبعه والرابعة من عرف الباطل فاجتنبه والخامسة من عرف الدنيا فأعرض عنها والسادسة من عرف الجنة فطلبها.

---

(١) الآداب الشرعية ، ٤/ ٢٧٧ - ٢٧٨ .
(٢) ابن الجوزى ، التبصرة ، ١/ ١٢٩ .

فالله الله عباد الله اجتهدوا في طاعة الرحمن الرحيم[(١)] .

قال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لا تكثر العتاب فإن العتاب يورث الضغينه والبغضة وكثرته من سوء الأدب .

قال أبو حاتم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات في كتاب مراعاة الإخوان فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب [(٢)] .

قال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لا تعمل بالخديعة فانها خلق اللئام وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحه وزل معه حيث زال [(٣)] .

عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال من آتاه الله منكم مالا فليصل به القرابه وليحسن فيه الضيافة وليفك فيه العاني والأسير وابن السبيل والمساكين والفقراء والمجاهدين وليصبر فيه على النائبة فإن بهذه الخصال ينال كرم الدنيا وشرف الآخره[(٤)] .

قال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: بنيت الفتنة على ثلاث ، النساء وهن فخ إبليس المنصوب . والشراب وهو سيفه المرهف . والدينار والدرهم ، وهما سهماه المسمومان .

فمن مال إلى النساء لم يصف له عيش . ومن أحب الشراب لم يمتع بعقله . ومن أحب الدينار والدرهم كان عبداً لهما ما عاش[(٥)] .

روي عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال (سبع من الشيطان ، شدة الغضب ، وشدة العطاس ، وسدة التثاؤب ، والقيء ، والرعاف ، والنجوى ، والنوم عند الذكر ' . والله أعلم [(٦)] .

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ، ص٩ .

(٢) محمد بن حبان البستي أبو حاتم ، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٣٩٧ – ١٩٧٧ ، ١/ ١٨٢ .

(٣) محمد بن حبان البستي أبو حاتم ، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، ١/ ٩٤ .

(٤) محمد بن حبان البستي أبو حاتم ، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، ١/ ٢٣٦ .

(٥) ابن الجوزي ، صيد الخاطر ، ص٨٩ .

(٦) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، تحقيق محمد

عن أصبغ بن نباتة الحنظلي قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول في خطبته: ' ابن آدم وما ابن آدم؟ تؤلمه بقة ، وتنتنه عرقة . وتقتله شرقة '[1] .

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لا تواخ الفاجر فإنه يزين لك فعله ويحب لو أنك مثله ، ومدخله عليك ومخرجك من عنده شين وعار ، ولا الأحمق فإنه يجهد نفسه لك ولا ينفعك ، وربما أراد أن ينفعك فضرك ، فسكوته خير من نطقه ، وبعده خير من قربه ، وموته خير من حياته ، ولا الكذاب فإنه لا ينفعك معه عشرة ، ينقل حديثك وينقل الحديث إليك ، وإن تحدث بالصدق لا يصدق[2] .

وقد وصف علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الدنيا فقال: دار من صح فيها أمن ، ومن أمن غبن ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها فتن .

في حلالها الحساب ، وفي حرامها النار [3] .

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار عافية لمن فهم عنها ، مطلب نجح لمن سالم فيها مساجد الله عز وجل ، ومهبط وحيه ، ومصلى ملائكته ، ومتجر أوليائه ، فيها اكتسبوا الرحمة ، وربحوا فيها العافية ، فمن ذا يذمها وقد آذنت ببنيها ، ونعت نفسها وأهلها ، ذمها قوم غداة الندامة ، وحمدها آخرون ذكرتهم فذكروا ، ووعظتهم فانتهوا .

فيا أيها الذام الدنيا المغتر بتغريرها متى استذمت إليك ، بل متى غرتك ، أبمنازل آبائك في الثرى ، أم بمضاجع أمهاتك في البلى .

كم رأيت موروثا .

كم عللت بكفيك عليلا .

كم مرضت بيديك مريضا تبتغي له الشفاء وتستوصف له الأطباء ، لم

عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، ٣٤٩/١ .

(١) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، ٢/ ٣٧ .

(٢) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، ٢/ ٣٧٦ .

(٣) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، ٢/ ٤٠٦ .

تنفعه بشفاعتك ، ولم تشفه بطلبتك .

مثلت لك الدنيا غداة مصرعه ومضجعه مضجعك .

ثم التفت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى المقابر فقال: يا أهل الغربة ، ويا أهل التربة ، أما الدور فقد سكنت ، وأما الأموال فقد قسمت ، وأما الأزواج فقد نكحت ، فهذا خبر ما عندنا ، فهاتوا خبر ما عندكم .

ثم التفت إلى أصحابه فقال أما لو أذن لهم لأخبروكم أن خير الزاد التقوى[1] .

وجده عمران بن حصين قال: خطبنا علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ ورضي عنه فقال: ذمتي رهينة وأنا زعيم لا يهيج على التقوي زرع قوم ولا يظمأ على الهدى شح أصل ، وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره ، وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل قمش علماً أغار في أغباش الفتنة عمي عماً في غيب الهدنة سماه أشباه الناس وأرذالهم عالماً ولم يغن في العلم يوماً سالماً بكر فاستكثر مما قل منه خير مما كثر حتى إذا ارتوى من آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس مفتياً لتخليص ما التبس على غيره فإن نزلت به إحدى المبهمات هيأ؟ لها عشوالرأي من رأيهم فهو من قطع الشبهات في مثل غزء العنكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب ركاب الجهالات خباط عشوات ظلمة لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم ، تبكي منه الدماء وتصرخ منه المواريث وتستحل بقضائه الفروج الحرام ، لا ملئ والله بإصدار ما ورد عليه ولا هو أهل لما قرطبه أولئك الذين حلت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا ، ووصف علي عَلَيْهِ السَّلَامُ علماء الآخرة في حديث كهيل بن زياد الذي يقول فيه الناس: ثلاثة عالم رباني يعني عالماً بالربوبية فننسبه إلى رب كما سماهم الله في قوله: ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] الآية ، فسمّى العالم بكتابه ربانياً والدارس له ربانياً فهذا قد جمع العلم والعمل وكذلك يقال: العالم الرباني هو الذي يعلم ويعمل ويعلم الناس

(١) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، ٢/ ٤٣٠ .

الخير ، قال: فذاك الذي يدعى عظيماً في ملكوت السماء ، وقال تعالى في تقدمتهم: ﴿لَوْلا يَنْهاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ والأحْبَارُ﴾ [المائدة: ٦٣] فقدم الربانيين على لأحبار وهم علماء الكتب[1] .

وقال الفتح بن شحرف ، رأيت عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في النوم فقلت: أنبئني بحرف خير فقال: ماأحسن تواضع الأغنياء للفقراء رجاء ثواب اللّه ، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة باللّه ، وإنما وصف الله أحباءه بالذل للأولياء والعزّ على الأعداء لأنه يصف من يحبه بأحسن الأوصاف ، فالذل للحبيب حسن ، والعزّ على العدو في حسنه مثل العزّ على الذليل ، فلذلك وصف اللّه محبه بالذل للولي وبالعزّ على العدو ، وقبح العزّ على الحبيب كقبح الذلّ للعدو ، واللّه لا يصف أولياءه بقبيح ، ومن علامات الحبّ: المجاهدة في طريق المحبوب بالمال والنفس ، ليقرب منه ويبلغ مرضاته ويقطع كل قاطع يقطعه عنه بالمسارعة إلى قربه ، كما قال تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضى﴾ [طه ٨٤] وكما أمر حبيبه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في قوله: ﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾ فيه معنيان: أحدهما انقطع إليه انقطاعاً عمّا سواه بالإخلاص له والأثرة على غيره ، والأخرى: اقطع كل ما قطعك عنه إليه أي اقطع كل قاطع حتى تصل إليه ، فهذان من أدل الدليل على المحبة ، ثم أن لا يخاف في حبه لومة لائم كمن الخلق لأمه على محبته أو على السلوك إليه بشق النفس وهجران الدار ورفض المال ، ولا يرجو في محبته مدح مادح ولا يرغب في حسن ثناء العباد بإيثارك له على الأهل والمال ، ثم وجود الأنس في الوحدة والروح بالخلوة ، ولطف التملق في المناجاة والتنعم بكلامه والتنعم بمرّ أحكامه ووجد حلاوة الخدمة ورؤية البلاء منه نعمة ، وقال ثابت البناني: كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة ، ومن المحبة ترك السكون إلى غير محبوبه إذ هو السكن ، وقال أبو محمد: خيانة المحب عند اللّه أشدّ من معصية العامة ، وهو أن يسكن إلى غير اللّه ويستأنس بسواه ، وفي قصة برخ ، العبد الأسود الذي استسقى به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّ اللّه تعالى

(١) محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي ، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ، ١/ ٢٤٦ .

قال لموسى: إنّ برخاً نعم العبد هو لي إلا أنّ فيه عيباً، قال: يارب، وما عيبه؟ قال: يعجبه نسيم السحر فيسكن إليه، ومن أحبني لم يسكن إلى شيء، فالسكون في هذا الموضع الاستراحة إلى الشيء والأنس به، والسكون في غير هذا الموضع النظر إلى الشيء والإدلال به والطمأنينة والقطع به، ذكرت هذه الحكاية لبعض أهل المعرفة فقال: لم يرد بهذا برخاً إنما أراد به موسى، لأنه أقامه مقام المحبة فاستحى أن يواجهه بذلك، فعرض له ببرخ وكان هذا جواباً منه: إنّي سألته، لم أخبر موسى بعيبه وهو يحبه دون أن يخبره هو بعيب نفسه، فأجاب بهذا: فالمقربون من المحبين إنما نعيمهم باللّه وروحهم وراحتهم إليه من حيث كان بلاؤهم منه، فإذا وجدوا ذلك في سواه كانت ذنوباً لهم عن غفلة أدخلت عليهم ليتوبوا منها إليه فيغفر لهم، وروينا أن عابداً عبد اللّه في غيضة دهراً، فنظر إلى طير قد عشش في شجرة يأوي إليها ويصفر عندها فقال: لو حوّلت مسجدي إلى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هذا الطائر قال: ففعل فأوحى الله إلى النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ: قل لفلان العابد: استأنست بمخلوق لأحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك أبداً فمن صدق المحبة وخالصها الانقطاع إلى الحبيب بوجود الأنس به، ومصادفة الاستراحة والروح عنده بمحادثة في المجالسة، ومناجاة في الخلوة وذوق حلاوة النعيم في ترك المخالفة لغلبة حب الموافقة، كما أنشدني بعضهم عن بعض المحبين: إليه أي اقطع كل قاطع حتى تصل إليه، فهذان من أدل الدليل على المحبة، ثم أن لا يخاف في حبه لومة لائم كمن الخلق لأمه على محبته أو على السلوك إليه بشق النفس وهجران الدار ورفض المال، ولا يرجو في محبته مدح مادح ولا يرغب في حسن ثناء العباد بإيثارك له على الأهل والمال، ثم وجود الأنس في الوحدة والروح بالخلوة، ولطف التملق في المناجاة والتنعم بكلامه والتتعم بمرّ أحكامه ووجد حلاوة الخدمة ورؤية البلاء منه نعمة، وقال ثابت البناني: كابدت لقرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة، ومن المحبة ترك السكون إلى غير محبوبه إذ هو السكن[1].

(١) أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، ٢/ ٨٨ – ٨٩.

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: قيمة كل امرئ ما يحسن . المرء مخبوء تحت لسانه . الناس من خوف الذل في الذل . الناس أعداء ما جهلوا . رأي الشيخ خير من مشهد الغلام . استغن عمن شئت تكن نظيره . واحتج إلى من شئت فأنت أسيره . وأحسن إلى من شئت تكن أميره . لا ترجون إلا ربك . ولا تخافنّ إلا ذنبك . من أيقن بالخلف جاد بالعطية . قصر ثيابك فإنهـ أنقى وأبقى . بقية السيف أنمى عدداً وأكثر ولداً . خير أموالك ما كفاك . وخير إخوانك من واساك . ومن كلامه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لو كشف الغطاء ما ازددت إلا يقيناً . الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا . الناس بزمانهم . أشبه منهم بآبائهم . ما هلك امرؤ عرف قدره . المرء مخبوء تحت لسانه . من عذب لسانه كثر إخوانه . بالبر يستعبد الحر . بشر مال البخيل بحادث أو وارث . لا تنظر إلى من قال . لا ظفر مع البغي . الجزع عند البلاء تمام المحنة . لا ثناء مع كبر . لا بر مع شح . لا صحة مع نهم . لا شرف مع سوء أدب . لا اجتناب لمحرم مع حرص . لا محبة مع مراء . لا سؤدد مع انتقام . لا راحة لحسود . لا زيارة مع دعارة . لا صواب مع ترك المشورة[1] .

لا مروءة لكذوب . لا وفاء لملول . لا كر أعز من التقى . لا شرف أعلى من لإسلام . لا معقل أحرز من الورع . لا شفيع أنجح من التوبة . لا داء أعيا من الجهل . لا مرض أضنى من قلة العقل . لسانك يقتضيك ما عودته . المرء عدو ما جهل . لا ظهير كالمشاورة . رحم الله امرأ عرف قدره . ولم يتعد طوره . إعادة الاعتذار تذكير الذنب . النصح بين الملا تقريع . إذا تك العقل نقص الكلام . الشفيع جناح الطالب . نفاق المرء ذلة . الجزع أتعب من الصبر . المسؤول حر ما لم يعد . أكبر الأعداء مكيدة أخفاهم مشورة . من طلب ما لم يعنه فاته ما يعنيه . الراحة مع اليأس . الحرمان مع الحرص . من كثر مزاحه . لم يخل من حقد عليه أو استخفاف به . عبد الشهوة أذل من عبد الرق . الحاسد ضاغن على من لا ذنب له . كفى بالظفر شفيعاً لمذنب . رب ساع فيما يضره . لا تتكل على المنى فإنها بضائع النوكى . كثرة الوفاق نفاق . كثرة الخلاف شقاق . رب أمل خائب . رب طمع كاذب . رب رجاء

(١) الإعجاز والإيجاز، ص ٢٨ .

يؤدي إلى حرمان . رب أرباح يؤدي إلى خسران . البغي سائق الحين . في كل جرعة شرقة . ومع كل أكلة غصة . من أكثر فكره في العواقب لم يشجع . إذا حلت المقادير بطل الحذر . الإحسان يقطع اللسان[1] .

الشرف بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب . أكرم النسب حسن الخلق . أفقر الفقر الحمق . أوحش الوحشة العجب . أغنى الغنى العقل . احذروا نفار النعم . فما كل شارد بمردود . أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع . الطامع في وثاق الذل . من أبدى صفحته للخلق هلك . إذا أملقتم فتحاً فتاجروا الله تعالى بالصدقة . من لان عوده كشف أغصانه . قلب الأحمق وراء لسانه . ولسان العاقل وراء قلبه . من جرى في عنان أمله عثر بأجله . إذا تواصلت إليكم أطراف النعم . فلا تنفروها بقلة الشكر . إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكراً للقدرة عليه . ما أضمر إنسان شيئاً إلا ظهر منه في صفحات وجهه وفلتات لسانه . اللهم اغفر زلات الألحاظ . وسقطات الألفاظ . وشهوات الجنان . وهفوات اللسان . البخيل مستعجل الفقير يعيش في الدنيا عيش الفقراء . ويحاسب حساب الأغنياء[2] .

ومن كلامه أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . أعجب ما في الإنسان قلبه . وله مواد من الحكمة . وأضدادها من خلافها . فإن سنح له الرجا أزاله الطمع . وإن هاج به الطمع أزاله الحرص . وإن ملكه اليأس أهلكهاالأسف[3] . وإن عرض له غلبه الغيظ . وإن أسعده الرضى نسي التحفظ . وإن ناله الجوع حره الحر . وإن اتسع له الأمن استلبه العز . وإن تحددت له نعمة أخذته العزة . وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى . وإن عضته فاقة شغله البلاء . وإن جهده الجوع أقعده الضعف . وإن أفرط في الشبع كظته البطنة . فكل تقصير به مضر . وكل إفراط به مفسد . ومن كلامه في خطبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أوصيكم أيها الناس بتقوى الله وكثرة حمده على آلائه إليكم . ونعمه عليكم . وبلائه لديكم . فقد خصكم بنعمه . وتدارككم برحمته . أعورتم له فستركم . وتعرضتم لأخذكم

(١) الإعجاز والإيجاز ، ص ٢٩ .
(٢) الإعجاز والإيجاز ، ص ٢٩ .
(٣) الإعجاز والإيجاز ، ص ٣٠ .

فأمهلكم . وأوصيكم بذكر الموت . وإقلال الغفلة عنه . وكيف تغفلون عمن ليس يغفل عنكم . وطمعتم فيمن ليس يمهلكم . فكفى بموتاً واعظاً . عاينتموهم حملوا على قبورهم غير راكبين وأنزلوا فيها غير نازلين . كأنهم لم يكونوا عماراً وكأن الآخرة لم تزل لهم داراً . أوحشوا ما كانوا يوطنون وأوطنوا ما كانوا يوحشون . واشتغلوا بما فارقوا . وأضاعوا ما إليه انتقلوا . لا عن قبيح يستطيعون انتقالا . ولا في حسن يستطيعون ازدياداً . آنسوا بالدنيا فغرتهم . ووثقوا بها فصرعتهم[1] . فسابقوا رحمكم الله تعالى إلى منازلكم التي أمرتم أن تعمروها ودعيتم إليها . فاستتموا نعم الله عليكم بالصبر على طاعته . والمجانبة لمعصيته . فإن غدا من اليوم قريب . ما أسرع الساعات في اليوم . وأسرع الأيام في الشهر . وأسرع الشهور في السنين . وأسرع السنين في العمر .

ومن خطبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فمن الأيام ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب . ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور إلى أجل معلوم . فإذا كانت للمرء براءة من أحد فقفوه حتى يحضره الموت . فعند ذلك يقع حد البراءة . والهجرة قائمة على حدها لرسول ما . ما كان لله في أهل الإسلام مستسر لأمة ومعلنها . لا يقع اسم الهجرة على أحد إلا بمعرفة الحجة في الأرض . فمن عرفها وأقر بها فهو مهاجر . ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها أذنه ووعاها قلبه . إن أمرنا صعب لا يجهله إلا عبد امتحن الله قلبه بالإيمان . ولا يعي حديثنا إلا صدور مبينة واحلام رزينة . أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني . فلا أنا بطريق السماء أعلم مني بطريق الأرض . قبل أن تشعر برجلها فتنة تطأ في خطامها وتذهب بأحلام قومها . ومن كلامه كرم الله وجهه: أما بعد فصلوا بالناس الظهر حين تفيء الشمس مثل مريض البعير . وصلوا بهم العصر والشمس ضاحية في عضو من النهار حين يشارفها فيء فرسخين . وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاج . وصلوا بهم العشاء الآخرة حين يتوارى الشفق . وصلوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه . وصلوا بهم صلاة أضعفهم ولا تكونوا فتانين .

(١) الإعجاز والإيجاز، ص ٣١ .

ومن بعض كلامه للحسين رضي الله تعالى عنهما: يا بني أوصيك بتقوى الله عز وجلّ في الغيب والشهادة . وكلمة الحق في الرضى . والقصد في الغنى والفقر . والعدل في الصديق والعدو . والعمل في النشاط والكسل . والرضى عن الله تعالى في الشدة والرخاء . يا بني ما شر بعده الجنة بشر . ولا خير بعده النار بخير . وكل نعيم دون الجنة محقور . وكل بلاء دون النار عافية . اعلم يا بني أن من أبصر عيب نفسه شغل عن غيره . ومن رضي بقسم الله تعالى لم يحزن على ما فاته . ومن سل سيف البغي قتل به . ومن حفر بئراً لأخيه وقع فيها . ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته . ومن نسي خطيته استعظم خطية غيره . ومن كابد الأمور عطب . ومن اقتحم البحر غرق . ومن أعجب برأيه ضل . ومن استغنى بعقله زل . ومن تكبر على الناس ذل . ومن سفه عليهم شتم . ومن دخل مداخل السوء اتهم . ومن خالط الأنذال حقر . ومن جالس العلماء وقر . ومن مزح استخف به . ومن اعتزل سلم . ومن ترك الشهوات كان حراً . ومن ترك الحسد كان له المحبة من الناس . يا بني عز المؤمن غناه عن الدنس . والقناعة مال لا ينفد . ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير . ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينفعه . العجب ممن خاف العقاب فلم يكف . ورجا الثواب فلم يعمل . الذكر نور . والغفلة ظلمة . والجهالة ضلالة . والسعيد من وعظ بغيره . والأدب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين .

يا بني ليس مع قطيعة الرحم نماء . ولا مع الفجور غنى . يا بني العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت إلا بذكر الله تعالى وواحد في ترك مجالسة السفهاء . ومن تزين بمعاصي الله عز وجلّ في المجالس ورّثه ذلا . ومن طلب العلم علم . يا بني رأس العلم الرفق . وآفته الخرق . ومن كنوز الإيمان الصبر على المصائب . العفاف زينة الفقر . والشكر زينة الغنى . ومن أكثر من شيء عرف به . ومن كثر كلامه كثر خطأه قل حياؤه . ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه . ومن مات قلبه دخل النار . يا بني لا تؤيسنَّ مذنباً فكم من عاكف على ذنبه ختم له بالخير . ومن مقبل على عمله مفسد له في آخر عمره صار إلى النار . من تحرى القصد خفت عليه الأمور يا بني كثرة الزيارة تورث الملالة . يا بني الطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم .

إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله . يا بني كم من نظرة جلبت حسرة وكم من كلمة جلبت نعمة . لا شرف أعلى من الإسلام . ولا كرم أعلى من التقوى . ولا معقل أحرز من الورع . ولا شفيع أنجح من التوبة . ولا لباس أجمل من العافية . ولا مال أذهب للفاقة من الرضى بالقوت . ومن اقتصر على بلغة الكفاف تعجل الراحة وتبوأ حفظ الدعة . الحرص مفتاح التعب . ومطية النصب . وداع إلى التقحم في الذنوب . والشر جامع لمساوئ العيوب . وكفى أدباً لنفسك ما كرهته من غيرك . لأخيك عليك مثل الذي عليه لك . ومن تورط في الأمور من غير نظر في الصواب فقد تعرض لمفاجأة النوائب . التدبير قبل العمل يؤمنك الندم . من استقبل وجوه العمل والآراء عرف مواقع الخطا . الصبر جنة من الفاقة . في خلاف النفس رشدها . الساعات تنقض الأعمار . ربك لباغين من أحكم الحاكمين . وعالم بضمير المضمرين . بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد . في كل جرعة شرق وفي كل أكلة غصص . لا تنال نعمة إلا بفراق أخرى . ما أقرب الراحة من التعب . والبؤس من النعيم . والموت من الحياة . فطوبى لمن أخلص لله تعالى علمه وعمله وحبه وبغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته . وبخ بخ لعالم علم فكف . وعمل فجد . وخاف الثبات . فأعد واستعد . إن سئل أفصح . وإن ترك سكت . كلامه صواب . وصمته من غير عي عن الجواب . والويل كل الويل لمن بلي بحرمان وخذلان وعصيان . واستحسن لنفسه ما يكرهه لغيره . من لانت كلمته وجبت محبته . من لم يكن له حياء ولا سخاء فالموت أولى به من الحياة . لا تتم مروءة الرجل حتى لا يبالي أي ثوبيه لبس . ولا أي طعاميه أكل[(١)] .

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: انتهزوا هذه الفرص فإنها تمر مر السحاب ، ولا تطلبوا أثراً بعد عين[(٢)] .

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أكثر النظر في العواقب ، لم يجشع[(٣)] .

---

(١) الإعجاز والإيجاز ، ص ٣٥ .
(٢) ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ١/ ١٢ .
(٣) ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ١/ ٢٧ .

وقال عليّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: قيمة كلٍّ إنسان ما يُحْسن [١].

وقال عليٌّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: من حق العالِم عليكَ إذا أتيتَه أن تُسَلِّم عليه خاصَّة، وعلى القوم عامَّة، وتَجْلس قدَامه، ولا تشِر بيدك، ولا تَغْمِز بعَيْليْك، ولا تَقل: قال فلان خلافَ قولك، ولا تأخذ بثَوْبه، ولا تُلحَّ عليه في السؤال، فإنما هو بمنزلة النَخلة المرطبة، التي لا يزال يَسْقط عليك منها شيء. وقالوا: إذا جلستَ إلى العالِم فَسَلْ تَفَقُّهاً ولا تَسَلْ تعَنَتاً [٢].

وقال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلواتُ الله عليه: لا مالَ أعودُ من عقل، ولا فقر أضرُّ من جَهل [٣].

وقال "أمير المؤمنين" علِيٌّ بن ْبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: مَن لانَتْ كلمته، وجبت مَحبَّتهُ.

وقال: حِلْمك على السَّفيه يكثر أنصارك عليه [٤].

وقال عليّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: لا تَقْطع أخاكَ على ارتياب، ولا تهجره دون استِعْتاب [٥].

قال عليّ بنُ أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: عشيرةُ الرجل خيرٌ للرجل من الرجل للعَشيرة، إن كَفَّ عنهم يداً واحدة كَفُّوا عنه أيدياً كثيرة، مع مودَّتهم وحِفَاظهم ونُصْرتهم. إنَّ الرجل لَيَغْضَب للرجل لا يَعْرِفه إلا بِنسَبه، وسأتْلو عليكم في ذلك آياتٍ من كِتاب الله "تعالى"، قال الله عزّ وجلّ فيما حكاه عن لُوط: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُم قُوَّة أَوْ آوِي إلى رُكْن شَدِيد﴾! يعني العشيرة، ولم يكن للوط عَشيرة: فوالذي نفسي بيده ما بعث الله نبيًّا من بعده إلا في ثَرْوَة من قومه، ومَنعة من عَشِيرته، ثم ذكر شُعيباً إذ قال له قومُه: ﴿إنَّا لنَرَاكَ فِينا ضَعِيفاً ولَوْلا رَهطك لَرَجَمْناكَ﴾، وكان مَكْفوفاً، والله ما هابُوا "الله

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ١/ ١٥٧.
(٢) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ١/ ١٦٢.
(٣) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ١/ ١٧١.
(٤) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ١/ ١٧٩.
(٥) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ١/ ١٩٠.

ولا هابوا" إلا عشيرته[1].

وقال عليّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهَه: قُرنت الهيبةُ بالخَيْبة، والحياءُ بالحِرْمان[2].

وقال عليّ بن أبي طالب رضوانُ الله عليه: لا يأبى الكرامةَ إلا حِمار[3].

قال عليّ بن أبي طالب كرّم الله وَجْهَه: أُوصيكم بخَمس لو ضرَبتم عليها آباط الإبل لكان قليلاً: لا يَرْجُوَن أحدكم إلا ربّه، ولا يخافنَ إلا ذنبه، ولا يستحي إذا سُئل عما لا يَعلم أن يقول: لا أعلم. وإذا لم يعلم الشيء أن يتعلّمه واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس ذهب الجسد. وقال أيضاً: من أراد الغِنَى بغير مال، والكثرةَ بلا عَشيرة، فليتحوَّل من ذُلِّ المَعصية إلى عزِّ الطاعة" أبى الله إلا أن يُذِلَّ مَن عصاه. وقال الحسنُ: مَن خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن خاف الناسَ أخافه الله من كل شيء[4]..

وكتب عليُّ بن أبي طالب إلى وَلده الحَسن عليهما السلام: من عليّ أمير المؤمنين الوالدِ الفان، المقرّ للزّمان، المُستَسْلم للحَدَثان: المُدْبر العُمر، المُؤمّل ما لا يُدْرك، السالك سبيلَ مَن قد هَلَك، غرَض الأسقام، ورهينة الأيّام، وعبْد الدنيا، وتاجر الغُرور، وأسير المنَايَا، وقرين الرَّزايا، وصريع الشهوات، ونُصْب الآفات، وخليفة الأموات، أما بعد، يا بني، فإن فيما تَفكرّت فيه من إدبار الدُّنيا عني، وإقبال الآخرة إليّ، وجُموح الدهر عليّ، ما يُرَغّبني عن ذكر سواي، والاهتمام بما ورائي، غيرَ أنه حين تفرّد بي همّ نفسي دون همّ الناس، فصدَقني رأيي" وصرَفني عن هواي"، وصرّح بي مَحْضُ أمري، فأَفْضى بي إلى جِد لا يُزْري به لَعِب، وصِدْق لا يَشو به كَذِب، ووَجَدْتُك يا بُنيّ بَعْضي، بل وجدتُك كلّي، حتى كأنّ شيئاً لو

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ١/ ٢٠٨.
(٢) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ١/ ٢٢٧.
(٣) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ١/ ٢٣٢.
(٤) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ١/ ٣٠٢.

أصابك لأصابني، وحتى كأنّ الموت لو أتاك أتاني، فعند ذلك عَنَاني من أمرك ما عَنَاني من أمرِ نَفسي. كتبتُ إليك كتابي هذا يا بُني "مُستظهراً به" إن "أنا "بَقِيت "لك" أو فنِيت، فإني مُوصيك بتقوى الله وعِمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحَبْله، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ وأيُّ سبب يا بُني أوْثق من سبب بينك وبين الله تعالى "إن أنت أخذت به". أحْيِ قلبك بالموْعظة، ونَوِّره بالحكمة، وأمِّته بالزُّهْد، وذَلِّلهُ بالموت، وقَوِّهِ بالغِنَى عن الناس، وحَذِّرْه صولةَ الدَّهر، وتقلُّبَ الأيام والليالي. واعرِض عليه أخبارَ الصين، وسِرْ في ديارهم وآثارهم فانظرُ ما فعلوه وأين حلُّوا، فإنك تَجِدهم قد انتقلوا عن دار الأحبّة ونزلوا دارَ الغُرْبة، وكأنك عن قليل يا بنيّ قد صرت كأحدهم، فبِعْ دنياكَ بآخرتك، ولا تبعْ آخرتك بدُنياك؛ ودَع القولَ فيما لا تَعْرِف، والأمرَ فيما لا تكلَّف، وأْمُر بالمعروف بيَدِك ولسانك، وَانْهَ عن المنكَر بيدك ولسانك، وبايِنْ مَن فعَلَه؛ وخُض الغَمَرَاتِ للحق، ولا تأخُذْك في الله لومةُ لائم، واحفظ وَصيَّتي ولا تَذْهَب عنك صَفْحاً، فلا خير في عِلْم لا ينفع. واعلم "أنَّ أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة، ومشقة شديدة"، وأنه لا غِنى لك فيه عن حُسْن الارتياد، مَع بلاغك من الزَّاد. فإن أصَبتَ من أهلِ الفاقة مَنْ يحمل عنك زادك فيُوافيك به في مَعارك فاغتنِمه، فإن أمامك عَقَبَةً كَؤُداً لا يُجاوزها إلا أخفُّ الناس حمْلاً، فأجْمل في الطلب، وأحسِن المكتسب، فرُب طَلَب قد جرَّ إلى حَرَب، وإنما المَحْرُوب من حُرِبَ دِينُه، والمسلوبُ من سُلِب يقينه. واعلم أنه لا غِنى يَعْدِل الجنَّة، ولا فقرَ يَعْدِل النار. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب إلى ابنه محمد بن الحنفية: أنْ تَفَقَّه في الدِّين، وعَوِّد نفسَك الصبر على المَكْروه، وكِلْ نَفْسَك في أمورك كلِّها إلى الله عزَّ وجلَّ، فإنك تَكِلُها إلى كهف[1].

وقال عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه: عجباً لِمَن يَهْلك ومعه النجاةُ!

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ١/ ٣٠٦.

قيل له: وما هي؟ قال: التوبة والاستغفار[1]..

ومن شعر الحكمة:

عن الإخوة قال:

– البسْ أخاكَ على عيوبه ::: واسترْ وغطّ على ذنوبهْ
واصْبرْ على ظلمِ السفيه ::: وللزمان على خُطوبهْ
ودّعِ الجوابَ تَفَضُّلاً ::: وكلِ الظلومَ إلى حسيبهْ

***

– إنّ أخاكَ الحقَّ من يَسْعى معكْ ::: ومنْ يَضُرُّ نفسَهُ ليَنفَعَكْ
ومن إذا صَرْفُ زمانٍ صدَعك ::: بدَّدَ شملَ نفسهِ ليجمعَكْ
وإنْ رآكَ ظالماً سَعى مَعَكْ

وعن الأدب قال:

– كنِ ابنَ من شئتَ واكتسبْ أدباً ::: يغنيكَ محمودُه عن النسب
إنَ الفتى من يقولُ: ها أنذا ::: ليس الفتى من يقولُ كانَ أَبي

***

– كمْ من أديبٍ فطنٍ عالمٍ ::: مستكملِ العقلِ مقلٍ عديمْ
ومن جَهولٍ مكثرٍ مالُه ::: ذلكَ تقديرُ العزيزِ العليمْ

***

– أيها المفاخرُ جَهلاً بالنسبْ ::: إنما الناسُ لأمٍ ولأبْ
هل تراهمْ خُلقوا من فضة ::: أم حَديدٍ أم نُحاسٍ أم ذَهَبْ
بل تراهمْ خُلقوا من طينةٍ ::: هل سوى لحمٍ وعظمٍ وعَصَب
إنما الفخرُ لعقلٍ ثابتٍ ::: وحياءٍ وعفافٍ وأدبْ
– ليس الجمالَ بأثوابٍ تزيننا ::: إن الجمالَ جمالُ العقلِ والأدبِ

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ١/٣١٨.

وعن أمور الإنسان قال:

– هـوِّن الأمـرَ تعـشْ في راحة ::: كـلُّ مـا هـوّنتَ إلا سـيهونْ
– لـيسَ أمـرُ المـرءِ سهلاً كله ::: إنّمـا الأمـرُ سـهولٌ وحـزونْ
– ربمـا قـرَّتْ عـيونٌ بـشجى ::: مُـرْمضٍ قـد سخنتْ عنه عيونْ
– تطلـبُ الـراحةَ في دارِ العـنا ::: خـابَ مَـن يطلبُ شيئاً لا يكونْ

وعن البؤس والحزن قال:

– رَأيْـتُ الدهـرَ مختلفاً يدورُ ::: فـلا حُـزْنٌ يـدومُ ولا سـرورُ
– وقـد بَـنَت الملوكُ به قصوراً ::: فلـم تـبقَ الملـوكُ ولا القصورُ
– إن اللـيالِيَ للأنـامِ مـناهلٌ ::: تُطـوَى وتُنْـشَرُ دونَهـا الأعمارُ
– فقِـصارُهن مـع الهُموم طويلةٌ ::: وطِـوالهنَ مـع الـسُّرورِ قصارُ

***

– أف علـى الدنـيا وأسـبابها ::: فإنهـا للحـزن مخلـوقةْ
– همُـومُها مـا تنقـضي سـاعةً ::: عـن مَلِـكٍ فـيها وعـن سُوقةْ

وعن التقوي قال:

– فعلـيكَ تقوى اللّه فالزمْها تفزْ ::: إن التقـيَّ هـو البهـيُّ الأهيبُ
– واعمـلْ لطاعتهِ تنلْ منه الرضا ::: إن المطـيعَ لـربه لمقـربُ

– لعمُـركَ مـا اللإنسانُ إلا بدينه ::: فلا تتركِ التقوى اتكالاً على النَسَبْ
– فقد رفعَ الإسلامُ سلملنَ فارسٍ ::: وقد وَضَعَ الشِّرْكُ الشريفَ أبا لهبْ

وعن التواضع قال:

– حقـيقٌ بالتواضـعِ من يَموتُ ::: ويكفـي المـرءَ مـن دُنْياهُ قوتُ
– فـيا هـذا سترحلُ عن قريبٍ ::: إلى قـومٍ كلامُهـمُ سـكوتُ

وعن الجد والطموح قال:

– خاطـرْ بنفسِكَ لا تقعدْ بمعجزةٍ ::: فلـيس حـرٌ علـى عجزٍ بمعذورِ

- إن لِم تــنلْ في مقــامٍ ما تحاولُهُ ::: فابــلُ عــذراً بــإدلاجٍ وتهجيرِ
- كُــدَّ كــدّ العــبدِ إن ::: أحبــبتَ أن تــصبحَ حُــرا
- واقطــعِ الآمــالَ مــن ::: مــالِ بــني آدمَ طُــرا
- لاتقــلْ ذا مكــسبٌ ::: يــزري فقــصدُ الــناسِ أزرى
- أنــتَ مــا اســتغنيتَ عــن ::: غــيرِكَ أعلــى الــناسِ قــدْرا

وعن الجليس قال:

- تَنــزَّهْ عــن مجالــسةِ اللئامَ ::: وألمــمْ بالكــرامِ بــني الكــرامِ
- ولا تــكُ واثقــاً بالدهــرِ يوماً ::: فــإن الدهــرَ مــنحلُ الــنظامِ

وعن الجهل قال:

- وفي الجهلِ قبلَ الموت موتٌ لأهله ::: وأجــسادُهم قــبلَ القــبورِ قبورُ
- وإن امْــرأً لم يحيى بالعلمِ صدرهُ ::: فلــيس لــه حــتى النشورِ نشورُ

***

- ولا تــصحب الجاهــلَ ::: وإيــاكَ وإيــاه
- فكــم مــن جاهــلٍ أرْدى ::: حلــيماً حــينَ آخــاه
- يقــاسُ المــرءُ بالمــرء ::: إذا مــا هــوَ مــا شــاه
- وللقلــبِ علــى القلــبِ ::: دلــيلٌ حــين يَلْقــاه

وعن الجود والسخاء قال:

- إذا جادتِ الدنيا عليكَ فجُدْبها ::: علــى الــناسِ طــراً إنهــا تَتَقَلَّبُ
- فَــلا الجودُ يفنيها إذا هي أقبلتْ ::: ولا الــبخلُ يُبْقيها إذا هي تَذْهَبُ

- ما أحسنَ الجودَ في الدنيا وفي الدينِ ::: وأقــبحَ البخلَ فيمن صيغَ من طينِ
- ما أحسن الدينَ والدنيا إذا اجتمعا ::: لا بــاركَ اللّــه في الدنيا بلا دينِ

وعن الحاجة قال:

- وإذا طلــبتَ إلى كــريمٍ حاجةً ::: فلقــاؤهُ يكفــيكَ والتــسليمُ
- فــإذا رآكَ مــسلماً ذكرَ الذي ::: حملــتَهُ فكأنــه محــتومُ

- ورأى عواقبَ خلف ذاك مذمَّةً ::: للمــرءِ تبقــى والعظــامُ رمــيمُ
- فــارجُ الكريمَ وإن رأيتَ جفاءَهُ ::: فالعــتبَ مــنه والفاعــلُ كــريمُ
- إن كــنتَ مــضطراً وإلا فاتخذْ ::: نَفقــاً كأنــكَ خــائنٌ مهــزومُ
- واتــركهُ واحــذرْ أن تمرَّ ببابه ::: دهــراً وعرضُــكَ إن فعلت سليمُ
- وإذا طلــبتَ إلى لئــيم حاجةً ::: فــألحَّ في رفــقٍ وأنــتَ مــديمُ
- والــزمْ قِــبابةَ بيــته وفِــنائه ::: بأشــدَّ مــا لــزمَ الغــريبُ غريمُ

وعن الحرص قال:

- دَعِ الحــرْصَ علــى الدنــيا ::: وفي العَــيْشِ فــلا تَطْمَــعْ
- ولا تَجْمَــعْ مــن المــالِ : : فــلا تَــدْري لمــن تَجْمَــعْ
- لا تحرصَنْ فا لحرْصُ ليس بزائد : : في الرزقِ بل يشقي الحَريصَ ويتعبُ
- ويَظَــلُّ ملهــوفاً يَــرومُ تحيلاً ::: والــرزقُ لــيس بحملة يُستَجْلَبُ
- كــم عاجزٍ في الناسِ يُؤتى رزْقُه ::: رَغَــداً ويُحْــرَمُ كــيسٌ ويَخِيبُ
- للناسِ حِرْصٌ على الدنيا بتَدْبيرِ ::: وصَــفْوُها لــكَ ممــزوجٌ بتكديرِ
- كــم من ملحٍ عليها لا تساعدُه ::: وعاجــزٍ نــالَ دنــياه بتقــصيرِ
- لم يُــرزقوها بعقلٍ حينما رُزِقوا ::: لكــنما رُزِقــوها بالمقاديــرِ
- لــو كانَ عن قوة أو عن مُغالبة ::: طــارَ البُــزاةُ بــأرزاقِ العصافيرِ
- كم لُقْمَةٍ جَلَبَتْ حَتْفاً لصاحبِها ::: كحــبةِ القمحِ دَقَّتْ عنقَ عُصْفورِ

وعن حظ الإنسان قال:

- فلــو كانــت الدنيا تُنالُ بفطنة ::: وفــضلٍ وعقلٍ نلْتُ أعلى المراتبِ
- ولكــنما الأرزاقُ حَظٌّ وقِسْمَةٌ ::: بفــضلِ مليــكٍ لا بحــيلةِ طالبِ

***

- مــن لم يكــنْ جــدهُ مساعدَه ::: فحَــتْفُه أن يــجَّ في الحَــرَكةْ
- فقــلْ لمــن حالُــه مولــيةٌ ::: لا تعرضَــن بالحــراكِ للّهلكــةْ

***

- إذا هَــبَّتْ رياحُــكَ فاغتنمْها :: فعُقْــبى كــلِّ خافقــةٍ ســكونُ

- وإن دَرَّتْ نياقُكَ فاحتلبْها ::: فما تدري الفَصيلُ لمن يكونُ
- ولا تغفلْ عن الإحسانِ فيها ::: فما تدري السكونُ متى يكونُ

وعن الحياة وانقضائها:

- حياتُكَ أنفاسٌ تُعَدُّ فكلما ::: مَضَى نَفَسٌ منها انتقصْتَ به جزءا
- فتصبح في نفسٍ وتمسي بغيرِها ::: ومالكَ من عقلٍ تحسّ به رُزْءا

وعن الخلق والأخلاق:

- وكُلُّ جراحة فلها دواءٌ ::: وسوءُ الخلقِ ليسَ له دواءُ
- وليس بدائمٍ أبداً نعيمٌ ::: كذاكَ البؤسُ ليس له بقاءُ

***

- إن المتخلقَ يمكثُ ::: أن يؤولَ إلى الطبيعةْ
- جُبلَ الأنامُ من العبا ::: دِ (العباد) على الشريفةِ والوضيعةْ

وعن حقيقة الدنيا:

- لا دارَ للمرءِ بعدَ الموت يسكنُها ::: إلا التي كانَ قبلَ الموت يبنيها
- فإن بناها بخيرٍ طابَ مسكنها ::: وإن بناها بشرٍ خابَ بانيها
- لكلِّ نفسٍ وإن كانت على وجلٍ ::: من المنيةِ آمالٌ تقويها
- فالمرءُ يبسُطها والدهرُ يقبضُها ::: والنفسُ تنشرُها والموتُ يَطْويها

- إنما الدنيا فناءٌ ::: ليس للدنيا ثبوتُ
- إنما الدنيا كبَيْت ::: نَسَجَتْهُ العنكبوتُ
- ولقد يكفيكَ منها ::: أيها الطالبُ قُوْتُ
- ولعمري عن قليلٍ ::: كلُّ من فيها يموتُ

***

- ما هذه الدنيا لطالبها ::: إلا عناءٌ وهو لا يدري
- إن أقبلَتْ شَغَلَتْ ديانتَه ::: أو أدبرتْ شَغَلَتْه بالفَقْرِ

***

– تؤملُ في الدنيا طويلاً ولا تدري ::: إذا جُـنَّ ليلٌ هل تعيشُ إلى الفجرِ
– فكم من صحيحٍ ماتَ من غيرِعلّة : : وكم من عليلٍ عاشَ دهراً إلى دهرِ
– وكم من فتىً يمسي ويصبحُ آمَناً : : وقـد نُسجَتْ كفانهُ وهو لا يدري
– ومن يصحبِ الدنيا يكنْ مثلَ قابضٍ : : علـى المـاءِ خانته فروجُ الأصابعِ

– إنمـا الدنـيا كظـلٍ زائـلٍ ::: أو كـضيف بـاتَ لـيلاً فارتحلْ
– أو كطـيف قـد يـراهُ نـائمٌ ::: أو كـبرق لاحَ في أفـقِ الأمـلْ
– يـا مـنْ بدنـياهُ اشـتغلْ ::: وغَـرَّهُ طـولُ الأمـلْ
– المـوتُ يـأتيْ بغـتةً ::: والقـبرُ صـندوقُ العمـلْ

***

– تحـرزْ مـن الدنـيا فإن فناءَها ::: مَحَـلٌ لا مَحَـلٌ بقـاءِ
– فـصفوتُها ممـزوجةَ بكـدورةٍ ::: وراحـتُها مقـرونةٌ بعـناءِ

***

– الدهـرُ يخـنقُ أحـياناً قلادتَه ::: علـيكَ لا تضطربْ فيه ولا تثبِ
– حـتى يفـرجْها في حالِ مدتَها ::: فقـد يـزيدُ اختناقاً كُلَّ مضطربِ

***

– لا تـأمنِ الدهرَ الصروفَ فإنه ::: لا زالَ قـدماً للـرجال يهـذبُ
– وكـذلكَ الأيـامُ في غَـدَواتها ::: مـوتٌ يـذلُّ لهـا الأعزُّ الأنجبُ

وعن زوال الشدة والعسرة قال:

– وكـمْ للّـه مـن لطف خفيٍّ ::: يـدقُّ خفـاةُ عـن فهـمِ الذكيِّ
– وكـم يُـسْرٍ أتى من بعدَ عُسْرٍ ::: ففـرجْ كـربةَ القلـبِ الشجيِّ
– وكـم أمـرٍ تُـساءُ به صَباحاً ::: وتأتـيكَ المسـرةُ بالعَـشيِّ
– إذا ضـاقَتْ بكَ الأحوالُ يوماً :: فـثقْ بالـواحد الفـردِ العلـيِّ
– تَوَسَّـلْ بالـنبيِّ فكـلُّ خطبٍ :: يهـونُ إذا تُوسَـلَ بالـنبيِّ

وعن عفو الله قال:

- إلهـــي لا تعـــذبْني فـــإني ::: مقـــرٌّ بالـــذي قـــد كـــانَ مـــني
- فمـــا لي حـــيلةٌ إلا رجائـــي ::: لعفـــوِيكَ إن عَفَوْت وحسنُ ظني
- وكـــم مـــن زلـــةٍ لي في الخطايا ::: وأنـــتَ علـــيَّ ذو فَـــضْلٍ ومـــنٍّ
- إذا فكـــرتُ في ندمـــيْ علـــيها ::: عَضَـــضْتُ أناملـــي وقرعْتُ سني
- أَجَـــنُّ بزهـــرةِ الدنـــيا جُنوناً ::: وأقطـــعُ طـــولَ عمـــري بالتمني
- ولـــو أنيْ صَـــدَقْتُ الزهدَ عنها ::: قَلَـــبْتُ لأهلِهـــا ظَهْـــرَ المجَـــنِّ
- يظـــن الـــناس بي خـــيراً وإني ::: لـــشر الخلـــق إن لم تعـــفُ عـــني

***

- إلهـــي أنـــت ذو فـــضل ومنٍّ ::: ولإني ذو خطايـــا فاعـــف عـــني
- وظـــني فـــيك يـــا ربي جمـــيلٌ ::: فحقـــق يـــا إلهـــي حـــسن ظني

وعن طلب الرزق قال:

- وإذا رأيْـــتَ الرزقَ ضاقَ ببلدة ::: وخشيتَ فيها أن يضيقَ لا مكسبُ
- فارحلْ فأرضُ اللّهِ واسعةُ الفضاً ::: طـــولاً وعَرْضـــاً شَـــرْقُها المغربُ

***

- فـــإن تكـــنِ الدنـــيا تُعَدُّ نفيسةً ::: فـــإن ثـــوابَ اللّـــه أعلـــى وأنبلُ
- وإن تكنِ الأرزاقُ حظاً وقسمةً ::: فقلةُ حرصِ المرءِ في الكسب أجملُ
- وإن تكنِ الأبدانُ للموتِ أنشئَتْ ::: فقـــتلُ امـــرئٍ للّهِ بالسيفِ أفضلُ

وعن السر وكتمانه قال:

- لاتفشِ سراً ما استطعْتَ إلى امرئ ::: يفـــشي إلـــيك ســـرائراً يُسْتَوْدَعُ
- فكمـــا تـــراهُ بسرِّ غيرِكَ صانعاً ::: فكـــذا بـــسِّرِكَ لا محالـــة يـــصنعُ

***

- وإذا ائتمنتَ على السرائرِ فاخفِها ::: واســـترْ عـــيوبَ أخيكَ حينَ تطلعُ
- لاتجـــزعَـــنَّ الحـــوادثِ إنمـــا ::: خَرَقُ الرجالِ على الحوادثِ يجزعُ

– وأطلــع أباكَ بكلٍّ ما أوصى به ::: إنِ المطــيعَ أبـــاه لا يتضعــضعُ

وعن الشيب قال:

– الـــشيبُ عـــنوانُ المــــني : : ة (المنـــية) وهـــو تـــاريخُ الكِبَـــرْ
– وبـــياضُ شـــعرِك مـــوتُ شع : : رِك (شـــعرك) ثم أنـــتَ على الأثرْ
– فـــإذا رأيـــتَ الـــشيبَ عـــمَّ ::: الـــرأسَ فالحــــذرَ الحــــذرْ

***

– صَرَمَتْ حبالكَ بعد وصلِكَ زينبُ ::: والدهـــرُ فـــيه تـــصرمُ وتقلـــبُ
– ذهبَ الشبابُ فما له من عَوْدَة ::: وأتـــى المـــشيبُ فأين منه المهربُ
– دعْ عنكَ ماقد فاتَ في زمنِ الصِّبا ::: واذكـــرْ ذنوبكَ وابكها يا مذنبُ
– واخـــش مناقـــشةَ الحساب فإنه ::: لابُـــدَّ يحـــصى ما جنَيتَ ويكتَبُ
– لم ينـــسَه الملكـــان حينَ نَسيتَهُ ::: بـــل أثبـــتاه وأنـــتَ لاه تلعـــبُ
– والـــروحُ فيكَ وديعةٌ أودعتَها ::: ســـتردها بالـــرغم منكَ وتسلبُ
– وغـــرورُ دنـــياكَ التي تسعى لها ::: دارٌ حقيقـــتها مـــتَاعٌ يَـــذْهَبُ
– وجمـــيعُ ماحـــصلته وجمعـــتَهُ ::: حقـــاً يقيـــناً بعـــدَ مـــوتِكَ يُنهبُ
– تـــباً لـــدارٍ لا يـــدومُ نعـــيمُها ::: ومـــشيدُها عمـــا قلـــيلٍ يخـــربُ

وعن الصبر قال:

– فـــإن تسأليني كيف أنتَ فإنني ::: صَـــبُورٌ على رَيْبِ الزمان صَعيبُ
– حريصٌ على أن لا يُرى بي كآبة ::: فيـــشمتَ عـــادٍ أو يـــساءَ حبيبُ
– اصـــبرْ قليلاً فبعد العُسْرِ تيسيرُ ::: وكُـــلُّ أمـــرٍ لـــه وَقْـــتٌ وتدبيرُ
– وللمـــيمنِ في حالاتـــنا نظـــرٌ ::: وفـــوقَ تقديـــرِنا للّـــهِ تقديـــرُ

***

– اصبرْ على مضضِ الإدلاجِ في السحرِ ::: وفي الـــرواحِ إلى الحاجاتِ والبكرِ
– لاتـــضجرنَّ ولا تدخلْكَ معجزةٌ ::: فالنجحُ يتلفُ بين العجزِ والضجَرِ
– إني رأيـــتُ الأيـــامِ تجـــربةٌ ::: للـــصبرِ عاقـــبةً محمـــودةَ الأثـــرِ
– وقـــلَّ مـــن جدَّ في أمرٍ يطالبُهُ ::: فاستـــصحبَ الصبرَ إلا فازَ بالظفرِ

وعن الصداقة والصحبة قال:

- وليس كثيراً ألفُ خِلٍ وصاحبٍ ::: وإن عــدواً واحــداً لكــثيرُ

***

- وإذا الـصديقُ رأيـتَهُ مـتملقاً ::: فهـو العـدوُّ وحقُّـه يُتَجنذضبُ
- لا خـيرَ في امـرئ مـتملق ::: حلـوِ اللـسانِ وقلـبهُ يَـتَلهَّبُ
- يلقـاكَ يحلـفُ أنـهُ بكَ واثقٌ ::: وإذا تـوارى عـنك فهو العَقْرَبُ
- يعطيكَ من طرفِ اللسانِ حلاوةً ::: ويـروغُ منك كما يروغُ الثعلبُ
- واختـرْ قرينَكَ واْطفيه نفاخراً ::: إن القـرينَ إلى المقـارنِ يُنْـسَبُ

***

- وإن خـانَ الـصديقُ فلا تَخُنْهُ ::: ودمْ بـالحفظ مـنه وبالـذمامِ
- ولا تحمـلْ على الإخوانِ ضِغْناً ::: وخـذْ بالـصَحِ تنـيجُ من الأثامِ

***

- تـركُ الـتعاهد للـصدي ::: ق (للصديق) يكونُ داعيةَ القطيعةْ
- كنْ ما اسطعْتَ من الأنامِ بمَعْزِلٍ ::: إنَ الكـثيرَ من الورى لا يصحبُ
- واجعل جليسَكَ سيداً تحظى به ::: حَبْـرٌ لبـيبٌ عاقـلٌ مـتأدبُ
- واحذرْ من المظلومِ سهماً صائباً ::: واعلـمْ بـأن دعـاءَه لا يُحْجَبُ

وعن العقل قال:

- وأفـضلُ قَسْمِ اللّهِ للمرءِ عقلُهُ ::: فلـيس مـن الخيرات شيءٌ يقاربُهْ
- يزينُ الفتى في الناسِ صحَّةُ عقله ::: وإن كـان محظـوراً عليه مكاسبهْ
- يعيشُ الفتى بالعقلِ في كلِ بلدة ::: علـى العقـلِ يجري علمه وتجاربهْ
- ويزيـر بـه في الناسِ قلةُ عقلهِ ::: وإن كـرَمتْ أعـراقُهُ ومناسـبُهْ
- إذا أكمـلَ الرحمنُ للمرءِ عقلَهُ ::: فقـد كَمُلَـتْ أخلاقُـهُ ومآربُـهْ
- ومـن كـان غلاباً بعقلٍ ونجدةٍ ::: فـذو الجَـدِّ في أمرِ المعيشةِ غالبُهْ

***

– رأيـــتُ العقـــلَ عقلـــين ::: فمطـــبوعٌ ومـــسموعُ
– ولا يـــنفعُ مـــسموعٌ ::: إذا لم يـــكُ مطـــبوعُ
– كمـــا لا تـــنفع الـــشمسَ ::: وضـــوءُ العـــين ممـــنوعُ
– لـــو كـــان باللبـــيبُ غـــنيً ::: لكـــان لكـــلِّ لبـــيب مثل قارون
– لكـــنما الرزقُ بالميزانِ من حكمٍ ::: يعطـــي اللبيبَ ويعطي كلَّ مأفونِ

***

– مـــا الفضلُ إلا لأهلِ العلمِ إنهمُ ::: علـــى الهُـــدى لمن استهدى أدلاءُ
– وقـــيمةُ المرءِ ما قد كان يحسنُهُ ::: والجاهلـــونَ لأهـــلِ العلـــمِ أعداءُ
– فقـــمْ بعلـــمٍ ولا تطلبْ به بدَلاً : : فالـــناسُ مَوْتـــى وأهلُ العلمِ أحياءُ
– العلـــمُ زينٌ فكن للعلمِ مكتسباً : : وكـــن لـــه طالباً ما عشتَ مقتبسا
– اركـــنْ إلـــيه وثـــقْ واغـــنَ به ::: وكـــنْ حليماً رزينَ العقلِ مُحْتَرِسا
– لا تـــأثمنَّ فإمـــا كُنْتَ منهمكاً ::: في العلـــمِ يوماً وإما كنتَ منغمسا
– وكن فتىً ماسكاً محضَ التقى وَرِعا ::: للـــدينِ منغمـــساً للعلـــمِ مُفْتَرِسا

***

– وكـــنْ للعلـــمِ ذا طلب وبحث ::: ونـــاقشْ في الحـــلالِ وفي الحـــرامِ
– وبالعـــوراءِ لاتـــنطقْ ولكـــن ::: بمـــا يُرْضـــي الإلـــه مـــن الكلامِ

***

– إذا كـــنتَ ذا علمٍ ولم تكُ عاقلاً ::: فأنـــتَ كذي رجلٍ وليس له نعلُ
– ألا إنمـــا الإنـــسانُ غمدٌ لعقله ::: ولا خـــيرَ في غمدٍ إذا لم يكنْ نصلُ

وعن العيب والعار قال:

– الـــنارُ أهـــونُ من ركوبِ العارِ ::: والعـــارُ يـــدخلُ أهلَـــه في الـــنارِ
– والعـــارُ في رجـــلٍ يبيتُ وجارُهُ ::: طـــاوي الحَـــشا متمـــزقُ الأطمارِ
– والعارُ في هَضْمِ الضيفِ وظُلْمِه ::: وإقامـــة الأخـــيارِ بالأشـــرارِ

***

- يغطي عيوبَ المرءِ كثرةُ ماله ::: يصدقُ فيما قالَ وهو كذوبُ
- ويزري بعقلِ المرءِ قلةُ ماله ::: يحمقه الأقوامُ وهو لبيبُ

وعن الغنى والثراء قال:

- وكَمْ ساعٍ ليثري لم يَنَلْهُ ::: وآخرُ ما سعى لحقَ الثراءَ
- وساعٍ يجمعُ الأموالَ جَمْعاً ::: ليورثها أعاديه شقاءَ
- وما سيانِ ذو خَبَرٍ بصيرٌ ::: وآخر جاهلٌ ليسا سواءَ

***

- إن الغنيَّ من الرجالِ مكرَّمٌ ::: وتراه يرجَى ماليه ويرهَبُ
- ويبش بالترحيبِ عند قدومه ::: ويقامُ عند سلامه ويقرَّبُ
- والفقرُ شَيْنٌ للرجالِ فإنه ::: يزري به الشهمُ الأديبُ الأنسبُ

***

- بلَتُ صروفَ الدهرِ ستين حجةً ::: وجرَّبتُ حالَيْه من العُسْرِ واليسرِ
- فلم أرَ بعد الدِّيْنَ خيراً من الغنى ::: ولم أر بعد الكُفْرِ شراً من الفَقْرِ

***

- لو كان بالحَيلِ الغنى لوجدتني ::: بنجوم أقطارِ السماء تَعَلقي
- لكنَّ من رُزِقَ الحجا حُرِمَ الغنى ::: ضدان مفترقان أيَّ تَفَرُّق
- وأحَقُّ خلقِ اللّه بالهمِّ امرؤٌ ::: ذو همَّة يبلى برزق ضَيِّقِ
- ومن الدليلِ على القَضَاءِ وحُكْمِه ::: بؤسُ اللبيبِ وطيبُ عَيْشِ الأَحْمَقِ

وعن الفقر قال:

- ويزري بالفتى الإعدامُ حتى ::: متى يصيبِ المقالَ يقلْ أياءَ

***

- غالبْتُ كُلَّ شديدة فغلبْتُها ::: والفقرُ غالبني فأصبحَ غالبي
- إن أُبْده يفصحْ وإنَّ لم أُبْده ::: يقتلْ فقبِّحَ وجهُهُ من صاحبِ
- دليلُكَ أَن الفقيرَ خيرٌ من الغِنى ::: وأن القليل المالِ خيرٌ من المثري

- لقاؤكَ مَخْلوقاً عصى اللّهَ للغنى ::: ولم تَرَ مخلوقاً عصى اللّهَ للفقرِ
- ألم ترَ أن الفقرَ يرجى له الغِنَى ::: وأن الغنيَّ يخشى عليه من الفقرِ

***

- صَبْرُ الفتى لفقرِه يُجلُه ::: وبَذْلُه لوجهه يُذلُّهُ
- يكفي الفتى من عيشِه أقلُه ::: الخُبْزُ للجائعِ أدمٌ كُلُّهُ

***

- النفسُ تجزعُ أن تكونَ فقيرةً ::: والفقرُ خيرٌ من غنىً يطغيها
- وغِنى النفوسِ هو الكافُ وإن أبتْ ::: فجميعُ أهلِ الأرضِ لا يكفيها

وعن المصائب والبلايا قال:

- ليس البليةُ في أيامِنا عَجَباً ::: بل السلامةُ فيها أعجبُ العجبِ

- وما الدهرُ والأيامُ إلا كما ترى ::: رزيةُ مالٍ أو فراقُ حبيبِ

***

- خليليَّ واللّه ما من ملمة ::: تدومُ على حيٍ وإن هي جلّتِ
- فإن نزلتْ يوماً فلا تخضعنَّ لها ::: ولا تكثرِ الشكوى إذا الفعل زلتِ
- فكم من كريمٍ يُبْتَلَىْ بنوائبٍ ::: فصابَرَها حتى مَضَتْ واضْمحَلّتِ

***

- إذا النائباتُ بلغْنَ المدى ::: وكادتْ تذوبُ لهُنَّ المهجُ
- وحلَّ البلاءُ وبانَ العزاءُ ::: فعندَ التناهي يكونُ الفرجْ
- لا تجزعنَّ إذا نابتْكَ نائبةٌ ::: واصبرْ ففي الصبرِ عندَ الضيقِ متسعُ
- إن الكريمَ إذا نابتْهُ نائبةٌ ::: لم يبدُ منه على علاتِه الهلعُ
- لا تكرهِ المكروهَ عند نزوله ::: إن المكارِه لم تزلْ متباينه
- كم نعمةٍ لم تستقلَّ بشكرِها ::: للّهِ في طيِّ المكارِه كامنةْ

***

- عجبتُ لجازعٍ باكٍ مصاب ::: ذي اكتئاب
- يَشُقُّ الجيبَ يدعو الويلَ جَهْلاً ::: كأن الموتَ بالشيءِ العُجابِ
- وساوى اللّهُ فيه الخلقَ حتى ::: نبيَّ اللّهِ منه لم يُحابِ
- له مَلَكٌ ينادي كُلَّ يومٍ ::: لِدوا للموتِ وابنُوا للخرابِ

***

- ومن البلاءِ وللبلاءِ عَلامةٌ ::: أن لا يرى لك عن هواكَ نُزوعُ
- العبدُ عبدُ النفسِ في شهواتِها ::: والحُرُّ يشبعُ تارةً ويَجُوعُ
- وكفاكَ من غيرِ الحوادثِ أنه ::: يبلى الجديدُ ويحصدُ المزروعُ

***

- أتصبرُ للبلوى عزاءً وحسْبةً ::: فتؤجرَ أم تسلو سَلُوَّ البهائمِ
- خُلِقْنا رجالاً للتجلدِ والأَسى ::: وتلكَ الغواني للبكا والمآتمِ

***

- إذا ما عرا خطبٌ من الدهرِ فاصطبرْ ::: فإن الليالي بالخطوبِ حواملُ
- وكُلُّ الذي يأتي به الدهرُ زائلٌ ::: سريعاً فلا تجزعْ لما هو زائلُ

***

- ألا فاصبرْ على الحدَث الجليلِ ::: وداوِ جَوَكَ بالصبْرِ الجميلِ
- ولا تيأسْ فإن اليأسَ كفرٌ ::: لعلَ اللّهَ يُغني من قليلِ
- وإن العسرَ يتبعُه يسارُ ::: وقولُ اللّهِ أصدقُ كلِ قيلِ
- فلو أن العقولَ تَجُرُّ رِزْقاً ::: لكان الرزقُ عندَذويْ العقولِ
- فما نُوَبُ الحوادث باقياتٌ ::: ولا البؤسى تدومُ ولا النعيمُ
- كما يمضي سرورٌ وهو جَمٌّ ::: كذلكَ ما يسوؤكَ لا يدومُ
- فلا تَملكْ على ما فاتَ وَجْداً ::: ولا تفرِدْكَ بالأسفِ الهُمومُ

الموت والردي:

- الموتُ لا والداً يبقى ولا ولدا ::: هذا السبيلُ إلى أن لاترى أحدا

- كان النبيُّ ولم يخلدْ لأمته : : لو خلدَ اللّهُ خلقاً قبلَه خَلَدا
- للموتِ فينا سهمٌ غيرٌ خاطئةٍ ::: من اليومَ سهمٌ لم يَفُتْنه غَدا

***

- هبني بقيتُ على الأيامِ والأبدِ ::: ونلتُ ما شئتُ من مالٍ ومن ولدِ
- من لي برؤيةِ من قد كنْتُ آلفهُمْ ::: وبالزمنِ الذي وَلّى فلم يَعُدِ
- لا فارقَ الحزنُ قلبي بعدَهم أبداً ::: حتى يفرقَ بين الروحِ والجَسَدِ

- ولو أنا إذا متْنا تركنا ::: لكانَ الموتُ راحةَ كُلِّ حيٍّ
- ولكنا إذا متْنا بُعِثْنا ::: ونسألُ بعد ذا عن كُلِّ شيٍّ

***

- ألا أيُّها الموتُ الذي ليس تاركي ::: أرِحْنيْ فقد أفنيتَ كُلَّ خليلِ
- أراكَ بصيراً بالذينَ أودُّهمْ ::: كأنكَ تنجو نحوَهُم بدليلِ

***

- أموالُنا لذوي الميراث نَجْمَعُها ::: ودورُنا لخرابِ الدهرِ نبنيها
- والنفسُ تكلفُ بالدنيا وقد عَلمَتْ ::: أن السلامةَ فيها تركُ مافيها
- فلا الإقامةُ تنجي النفسَ من تَلَف ::: ولا الفرارُ من الأحداث يُنْجيها
- وكلِ نفسٍ لها زورٌ يصحبها :: من المنيةِ يوماً أو يُمَسَّيها

وعن بنات حواء قال:

- دعْ ذكرهنَّ فما لهن وفاءُ ::: ريحُ الصَّبا وعهودُهن سواءُ
- يَكْسِرنَ قلبكَ ثم لا يجبرنهُ ::: وقلوبُهن مع الوفاءِ خَلاءُ

***

- لا تأمننَّ على النساءِ ولو أخا ::: ما في الرجالِ على النساءِ أمينُ
- إن الأمينَ وإن تَعَفَّفَ جُهْدَهُ ::: لا بُدَّ أن بنظرة سيخونُ
- القَبْرُ أو في من وَثِقْتَ بعَهْدِهِ ::: ما للنساءِ سوى القُبورِ حُصونُ

- إذا لم يكن في المنـــزلِ المرءِ حرةٌ ::: مدبـــرةُ ضـــاعتْ مـــروءةُ داره

عن النصيحة قال:

- قال: علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه ينصح ولده الحَسَن:

- تـــردَّ رداءَ الصَّبْرِ عندَ النوائبِ ::: تنلْ من جميلِ الصبرِ حسنَ العَوَاقب
- وكنْ صاحباً للحلمِ في كُلِّ مشهد ::: فمـــا الحلمُ إلا خيرُ خدْنٍ وصاحبَ
- وكنْ حافظاً عهدَ الصديقِ وراعياً ::: تذقْ من كمالِ الحفظ صَفوَ المشاربَ
- وكـــنْ شاكراً للّه في كَلِّ نعمة ::: يثـــبْكَ على النُّعمى جزيلَ المواهبَ
- ومـــا المرءُ إلا حيثُ يجعلُ نفسَهُ ::: فكـــنْ طالباً في الناسِ أعلى المراتبَ
- وكنْ طالباً للرزقِ من باب حلَّةَ ::: يضاعفْ عليك الرزقُ من كُلِّ جانبَ
- وصـــنْ منكَ ماءَ الوجه لاتبذلَنَّهُ ::: ولا تسألِ الأرذالَ فضلَ الرغائبَ
- وكنْ موجباً حقَّ الصديقِ إذا أتى ::: إلـــيكَ بـــبرٌ صادق منك واجبَ
- وكـــنْ حافظاً للوالدين وناصراً ::: لجـــارِكَ ذي التقوى وأهلِ التقاربَ

***

- ينسب إلى علي أنه قال مخاطباً الحسين:

- أحـــسينُ إني واعـــظٌ ومؤدبٌ ::: فـــافهمْ فأنـــتَ العاقـــلُ المتأدبُ
- واحفـــظْ وصـــيةَ والدٍ متحننٍ ::: يغـــذوكَ بـــالآداب كـــيلا تعطبُ
- أبُنَـــيَّ إن الـــرزق مكفـــولٌ به ::: فعلـــيكَ بالإجمـــالِ فـــيما تطلبُ
- لا تجعلـــنَّ المـــالَ كسبَكَ مفرداً ::: وتقـــى إلهـــكَ فاجعَلَنْ ما تكسبُ
- أبُنَـــيَّ إن الذكـــرَ فـــيه مواعظٌ ::: فمـــن الـــذي بعظاتـــه يـــتأدبُ
- فاقـــرأ كتابَ اللّه جهدَكَ واتلُهُ ::: فـــيمن يقـــومُ بـــه هناكَ وينصبُ
- بتفكـــرٍ وتخـــشعٍ وتقـــربٍ ::: إن المقـــربَ عـــندَه المتقـــربُ
- واعـــبدْ إلهكَ ذا المعارجِ مخلصاً ::: وانـــصتْ إلى الأمثالِ فيما تضربُ
- وإذا مـــرْتَ بآيـــةٍ وعظـــيمة ::: تصفُ العذابَ فقفْ ودمعُكَ يسكبُ
- وإذا مـــررْتَ بآيـــةٍ في ذكرِها ::: وصـــفُ الوسيلة والنعيمِ المعجبُ
- فاســـأل إلهـــكَ بالإنابةِ مخلصاً ::: دارِ الخلـــودِ ســـؤالَ مـــن يتقربُ

- واجهــدْ لعلكَ أن تحلَّ بأرضِها ::: وتــنالَ روح مــساكن لا تخربُ
- بــادرْ هــواكَ إذا هممْت بصالحٍ ::: خــوفَ الغــوالب أن تجيءَ وتغلبُ
- وإذا هممْــتَ بسيءٍ فاغمضْ له ::: وتجــنب الأمــرَ الــذي يُتَجنبُ
- واخفضْ جناحكَ للصديقِ وكن له ::: كــأب علــى أولاده يــتحدَّبُ
- والضيفَ أكرِمْ ما استطعْتَ جوارَه ::: حــتى يَعــدَّكَ وارثــاً ينتــسبُ
- واجعــلْ صديقَكَ من إذا آخيتَه ::: حفظَ كالإخاءَ وكان دونَكَ يضربُ
- واطلــبهمُ طلبَ المريضِ شفاءَه ::: ودعِ الكذوبَ فليس ممن يصحبُ
- واحفظْ صديقكَ في المواطنِ كُلِّها : : وعلــيكَ بالمــرءِ الذي لا يكذبُ
- واقــلِ الكذوبَ وقربَه وجَوارَه : : إن الكــذوبَ ملطخٌ من يَصْحَبُ
- يعطــيكَ مــا فوقَ المنى بلسانه ::: ويــروغُ منكَ كما يروغُ الثعلبُ
- واحــذرْ ذوي الخلقِ اللئامَ فإنهم ::: في النائــباتِ علــيك ممــن يخطبُ
- يَسْعَون حولَ المرءِ ما طمعوا به ::: وإذا نــبا دهــرٌ جَفَــوا وتغيــبوا
- ولقد نصحْتُكَ إن قبلتَ نصيحتي ::: والنــصحُ أرخصُ ما يباعُ ويُوْهَبُ

وعن الود والوداد قال:

- تغــيرتِ المــودةُ والإخــاءُ ::: وقــلَّ وانقطــعَ الــرجاءُ
- ورب أخٍ وفــيتُ لــه بحــق ::: ولكــنْ لا يــدومُ لــه وفــاءُ
- أخــلاءٌ إذا اســتغنيتُ عــنهمْ ::: وأعــداءٌ إذا نــزلَ الــبلاءُ
- يدمــنون المــودةَ مــارأَوْني ::: ويبقــى الــودُّ مــا بقــيَ اللقاءُ
- وإن غبــيتُ عــن أحــد قلاني ::: وعاقــبني بمــا فــيه اكــتفاءُ
- ســيغنيني الــذي أغــناهُ عني :: فــلا فقــرٌ يــدومُ ولا ثــراءُ
- وكــلُّ مــودةٍ للّــه تــصفو :: ولا يــصفو مــع الفــسقِ الإخاءُ

***

- ولا خــيرَ في ودِّ امــرئٍ متلون ::: إذا الــريحُ مالَــتْ مالَ حيثُ تميلُ
- جواد إذا استغنيتَ عن أخذ ماله ::: وعــند احــتمال الفقرِ عنك بخيلُ
- فمــا أكثرَ الإخوانَ حينَ تعدهمْ ::: ولكــنهم في النائــباتِ قلــيلُ

– إذا ظفرْتَ بودٍّ امرئ ::: قليلِ الخلاف على صاحبهْ
– فلا تغبطَنَّ به نعمةً ::: وعلقْ يمينكَ ياصاحِ بهْ

– في الفَرَج والشدة:

إذا اشتملت على اليأس القلوب ::: وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوضنت المكاره واطمأنت ::: وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهًا ::: ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث ::: يمن به القريب المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت ::: فموصول بها الفرج القريب

– في الصبر:

ألا فاصبر على الحدث الجليل ::: وداو جواك بالصبر الجميل
ولا تجزع فإن أعسرت يومًا ::: فقد أيسرت في الدهر الطويل
ولا تظنن بربك ظن سوء ::: فإن الله أولى بالجميل
فإن العسر يتبعه يسار ::: وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تجر رزقًا ::: لكان الرزق عند ذوى العقول
فكم من مؤمن قد جاع يومًا ::: سيروى من رحيق السلسبيل

– في حرص الناس على الدنيا:

للناس حرص على الدنيا وتدبير ::: وفي مراد الهوى عقل وتشمير
وإن أتوا طاعة الله ربهم ::: فالعقل منهم على الطاعات مأسور
لأجل هذا وذاك الحرص قد مزجت ::: صفاء عيشاها همّ وتكدير
لم يرزقوها بعقل عندما قسمت ::: لكنهم رزقوها بالمقادير
كم من أديب لبيب لا تساعده ::: ومائق نال دنياه بتقصير
لو كان عن قوة أو عن مغالبة ::: طار البزاة بأرزاق العصافير

– في الصداقة:

فلا تصحب أخا الجهل ::: وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى ::: حليمًا حين آخاه

يقـــاس المـــرء بالمـــرء ::: إذا مـــا هـــو ماشـــاه
وللـــشيء مـــن الـــشيء ::: مقايـــيس وأشـــباه
قـــياس الـــنعل بالـــنعل ::: إذا مـــا هـــو حـــاذاه
وللقلـــب علـــى القلـــب ::: دلـــيل حـــين يلقـــاه

- في التواضع والقناعة:

حقـيق بالتواضـع مـن يموت ::: ويكفـى المـرء مـن دنياه قوت
فمـا للمـرء يـصبح ذا هموم : : وحـرص لـيس تدركـه النعوت
صـنيع مليكـنا حـسن جميل :.: ومـا أرزاقـه عـنا تفـوت
فـيا هـذا سـترحل عـن قليل ::: إلى قـوم كلامهـم الـسكوت

* * * * *

من حكم أمير المؤمنين على التي سارت بين الناس

صلاة الليل بهاء في النهار .

صلاح الدين من الورع وفساده من الطمع .

طوبى لمن عمل بعلمه .

الفرصة تمر مر السحاب .

قسوة القلب من الشبع .

الشرف بالفضل والأدب ، لا بالأصل والنسب .

جمال الخُلق أبهي من جمال الخَلق .

في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق .

المعروف كنز من أفضل الكنوز .

لا شرف مع سوء الأدب .

لا راحة لحسود .

الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له .

ويل للباغين من أحكم الحاكمين .

من سل سيف البغي قُتل به .

إخفاء الشدائد من المروءة .

أحسن إلى المسيء تسده .

الإحسان يقطع اللسان .

من عَذُب لسانه كثر إخوانه .

من قل صدقه ، قل صديقه .

لسانك يقتضيك ما عودته .

من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه

صاحب الأخيار تأمن الأشرار .

جليس الخير غنيمة .

صحبة الأحمق نقصان في الدنيا وحسرة في الآخرة .

كفى أدبًا لنفسك ما كرهته لغيرك .

لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال .

خير الناس من ينفع الناس .

المرء مخبوء تحت لسانه .

اللسان معيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل .

أخوك من واساك في الشدة .

احذر صولة الكريم إذا جاع ، وصولة اللئيم إذا شبع .

العجز آفة ، والصبر شجاعة ، والزهد ثروة ، والورع جنة .

لا تكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله حرًا .

الناس نيام ، إذا ماتوا انتبهوا .

الناس أعداء ما جهلوا .

ما هلك امرؤ عرف قدره .

رب كلمة سلبت نعمة .

الآداب حلل مجددة والفكر مرآة صافية .

الفقر يخرس الفطن عن حجته ، والمقل غريب في بلدته .

إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره ، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه .

العفو عند المقدرة شكر للمقدرة .

إعادة الاعتذار تذكير للذنب .

أبلغ العظات النظر إلى الأموات .

ذكر الموت جلاء القلوب .

* * * * *

مواقف الشيعة
مع الإمام علي بن أبي طالب

إن المحن هي التي تكشف معادن الرجال، ومن السهل علي المرء أن يتحدث عن الشجاعة والنجدة والفتوة ونصرة من يحب، ولكن حينما يوضع في موقف التنفيذ، وحينما يفرض عليه أن يقدم دلائل القول بالعمل، حينها تعرف الحقائق، فالشيعة أكثر من يزعم حب آل البيت ونصرتهم والدفاع عنهم، ولا يخلو كتاب من عبارات الحب والود وتقديم فروض الولاء والطاعة والنصرة لآل البيت بل إنهم لا يرون غيرهم في نصرة آل البيت، ولكن الحقيقة والوقائع التاريخية عكس ذلك تماما، والدليل على ما أقول التاريخ الطويل والحافل بخيانة من يدعي التشيع لآل البيت، ولأئمة آل البيت، بدأ من خذلانهم لعلي بن أبي طالب وتقاعسهم عن القتال معهم ونصرته في المواقف العصيبة، إلى غدرهم بالحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعدما أغروه بالمبايعة والنصرة، ودعوه للإمرة والخلافة، وصولا إلى بقية أهل البيت في العصر الأموي.

فلقد كان أكثر شيعة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أهل العراق وعلى وجه الخصوص أهل الكوفة والبصرة، وعندما عزم علي على الخروج بهم إلى أهل الشام بعد القضاء على فتنة الخوارج خذلوه، وكانوا وعدوه بنصرته والخروج معه، ولكنهم تخاذلوا عنه في أول اختبار لدفاعهم عن آل البيت، وآثروا الدعة والراحة وقالوا: "يا أمير المؤمنين لقد نفدت نبالنا وكلَّت سيوفنا، ونصلت أسنة رماحنا فارجع بنا فلنستعد بأحسن عدتنا . . . فأدرك علي أن عزائمهم هي التي كلت ووهنت وليس سيوفهم، فقد بدأوا يتسللون من معسكره عائدين إلى بيوتهم دون علمه، حتى أصبح المعسكر خاليًا، فلما رأى ذلك دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه في المسير"[(١)].

وهكذا تخلى الكوفيون عن علي في أحرج لحظات المواجهة مع معاوية، فتركوه بكل بساطة، فحنق على أهل الكوفة لخذلانهم له، وحاول

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢١١، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري، دار التراث - بيروت الطبعة الثانية - ١٣٨٧ هـ، ٥/ ٨٩.

استنهاضهم وحثهم على نصرته، كما أرسل الوفود إلى أطراف بلاد الشام، وأذربيجان والسواد لحشد المقاتلين، لكن جهوده لم تثمر، فأدرك عندئذ واقعه المرير، مما دفعه إلى تأجيل قراره بمهاجمة أهل الشام، واعتكف في عاصمته، وطوى مشاريع القتال بعد أن أدرك أن هؤلاء القوم لا يمكن أن تنتصر بهم قضية مهما كانت عادلة ولم يستطع أن يكتم هذا الضيق فقال لهم: "عباد الله ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا أثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وبالذل والهوان من العز أو كلما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة وكأن قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون وكأن أبصاركم كمه فأنتم لا تبصرون لله أنتم ما أنتم إلا أسود الشرى في الدعة وثعالب رواغة حين تدعون إلى البأس ما أنتم لي بثقة سجيس[(١)] الليالي ما أنتم بركب يصال بكم ولا ذي عز يعتصم إليه، لعمر الله لبئس حشاش الحرب أنتم، إنكم تكادون ولا تكيدون ويتنقص أطرافكم ولا تتحاشون ولا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، إن أخا الحرب اليقظان ذو عقل، وبات لذل من وادع وغلب المتحادلون والمغلوب مقهور ومسلوب، ثم قال: أما بعد فإن لي عليكم حقا وإن لكم علي حقا فأما حقكم علي النصيحة لكم ما صحبتكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيما لا تجهلوا وتأديبكم كي تعلموا وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لي في الغيب والمشهد والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم فإن يرد الله بكم خيرا انتزعتم عما أكره وتراجعوا إلى ما أحب تنالوا ما تطلبون وتدركوا ما تأملون"[(٢)].

والعجيب أن شيعة علي من أهل العراق لم يتقاعسوا عن المسير معه لحرب الشام فقط، وإنما جبنوا وتثاقلوا عن الدفاع عن بلادهم، فقد هاجمت جيوش معاوية عين التمر وغيرها من أطراف العراق، فلم يذعنوا لأمر علي بالنهوض للدفاع عنها حتى قال لهم أمير المؤمنين علي: كم أداريكم كما

---

(١) أي للأبد.

(٢) تاريخ الطبري، ٥/ ٩٠، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي. بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ٢/ ٦٩٨.

تداري البكار العمدة[1] . والثياب المتداعية[2] كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر[3] أكلما أطل عليكم منسر من مناسر أهل الشام أغلق كل رجل بابه وانجحر انجحار الضبة في جحرها والضبع في وجارها[4] . الذليل والله من نصرتموه . ومن رمي بكم فقد رمي بأفوق ناصل . وإنكم والله لكثير في الباحات[5] قليل تحت الرايات ، وإني لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم[6] ولكني لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي . أضرع الله خدودكم[7] وأتعس جدودكم[8] لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل ، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق[9] . ولما وصل إليه خبر سيطرة شيعة معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على اليمن ، وتقاعس شيعته عن القيام بواجب نصرته ومواجهة خصومه ، قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقرعا الشيعة: (أنبئت بسراً قد اطلع اليمن وإني والله قد خشيت أن يدخل هؤلاء القوم عليكم وما بي إن يكونوا أولى بالحقّ منكم ، ولن تطيعوني في الحقّ كما يطيعون إمامهم في الباطل ما ظهروا عليكم ، ولكن بصلاحهم في أرضهم ، وفسادكم في أرضكم ، وطواعيتهم إمامهم ، وعصيانكم إمامكم ، وبأدائهم الأمانة وخيانتكم . استعملت فلاناً فخان وغدر ، واستعملت فلاناً فخان وغدر ، واستعملت فلاناً فخان وغدر ، واستعملت فلاناً فخان وغدر ، وحمل المال إلى معاوية . فوالله ، لو أني أمنت أحدكم على قدح لخشيت أن يذهب

---

(١) البكار ككتاب جمع بكر الفتي من الإبل ، والعمدة بفتح فكسر التي انفضح داخل سنامها من الركوب وظاهره سليم .

(٢) المتداعية الخلقة المتخرقة . ومداراتها استعمالها بالرفق التام .

(٣) حيصت: خيطت ، وتهتكت: تخرقت .

(٤) المنسر كمجلس ومنبر القطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكثير . وانجحر: دخل الجحر . والوجار: جحر الضبع وغيرها .

(٥) الساحات .

(٦) اعوجاجكم .

(٧) أدل الله وجوهكم .

(٨) وأتعس جدودكم: حط من حظوظكم . والتعس: الانحطاط والهلاك والعثار .

(٩) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد ، أبو حامد ، عز الدين ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ٦/١٠٢ .

بعلاقته . اللهم ، قد كرهتهم وكرهوني ، وسئمتهم وسئموني ، اللهم ، فأرحني منهم وأرحهم مني"[1] .

هذه الكلمات التي خرجت من الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تقطر الحزن والأسي والألم ، لهي أكبر دليل علي حقيقة حب الشيعة له والدفاع عنه .

بقي أن نقول أن الإمام علي لما أدرك حقيقة هؤلاء القوم وخيانتهم وخذلانهم لم يقصر بدوره في بيان حقيقة هؤلاء القوم على الناس ، وتنوير الرأي العام ، ولم يتأن ولم يتأخر في إيقافه إياهم موقف المجرمين المتخاذلين ، والمتعنتين المعاندين الطاعنين .

فقال: " . . . . . أحمد الله على ما قضى من أمر ، وقدر من فعل ، وعلى ابتلائي بكم أيتها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع ، وإذا دعوت لم تجب إن أمهلتم خضتم ، وإن حوربتم خرتم ، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم ، وإن اجئتم إلى مشاقة نكصتم . لا أبا لغيركم! ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم؟ الموت أو الذل لكم؟ فوالله لئن جاء يومي - وليأتيني - ليفرقن بيني وبينكم ، وأنا لصحبتكم قال ، وبكم غير كثير ، لله أنتم! أما دين يجمعكم! ولا حمية تشحذكم! أوليس عجباً أن معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء ، وأنا أدعوكم - وأنتم تريكة الإسلام ، وبقية الناس - إلى المعونة أو طائفة من العطاء ، فتفرقون عني وتختلفون عليّ؟

إنه لا يخرج إليكم من أمري رضى فترضونه ، ولا سخط فتجتمعون عليه ، وإنّ أحبّ ما أنا لاق إليّ الموت! قد دارستكم الكتاب ، وفاتحتكم الحجاج ، وعرفتكم ما أنكرتم ، وسوغتكم ما مججتم ، لو كان الأعمى يلحظ ، أو النائم يستيقظ "[2] .

وقال مرة أخرى مخاطباً إياهم: " . . . . .أف لكم! لقد سئمت عتابكم! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً؟ وبالذل من العز خلفاً؟ إذا دعوتكم

---

(١) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ، تاريخ دمشق ، تحقيق عمرو ابن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، ٤٢/ ٥٣٥ .
(٢) شرح نهج البلاغة ، ١٠/ ٦٧ .

إلى الجهـاد عدوكم دارت أعينكم ، كأنكم من الموت في غمرة ، ومن الذهول في سـكرة . يرتج عليكم حواري فتعمهون ، وكأن قلوبكم مألوسة ، فأنتم لا تعقلـون . مـا أنـتم لـي بـثقة سجيس الليالي ، وما أنتم بركن يمال بكم ، ولا زوافـر عز يفتقر إليكم ما أنتم إلا كإبل ضل رعاتها ، كلما جمعت من جانب انتشرت من آخر ، لبئس - لعمر الله - سعر نار الحرب أنتم .

تكـادون ولا تكـيدون ، وتنـتقص أطـرافكم فلا تمتعضون [(١)] ، لا ينام عنكم وأنـتم في غفلـة سـاهون ، غلب والله المتخاذلون! وأيم الله! إني لأظن بكم أن لو حمس الوغى ، واستحر الموت ، قد انفرجتم عن أبي طالب انفراج الرأس "[(٢)] .

ومـرة أخـرى يـبين للـناس مـا هـم في الجبن والمخاذلة والفساد والباطل فـيقول: " . . .وقـد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون! وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون! وكانت أمور الله عليكم ترد ، وعنكم تصدر ، وإليكم ترجع ، فمكنـتم الظلمـة من منزلتكم ، وألقيتم إليهم أزمتكم ، وأسلمتم أمور الله في أيـديهم ، يعملون بالشبهات ، ويسيرون في الشهوات ، وأيم الله ، لو فرقوكم تحت كل كوكب ، لجمعكم الله لشر يوم لهم "[(٣)] .

ويقـول: "كأني أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب ، لا تأخذون حقاً ولا تمنعون ضيماً ، قد خليت والطريق ، فالنجاة للمقتحم ، والهلكة للمتلوم "[(٤)] .

و يشتكي علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من شيعته فيقول: « ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها ، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي . استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا ، وأسمعـتكم فلـم تـسمعوا ، ودعوتكم سرا وجهرا فلم تستجيبوا ، ونصحت لكـم فلـم تقـبلوا . أشـهود كغـياب ، وعبـيد كأربـاب! أتلـوا عليكم الحكم فتنفرون منها ، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها ، وأحثكم على جهاد أهـل البغـي فمـا آتـي علـى آخـر القول حتى أراكم متفرقين أيادي سبا[(٥)] ،

(١) الامتعاض هو الغضب .
(٢) شرح نهج البلاغة ، ٢/ ١٨٩ .
(٣) شرح نهج البلاغة ، ٧/ ١٥٨ .
(٤) شرح نهج البلاغة ، ٧/ ٣٠٤ .
(٥) جملة يضرب بها المثل في الفرقة: لسان العرب (سبأ) .

ترجعون إلى مجالسكم، وتتخادعون عن مواعظكم، أقومكم غدوة، وترجعون إلي عشية كظهر الحية، عجز المقوم، وأعضل المقوم. أيها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلا منهم! ياأهل الكوفة، منيت منكم بثلاث واثنتين: صم ذووأسماع، وبكم ذووكلام، وعمي ذووأبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء! تربت أيديكم يا أشباه الابل غاب عنها رعاتها! كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر »[(١)].

بل إن الشيعة جمعوا لهم فوق صفات الخذلان الخيانة الكذب وسوء معاملة آل البيت الكذب والتشنيع بهم عليهم، فلقد روى عن أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "أما بعد: يا أهل العراق فإنما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلما أتمت أقلصت، ومات قيمها، وطال تأيمها، وورثها أبعدها، أما والله ما أتيتكم اختيارا، ولكن جئت إليكم سوقا، ولقد بلغني أنكم تقولون: علي يكذب قاتلكم الله! فعلى من أكذب؟"[(٢)].

وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحا، وشحنتم صدري غيظا، وجرعتموني نغب التهمام أنفاسا، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان"[(٣)].

هذا هو كلام الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي يشهد بمكر وخديعة وخذلان الشيعة له، وهذا موقف من يدعون حبه آل البيت وموالاتهم ونصرتهم والدفاع عنهم، وهم في الحقيقة خارجون عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن منهج أهل البيت عليهم السلام، وأكثرهم خيانة لهم ومفارقة لأمرهم.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ٧/ ٧١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ٦/ ١٢٧.

(٣) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري: جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ٢/ ٤٤٣.

أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي، سبط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وريحانته من الدنيا وسيد شباب أهل الجنة، ابن السيدة فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبوه أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحفيد أم المؤمنين خديجة وخامس الخلفاء الراشدين.

ولد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه في رمضان سنة ثلاث من الهجرة النبوية على الصحيح [(١)]، وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما ولد الحسن سميته حرباً فجاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال أروني ابني ما سميتموه؟ قلنا: حرباً، قال: لا، بل هو حسن، فلما ولد الحسين سميته حرباً، فجاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أروني ابني ما سميتموه؟، قلنا: حرباً قال: بل هو حسين. فلما ولد الثالث سميته حرباً، فقال: بل هو محسّن، ثم قال: إني سميتهم بولد هارون: شبر وشبير ومشبّر [(٢)].

وعندما سمى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عدل بهما عن مسميات قبل الإسلام وما تدل عليه أسماؤها من القتال وسفك الدماء فاختار لهما أكرم الأسماء وأجل المعاني، وقد وصف الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالسيد ولقبه بهذا اللقب جده الرسول الكريم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما جاء في الحديث الصحيح: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين [(٣)]، وأذن رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أذنيه بالصلاة كما روي ذلك عن أبو رافع [(٤)].

ثم إن السيدة فاطمة حلقت حسناً وحسيناً يوم سابعهما فوزنت شعرهما

---

(١) نسب قريش، ١/ ٢٣.

(٢) مسند أحمد، ١/ ٩٨، ١١٨، صحيح ابن حبان، ١٥/ ٤١٠ إسناد الحديث صحيح.

(٣) البخاري، ٢/ ٣٠٦.

(٤) سنن أبي داود، ٥١٠٥، إسناده ضعيف فيه عاصم بن عبيد الله، ضعفه ابن معين وقال البخاري: منكر الحديث كما في الكاشف ٢٥٣٠.

فتصدقت بوزنه فضة[1] .

وعَقَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً[2] ، وفي رواية: كبشين كبشين[3] ، وعن أبي رافع: أن حسن بن عليّ لمّا ولد أرادت أمُّه أن تَعُقَّ عنه بكبشين ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا تعُقي عنه ، ولكن أحْلِقي شعر رأسه فتصدقي بوزنه من الورق ، ثم ولد الحسين ، فصنعت مثل ذلك[4] وإنما صرفها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن العقيقة لتحمُّله عنها ذلك لا تركاً بالأصالة . يدل عليه حديث عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عقَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحسن (بشاة) وقال: يا فاطمة أحْلقي رأسه وتصدَّقي بزنة شعره فضَّة ، فوزنّاه فكان وزنُه درهماً أو بعض درهم خرَّجه الترمذي[5] ، وقد روي عن فاطمة أنَّها عقَّت عنهما وأعطت القابلة فخذ شاة وديناراً واحداً[6] ، ولعل فاطمة باشرت الإعطاء ، وكان ممّا عق به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحسن يوم سابعه بكبشين أمْلَحَين ، وأعطى القابلة الفخذ ، وحلق رأسه وتصدَّق بزنة الشعر ، ثم طلى رأسه بيده المباركة بالخَلُوق[7] ثم قال: يا أسماء ، الدم مِنْ فعل الجاهلية . فلمّا كان بعد حول ولد الحسين[8] .

وختن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحسن والحسين لسبعة أيام[9] .

عن أم الفضل قالت: قلت يا رسول الله رأيت في المنام كأن عضواً من أعضائك في بيتي أو قالت في حجرتي فقال: تلد فاطمة غلاماً إن شاء الله فتكفلينه قالت: فجئت به يوماً إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فبال على ظهره فدحيت[10] في ظهره ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**مهلاً يرحمك الله أوجعت**

(١) الطبقات ، الطبقة الخامسة ، ١/ ٢٣١ ، إسناده مرسل .
(٢) سنن أبي داود في الأضاحي رقم ٢٨٤١ في إسناده ضعف .
(٣) سنن النسائي ، ٧/ ١٦٦ ، باب كم يعق عن الجارية إسناده صحيح .
(٤) مسند أحمد ، ٦/ ٣٩٢ ، في إسناده ضعف .
(٥) سنن الترمذي رقم ١٥١٩ حسن غريب إسناده ليس متصل .
(٦) ابن القيم ، تحفة المودود ، ص ٥٥ .
(٧) الخلوق: ضرب من الطيب .
(٨) أبو العباس الطبري ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، ص ٢٠٧ .
(٩) سنن البيهقي (٨/ ٣٢٤) إسناده ضعيف .
(١٠) لطمته بيدها في رواية أخرى .

ابني» . فقلت: إدفع إليّ إزارك فأغسله فقال: «لا، صُبّي عليه الماء فإنّه يُصَبُّ على بؤل الغلام ويغسل بول الجارية»[(١)] .

وتزوج الحسن من: خولة الفزازية ، وجعدة بنت الأشعث ، وعائشة الخثعمية ، وأم اسحاق بنت طلحة بنت عبيد الله التميمي ، أم بشير بنت أبي مسعود الأنصاري ، وهند بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، وأم عبد الله وهي بنت الشليل بن عبد الله أخو جرير البجلي وامرأة من بني ثقيف وامرأة من بني عمرو بن أهيم المنقري ، وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة وربما تجاوز هذا العدد بقليل ، وهو كما ترى لا يمت إلى الكثرة المزعومة بصلة بعرف ذلك العصر وأما ما رواه رواة الأثر ، في كونه تزوج سبعين وفي بعض الرو يات تسعين والبعض الآخر مائتين وخمسين والبعض الآخر ثلاثمائة وروي غير هذا إلا أنه من الشذوذ بمكان وهذه الكثرة المزعومة موضوعة[(٢)] .

وأما ذريته الشريفة ، فهم: الحسن ، وزيد ، وطلحة ، والقاسم ، وأبو بكر ، وعبد الله ، وقد قتل هؤلاء مع عمهم الحسين الشهيد بكربلاء ، وعمرو ، وعبد الرحمن ، والحسين ، ومحمد ، ويعقوب ، وإسماعيل ، وحمزة ، وجعفر ، وعقيل ، وأم الحسين ، ولم يعقب من ذريته إلا الحسن ، وزيد ، فللحسن المثنى خمسة أولاد أعقبوا وفيه العدد والبيت ، وأمه خولة بنت منظور الفزارية ، ولزيد ابن هو الحسن بن زيد ، فلا عقب له إلا منه ، وأم زيد أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري البدري . وقد ولي إمرة المدينة لأبي جعفر المنصور وهو والد السيدة نفيسة ، وله: القاسم ، وإسماعيل ، وعبد الله ، وإبراهيم ، وزيد ، وإسحاق ، وعلي ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين[(٣)] .

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب الحسن يحمله ويداعبه ، ويدعوه ليتسلق صدره ويلعب معه ، وترعرع الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حجر النبوة ، ولاحظته عين الرعاية النبوية ، والعناية المصطفوية ، من ولادته حتى يفاعته ، لاسيما شبهه

(١) المستدرك ، ١/ ١٦٦ ،وصححه ووافقه الذهبي ، وهناك من ضعفه .
(٢) الصلابي ، الحسن بن علي ، ص ٦٩ .
(٣) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٩٨ ، ٣٩ ، سير أعلام النبلاء ، ٣/ ٢٧٩ .

بالنبي ﷺ ظاهر في محيَّاه وأساريره، وقد تمتع الحسن رضي الله عنه بمكانة كبيرة وتقدير عال من جده الرسول الكريم ﷺ، وهذا ليس لكونه سبطه فحسب، بل لما تحمله نفس الحسن رضي الله عنه من صفات طيبة وخلق عال وتواضع كريم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب الحسن والحسين فقد أحبَّني ومن أبغضهما فقد أبغضني**»[(١)].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل الأقرع بن حابس على النبي ﷺ فرآه يقبِّل إما حسناً وإما حسيناً فقال: تقبِّله، ولي عشرة من الولد ما قبَّلت واحداً منهم: فقال رسول الله ﷺ: «**إنه من لا يَرْحَمْ لا يُرْحَم**»[(٢)].

- وحدث ابن بريدة عن أبيه قال: بينما رسول الله ﷺ يخطب إذ أقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويتعثران إذ نزل رسول الله ﷺ عن المنبر فرفعهما إليه وقال: صدق الله: ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾ [التغابن: آية: ١٥] نظرت إلى هذين الصبيين يمضيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما[(٣)].

وكان الحسن بن علي رضي الله عنه أشبه الناس بالنبي ﷺ، فعن عقبة بن الحارث، قال: إني لمع أبي بكر إذ مرَّ على الحسن بن علي فوضعه على عنقه ثم قال: بأبي شِبْهَ النبي لا شبيهاً بعلي قال: وعلي معه فجعل علي يضحك[(٤)]، وفي رواية أخرى عن عقبة بن الحارث، قال: خرجت مع أبي بكر من صلاة العصر بعد وفاة النبي ﷺ بليال وعلي يمشي إلى جنبه فمر بحسن بن علي وهو يلعب مع غلمان فاحتمله على رقبته وهو يقول: وبأبي شبه النبي ليس بشبه بعلي وعلي يضحك[(٥)]، ونرى حقيقة المحبة

(١) سنن النسائي رقم ٨١٦٨ قام الشيخ عثمان الخميسي بتخريج الحديث وحكم على درجته بأنه حسن لذاته في رسالته أحاديث بشأن السبطين صـ ٣١٢.
(٢) مسلم رقم ٢٣١٨.
(٣) الشريعة للآجري، ٥/ ٢١٦٢.
(٤) البخاري رقم ٣٧٥٠.
(٥) الطبقات، الطبقة الخامسة من الصحابة، ١/ ٢٤١، إسناده صحيح.

والانسجام بين أبي بكر وعلي وهذا ما تؤكده هذه الرواية الصحيحة ليس كما يدعي بعض الناس[1].

ؤممن يشبه برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جعفر بن أبي طالب، والحسن بن علي، وأبو سفيان بن الحارث، وقثم بن العباس، والسائب بين عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب[2].

ؤالحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، فعن حذيفة قال: سألتني أُمِّي منذ متى عهدك بالنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: فقلت لها: منذ كذا وكذا. قال: فنالت منِّي وسبَّتني. قال: فقلت لها: دَعيني فإنِّي آتي النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأُصلي معه المغرب، ثمَّ لا أدعه حتّى يستغفر لي ولك، قال فأتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصليت معه المغرب، فصَلَّى النبي العشاء ثم انفتل فتبعته فعرض له عارض فناجاه ثم ذهب، فاتبعته فسمع صوتي: فقال: من هذا؟ فقلت: حذيفة. قال: ما لك؟ فحدثته بالأمر، فقال: غفر الله لك ولأمِّك - ثم قال: أمّا رأيت العارض الذي عرض لي قُبيلُ؟ قال: قلت: بلى. قال: فهو ملك من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة، فاستأذن ربَّه أن يُسلم عليَّ ويبشرني أن الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة[3].

ؤهما ريحانتا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدنيا فعن أبي بكرة قال: رأيت الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يثبان على ظهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصلي فيمسكهما بيده حتى إذا استقر على الأرض تركهما، فلما صلى أجلسهما في حجره ثم مسح رؤوسهما، ثم قال: إن ابنيَّ هذين ريحانتاي من الدنيا ثم أقبل على الناس فقال: إن ابني هذا سيد، وأرجو أن يصلح الله عز

(١) الصلابي، الحسن بن علي، ص٨٨.
(٢) التبيين في أنساب القرشيين، ص ١٠٢، الصلابي، الحسن بن علي، ص٨٨.
(٣) مسند أحمد، ٥/ ٣٩١، الحديث فيه المنهال بن عمرو تكلم فيه بعضهم لترك شعبة له ولكنه مقبول الحديث على الصحيح ثم هو قد توبع من قبل عدي بن ثابت وعاصم وهما وإن كان في الطريقين عنهما كلام إلا أنه يمكن أن يقوي بعضها انظر: الأحاديث الواردة بشأن السبطين صـ ١٧٦.

وجل به بين فئتين عظيمتين في آخر الزمان[1]، قال محمد بن الحسين الآجري: يعني به الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]، وعن أبي بكرة قال: كان النبي يصلي، فكان إذا سجد جاء الحسن فركب ظهره، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رفع رأسه أخذه فوضعه على الأرض وضعاً رفيقاً، فإذا سجد ركب ظهره، فلما صلى أخذه فوضعه في حجره، فجعل يقبله، فقال له رجل: أتفعل بهذا الصبي هكذا؟ فقال: «**إنهما ريحانتاي، وعسى الله عز وجل أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[3].

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعوِّذُ الحسن والحسين ويقول: «**إنّ أباكما - أي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ - كان يُعَوِّذُ بها إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التامّة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّة**»[4]، وعن ابن عباس قال كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الحسن والحسين يقول: «**أُعِيذُكُما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّةٍ**» ويقول: «**هكذا كان إبراهيم يُعوِّذُ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام**»[5].

لقد نشأ الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيت النبوة وتربى على يدي جده ووالده علي وأمه فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فأخذ عن جده ووالديه مفاهيم الإسلام ولهذه النشأة تأثير كبير في بناء وتكوين شخصيته القوية التي التزمت بأوامر الإسلام واستقامة على تعاليمه، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام**»[6]، فمعدن الحسن بن عليٍ نادر الوجود ولم ينشأ في الجاهلية وإنما نشأ في بيت النبوة، مما جعله يكون سيداً بما تعني هذه الكلمة من معنى، وقد اجتمع للحسن بن علي من أصالة النسب والتربية الأسرية ما لم يجتمع لغيره من الناس.

---

(١) صحيح ابن حبان رقم ٦٩٦٤.
(٢) الشريعة للآجري صـ ٢١٥٧.
(٣) الشريعة للآجري صـ ٢١٥٧ إسناده حسن.
(٤) هامّة: كل ذات سم يقتل كالحية وغيرها، ولامّة: هي التي تصيب ما نظرت إليه بسوء، البخاري رقم ٣٣٧١.
(٥) سنن الترمذي رقم ٢٠٦٠ حديث حسن صحيح.
(٦) البخاري، رقم ٣٣٨٣.

فجده الحبيب المصطفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأبوه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وأمه فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . وجدته لأمه السيدة خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وبعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تولى أمير المؤمنين علي تربية الحسن والحسين وأشرف عليهم إشرافاً مباشراً ، وكانت شخصية أمير المؤمنين تتوفر فيها شروط الأب المربي ، فقد اهتم أمير المؤمنين علي بتربية وتعليم الحسن والحسين أبنائه وشمر عن ساعد الجد ، وتعهدهم بالرعاية والاهتمام ويكون هدفه من ذلك رضاء الله وثوابه والتقرب إليه بتربية علي أولاده على طاعة الله وهدي نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان أمير المؤمنين علي قدوة عظيمة لابنه الحسن فهو من سادات الصحابة ومن الخلفاء الراشدين ، وكان الحسن بن علي يقلد أباه وأمه عن حب عميق .

وكان أمير المؤمنين في تربيتهما متحلياً بالرحمة والحلم وكان رفيقاً وليناً بالحسن والحسين في تربيتهما ويعرف لهما فضلهما ومكانتهما من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسيدة فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

والبيئة الاجتماعية المحيطة لها دور فعال ومهم قي صناعة الرجال وبناء شخصيتهم ، فالحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عاش في زمن ساد فيه الصحابة ، والرعيل الأول الذي تربى على يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهيمنت الفضيلة والتقوى والصلاح على ذلك المجتمع الفريد ، وكثر الإقبال على طلب العلم والعمل بالكتاب والسنة فهذه الحالة دفعت الحسن بن علي إلى الاستفادة والاقتداء بالمجتمع الذي يعيش فيه ، فكان عدد الصحابة الذين استوطنوا المدينة في حياة الرسول كم كبير ، واستمر عدد كبير في المدينة بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإن مجتمعاً عاش فيه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتربي فيه على يديه النواة الأولى لخير أمة أخرجت للناس ، لهو مجتمع لا يدانيه أي مجتمع آخر ، فقد شهد هذا المجتمع الوحي وصاحب الدعوة ، ولازم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكان لهذه الملازمة والصحبة آثار نفسية ومعن إيمانية وتعلق روحي فكان هذا المجتمع محل جذب الناس والتأثير فيهم بالسلوك والقول ، وأن هذا المجتمع له قوة التأثير في صياغة شخصية الحسن

بن علي التربوية والعلمية [(١)] .

كان الصحابة رضوان الله عليهم شديدو الإكرام لآل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإيثارهم حتى على أبنائهم، وأسرتهم، فقد روى ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه علي بن الحسين، قال: قدم على عمر حلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يتخطيان الناس، ليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب صار بين عينيه ثم قال: والله ما هنأ لي ما كسوتكم، قالوا يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء كبرت عنهما وصغرا عنها ثم كتب إلى والي اليمن أن أبعث بحلتين لحسن وحسين وعجل، فبعث إليه بحلتين فكساهما[(٢)] .

وعن أبي جعفر أنه لما أراد عمر أن يفرض للناس بعدما فتح الله عليه، وجمع ناس من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله بالأقرب من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن بني هاشم رهط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفرض للعباس، ثم لعلي، حتى والى ما بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بني عدي ابن كعب، فكتب: من شهد بدراً من بني هاشم، ثم من شهد بدراً من بني أمية بن عبد شمس، ثم الأقرب، فالأقرب ففرض الأعطيات لهم[(٣)]، وألحق الحسن والحسين بفريضة أبيهما مع أهل بدر لقرابتهم من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم[(٤)] .

وفي هذه القصة تظهر حقيقة محبة عمر لآل البيت عموماً والحسن والحسين خصوصاً، حيث خصهم بأن جعلهم مع الطبقة الأولى من سادات

---

(١) الصلابي، الحسن بن علي، ص ١٠٦ .
(٢) الإصابة، ١/ ١٠٦ .
(٣) الخراج لأبي يوسف، ص ٢٤، ٣٥ .
(٤) تاريخ دمشق الكبير، ١٤/ ٦ .

الصحابة في العطاء وما ذلك إلا محض المحبة لهما وتقديراً لهما من مكانتهما من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] .

وعندما فتحت المدائن، عام ١٦هـ جاءت الأموال منها فقام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإعطاء الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ألف درهم لكل واحد منهما وأعطى ابنه عبد الله خمسمائة[2]، وفي هذه الحادثة تأكيد على محبة عمر للحسن والحسين وتقديمه لهما .

موقف الحسن بن علي ووالده أثناء الحصار:

ولما اشتد الحصار على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى منع من أن يحضر للصلاة في المسجد، وكان صابراً على هذه البلوى التي أصابته كما أمره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك وكان مع إيمانه القوي بالقضاء والقدر، يحاول أن يجد حلاً لهذه المصيبة، فنراه تارة يخطب الناس عن حرمة دم المسلم، وإنه لا يحل سفكه إلا بحقه وتارة يتحدث في الناس ويظهر فضائله وخدماته الجليلة في الإسلام ويستشهد على ذلك ببقية العشرة رضوان الله عليهم، وكأنه يقول، من هذا عمله وفضله هل من الممكن أن يطمع بالدنيا ويقدمها على الآخرة وهل يعقل يخون الأمانة ويعبث بأموال الأمة ودمائها وهو يعرف عاقبة ذلك عند لله وهو الذي تربى على عين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذي شهد له وزكاه وكذلك أفاضل الصحابة، ومتى بعد ما تجاوز السبعين وقارب الثمانين من عمره أهكذا تكون معاملته؟ واشتدت سيطرة المتمردون على المدينة حتى أنهم ليصلون بالناس في أغلب الأوقات، وحينها أدرك الصحابة أن الأمر ليس كما حسبوا، وخشوا من حدوث ما لا يحمد عقباه، وقد بلغهم أن القوم يريدون قتله، فعرضوا عليه أن يدافعوا عنه، ويخرجوا الغوغاء عن المدينة، إلا أنه رفض أن يراق دم بسببه . وأرسل كبار الصحابة أبناءهم دون استشارة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن هؤلاء الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعبد الله بن الزبير، فقد كان عثمان يحب الحسن ويكرمه، فعندما وقعت الفتنة

---

(١) الصلابي، الحسن بن علي، ص١٣٨ .

(٢) المدائن: بلدة بينها وبين بغداد ستة فراسخ فتحت على يد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . انظر: الغزالي مقامات العلماء، ص ١٦١ .

وحوصر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أقسم على الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالرجوع إلى منزله وذلك خشية عليه أن يصاب بمكروه، وقد قال عثمان للحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ارجع يا ابن أخي حتى يأتي الله بأمره، وقد صحت روايات أن الحسن حمل جريحاً من الدار يوم الدار، كما جرح غير الحسن، عبد الله بن الزبير ومحمد ابن حاطب ومروان بن الحكم، كما كان معهم الحسين بن علي وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقد كان علي من أدفع الناس عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وشهد له بذلك مروان بن الحكم كما أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن علياً أرسل إلى عثمان فقال: إن معي خمسمائة دارع، فأذن لي، فأمنعك من القوم فإنك لم تحدث شيئاً يستحل به دمك، فقال: جزيت خيراً، ما أحب أن يهراق دم في سببي، وقد وردت روايات عديدة تفيد وقوفه بجانب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أثناء الحصار فمن ذلك: أن الثائرين منعوا عن عثمان الماء حتى كاد أهله أن يموتوا عطشاً، فأرسل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل إليه، وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصلت، ولقد تسارعت الأحداث فوثب الغوغاء على عثمان وقتلوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأرضاه، ووصل الخبر إلى الصحابة وأكثرهم في المسجد، فذهبت عقولهم، وقال علي لأبنائه وأبناء أخيه كيف قتل عثمان وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن، وكان قد جرح، وضرب صدر الحسين، وشتم ابن الزبير وابن طلحة، وخرج غضبان إلى منزله ويقول: تباً لكم سائر الدهر، اللهم إني أبرأ إليك من دمه أن يكون قتلت أو ما لأت على قتله[1]، وهكذا كان موقف علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نصح وشورى سمع وطاعة، ووقفة قوية بجانبه أثناء الفتنة، ومن أدفع الناس عنه، ولم يذكره بسوء قط، يحاول الإصلاح وسد الخرق بين الخليفة والخارجين عليه لكن الأمر فوق طاقته، وخارج إرادته، إنها إرادة الله عز وجل أن يفوز أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالشهادة ويبوء المفسدين بالإثم أن أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنكر قتل عثمان، وتبرأ من دمه، وكان يقسم على ذلك في خضبه، وغيرها: إنه لم يقتله ولا أمر بقتله، ولا مالأ عليه، ولا رضي، وقد ثبت ذلك عنه بطرق

(١) مصنف ابن أبي شيبه، ١٥/ ٢٠٩، إسناد صحيح، انظر: الصلابي، الحسن بن علي، ص ٢١٤.

تفيد القطع ، خلافاً لما تزعمه الرافضة من أنه كان راضياً بقتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا .

وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة في مقتله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فأما الذي ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، فإنه كذب ، وزور ، فقد تواترت الأخبار بخلافه . وقال ابن تيميه: وهذا كله كذب على علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، وافتراء عليه ، فعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يشارك في دم عثمن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ولا أمر ولا رضي ، وقد روي عنه ذلك ، وهو الصادق البار ، وقد قال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان . وقد شوهت بعض كتب التاريخ مواقف الصحابة من فتنة مقتل عثمان ، وذلك بسبب الروايات الرافضية التي ذكرها كثير من المؤرخين والمتتبع لأحداث الفتنة في تاريخ الإمام الطبري ، وكتب التاريخ الأخرى من خلال روايات أبي مخنف ، والواقدي ، وابن أعثم ، وغيرها من الأخبار يبين ويشعر أن الصحابة هم الذين كانوا يحركون المؤامرة ، ويثيرون الفتنة ، فأبي مخنف ذو الميول الشيعية لا يتورع في اتهام عثمان بأنه الخليفة الذي كثرت سقطاته ، فاستحق ما استحق ، ويظهر طلحة في مروياته كواحد من الثائرين على عثمن ، والمؤلبين ضده ، ولا تختلف روايات الواقدي عن روايات أبي مخنف ، وقد كثرت الروايات الرافضية التي تتهم الصحابة بالتآمر ضد عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأنهم هم الذين حركوا الفتنة ، وأثاروا الناس ، وهذا كله كذب وزور ، وخلافاً للروايات الرافضية والموضوعة والضعيفة فقد حفظت لنا كتب المحدثين بحمد الله الروايات الصحيحة التي يظهر فيها الصحابة من المؤازرين لعثمان ، والمنافحين عنه والمتبرئين من قتله ، والمطالبين بدمه بعد مقتله وبذلك يستبعد أي اشتراك لهم في تحريك الفتنة ، أو إثارتها ، إن الصحابة جميعاً رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أبرياء من دم عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومن قال خلاف ذلك ، فكلامه باطل لا يستطيع أن يقيم عليه أي دليل ينهض إلى مرتبة الصحة ، ولذلك أخرج خليفة في تاريخه عن عبد الأعلى بن الهيثم ، عن أبيه ، قال: قلت للحسن: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين ، والأنصار؟ قال: لا ، كانوا أعلاجاً ، من أهل مصر . وقال الإمام النَّووي ، : ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة ، وإنما قتله همج ، ورعاع من غوغاء

القبائل سفلة الأطراف والأراذل، تحزَّبوا، وقصدوه من مصر، فعجزت الصَّحابة الحاضرون عن دفعهم، فحصروه حتَّى قتل، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقد وصفهم الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بأنهم غوغاء من الأمصار، ووصفتهم السيِّدة عائشة بأنَّهم نزَّاع القبائل، ووصفهم ابن تيميه بأنهم خوارج مفسدون وضالون، باغون معتدون، ووصفهم الذهبيُّ بأنهم رؤوس شرٍّ، وجفاء، ووصفهم ابن العماد الحنبليُّ في الشذرات بأنَّهم أراذل من أوباش القبائل، ويشهد على هذا الوصف تصرُّف هؤلاء الرُّعاع منذ الحصار إلى قتل الخليفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ظلماً، وعدواناً فكيف يمنع الماء عنه، والطّعام، وهو الذي طالما دفع من ماله الخاص ما يروي ظمأ المسلمين بالمجّان، وهو الذي يساهم بأموال كثيرة عندما يلمُّ بالناس مجاعة، أو مكروه وهو الدائم العطاء عندما يصيب النَّاس ضائقة، أو شدَّة من الشدائد، حتى أنَّ علياً رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يصف هذا الحال، وهو يؤنب المحاصرين بقوله: يا أيُّها الناس: إن الذي تفعلونه لا يشبه أمر المؤمنين، ولا أمر الكافرين، فلا تمنعوا عن هذا الرّجل الماء، ولا المادة - الطعام - فإن الرُّوم، وفارس لتأسر، وتطعم، وتسقي، لقد صحَّت الأخبار، وأكَّدت حوادث التاريخ على براءة الصَّحابة من التَّحريض على عثمان أو المشاركة في الفتنة ضدّه[1].

ولما تمت بيعة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالخلافة سنة خمس وثلاثين، قام كل من بقي بالمدينة من أصحاب رسول الله بمبايعة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالخلافة، ولما هم بالخروج من المدينة، وعندما بلغ الربذة عسكر فيها بمن معه، وفي الربذة قام إليه ابنه الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وهو باك لا يخفي حزنه وتأثره على ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف، وقال الحسن لوالده: قد أمرتني فعصيتك، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك لا تزال تخن خنين الجارية[2]، وما الذي أمرته فعصيته؟، قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن تخرج من المدينة، فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل أن لا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعلا هذان الرجلان، ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن

(١) الصَّلاَّبيُّ، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، ص ٤٥١ - ٤٦٦.
(٢) تاريخ الطبري، ٥/ ٤٨٢؛ خن: أخرج الصوت من خياشيمه.

كـان الفساد كان على يدي غيرك ، فعصيتني في ذلك كله . قال: أي بني ، أما قـولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان ، فوا الله لقد أحيط بنا كما أحيطَ به ، وأما قولك: لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار ، فإن الأمر أمر أهل المدينـة وكـرهنا أن يـضيع هذا الأمر ، وأما قولك حين خرج طلحة والزبير ، فـإن ذلـك كـان وهـناً على أهل الإسلام ، والله ما زلت مقهوراً مذ وليت ، منقوصـاً لا أصـل إلى شيء مما ينبغي ، وأما قولك: اجلس في بيتك فكيف لي بمـا قـد لـزمني أو مِـنْ تريدني؟ أتريدني أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها ، ويقـل: دبـاب دباب [1] ، ليست هاهنا حتى يحل عرقوباها ثم تخرج ، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه ، فكف عنك أي بني .

ومـن هـذه الحادثـة نلاحظ حسن تربية أمير المؤمنين علي لابنه ، وكيف أعطـاه مجالاً ليعبر عن ما في نفسه بدون ضغوط ثم رد أمير المؤمنين على كل اعـتراض ، كمـا تـبين مـيل الحـسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المبكـر للـسلم والابـتعاد عـن اسـتخدام القوة مهما كلف الأمر ، أما أمير المؤمنين علي ، فقد كان حازماً - والحـق معـه - في هـذه المـشكلة وواضح ولم يستطيع أحد أن يثنيه عن عزمه وكـان متريثاً في تنفيذ القصاص على قتلة عثمان فقد كان ينتظر حتى يستتب له الأمر ، ثم ينظر في شأن قتلة عثمان فحين طالب الزبير وطلحة ومن معهم بإقامـة حد القصاص عليهم اعتذر لهم بأنهم كثير وأنهم قوة لا يستهان بها ، وطلـب مـنهم أن يـصبروا حتـى تـستقر الأوضـاع وتهـدأ الأمـور ، فـتؤخذ الحقـوق ، لأن الظـروف لم تكـن مواتـية مـن جلـب المـصالح وقد ألمح أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اختيار أهون الشرين حين قال: هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار - قتلة عثمان - وهو خير من شر منه - القتال والفرقة [2] .

ولـما تباطأ أهل الكوفة عن نصرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، قام الحـسن بـن علـي علـى إثر ذلك خطيباً في الناس وقال: أيها الناس ، أجيبوا دعـوة أميركـم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه ، والله لأن يليه أولو النهى ، أمثل في العاجلة وخير في العاقبة ، فأجيبوا دعوتنا

(١) دباب ، كقطام: دعاء الضبع للضبع .

(٢) انظر: الصلابي ، الحسن بن علي ، ص ٢٣٤ .

وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم[1] ، ولبى كثير من أهل الكوفة وخرجوا معه إلى علي ما بين ستة إلى سبعة ألف رجل، ثم انضم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس ثم توافدت عليه القبائل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثني عشر ألف رجل تقريباً، وعندما التقى أهل الكوفة بأمير المؤمنين علي بذي قار قال لهم: يا أهل الكوفة، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم وفضضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم، فأعنتم حوزتكم واغتنم الناس على عودهم وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فذلك ما نريد وأن يلجوا داويناهم بالرفق وبايناهم حتى يبدؤونا بظلم، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ولا قوة إلا بالله[2] .

وقد كان الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمل على الميمنة وقيل على الميسرة، وكان يكره القتال ويشير على أبيه بتركه[3] .

ومن الأحداث الكبيرة التي شاهدها الحسن بن علي في عهد والده معركة صفين، كما كان على اطلاع مفصل بالعلاقة بين أمير المؤمنين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكان موقفه هو موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويترضى عنهم ويترحم عليهم ويحفظ لهم فضائلهم، ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم وأن الذي حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد والجميع مثابون في حالتي الصواب والخطأ، غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ في اجتهاده وأن القاتل والمقتول من الصحابة في الجنة، ولم يجوز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم[4] .

---

(١) تاريخ الطبري، ٥/٥١٦ .
(٢) تاريخ الطبري، ٥/٥١٩ .
(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٢/١٠٩ .
(٤) عقيدة أهل السنة في الصحابة، ٢ / ٧٢٧ .

فالواجب على المسلم، ومن زعم أنه محب لأهل البيت أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام مسلك الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة والذين من أئمتهم وسادتهم أمير المؤمنين علي وابنيه الحسن والحسين وهو الإمساك عما حصل بينهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم.

وبعد معركة النهروان، اتفق نفر من الخوارج على أن يفتكوا بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويثأروا لمن قتل من إخوانهم في النهروان، واستطاع عبد الرحمن بن ملجم أن يقتل أمير المؤمنين علي بالغدر وهذا محمد بن الحنفية يروي لنا قصة مقتل أمير المؤمنين، فقد قال: كنت والله إني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم في رجال كثير من أهل المصر، يصلون قريباً من السدة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره، إذ خرج علي لصلاة الغداة، فجعل ينادي: أيها الناس، الصلاة الصلاة، فما أدري أخرج من السدة، فتكلم بهذه الكلمات أم لا؟، فنظرت إلى بريق، وسمعت: الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفاً، ثم رأيت ثانياً، ثم سمعت علياً يقول: لا يفوتنكم الرجل وشد الناس عليه من كل جانب، قال: فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على علي، فدخلت فيما دخل من الناس، فسمعت علياً يقول: النفس بالنفس، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي[1]، وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر علي، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه، إذ نادته أم كلثوم بنت علي وهي تبكي: أي عدو الله لا بأس على أبي، والله مخزيك، قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد[2]، وقد جمع الأطباء لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم جرح وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمر السكوني، وكان صاحب كسرى يتطبب فأخذ أثير رئة شاه حارة، فتتبع عرقاً منها، فاستخرجه، فأدخله في جراحة علي، ثم نفخ العرق واستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ وإذا الضربة قد وصلت إلى أم

(١) تاريخ الطبري، ٦/ ٦٢.
(٢) تاريخ الطبري، ٦/ ٦٢.

رأسه ، فقال: يا أمير المؤمنين أعهد عهدك فإنك ميت[1] .

وذكر أن جندب بن عبد الله دخل على علي فسأله ، فقال: يا أمير المؤمنين إن فقدناك - ولا نفقدك - فنبايع الحسن؟ قال ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر[2] ، ومن هذا الأثر يظهر إيمان أمير المؤمنين علي بحق الأمة في اختيار خليفتها [3] .

وبعد مقتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطب الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فعن عمر ابن حُبشي قال: خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فقال: لقد فارقكم رجل أمس ما سبقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون ، إن كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليبعثه ويعطيه الراية فلا ينصرف ، حتى يُفتح له ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله[4] .

بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، اختار الناس الحسن بعد والده ، وذلك في شهر رمضان من سنة ٤٠هـ ولم يكن أمير المؤمنين علي قد عين أحداً من بعده ، فعن عبد الله بن سبع قال: سمعت علياً يقول: لتخضبن هذه من هذا[5] فما ينتظر بي الأشقى[6] . قالوا: يا أمير المؤمنين ، فأخبرنا به نبير عترته[7] ، قال: إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي . قالوا: فاستخلف علينا قال: لا ، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته ، قال إذا لقيته قال: أقول: اللهم تركتني فيهم ما بدا لك ، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم ، فإن شئت أصلحتهم ، وإن شئت

(١) الاستيعاب ، ٣/ ١١٢٨ .
(٢) تاريخ الطبري ، ٦/ ٦٢ .
(٣) الصلابي ، الحسن بن علي ، ص٢٩٩ .
(٤) فضائل الصحابة ، ٢/ ٧٣٧ ، إسناده صحيح: فلا ينصرف: يرجع .
(٥) أي لتخضبن لحيته من دم رأسه .
(٦) مجمع الزوائد ، ٩/ ١٣٩ ، مسند أحمد ، ٢/ ٣٢٥ .
(٧) نبير عُترته: نهلك أقرباءه .

أفسدتهم[1].

وكان أول ما بايع الحسن قيس بن سعد، قال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه، وقتال المُحلِّين، فقال له الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: على كتاب الله وسنة نبيه، فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط: فبايعه وسكت، وبايعه الناس[2]، وقد اشترط الحسن بن علي على أهل العراق عندما أرادوا بيعته فقال لهم: إنكم سامعون مطيعون، تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت، وفي رواية قال لهم:والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم قالوا: ما هو؟ قال: تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت، وفي رواية ابن سعد: إن الحسن بن علي بن أبي طالب بايع أهل العراق بعد علي على بيعتين، بايعهم على الإمرة، وبايعهم على أن يدخلوا فيما دخل فيه، ويرضوا بما رضي به[3].

ويستفاد من الروايات السابقة ابتداء الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في التمهيد للصلح فور استخلافه، وبطلان قول الشيعة النص على خلافة الحسن، فعند الحديث عن بيعة الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تبرز أمامنا قضية يروج لها الشيعة الإمامية بقوة ألا وهي قضية النص على خلافة الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قبل والده علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهذا الأمر يعد من المفتريات على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث لم يصح النقل عنه بذلك، إن الشيعة الرافضة يعتقدون أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله عز وجل على لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنها مثلها لطف من الله عز وجل، ولا يجب أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى، وليس للبشر حق اختيار الإمام وتعيينه، بل وليس للإمام نفسه حق تعيين من يأتي بعده، وقد وضعوا على لسان أئمتهم عشرات الروايات في ذلك، منها ما نسبوه إلى الإمام محمد الباقر رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: أترون أن هذا الأمر إلينا نجعله حيث نشاء؟ لا والله ما هو إلا عهد من رسول الله رجل فرجل مسمى حتى تنتهي

(١) مسند أحمد، ٢/ ٣٢٥.
(٢) تاريخ الطبري، ٦/ ٧٣.
(٣) الطبقات، ١/ ٢٨٦، ٢٨٧.

إلى صاحبها ، ويعتقد الشيعة الرافضة أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نص على الأئمة من بعده وعينهم بأسمائهم وهم اثنا عشر إماماً لا ينقصون ولا يزيدون وهم:

١- علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المرتضى توفي ٤٠هـ .

٢ - الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الزكي توفي ٥٠هـ .

٣ - الحسين بن علي سيد الشهداء توفي ٦١هـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٤ - علي بن الحسين - زين العابدين - توفي ٩٥هـ .

٥ - محمد بن علي الباقر توفي ١١٤هـ .

٦ - جعفر بن محمد الصادق توفي ١٤٨هـ .

٧ - موسى بن جعفر الكاظم توفي ١٨٣هـ .

٨ - علي بن موسي الرضا توفي ٢٠٣هـ .

٩ - محمد بن علي الجواد توفي ٢٢٠هـ .

١٠- علي بن محمد الهادي توفي ٢٥٤هـ .

١١- الحسن بن علي العسكري توفي ٢٦٠هـ .

١٢- محمد بن الحسن المهدي توفي ٢٥٦هـ .

وأساس عقيدة الوصية هو ابن سبأ وكان ينتهي بأمر الوصية عند علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولكن جاء فيمن بعد من عممها في مجموعة من أولاده ، وكانت الخلايا الشيعية الرافضية تعمل بصمت وسرية ، فينفون ذلك نفياً قاطعاً ، كما فعل جدهم أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولذلك اخترع أولئك الكذابون على أهل البيت "عقيدة التقية" حتى يسهل نشر أفكارهم وهم في مأمن من تأثر الأتباع بمواقف أهل البيت الصادقة والمعلنة للناس .

إن من أخطر الأمور التي ابتدعها الشيعة الوصية وهي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصى بالخلافة بعد وفاته مباشرة إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وأن من سبقه مغتصبين لحقه كما جاء في كتابهم "الكافي": من مات ولم يعرف إمامه

مات ميتة جاهلية ، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ [1] ، ولكن الاستقراء التاريخي لتاريخ الخلفاء الراشدين ، لا نجد للوصية ذكراً في خلافة أبي بكر ولا في عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وإنما نجد بداية ظهورها في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عند بزوغ قرن الفتنة ، وقد استنكر الصحابة هذا القول ، عندما وصل إلى أسماعهم ، وبينوا كذبه ، ومن أشهر هؤلاء علي بن أبي طالب ، وأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، ثم نرى هذا القول يتبلور في فكرة موجهة ، وعقيدة تدعو إلى الإيمان بها والدعوة إليها ، وذلك في خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وهذه الوصية التي تدعيها الرافضة فقد أثبت علماؤهم أنها من وضع عبد الله بن سبأ كما ذكر ذلك النوبختي والكشي [2] .

واستمر أمير المؤمنين الحسن بن علي بعد بيعته خليفة على الحجاز واليمن والعراق وغير ذلك نحو سبعة أشهر ، وقيل ثمانية أشهر ، وقيل ستة أشهر وكانت خلافته هذه المدة خلافة راشدة حقة لأن تلك المدة كانت تتمة لمدة الخلافة الراشدة التي أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً [3] ، فقد روي الترمذي بإسناده إلى مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك [4] ، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي ، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليما [5] ، وبذلك يكون الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خامس الخلفاء الراشدين [6] .

---

(١) انظر: أصول الشيعة الإمامية ، ٢/ ٨٠٠ ، أصول الكافي ، ٢/ ١٦ - ١٧ .
(٢) الصلابي ، الحسن بن علي ، ص ٣٢٢ - ٣٢٤ .
(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة ، ٢/ ٧٤٣ .
(٤) سنن الترمذي مع شرحها تحفة الأحوذي ، ٦/ ٣٩٥ - ٣٩٧ .
(٥) البداية والنهاية ، ١١/ ١٣٤ .
(٦) الصلابي ، الحسن بن علي ، ص ٣٣٠ .

من كلماته الحكيمة:

وقد ورث الحسن من جده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووالده رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ الخطابة والفصاحة والبلاغة وقوة البيان، وقد ذكرت كتب التاريخ: أن علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سأل ابنه - يعني الحسن - عن أشياء عن المُروءة، فقال: يا بُنيّ ما السَّدادُ؟ قال: يا أبتي السَّدادُ دفع المنكر بالمعروف. قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة. قال: فما المروءة؟ قال: العفاف وإصلاح المرءِ مالَه. قال: فما الدِّقَّةُ[1]؟ قال: النظر في اليسير ومنع الحقير[2]. قال: فما اللُّؤْم؟ قال: إحراز المرءِ نفسه وبذله يحرسه قال: فما السماحة؟ قال: البذل في العسر واليسر. قال: فما الشُّح؟ قال: أن ترى ما في يديك شرفاً وما أنفقته تلفاً. قال: فما الإخاء؟ قال: الوفاء في الشدة والرخاء. قال: فما الجُبن؟ قال: الجرأة على الصديق والنّكول على العدو. قال: فما الغنيمة؟ قال: الرغبة في التقوى، والزهادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ ومَلْك النفس. قال فما الغنى؟ قال: رضا النفس بما قسم الله لها وإن قلَّ، فإنما الغنى غنى النفس قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس في كل شيء. قال: فما الذلُّ؟ قال: الفزع عند المصدوقة[3]. قال فما الجرأة؟ قال: موافقة الأقران. قال فما الكُلْفة؟ قال: كلامك فيما لا يَعْنِيك. قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغُرم وأن تعفو عن الجُرم. قال فما العقل؟ قال: قال: حفظ القلب كلَّ ما استرعيته. قال: فما الخُرق[4]؟ قال: معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك. قال: فما الثناء. قال: إتيان الجميل وترك القبيح. قال: فما الحزم؟ قال: طول الأناة والرفق بالولاة، والاحتراس من الناس بسوء الظن هو الحزم. قال فما الشَّرف؟ قال: قال: موافقة الإخوان، وحفظ الجيران قال: فما السَّفَهُ؟ قال اتباعُ الدُّناة، ومصاحبة الغُواة. قال: فما الغفلة؟ قال: تركُك المسجد وطاعتك المفسد. قال فما الحرمان؟ قال: تركك حظَّك وقد عُرض عليك. قال: فما السَّيدُ؟ قال: الأحمق في المال، المتهاون بعرضه،

(١) الدقة: الحقارة.
(٢) الحقير هنا: الشيء اليسير.
(٣) المصدوقة: الحملة الصادقة ليس لها مكذوبة.
(٤) الخرق: الجهل والحمق.

يُشْتَمُ فلا يجيب ، المحتزن بأمر العشيرة[1] هو السيد . ثم قال عليٌ: يا بني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتدبير، ولا حسب كحسن الخلق، ولا ورع كالكفِّ، ولا عبادة كالتفكر، ولا إيمان كالحياء، ورأس الإيمان الصبر، وآفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة الحلم السفه، وآفة العبادة الفترة، وآفة الظَّرف الصَّلف، وآفة الشجاعة البغي، وآفة السماحة المن، وآفة الجمال الخيلاء وآفة الحبِّ الفخر» . ثم قال علي: يا بُنيَّ، لا تستخفنَّ برجل تراه أبداً فإن كان أكبر منك فعُدَّ أنه أبوك ، وإن كان مثلك فهو أخوك ، وإن كان أصغر منك ، فاحسب أنه ابنك . فهذا ما ساءل عليٌّ ابنه عن أشياء من المروءة . قال القاضي أبو الفرج . ففي هذا الخبر من الحكمة وجزيل الفائدة ما ينتفع به من راعاه وحفظه ووعاه ، وعمل به ، وأدّب نفسه بالعمل عليه ، وهذبها بالرجوع إليه ، وتتوفر فائدته بالوقوف عنده ، وفيما رواه أمير المؤمنين وأضعافه عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لا غنى لكل لبيب عليم ومدره[2] حكيم عن حفظه وتأمُّله ، والمسعود من هُدى لتقبُّله والمجدود[3] من وفق لامتثاله وتقبله[4] .

وقد سأل أمير المؤمنين علي ابنه الحسن: كم بين الإيمان واليقين؟ فقال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أربع أصابع . فقال أمير المؤمنين علي وكيف؟ فقال الحسن: الإيمان كل ما سمعته أذناك وصدقه قلبك . واليقين ما رأته عيناك ، فأيقن به قلبك وليس بين العين والأذن إلا أربع أصابع[5] . ومن أقواله:

- حسن السؤال نصف العلم

- وسئل عن الصمت فقال: هو ستر العين أو زين العرض وفاعله في راحة وجليسه في أمان .

---

(١) المحتزن بأمر العشيرة: المهتم بأمرهم .
(٢) المدرة: زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم .
(٣) المجدود: المحظوظ .
(٤) الصلابي ، الحسن بن علي ، ص ٣٨٠ .
(٥) التبيين في أنساب القرشيين ص ١٢٧ .

إن حوائج الناس إليكم، من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فتحور، نقماً، واعلموا أن المعروف مكسب حمداً ومعقب أجراً، فلو رأيتم المعروف رجلاً، رأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين ويفوق العالمين، ولو رأيتم اللؤم، رأيتموه سمجاً مشوهاً، تنفر عنه القلوب والأبصار.

- مكارم الأخلاق عشرة، صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل وحسن الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، والترحم على الجار، ومعرفة الحق للصاحب وقرى الضعيف، ورأسهن الحياء[1].

- أشد من المصيبة سوء الخلق[2].

- هلاك الناس في ثلاث: الكبر والحرص والحسد، فالكبر هلاك الدين، وبه لُعن إبليس، والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل.

- قال أبو العباس محمد بن يزيد المبَرِّدُ: قيل للحسن بن عليٍّ: إن أبا ذرٍّ يقول: الفقر أحبُّ إليَّ من الغنى، والسَّقم أحبُّ إليَّ من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذرٍّ، أما أنا فأقول: من اتَّكل على حسن اختيار الله له لم يتمنَّ أن يكون في غير الحالة التي اختار الله له وهذا حد الوقوف على الرِّضا بما تصرَّف به القضاء[3].

- قال أمير المؤمنين الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إني أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناسِ في عيني، وكان عظيم ما عظَّمه في عيني صِغرُ الدنيا في عينه، كان خارجاً عن سلطان بطنه، فلا يشتهي مالا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه، وكان خارجاً من سلطان الجهلة، فلا يمد يداً إلا على ثقة المنفعة، كان لا يسخط ولا يتبرم، كان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا غلِب على الكلام لم يُغلَب على الصمت، كان

(١) محمد خورشيد، من أقوال الصحابة، ص ٦٨.
(٢) تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٢٢٧.
(٣) البداية والنهاية، ١١/ ١٩٩.

أكثر دهره صامتاً ، فإذا قال بذَّ القائلين ، كان لا يشارك في دعوى ، ولا يدخل في مراء ، ولا يدلي بحجة حتى يُرى قاضياً يقول ما يفعل ، ويفعل ما لا يقول تفضلاً وتكرماً ، كان لا يغفل عن أخوانه ، ولا يستخص بشئ دونهم ، كان لا يلوم أحداً فيما يقع العُذر بمثله ، كان إذا ابتدأه أمران لا يَرى أيهما أقرب إلى الحقِّ ، نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه[1] .

- يجوز أن يظن السوء بمن علم السوء منه وبدت عليه أدلته وليس ينبغي أن يظن به السوء بمجرد الظن فإن الظن يكذب كثيراً[2] .

- والله ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم[3] .

- يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابداً وارض بما قسم الله لك تكن غنياً واحسن جوار من جاورك تكن مسلماً ، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً . أنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً أصبح جمعهم بوراً وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً . يا ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك ، فجد بما في يدك لما بين يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع ، قال تعالي: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧] .

ومن مواقفه:

ما هؤلاء بالشيعة:

عن عمرو بن الأصمِّ ، قلت للحسن: إن الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، قال: كذبوا والله ، ما هؤلاء بالشيعة ، لو علمنا أنه مبعوث ما زوَّجنا نساءه ، ولا اقتسمنا ماله[4] .

أحبّ إليّ من اعتكاف شهر:

جاء رجل إلى الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فذكر له حاجته فخرج معه

(١) البداية والنهاية ، ١١/ ١٩٩ .
(٢) المالقي ، الشهب اللامعة في السياسة النافعة ، ص ١٧٣ .
(٣) القلعي ، تهذيب الرياسة ، وترتيب السياسة ، ص ١٨٣ .
(٤) سير أعلام النبلاء ، ٣/ ٢٦٣ .

لحاجته، فقال: أما إني قد كرهت أن أعينك في حاجتي ولقد بدأت بحسين فقال: لولا اعتكافي لخرجت معك. فقال الحسن: لقضاء حاجة أخ لي في الله أحبّ إليّ من اعتكاف شهر[1].

أخاف أن أسأل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأها:

وذكر أن رجلاً رفع إلى الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رقعة فقال: قد قرأتها، حاجتك مقضية، فقيل له: يا ابن بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لو نظرت إلى رقعته وراجعته على حسب ما فيها، فقال: أخاف أن أسأل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأها[2].

لا أرضى أن أستفيد من مكانتي من رسول الله في شئ تافه:

دخل سيدنا الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا السُّوق لحاجة يقضيها فساوم صاحب دكان في سلعة، فأخبره بالسعر العام، ثم علم أنه الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سبط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنقص في السعر إجلالاً له وإكراماً، ولكن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لم يقبل منه ذلك، وترك الحاجة، وقال: إنني لا أرضى أن استفيد من مكانتي من رسول الله في شئ تافه[3].

أفلا أشتري عرضي منه بزاد وراحلة:

قدم رجل من المدينة وكان يبغض علياً فقطع به فلم يكن له زاد ولا راحلة فشكا ذلك إلى بعض أهل المدينة، فقال له عليك بالحسن بن علي، فقال له الرجل: ما لقيت هذا إلا في حسن وأبي حسن؟ فقيل له: فإنك لا تجد خيراً إلا منه فأتاه فشكا إليه، فأمر له بزاد وراحلة، فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالاته فقيل للحسن: أتاك رجل يبغضك ويبغض أباك فأمرت له بزاد وراحلة؟ قال: أفلا أشتري عرضي منه بزاد وراحلة[4].

---

(١) تاريخ دمشق الكبير، ١٤/ ٧٦.
(٢) محمد خورشيد، من أقوال الصحابة، ج ٦٨.
(٣) الندوي، المرتضى، ص ٢٢٨.
(٤) تاريخ ابن عساكر، ١٤/ ٧٦.

أفتأذن لي بالانصراف؟:

كان ذات يوم جالساً في مكان، فأراد الانصراف، فجاءه فقير فرحب به ولاطفه وقال له: إنك جلست على حين قيام منا أفتأذن لي بالانصراف؟ قال: نعم يا ابن بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١].

ليس له عندنا إلا ما رَغِم أنفه:

عن عميربن إسحاق قال: ما تكلم عندي أحد كان أحبَّ إليَّ إذا تكلَّم ألا يسكت من الحسن بن علي، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة، فإنه كان بين الحسين بن علي وبين عمرو بن عثمان خصومة، فقال الحسن: ليس له عندنا إلا ما رَغِم أنفه. فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط[٢].

أما تحمد ربك:

قال سليمان بن شديد: كنت ألاعب الحسن والحسين بالمداحي[٣] فكنت إذا أصبت مدحاته فكان يقول لي: يحل لك أن تركب بضعة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وإذا أصاب مدحاتي قال: أما تحمد ربك أن يركبك بضعة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٤].

لرأيت أنك الآن في جنة واسعة:

اغتسل الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وخرج من داره في بعض الأيام وعليه حلة فاخرة ووفرة ظاهرة ومحاسن سافرة فعرض له في طريقه شخص من محاويج اليهود وعليه مسح من جلود، قد أنهكته العلة، وركبته القلة والذلة، وشمس الظهيرة قد شوت شواه وهو حامل جرة ماء على قفاه، فاستوقف الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال: يا ابن رسول الله، سؤال، قال: ما هو؟ قال: جدك

(١) تاريخ الخلفاء، ص ٧٣.
(٢) البداية والنهاية، ١١/١٩٨.
(٣) المداحي: هي أحجار أمثال القِرَصَة كانوا يحفرون حفرة ويدحون فيها بتلك الأحجار، فإن وقع الحجر فيها غلب صاحبها وإن لم يقع. غلب: وهي لعبة يلعب بها أهل مكة وقد سئل ابن المسيب عن المراماة والمسابقة بها فقال: لا بأس به.
(٤) الطبقات، ١/٢٩٤.

يقول: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[1] . وأنت مؤمن وأنا كافر . فما أرى الدنيا إلا جنة لك تتنعم بها ، وما أراها إلا سجناً عليّ قد أهلكني ضرها وأجهدني فقرها ، فلما سمع الحسن كلامه قال له: يا هذا لو نظرت إلى ما أعد الله لي في الآخرة لعلمت أني في هذه الحالة بالنسبة إلى تلك في سجن ، ولو نظرت إلى ما أعد الله لك في الآخرة من العذاب الأليم لرأيت أنك الآن في جنة واسعة[2] .

لقد كان الحسن بن علي حاضر البديهة ، فأجاب بجواب مقنع مفحم حيث أوضح له أن حالته التي يشكو منها إنما هي كالجنة بالنسبة إلى عذاب الآخرة الذي أعد للكافرين وأن حالة الحسن التي ظنها نعيماً إنما هي كالسجن بالنسبة إلى نعيم الجنة الذي أعد للمتقين[3] .

يا مُدرك ما أطيب هذا؟:

قال مدرك أبو زياد: كنا في حيطان ابن عباس فجاء ابن عباس وحسن وحسين فطافوا في البستان فنظروا ثم جاؤوا إلى ساقية فجلسوا على شاطئها فقال لي حسن: يا مُدرك أعندك غداء؟ قلت: قد خبزنا ، قال: إئت به . قال: فجئته بخبز وشيء من ملح جريش وطاقتي بقل فأكل ثم قال: يا مُدرك ما أطيب هذا؟ ثم أتى بغدائه ، وكان كثير الطعام طيّبه - فقال: يا مُدرك اجمع لي غلمان البستان قال: فقدم إليهم فأكلوا ولم يأكل فقلت: ألا تأكل؟ فقال: ذاك أشهى عندي من هذا ، ثم قاموا فتوضؤوا ثم قدّمت دابة الحسن فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوّى عليه ، ثم جئ بدابّة الحسين فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوّى عليه ، فلما مضيا قلت: أنت أكبر منهما تمسك لهما وتسوّي عليهما؟ فقال: يا لُكع أتدري من هذان؟ هذان ابنا رسول الله ﷺ هذا مما أنعم الله عليّ به أن أمسك لهما وأسوّي عليهما؟[4] .

---

(١) مسلم وابن ماجة رقم ٤١١٣ .
(٢) محمد رشيد رضا ، الحسن والحسين ، ص ٣٢ .
(٣) محمد رشيد رضا ، الحسن والحسين ، صـ ٣٢ .
(٤) تاريخ ابن عساكر ، ١٤/ ٦٩ .

إنه ابن فاطمة:

قال عبد الله بن عروة: رأيت عبد الله بن الزبير قعد إلى الحسن بن علي في غداة من الشتاء باردة قال: فوالله ما قام حتى تفسّخ جبينه عرقاً فغاظني ذلك، فقمت إليه فقلت: يا عم! قال: ما تشاء؟ قال: قلت رأيتك قعدت إلى الحسن بن علي، فأقمت إليه حتى تفسخ جبينك عرقاً قال: يا ابن أخي إنه ابن فاطمة، لا والله ما قامت النساء عن مثله[1].

وأنا أكره أن يكون لي الفضل على أخي:

وقيل: دار بين الحسن والحسين كلام فتقاطعا فقيل للحسين، لو أتيت أخاك فهو أكبر منك سناً، فقال: فإن الفضل للمبتدئ وأنا أكره أن يكون لي الفضل على أخي، فبلغ ذلك الحسن فأتاه[2].

من أكرم الناس أباً وأماً وجداً وجدّة وخالاً وخالة وعماً وعمّة؟

قال معاوية - وعنده عمرو بن العاص وجماعة من الأشراف - من أكرم الناس أباً وأماً وجداً وجدّة وخالاً وخالة وعماً وعمّة؟ فقام النعمان بن العجلان الزُرقاني، فأخذ بيد الحسن فقال: هذا أبوه علي وأمه فاطمة وجده رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجدته خديجة، وعمّه جعفر، وعمته أمّ هاني بنت أبي طالب، وخاله القاسم، وخالته زينب[3].

* * * * *

(١) تاريخ ابن عساكر، ١٤/ ٧٠.
(٢) وفيات الأعيان، ٢/ ٦٩.
(٣) تاريخ ابن عساكر، ١٤/ ٧٠.

مواقف الشيعة
مع الحسن بن علي بن أبي طالب

اجتمع شيعة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بعد استشهاده حول ابنه الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وجعلوه إمامًا لهم، وأول من بايعه كان قيس بن سعد بن عبادة"[1]" .

وكان الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قد وضع شرطا أساسًا لقبوله مبايعة أهل العراق له، ذلك الشرط الذي نص على أنهم يسالمون من يسالم ويحاربون من يحارب[2] .

ويستفاد من ذلك ابتداء الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في تبييته لنية الصلح قبل استخلافه، وأدخل الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بشرطه في عقلية العراقيين بأن خيار السلم قابل للنقاش والأخذ والعطاء، كما أنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تقدم للخلافة لما كانت مصلحة الإسلام والمسلمين في ذلك .كما أنه لم يكن يغيب عنه تخاذل الشيعة ونكوصهم عن نصرة أبيه علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وتفرقهم عنه .

وعلى ما يبدو أن الشيعة قد ارتابوا في نية الحسن قبل أن يعلنها جهارا نهارا، فعدوا عليه وأرادوا إغتياله، فبعد أن أخذ البيعة و بينما هو يصلى إذا وثب عليه رجل فطعنه بخنجر فوقعت الطعنة في وركه فمرض منها أشهرًا ثم برئ، فقعد على المنبر فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وضيفانكم، أهل البيت الذين قال الله عنهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قال: فما زال يقول ذلك حتى ما رُئي أحد من أهل المسجد إلا وهو يخن[3] بكاء[4] .

ثم خرج الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بجيش العراق من الكوفة إلى المدائن، وإرسل

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧/ ٧٤٧ .

(٢) تاريخ الطبري، ٣/ ١٦٧ .

(٣) الخنين: البكاء في الأنف .

(٤) أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهم أحداث الأسنان]، تحقيق محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق - الطائف، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ١/ ٣٢٣ .

القوة الضاربة من الجيش وهى شرطة الخميس إلى مسكن بقيادة قيس بن سعد بن عبادة [(١)]، بعد إلحاح من شيعة العراق الذين قالوا له: سر إلى هؤلاء القوم الذين عصوا الله ورسوله، ارتكبوا العظيم وابتزوا [(٢)] الناس أمورهم، فإنا نرجو أن يمكن بك منهم، فسار الحسن إلى أهل الشام، وجعل على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة في اثنى عشر ألفا، وكانوا يسمون شرطة الخميس [(٣)].

يتضح لنا أن أهل العراق هم الذين دفعوا الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الخروج لقتال أهل الشام من غير رغبة منه، وهذا الأمر قد أشار إليه ابن كثير رحمه الله بقوله: ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحدًا، ولكن غلبوه على رأيه، فاجتمعوا اجتماعًا عظيمًا لم يُسمع بمثله، فأمّر الحسن بن على، قيس ابن سعد بن عبادة، على المقدمة في اثنى عشر ألفًا بين يديه، وسار هو بالجيوش في أثره قاصدًا بلاد الشام، فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدم المقدمة بين يديه [(٤)].

وقد أشهر الحسن حنكة كبيرة دلت على سعة أفقه ودهائه وبصيرته، عندما لم يشأ أن يواجه أهل العراق من البداية بميله إلى مصالحة معاوية وتسليمه الأمر لأنه يعرف خفتهم وتهورهم، فأراد أن يقيم من مسلكهم الدليل على صدق نظرته فيهم، وبينما الحسن في المدائن، إذ نادى منادٍ من أهل العراق إن قيسًا قد قتل فسرت الفوضى في الجيش، وعادت إلى أهل العراق طبيعتهم في عدم الثبات، فاعتدوا على سرادق الحسن ونهبوا متاعه حتى أنهم نازعوه بساطًا كان تحته، وطعنوه وجرحوه، وهنا فكر أحد شيعة العراق وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي في أمر خطير وهو أن يُوثق الحسن بن علي ويسلمه طمعًا في الغنى والشرف، فقد جاء عمه سعد بن مسعود

(١) المصدر نفسه، ١/ ٣٢١.
(٢) الابتزاز: أخذ الشيء بجفاء وقهر.
(٣) الطبقات، ١/ ٣١٩ - ٣٢١.
(٤) الامـام الحافظ ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م، ١٦/٨.

الثقفي[(١)] وكان وليًّا على المدائن من قبل علي، فقال له: هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن وتستأمن به إلى معاوية، فقال له عمه: عليك لعنة الله، أثب على ابن بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأوثقه بئس الرجل أنت[(٢)].

أرأيت سوء صنيع القوم، وكيف كان غدرهم وخيانتهم حتى بآل البيت الذين زعموا حبهم واتخذوه ذريعة في عداءهم لكل من عادوا. وهل بعد خيانتهم لآل البيت يستبعد خيانتهم للأمة عامة، فهم منذ اللحظات الأولى يجبنون عن الحرب ويبيعون ذممهم بالأموال، ويفكرون في الخيانة في مقابل الغنى والشرف، ولو كان الثمن هو تسليم واحد من أكابر آل البيت كما فكر المختار الثقفي أن يسلم الحسن بن علي للأمويين. علمًا بأننا للإنصاف لا بد أن نقرر أن شيعة الصدر الأول في أيام علي والحسن والحسين - رضوان الله عليهم - كان من بينهم فضلاء أخيار كبعض نفر من الصحابة - رضوان الله عليهم - وهؤلاء نربأ بهم عن الخيانة، ومعاذ الله أن نصف أحدًا منهم بها، وإنما مواقف هؤلاء الفضلاء كانت قائمة على الاجتهاد أخطأوا أو أصابوا.

وتشيَّع أكثر الناس يومئذ يدور في فلك الحب لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وآل بيته بناء على مرويات سمعها الناس في الوصاة بحب هذه العترة الطاهرة، ولكن لم تكن هناك مبادئ مقررة للتشيع كالتقية والرجعة وغير ذلك.. اللهم إلا أن يكون عند نفر من الغلاة الذين ترأسهم عبد الله بن سبأ وقالوا بألوهية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن بعد ذلك جدَّت أمور شكلت فكر الشيعة وجعلت تقفز به في الانحراف من ميدان إلى ميدان، وتدخلت عناصر مغرضة مجوسية ويهودية وغير ذلك وتسترت بالإسلام ثم بالتشيع، وجعلت تسعى لنقض عرى الإسلام عروة بعد عروة[(٣)].

---

(١) هذا هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي خرج على الدولة الأموية وادعى أنه من شيعة آل البيت وجعل يطالب بدم الحسين، وما كان ذلك منه إلا نفاقًا وستارًا يخفي خلفه مطامعه الشخصية في الملك.

(٢) تاريخ الطبري، ٣/ ١٦٥

(٣) د. عماد علي عبد السميع حسين، خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية، ص ١٩.

وحاصل الأمر أن الحسن لما رأى صنع أصحابه أيقن أنه لا فائدة منهم، ولا نصر يرجى على أيديهم، وهذه كانت قناعته من البداية، فدفعه ذلك إلى قطع خطوات أوسع والاقتراب أكثر من الصلح.

وهنا تم تبادل الرسل بين الحسن ومعاوية، ووقع الصلح بينهما رضوان الله عليهما[1].

وبعد نجاح الصلح بين الحسن ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، شرع الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تهيئة نفوس أتباعه على تقبل الصلح الذي تم، فقام فيهم خطيبًا ليبين لهم ما تم بينه وبين معاوية، وفيما هو يخطب هجم عليه بعض عسكره محاولين قتله، لكن الله سبحانه وتعالى أنجاه كما أنجاه من قبل. وقد أورد البلاذرى خطبة الحسن التى ألقاها في أتباعه، ومحاولة قتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: "... إنى أرجو أن أكون أنصح خلقه لخلقه، وما أنا محتمل على أحد ضغينة، ولا حقدًا، ولا مريدًا به غائلة، ولا سوءًا، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإنى ناظر لكم خيرًا من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمرى، ولا تردوا عليّ، غفر الله لي ولكم. وقال: يا أهل العراق، لو لم تذهل نفسى[2]، عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت: مقتلكم أبي، ومطعنكم بغلتى وانتهابكم ثقلى، أو قال: ردائى عن عاتقى، وإنكم قد بايعتمونى أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت، وإنى قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا"[3].

وهذا يوضح لنا أن من الأسباب التى دعت أمير المؤمنين الحسن بن على إلى الصلح موقف أهل العراق من محاولة إغتياله مرتين وإنتهابه، وقبل ذلك كله ما رُوع به من مقتل أبيه، فقد أثر اغتياله على نفسية الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فترك فيها حزنًا وأسى شديدًا، وكان مقتله سببًا فى تزهيد الحسن فى أهل العراق أولئك الذين غمرتهم مكارم أخلاق أمير المؤمنين. وشرف صحبته فأضلتهم الفتن والأطماع، وانحرفوا عن الصراط المستقيم.

---

(١) الطبقات، ١/ ٣٣٠، ٣٣١.
(٢) تذهل نفسى: تسلو نفسى، لسان العرب، ١١/ ٢٥٩.
(٣) الطبقات، ١/ ٣٢٤.

بـل إن الحـسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كـان يقـول: " أرى معاويـة خيرًا لي من هؤلاء يـزعمون أنهـم لي شيعة ابتغوا قتلي وأخذوا مالي والله لأن آخذ من معاوية ما أحقن به دمي في أهلي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني ؛ فيضيع أهل بـيتي وأهلـي ، والله لـو قاتلـت معاويـة لأخـذوا بعنقي حتى يدفعوا بي إليه سلما ، والله لأن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير"[1] .

وقـد قـال أيـضاً: عـرفت أهل الكوفة وبلوتهم ، ولا يصلح لي من كان مـنهم فاسـداً ، إنهـم لاوفـاء لهـم ولا ذمـة في قـول ولا فعل ، إنهم مختلفون ويقولون لنا إن قلوبهم معنا ، وإن سيوفهم لمشهورة علينا"[2] .

* * * * *

---

(١) الطبرسي ، الاحتجاج ، ط طهران ، ص ١٤٨ .
(٢) الطبرسي ، الاحتجاج ، ط طهران ، ص ١٤٨ .

الحسين بن علي بن أبي طالب

هو الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، سبط رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وريحانته، وشبيهه في الخَلْق من الصدر إلى القدمين، أبوه أمير المؤمنين علي، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكنيته أبو عبد الله ولقبه الشهيد، وهو أحد سيدي شباب أهل الجنة مع أخيه الحسن.

ولد في المدينة المنورة في شعبان في السنة الرابعة للهجرة، وعقّ عنه جدّه رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما عقّ عن أخيه الحسن من قبل، وقال فيهما: **«هما ريحانتايَ من الدنيا»**. وعن جابر أنه قال: وقد دخل الحسين المسجد: **«من أحب أن ينظر إلى سيّد شباب أهل الجنة فلينظر إلى هذا»** سمعته من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(١)].

وكان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحبه ويلاعبه ويقول عنه: **«حسين سبط من الأسباط، من أحبني فليحبّ حسيناً»** وفي رواية: **«أحبّ الله من أحبّ حسينًا»**[(٢)].

وقد وردت في مناقبه وفضائله أحاديث كثيرة منها ما رواه أحمد بإسناده إلى يعلي العامري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه خرج مع رسول الله يعني إلى طعام دعوا له قال فاستمثل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمام القوم، وحسين مع غلمان يلعب فأراد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأخذه فطفق الصبي يفر هنا مرة وهاهنا مرة، فجعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضاحكه حتى أخذه قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه الأخرى تحت ذقنه ووضع فاه وقبله وقال: **«حسين مني وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»**[(٣)].

وما رواه البخاري بإسناده إلى ابن عمر قد سأله رجل من العراق عن المحرم يقتل الذباب فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلو ابن ابنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«هما**

---

(١) سبق تخريج هذه الأحاديث.
(٢) سير أعلام النبلاء، ٢/ ٢٨٠، الإصابة، ١/ ٣٣١ - ٣٣٤.
(٣) أخرجه ابن ماجه وأحمد والترمذي وحسّنه وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

ريحانتاي من الدنيا»[1].

وروى أحمد بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[2].

وقال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: عاصَر الحسين رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصَحِبَه إلى أن توفي وهو عنه راضٍ، ولكنَّه كان صغيراً، ثم كان الصِّدِّيقُ يُكرِمُه ويُعظِّمه، وكذلك عمر وعثمان، وصحب أباه وروى عنه، وكان معه في مغازيه كلِّها، في الجَمَل وصِفِّين، وكان معظَّماً مُوَقَّراً[3].

عاش الحسين طفولته وصدر شبابه في المدينة المنورة، وتربَّى في بيت النبوة ثم في بيت والده، وفي حلقات العلم في المسجد النبوي الشريف على الأخلاق الفاضلة والعادات الحميدة، أُثر عنه أنه حج خمساً وعشرين حجة ماشياً، وشهد سنة ٣٥هـ مبايعة والده الإمام علي بالخلافة ثم خروجه معه إلى الكوفة، وشهد معه موقعة الجمل ثم صفين، ثم قتال الخوارج، وبقي معه حتى استشهاده سنة ٤٠هـ، فأقام مع أخيه الحسن في الكوفة إلى أن تنازل الحسن عن الخلافة، وسلم الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان، وهو ما أخبر به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن أَبِي بَكْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي فَإِذَا سَجَدَ وَثَبَ الْحَسَنُ عَلَى ظَهْرِهِ وَعَلَى عُنُقِهِ فَيَرْفَعُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفْعًا رَفِيقًا لِئَلاَّ يُصْرَعَ قَالَ فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَ بِالْحَسَنِ شَيْئًا مَا رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَهُ قَالَ: «إِنَّهُ رَيْحَانَتِي مِنَ الدُّنْيَا وَإِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَعَسَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[4].

وكان الحسين لا يعجبه ما عمل أخوه، بل كان رأيه القتال؛ لأنه يرى أنه الأحق بالخلافة، ولكنه أطاع أخاه الذي كان يرى - كذلك - أحقيته

---

(١) البخاري رقم ٣٧٥٣.

(٢) سنن الترمذي، ٥/٦٥٦، حديث رقم ٣٧٦٨ صححه الألباني في الأحاديث الصحيحة، ٢/٤٤٨.

(٣) البداية والنهاية، ١١/٤٧٦.

(٤) رواه أحمد.

بالخلافة ولكنه آثر حقن دماء المسلمين، وبايع الحسين معاوية، ورجع معه إلى المدينة وأقام معه إلى أن مات معاوية سنة٦٠هـ.

ولما توفي الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ٤٩ هـ، في سنة ست وخمسين من الهجرة أمر معاوية الناس أن يبايعوا لابنه يزيد بعده، وهنا عدل معاوية عن طريقة من سبقه، وذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترك الأمر أو نص على أبي بكر، ثم جاء أبو بكر فنص على عمر، ثم جاء عمر فنص على ستة وأخرج سعيد بن زيد ابن عمه، وابنه عبد الله، ثم جاء عثمان ولم ينص على أحد، ثم جاء علي ولم ينص على أحد، وتنازل الحسن لمعاوية.

فقيل لمعاوية: إما أن تتركها كما كانت على زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو ما كان عليه أبو بكر الصديق واعهد بالخلافة لرجل ليس منك، أو ما كان عليه عمر؛ لأنه جعلها في ستة ليسوا من أهل بيته، أو أن تترك الأمر والمسلمون يختارون، ولكن معاوية أبى إلا أن يكون الخليفة بعده يزيد.

ولعله عدل عن الوجه الأفضل لما كان يتوجس من الفتنة والشر إذا جعلها شورى، وقد رأى الطاعة والأمن والاستقرار في الجانب الذي فيه ابنه يزيد وهذا إن كان فليس بصواب بل الصواب في الشورى.

ويري أهل السنة والجماعة أن هذه البيعة صحيحة ولكنهم عابوا هذه البيعة لأمرين اثنين:

الأول: إن هذه بدعة جديدة وهي أنه جعل الخلافة في ولده فكأنها صارت وراثة بعد أن كانت شورى وتنصيصا على غير القريب، فكيف قريب وابن مباشر، فمن هذا المنطلق رفض المبدأ بغض النظر عن الشخص، فهم رفضوا مبدأ أن يكون الأمر وراثة.

الثاني: أنه كان هناك من هم أولى من يزيد بالخلافة كابن عمر، وابن الزبير، وابن عباس، والحسين، وغيرهم كثير.

قال ابن العربي: إن معاوية ترك الأفضل في أن يجعلها شورى وأن لا يخص فيها أحدا من قرابته فكيف ولدا؟! وإنه عقد البيعة لابنه وبايعه الناس

فانعقدت شرعا[1] .

أما من وجهة نظر الشيعة فإنهم يرون الإمامة والخلافة في علي وأبنائه فقط ، فهم لا يعيبون بيعة يزيد بذاتها وإنما يعيبون كل بيعة لا تكون لعلي وأولاده ، وعلى هذا الأساس فهم يعيبون بيعة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومعاوية كلها بغض النظر عن المبايع ه ، لأنهم يرون أنها نص لعلي وأبنائه إلى أن تقوم الساعة .

فهل كان يزيد أهلا للخلافة أو لا؟

ذكر ابن كثير[2] قصة عبد الله بن مطيع وأصحابه وأنهم مشوا إلى محمد ابن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب ، أخو الحسن والحسين من أبيهما فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم ، قال ابن مطيع: إن يزيد بن معاوية يشرب الخمر ، ويترك الصلاة .

فقال محمد: ما رأيت منه ما تذكرون ، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظبا على الصلاة ، متحريا للخير ، يسأل عن الفقه ، ملازما للسنة .

قالوا: إن ذلك كان منه تصنعا لك .

قال محمد ابن الحنفية: ما الذي خافه مني أو رجاه؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه ، وإن لم يطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا . قالوا: إنه عندنا لحق ، وإن لم نكن رأيناه .

قال محمد ابن الحنفية: أبى الله ذلك على أهل الشهادة ثم قرأ عليهم قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**إلا من شهد بالحق وهم يعلمون**﴾ [الزخرف: ٨٦] .

وكذا ما نقل عن يزيد أنه قال بعد مقتل الحسين:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ::: جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرن من ساداتهم ::: وعدلناه ببدر فاعتدل

---

(١) العواصم من القواصم ، ص ٢٢٨ .
(٢) البداية والنهاية ، ٨/ ٢٣٦ .

ولعبت هاشم بالملك فلا ::: خبر جاء ولا وحي نزل

فهذا أيضا لم يثبت عنه .

فالفسق الذي نسب إلى يزيد في شخصه كشرب خمر ، أو ملاعبة قردة أو فحش أو ما شابه ذلك لم يثبت عنه بسند صحيح فهذا لا نصدقه ، والأصل السلامة ونقول علمه عند ربي سبحانه وتعالى ، ولكن ظاهر رواية محمد ابن الحنفية أنه لم يكن فيه شيء من ذلك ، فالعلم عند الله تبارك وتعالى في حال يزيد ، وهذا لا يهمنا فهو بينه وبين ربه تبارك وتعالى .

ولو فرضنا أن الأمر كان كذلك فإن كون الإمام فاسقا لا يعني أنه يجب الخروج عليه بهذه الصورة التي حدثت [1] .

لحاصل أنه بويع ليزيد بالخلافة سنة ستين من الهجرة ، وكان عمره أربعا وثلاثين سنة ، ولم يبايع الحسين بن علي ولا عبد الله بن الزبير وكانا في المدينة ، ولما طلب منهما أن يبايعا ليزيد قال عبد الله بن الزبير: أنظر هذه الليلة وأخبركم برأيي ، فقالوا: نعم ، فلما كان الليل خرج من المدينة هاربا إلى مكة ولم يبايع .

ولما جيء بالحسين بن علي وقيل له: بايع . قال: إني لا أبايع سرا ولكن أبايع جهرا بين الناس . قالوا: نعم ، ولما كان الليل خرج خلف عبد الله بن الزبير .

كان موقف الحسين من بيعة يزيد بن معاوية هو موقف المعارض وشاركه في المعارضة عبد الله بن الزبير والسبب في ذلك: حرصهما على مبدأ الشورى وأن يتولى الأمة أصلحها - وتلك الممانعة الشديدة من قبل الحسين وابن الزبير ، قد عبرت عن نفسها بشكل عملي فيما بعد فالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما مر معنا ، كان معارضا للصلح ، والذي حمله على قبوله هو متابعة أخيه الحسن بن علي ثم إن الحسين بن علي استمر على صلاته بأهل الكوفة وقد كان يعدهم بالمعارضة ولكن بعد وفاة معاوية ، والدليل على ذلك أنه بمجرد وفاة معاوية سارع زعماء الكوفة بالكتابة إلى الحسين ، وطلبوا منه المسير

(١) حقبة من التاريخ ، ص ٢٢٥ .

إليهم على وجه السرعة .

وبلغ أهل العراق أن الحسين لم يبايع ليزيد بن معاوية وهم لا يريدون يزيد بن معاوية بل ولا يريدون معاوية ، لا يريدون إلا عليا وأولاده رضي الله تبارك وتعالى عنهم ، فأرسلوا الكتب إلى الحسين بن علي كلهم يقولون في كتبهم: إنا بايعناك ولا نريد إلا أنت ، وليس في عنقنا بيعة ليزيد بل البيعة لك ، وتكاثرت الكتب على الحسين بن علي حتى بلغت أكثر من خمسمائة كتاب كلها جاءته من أهل الكوفة يدعونه إليهم .

عند ذلك أرسل الحسين بن علي ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب لتقصي الأمور هناك وليعرف حقيقة الأمر وجليته ، فلما وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة صار يسأل حتى علم أن الناس هناك لا يريدون يزيد بل الحسين بن علي ونزل عند هانئ بن عروة ، وجاء الناس جماعات ووحدانا يبايعون مسلم بن عقيل على بيعة الحسين رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين . وكان النعمان بن بشير أميرا على الكوفة من قبل يزيد بن معاوية فلما بلغه الأمر أن مسلم بن عقيل بين ظهرانيهم وأنه يأتيه الناس ويبايعونه للحسين أظهر كأنه لم يسمع شيئا ولم يعبأ بالأمر ، حتى خرج بعض الذين عنده إلى يزيد في الشام وأخبروه بالأمر ، وأن مسلما يبايعه الناس وأن النعمان بن بشير غير مكترث بهذا الأمر .

وأمر يزيد بعزل النعمان بن بشير ، وأرسل عبيد الله بن زياد أميرا على الكوفة وكان أميرا على البصرة فضم له الكوفة معها ليعالج هذا الأمر ، فوصل عبيد الله بن زياد ليلا إلى الكوفة متلثما فكان عندما يمر على الناس يسلم عليهم يقولون: وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله يظنون أنه الحسين وأنه دخل متخفيا متلثما ليلا ؛ فعلم عبيد الله بن زياد أن الأمر جد وأن الناس ينتظرون الحسين بن علي ، عند ذلك دخل القصر ثم أرسل مولى له اسمه معقل ليتقصى الأمر ويعرف من الرأس المدبر في هذه المسألة؟

فذهب على أنه رجل من "حمص" وأنه جاء بثلاثة آلاف دينار لمساندة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فصار يسأل حتى دل على دار هانئ بن عروة ، فدخل ووجد مسلم بن عقيل وبايعه وأعطاه الثلاثة آلاف دينار وصار يتردد أياما

حتى عرف ما عندهم ورجع بعد ذلك إلى عبيد الله بن زياد وأخبره الخبر .

وبعد أن استقرت الأمور وبايع كثير من الناس لمسلم بن عقيل ، أرسل إلى الحسين أن أقدم فإن الأمر قد تهيأ ، فخرج الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في يوم التروية ، وكان عبيد الله قد علم ما قام به مسلم بن عقيل فقال: علي بهانئ بن عروة ، فجيء به فسأله: أين مسلم بن عقيل؟ قال: لا أدري .

فنادى مولاه معقلا فدخل عليه فقال: هل تعرفه؟ قال: نعم ، فأسقط في يده ، وعرف أن المسألة كانت خدعة من عبيد الله بن زياد ، فقال له عبيد الله ابن زياد عند ذلك: أين مسلم بن عقيل؟

فقال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها ، فضربه عبيد الله بن زياد ثم أمر بحبسه .

وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فخرج بأربعة آلاف وحاصر قصر عبيد الله وخرج أهل الكوفة معه ، وكان عند عبيد الله في ذلك الوقت أشراف الناس فقال لهم خذلوا الناس عن مسلم بن عقيل ، ووعدهم بالعطايا وخوفهم بجيش الشام ، فصار الأمراء يخذلون الناس عن مسلم بن عقيل ، فما زالت المرأة تأتي وتأخذ ولدها ، ويأتي الرجل ويأخذ أخاه ، ويأتي أمير القبيلة فينهى الناس ، حتى لم يبق معه إلا ثلاثون رجلا من أربعة آلاف! وما غابت الشمس إلا ومسلم بن عقيل وحده ، ذهب كل الناس عنه ، وبقي وحيدا يمشي في دروب الكوفة لا يدري أين يذهب ، فطرق الباب على امرأة من كندة فقال لها: أريد ماء ، فاستغربت منه ثم قالت له: من أنت؟ فقال: أنا مسلم بن عقيل وأخبرها الخبر وأن الناس خذلوه ، وأن الحسين سيأتي ؛ لأنه أرسل إليه أن أقدم فأدخلته عندها في بيت مجاور ، وأتته بالماء والطعام ولكن ولدها قام بإخبار عبيد الله بن زياد بمكان مسلم بن عقيل ، فأرسل إليه سبعين رجلا فحاصروه فقاتلهم وفي النهاية استسلم لهم عندما أمنوه ، فأخذ إلى قصر الإمارة الذي فيه عبيد الله بن زياد ، فلما دخل سأله عبيد الله عن سبب خروجه هذا؟ .

فقال: بيعة في أعناقنا للحسين بن علي قال: أو ليست في عنقك بيعة ليزيد؟ فقال له: إني قاتلك . قال: دعني أوصي . قال: نعم أوص . فالتفت

فوجد عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فقال له: أنت أقرب الناس مني رحما تعال أوصيك ، فأخذه في جانب من الدار وأوصاه بأن يرسل إلى الحسين بأن يرجع ، فأرسل عمر بن سعد رجلا إلى الحسين ليخبره بأن الأمر قد انقضى ، وأن أهل الكوفة قد خدعوه . وقال مسلم كلمته المشهورة: "ارجع بأهلك ولا يغرنك أهل الكوفة فإن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لكاذب رأي".

قتل عند ذلك مسلم بن عقيل في يوم عرفة وكان الحسين قد خرج من مكة في يوم التروية قبل مقتل مسلم بن عقيل بيوم واحد .

وكان كثير من الصحابة قد حاولوا منع الحسين بن علي من الخروج وهم: عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبو سعيد الخدري ، وعبد الله بن الزبير ، وأخوه محمد بن الحنفية . كل هؤلاء لما علموا أن الحسين يريد أن يخرج إلى الكوفة نهوه .

فقد قال عبد الله بن عباس للحسين لما أراد الخروج: لولا أن يزري بي وبك الناس لشبثت يدي في رأسك فلم أتركك تذهب .

وكان ابن عمر بمكة فبلغه أن الحسين قد توجه إلى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ليال فقال: أين تريد؟

قال: العراق ، وأخرج له الكتب التي أرسلت من العراق يعلنون أنهم معه وقال: هذه كتبهم وبيعتهم ، (قد غروه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) .

قال ابن عمر: لا تأتهم ، فأبى الحسين إلا أن يذهب .

فقال ابن عمر: إني محدثك حديثا ، إن جبريل أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا . وإنك بضعة منه ، والله لا يليها أحد منكم أبدا ، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم ، فأبى أن يرجع فاعتنقه عبد الله بن عمر وبكى وقال: "أستودعك الله من قتيل".

وعبد الله بن الزبير قال للحسين: أين تذهب؟! تذهب إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك . لا تذهب فأبى الحسين إلا أن يخرج .

وأبو سعيد الخدري قال: يا أبا عبد الله إني لك ناصح وإني عليكم

مشفق، قد بلغني أنه قد كاتبكم قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم فلا تخرج إليهم، فإني سمعت أباك يقول في الكوفة: والله لقد مللتهم وأبغضتهم وملوني وأبغضوني، وما يكون منهم وفاء قط، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب، والله ما لهم نيات ولا عزم على أمر ولا صبر على سيف[1].

ومن أشار على الحسين بعدم الخروج من غير الصحابة: الفرزدق الشاعر، وذلك أنه بعد خروج الحسين لقي الفرزدق الشاعر، فقال له: من أين؟قال من العراق، قال: كيف حال أهل العراق؟قال: قلوبهم معك، وسيوفهم مع بني أمية. فأبى إلا أن يخرج وقال: الله المستعان[2].

وبلغ الحسين خبر مسلم بن عقيل عن طريق الرسول الذي أرسله عمر بن سعد، فهم الحسين أن يرجع فكلم أبناء مسلم بن عقيل، فقالوا: لا والله لا نرجع حتى نأخذ بثأر أبينا، فنزل على رأيهم، وبعد أن علم عبيد الله بن زياد بخروج الحسين أمر الحر بن يزيد التميمي أن يخرج بألف رجل مقدمة ليلقى الحسين في الطريق، فلقي الحسين قريبا من القادسية. فقال له الحر: إلى أين يا ابن بنت رسول الله؟! قال: إلى العراق. قال: فإني آمرك أن ترجع وأن لا يبتليني الله بك، ارجع من حيث أتيت أو اذهب إلى الشام إلى حيث يزيد لا تقدم إلى الكوفة. فأبى الحسين ذلك ثم جعل الحسين يسير جهة العراق، وصار الحر بن يزيد يعاكسه ويمنعه. فقال له الحسين: ابتعد عني ثكلتك أمك. فقال الحر بن يزيد: والله لو قالها غيرك من العرب لاقتصصت منه ومن أمه، ولكن ماذاأا أقول وأمك سيدة نساء العالمين[3].

هذه أقوال الصّحابة والتّابعين في موقفهم من خروج الحسين، وهذه فلسفتهم في هذه القضية، الهامّة، فهم لم يبايعوا يزيد لأنّهم يرونه أفضل من غيره من الصّحابة والتّابعين، ولكنهم فعلوا ذلك درءاً لمفسدة التّفرق والاختلاف بين المسلمين، ودليل ذلك ما رواه خليفة بن خياط وابن سعد،

(١) البداية والنهاية، ٨/ ١٦١ - ١٦٣، حقبة من التاريخ، ص ٢٣٤.
(٢) البداية والنهاية، ٨/ ١٦٨.
(٣) حقبة من التاريخ، ص ٢٣٦.

عن داود بن عبد الله الأودي ، عن حميد بن عبد الرحمن قال: دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حين استخلف يزيد بن معاوية ، فقال: أتقولون إن يزيد ليس بخير أمة محمد ، لا أفقه منها فقهاً ، ولا أعظمها فيها شرفاً؟ قلنا . نعم . قال: وأنا أقول ذلك ، ولكن - والله - لأن تجتمع أمة محمد أحب إليَّ من أن تفترق أرأيتم باباً لو دخل فيه أمة محمد وسعهم ، أكان يعجز عن رجل واحد لو دخل فيه؟ قلنا: لا . قال: أرأيتم لو أن أمّة محمد قال كل رجل منهم: لا أهريق دم أخي ، ولا آخذ ماله ، أكان هذا يسعهم؟ قلنا: نعم . قال: فذلك ما أقول لكم[1] .

ومن الملاحظ إجماع كل من نصح الحسين - حتى من لم ير بأساً برفضه البيعة - على أن لا يخرج للعراق ولا يثق في أهل الكوفة ، فقد كتب إليه المسور بن مخرمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأن لا يغتر بكتب أهل العراق ، ونصحه بأن لا يبرح الحرم فإن كانت لهم حاجة فسيضربون إليه آباط الإبل حتى يوافوه فيخرج في قوة وعدة[2] . ومما يلفت الانتباه - زيادة على إجماع الناصحين للحسين على خيانة أهل الكوفة ووجوب عدم الثقة بوعودهم - كذلك يلفت الانتباه إجماعهم في توقعهم لمقتل الحسين كما يبدو ذلك من أسفهم عليه وكلمات التوديع له . وما ذلك إلا دليل على معرفة أولئك الناصحين من العلماء بالأوضاع ، ووعيهم لما سبق من أحداث جرت إبان الفتنة بين علي ومعاوية عرفوا من خلالها الدوافع والأهواء التي تدفع ببعض الأقوام للاستفادة من إثارة الإحن ودوام الفتن .

واستمر في سيره حتى بلغ شراف وهناك أمر فتيانه أن يستقوا ويكثروا ، ثم سار حتى إذا كان منتصف النهار كبَّر رجل من أصحابه ، فقال الحسين: الله أكبر ما كبّرت؟ قال الرجل رأيت النخل ، فقال رجلان ، إن هذا المكان ما رأينا به نخلة قط فقال الحسين: فما تريانه رأى؟ قالا: نراه رأى هوادي الخيل فقال الرجل وأنا والله أرى ذلك . . وبالفعل كانت طلائع خيل ابن زياد عليها الحر بن يزيد وكان عددها ألف فارس وقد أدرك الحر بن يزيد

(١) الطبقات ، ٧/ ١٤٧ .
(٢) مختصر تاريخ دمشق ، ٧/ ١٤٠ .

الحسين ومن معه قريباً من شراف . ولما طلب منه الحسين الرجوع منعه وذكر له أنه مأمور بملازمته حتى الكوفة وقام الحسين وأخرج خرجين مملوءة بالكتب التي تطلب منه القدوم إلى الكوفة ، فأنكر الحر والذين معه أي علاقة لهم بهذه الكتب ، وهنا رفض الحسين الذهاب مع الحر إلى الكوفة وأصر على ذلك ، فاقترح عليه الحر أن يسلك طريقاً يجنبه الكوفة ولا يرجعه إلى المدينة ؛ وذلك من أجل أن يكتب الحر إلى ابن زياد بأمره ، وأن يكتب الحسين إلى يزيد بأمر . وبالفعل تياسر الحسين عن طريق العذيب والقادسية واتجه شمالاً على طريق الشام . وأخذ الحر يساير الحسين وينصحه بعدم المقاتلة ويذكّره بالله ، ويبيّن له أنه إذا قاتل فسوف يقتل ، وكان الحسين يصلي بالفريقين إذا حضرت الصلاة .

ولما وصل الحسين إلى كربلاء أدركته خيل عمر بن سعد ومعه شمر بن ذي الجوشن ، والحصين بن تميم ، وكان هذا الجيش الذي يقوده عمر بن سعد مكوناً من أربعة آلاف مقاتل وكان وجهة هذا الجيش في الأصل إلى الري لجهاد الديلم ، فلما طلب منه ابن زياد أن يذهب لمقاتلة الحسين رفض عمر بن سعد في البداية هذا الطلب ، ولكن ابن زياد هدده إن لم ينفذ أمره بالعزل وهدم داره وقتله ، وأمام هذا الخيار رضي بالموافقة[1] .

ولما وصل الحسين كربلاء أحاطت به الخيل ، ويطلق على المنطقة كلها اسم الطف . وبدأ الحسين بن علي بالتفاوض مع عمر بن سعد ، وبيّن الحسين أنه لم يأت إلى الكوفة إلا بطلب من أهلها . وأبرز لعمر بن سعد الدليل على ذلك ، واشار إلى حقيبتين كبيرتين تضمن أسماء المبايعين والداعين للحسين ، وكتب عمر بن سعد لابن زياد بما سمعه من الحسين وقال: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فإني حيث نزلت بالحسين بعثت إليه رسولي ، فسألته عما أقدمه وماذا يطلب ، فقال: كتب إلي أهل هذه البلاد وأتتني رسلهم ، فسألوني القدوم ففعلت ، فأما إذا كرهوني ، فبدا لهم غير ما أتتني به رسلهم فأنا منصرف عنهم . فلما قرئ على ابن زياد تمثل قول الشاعر:

الآن إذا علقت مخالبنا به ::: يرجو النجاة ولاة حين مناص

(١) تاريخ الطبري ، ٦/ ٣٣٥ .

ثـم كتب ابن زياد لعمر بن سعد: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فقد بلغـني كـتابك، وفهمـت ما ذكرت، فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد بن معاوية وجميع أصحابه فإذا فعل ذلك رأينا رأينا والسلام. ولما اطلع عمر بن سعد على جواب بن زياد ساءه ما يحمه الجواب من تعنت وصلف، وعرف أن ابن زياد لا يريد السلامة.

رفـض الحسين هذا العرض، ثم لما رأى جهامة الموقف وخطورته طلب مـن عمر بن سعد مقابلته، وعرض على عمر بن سعد عرضاً آخر يتمثل في إجابته واحدة من ثلاث نقاط.

أ - أن يتركوه فيرجع من حيث أتى.

ب - وإما أن يتركوه ليذهب إلى الشام فيضع يده في يد يزيد بن معاوية.

جـ - وإما أن يسيّروه إلى أي ثغر من ثغور المسلمين فيكون واحداً منهم له ما لهم وعليه ما عليهم.

وقد أكد الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ موافقته للذهاب إلى يزيد.

وكتب عمر بن سعد إلى ابن زياد بكتاب أظهر فيه أن هذا الموقف المتأزم قـد حُـلّ، وأن الـسلام قد أوشك، وما على ابن زياد إلا الموافقة. وبالفعل فقـد أوشـك ابـن زيـاد أن يوافق ويرسله إلى يزيد، لولا تدخل شمر بن ذي الجوشـن الذي كان جالساً في المجلس حين وصول الرسالة فقد اعترض على رأي ابن زياد في أن يرسله إلى يزيد، وبيّن لابن زياد أن الأمر الصائب هو أن يطلـب مـن الحـسين أن ينـزل علـى حكمه - أي ابن زياد - حتى يكون هو صاحب الأمر المتحكم فيه.

فلمـا وصـل الخـبر إلى الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رفض الطلب وقال: لا والله لا أنـزل علـى حكـم عبيد الله بن زياد أبداً، وقال لأصحابه الذين معه أنتم في حـل من طاعتي، ولكنهم أصرّوا على مصاحبته والمقاتلة معه حتى الشهادة، واتخذ ابن زياد إجراءً احترازياً حين خرج إلى النخيلة، واستعمل على الكوفة عمرو بن حريث، وضبط الجسر، ولم يترك أحداً يجوزه، وخاصة أنه علم أن بعض الأشخاص من الكوفة بدؤوا يتسللون من الكوفة إلى الحسين.

وفي صباح يوم الجمعة عام ٦١هـ نظم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أصحابه وعزم على القتال وكان معه اثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً، فجعل زهير بن القين في ميمنته وحبيب بن مظاهر في الميسرة، وأعطى رايته العباس بن علي، وجعل البيوت وراء ظهورهم، وأمر الحسن بحطب وقصب فجعله من وراء البيوت، وأشعل فيه النار مخافة أن يأتوهم من خلفهم. وأما عمر بن سعد فقد نظم جيشه، وجعل على الميمنة عمرو بن الحجاج الزبيدي - بدلاً من الحر بن يزيد الذي انضم إلى الحسين. وجعل على الميسرة شمر بن ذي الجوشن - وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي وعلى الرجال شبت بن ربعي الرياحي، وأعطى الراية ذويداً مولاه. وبدأت المعركة سريعة وكانت مبارزة في بداية الأمر، وجوبه جيش عمر بن سعد بمقاومة شديدة من قبل أصحاب الحسين، حيث أن مقاتلتهم اتسمت بالفدائية فلم يعد لهم أمل في الحياة، وكان الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البداية لم يشترك في القتال، وكان أصحابه يدافعون عنه ولما قتل أصحابه لم يجرؤ أحد على قتله، وكان جيش عمر بن سعد يتدافعون ويخشى كل فرد أن يبوء بقتله وتمنوا أن يستسلم، ولكن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يبد شيئاً من الليونة، بل كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقاتلهم بشجاعة نادرة، عندئذ خشي شمر بن ذي الجوشن من انفلات زمام الأمور فصاح بالجند وأمرهم بقتله، فحملوا عليه، وضربه زرعة بن شريك التميمي ثم طعنه سنان بن أنس النخعي واحتز رأسه، ويقال أن الذي قتله عمرو بن بطار التغلبي، وزيد بن رقاده الحيني، ويقال أن المتولي الإجهاز عليه شمر بن ذي الجوشن الضبي، وحمل رأسه إلى ابن زياد خولي بن يزيد الأصبحي، وكان قتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في محرم في العاشر منه سنة إحدى وستين[1]. وقتل مع الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اثنان وسبعون رجلاً، وقتل من أصحاب عمر ثمان وثمانون رجلاً[2]، وبعد انتهاء المعركة أمر عمر بن سعد بأن لا يدخل أحد على نساء الحسين وصبيانه، وأن لا يتعرض لهم أحد بسوء، وأرسل عمر بن سعد برأس الحسين ونساءه ومن كان معه الصبيان إلى ابن زياد[3].

(١) تاريخ الطبري، ٦/ ٣٢٥.
(٢) تاريخ الطبري، ٦/ ٣٢٥، الطبقات، ٥/ ٣٨٥.
(٣) تاريخ الطبري، ٦/ ٣٢٥.

وكان الذين قتلوا مع الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من آل أبي طالب ، فمن أولاد علي بن أبي طالب الحسين نفسه ، وجعفر والعباس وأبو بكر ومحمد وعثمان ، ومن أولاد الحسين: علي لأكبر غير عليّ زين العابدين لأنه كان عنده علي الأصغر وعلي الأكبر وعبد الله . ومن أبناء أبناء الحسن قتل عبد الله والقاسم وأبو بكر . ومن أولاد عقيل قتل جعفر وعبد الله وعبد الرحمن ومسلم بن عقيل قتل بالكوفة وعبد الله بن مسلم . ومن أولاد عبد الله بن جعفر: قتل عون ومحمد ، ثمانية عشر رجلاً كلهم من بيت رسول الله قد قتلوا في هذه المعركة غير المتكافئة ، والعجيب في هذه أن ممن قتل بين يدي الحسين بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أبو بكر بن علي وعثمان بن علي وأبو بكر بن الحسن ولا تجد لهم ذكراً عندما تسمع أشرطة الشيعة وتقرأ كتبهم التي ألفت في مقتل الحسين حتى لا يقال إن علي بن أبي طالب سمي أولاده بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان ، أو أن الحسن سمي على اسم أبي بكر وهذا أمر عجيب جداً منهم . وعن أنس قال: ولما أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكث بالقضيب ثناياه يقول: لقد كان - أحسبه جميلاً . فقلت والله لأسوءنّك إني رأيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلثم[1] حيث يقع قضيبك . قال: فانقبض[2] .

وفي رواية البخاري عن أنس قال: أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين فجعله في طست ، فجعل ينكث عليه وقال في حسنه شيئاً فقال أنس: إنه كان أشبههم برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان مخضوباً بالوسمة[3] . ولما وصل نساء الحسين وصبيانه صنع بهما ابن زياد أن أمر لهم بمنزل في مكان معتزل فأجرى عليهم الرزق ، وأمر لهن بالكسوة والنفقة[4] .

وتذكر بعض الروايات التي لها ميول شيعية أن ابن زياد أمر بقتل كل من أنبت ، ولعل مما يظهر كذب هذه الروايات حينما تذكر أن علي بن الحسين كشفوا عنه فوجوده قد أنبت ، فأمر ابن زياد بقتله ولكن شفاعة أخته

(١) يلثم: يقبل .
(٢) مسند أبي يعلي رقم ٣٩٨١ .
(٣) البخاري رقم ٣٧٤٨ .
(٤) أنساب الأشراف ، ٣/٢٢٦ ، إسناد صحيح .

زينب وتعلقها به حالت دون قتله، وليس صحيحاً كذلك أن ابن زياد قد أساء معاملة نساء الحسين بعد قتله، أو في ترحيله لهن إلى الشام، فالروايات التاريخية تخبرنا أن أحسن شيء صنعه ابن زياد أنه أمر لهن بمنزل في مكان معتزل، وأجرى عليهن رزقاً، وأمر لهن بنفقة وكسوة، ويقول ابن تيمية في رده على بعض كذابي الشيعة: وأما ما ذكره من سبي نسائه والدوران بهن على البلدان وحملهن على الجمال بغير أقتاب، فهذا كذب، وباطل وماسبى المسلمون - ولله الحمد - هاشمية قط، ولا استحلت أمة محمد ﷺ هاشمية قط، ولكن أهل الهوى والجهل يكذبون كثيراً. بل المرجح أن ابن زياد بعد أن ذهبت عنه نشوة النصر، أحس فداحة خطئه وكان ذلك الشعور هو المسيطر على بعض أفراد أسرته القريبين منه، فقد كانت أمه تقول له: ويلك ماذا صنعت، أو ماذا ركبت. وكان أخوه عثمان بن زياد يقول: لوددت والله أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة، وأن حسيناً لم يقتل: فلا ينكر عليه عبيد الله قوله[1].

وكانت هناك مواقف رائعة هزت مشاعرنا وقد سطر التاريخ هذه المواقف لأصحابها لكي يتبين للناس أن في كل زمان شخصيات تقف إلى جوار الرجال تقديراً لمقامهم، ورعاية لحرمتهم، وإظهاراً للحق في مقارنة الرجال إذا واجه بعضهم بعضاً، فهم يقدرون الرجال لمكانتهم الاجتماعية ويفضلونهم على غيرهم، لما يتصفون به من العلم والشجاعة والتقوى ولو كان غيرهم هم الحكام والأمراء، فلا الخوف من الحاكم ينسيهم قدر الرجال، ولا ظلم الحكام ينحرف بهم إلى النفاق والمجاملة، ولا المناصب التي يشغلونها تلهيهم عما يجب أن يكونوا عليه من الصراحة والشجاعة الأدبية) ومن هذه المواقف موقف الوليد بن عتبة بن أبي سفيان رحمه الله فقد امتنع عن استخدام الشدة والقسوة مع الحسين وإلزامه بالقوة أو قتله وقال: .. والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسيناً سبحان الله، أقتل حسيناً أن قال: لا أبايع والله

(١) الكامل في التاريخ، ٢/ ٥٨٢، نقلا عن، استشهاد الحسين، ص ٨٩.

إني لأظن أمرأً يحاسب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة[1] .

وهكذا يقف الوليد هذا الموقف الرائع ، وهو أمير المدينة يومئذ ، وهو يعلم تماماً أن ذلك الموقف سيؤدي لا محالة إلى عزله عن إمارة المدينة ، بل قد يزيد على ذلك ، فيؤدي إلى قتله وهلاكه ، وهو مع هذا يفضل هلاك الدنيا وزوال الملك والسلطان ، على أن يلقى الله بدم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وموقف النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وكان أمير الكوفة فإنه بلغه خروج الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ووصول مسلم بن عقيل إلى الكوفة يأخذ البيعة للحسين ، قام فخطب في الناس وحذرهم الخروج على الإمام وأرهبهم من السعي في الفتنة ، وذكرهم بما يجره على العامة والخاصة من الخراب والدمار ومع ذلك كان ليناً مع الناس ، وأخبرهم أنه لن يأخذ أحداً بظنه ، ولن يقاتل أحداً لم يقاتله ، ولكن شدد في نهاية الخطبة ، وقال للناس: ولكنكم إن أبديتم صفحتكم لي ، ونكثتم بيعتكم ، وخالفتم إمامكم ، فوالله الذي لا إله غيره ، لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ، ولو لم يكن لي منكم ناصر ومع هذا فقد عاب عليه محبو الأمويين هذا اموقف ووسموه بالضعف ، وقالوا: إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين فقال: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن أكون من المستضعفين في طاعة الله ، أحب إلي من أن أكون من الأعزِّين في معصية الله[2] .

وموقف الحر بن يزيد رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو أول من لقي الحسين في جيش الكوفة ، وهو الذي حال بينه وبين الرجوع إلى المكان الذي أتى منه ، ولكنه مع ذلك كان نبيلاً في معاملته للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد قال له: أنا لم أؤمر بقتالك ، ولكني أمرت أن أخرج بك إلى الكوفة إن وجدتك ، ولكني أقول لك: اختر مكاناً لا يؤدي بك إلى الكوفة ولا يعود بك إلى المدينة ، ثم أكتب بعد ذلك إلى يزيد بن معاوية أو إلى ابن زياد إن شئت ولم يكد يصل الجيش وعلى رأسه عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وتواجه كلا الفريقين ، وتأكد الحرّ أن الحرب دائرة بينهما لا محالة ، قل الحر لعمر بن سعد: أصلحك الله!

(١) تاريخ الطبري ، ٦/ ٣٥٩ .
(٢) تاريخ الطبري ، ٦/ ٢٧٧ .

أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال عمر: إي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي عندئذ ضرب الحر فرسه، وانطلق به نحو الحسين، وانضم إلى جماعته، ثم قال: يا أهل الكوفة، لأمكم الهَبل، أدعوتم الحسين إليكم حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتوه، ومنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة الوسيعة التي لا يمنع فيها الكلب والخنزير وحلتم بينه وبين الماء الفرات الجاري الذي يشرب منه الكلب والخنزير، وقد صرعهم العطش؟ بئس ما خلفتم محمداً في ذريته، لا أسقاكم الله يوم الظمأ الأكبر إن لم تتوبوا وتتراجعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه واعتذر الحر عن موقفه الأول من الحسين وقبل الحسين عذره، فلما لامه بعض أصحابه عن الذهاب إلى الحسين قال: والله إني لأخير نفسي بين الجنة والنار، ووالله لا أختار على الجنة غيرها ولو قطعت وحرّقت[1].

ن الحر بن يزيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ غير موقفه من الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد أن جنح الحسين إلى السلم، ورأى أن موقفه ضده ليس فيه إنصاف ولا عدل، إذ كيف يقاتل رجلاً يدعو إلى السلم، ويطلبه، ويمد يده إلى عدوه ليصالحه، إن الرجولة تقتضي أن يكون الموقف مع هذا المسالم موقف العون وشد الأزر، وإن لعقل يحكم بأن الحق مع من يطلب السلم وينشده والحر يعلم أن الوقوف مع حسين والميل إليه ليس له معنى إلا الموت، ولكنه اختار الموت الذي يوصل إلى الجنة.

موقف النّوار بنت مالك الحضرمية: وهي امرأة خوليّ بن يزيد الذي بعثه عمر بن سعد برأس الحسين إلى عبيد الله بن زياد، فلما بلغ خولي الكوفة قصد القصر، فوجد بابه مغلقاً، فتوجه بالرأس الشريف إلى بيته، فوضعه هناك تحت إجّانة - والإجانة إناء تغسل فيه الثياب - ثم دخل على زوجته، وآوى إلى فراشه فقالت له زوجته: ما الخبر عندك؟ قال: جئتك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار، فقالت: ويلك جاء الناس بالذهب والفضة، وجئت برأس ابن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! لا والله لا

(١) تاريخ الطبري، ٦/٣٥٦.

يجمع رأسي ورأسك بيت أبداً[1].

ثم كتب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية يخبره بما حدث ويستشيره في شأن أبناء الحسين ونسائه فلما بلغ الخبر يزيد بن معاوية بكى وقال: كنت أرضى من طاعتكم - أي أهل العراق - بدون قتل الحسين، كذلك عاقبة البغي والعقوق لعن الله ابن مرجانة لقد وجده بعيد الرحم منه، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين، وفي رواية أنه قال: . . أما والله لو كنت صاحبه، ثم لم أقدر على دفع القتل عنه إلا ببعض عمري لأحببت أن أدفعه عنه، فجاء رد يزيد على ابن زياد يأمره بإرسال الأسارى إليه، وبادر ذكوان أبو خالد فأعطاهم عشرة آلاف درهم فتجهزوا بها، ومن هنا يعلم أن ابن زياد لم يحمل آل الحسين بشكل مؤلم أو أنه حملهم مغللين، كما ورد في بعض الروايات، وقد مر معنا كيف أن ابن زياد قد أمر للأسارى بمنزل منعزل وأجرى عليهم الرزق والنفقة وكساهم[2].

وتذكر رواية عوانة أن محفز بن ثعلبة هو الذي قدم بأبناء الحسين على يزيد، ولما دخل أبناء الحسين على يزيد قالت فاطمة بنت الحسين: يا يزيد: أبنات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبايا؟ قال: بل حرائر كرام، أدخلي على بنات عمك تجديهن قد فعلن ما فعلت. قالت فاطمة: فدخلت إليهن فما وجدت فيهن سفيانية إلا ملتزمة تبكي. وعندما دخل علي بن الحسين قال يزيد: إن أباك قطع رحمي وظلمني فصنع الله به ما رأيت - وكان علي بن الحسين في معركة كربلاء لم يشترك بسبب المرض الذي كان ملازمه، وكان أثناء احتدام المعركة طريح الفراش فحمل إلى ابن زياد مع بقية الصبيان والنساء - فرد علي بن الحسين على يزيد: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]. ثم طلب يزيد من ابنه خالد أن يجيبه، فلم يدر خالد ما يقول فقال يزيد: قل له: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

---

(١) تاريخ الطبري، ٦/ ٣٨٥.
(٢) استشهاد الحسين، ص ١٢٩.

وتحاول بعض الروايات ذات النزعات والميول الشيعية أن تصور أبناء الحسين وبناته وكأنهن في مزاد علني، جعل أحد أهل الشام يطلب من يزيد أن يعطيه إحدى بنات الحسين . فهذا من الكذب البين الذي لم يدعمه سند صحيح، ثم أنها مغايرة لما ثبت من إكرام يزيد لآل الحسين، ثم إن يزيد لم يستعرض النساء ويجعلهن عرضة للجمهور من أراد فليختار ما يشاء . وأرسل يزيد إلى كل امرأة من الهاشميات يسأل عن كل ما أخذ منهن، وكل امرأة تدعى شيئاً بالغاً ما بلغ إلا أضعفه لهن في العطية، وكان يزيد لا يتغذى ولا يتعشى إلا دعا علي بن الحسين . وذُكر إن رأس الحسين أرسل إلى يزيد فهذا لم يثبت، بل إن رأس الحسين بقي عند عبيد الله في الكوفة[1] .

ويبعث يزيد إلى المدينة فقدم عليه ذوي السن من موالي بني هاشم ومن موالي بني علي، وبعد أن وصل الموالي أمر يزيد بنساء الحسين وبناته أن يتجهزن، وأعطاهن كل ما طلبن حتى لم يدع لهن حاجة بالمدينة إلا أمر بها، ثم أمر النعمان بن بشير أن يقوم بتجهيزهن، وقبل أن يغادروا قال يزيد لعلي بن الحسين إن أحببت أن تقيم عندنا فصل رحمك وتعرف لك حقك فعلت . ولكن علي بن الحسين اختار الرجوع إلى المدينة، وأكرم أبناء الحسين وخيّرهم بين المقام عنده والذهاب إلى المدينة فاختاروا الرجوع إلى المدينة، وعند مغادرتهم دمشق كرّر يزيد الاعتذار من علي بن الحسين وقال: لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أني صاحبه ما سألني خصلة أبداً إلا أعطيتها إياه، ولدفعت عنه الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي ولكن الله قضى ما رأيت، كاتبني بكل حاجة تكون لك .

وأمر يزيد بأن يرافق ذرية الحسين وفد من موالي بني سفيان، وكان عددهم ثلاثين فارساً، وأمر المصاحبين لهم أن ينزلوا حيث شاءوا ومتى شاءوا وبعث معهم أيضاً محرز بن حريث الكلبي ورجل من بهرا، وكانا من أفاضل أهل الشام وخرج آل الحسين من دمشق محفوفين بأسباب الاحترام والتقدير حتى وصلوا إلى المدينة .

قال ابن كثير في يزيد: وأكرم آل بيت الحسين ورد عليهم جميع ما فقد

(١) حقبة التاريخ، ص١٤١ .

لهم وأضعفه، وردهم إلى المدينة في محامل وأبهة عظيمة، وقد ناح أهله على الحسين[1].

والحقيقة أن المسؤول عن قتل الحسين أطراف متعددة منها:

١ - أهل الكوفة:

إن أهل الكوفة هم الذين كاتبوا الحسين بن علي وهو في المدينة ومنّوه بالخروج حتى خرج إليهم بالرغم من تحذيرات الصحابة له بعدم الخروج ولما عين ابن زياد أميراً على الكوفة تأخر الناس عن نصرة الحسين وعن تأييده بل وانخرطوا في الجيش الذي حاربه وقتله، ولذا عبّر الحافظ ابن حجر عن موقف أهل الكوفة من الحسين بقوله فخُذِل غالب الناس عنه فتأخروا رغبة ورهبة، ولما تقابل الحسن ومن معه مع جند الكوفة نادى الحسين زعماء أهل الكوفة قائلاً لهم: يا شبث بن ربعي، وياحجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلى أنه قد أينعت الثمار، واخضر الجناب، وطمت الجمام، وإنما تقدم على جند لك مجند، فأقبل. قالوا: لم نفعل، فقال سبحان الله بلى والله لقد فعلتم ثم قال: أيها الناس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني. وبالنظر إلى أقوال الصحابة - رضوان الله عليهم - فإن الاتهام موجه إلى أهل العراق، وذلك في المسؤولية المتعلقة بقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهذه أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما جاء نعي الحسين بن علي لعنت أهل العراق وقالت: قتلوه قتلهم الله عز وجل غروه ودلوه لعنهم الله. وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول لوفد من أهل العراق حينما سألوه عن دم البعوض في الإحرام فقال: عجب لكم يا أهل العراق تقتلون ابن بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتسألون عن دم البعوض. ويقول البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق: روافض الكوفة موصوفون بالغدر والبخل، وقد سار المثل بهم فيها، حتى قيل أبخل من كوفي، وأغدر من كوفي.

إن جزءاً كبيراً من المسؤولية يقع على أهل الكوفة، الذين جبنوا ونقضوا عهودهم.

---

(١) البداية والنهاية، ٨/ ١٦٨.

٢ – عبيد الله بن زياد:

استمد عبيد الله جبروته وبطشه بالمعارضين من موافقة الخليفة يزيد بن معاوية، فعندما أقدم على قتل مسلم بن عقيل النائب الأول عن الحسين بالكوفة، وداعيته هانيء بن عروة الزعيم لقبيلة مراد المشهورة، استحسن يزيد هذا الفعل ولم يعترض عليه بل إنه لم يخف إعجابه به وببطشه وعسفه، فقد قال في ردّه على رسالته: أما بعد فإنك لم تعد إن كنت كما أحببت، عملت عمل الحازم، وصلت صولت الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيت وكفيت، وصدقت ظني بك، ورأي فيك[1].

فهذا التشيع دفع ابن زياد للشر أكثر خصوصاً وأن نفسه كانت ميالة للشر بطبيعتها، متطلعة إلى الغلو في مسيرتها، متعطشة إلى الدماء في سلطانها، وإلا فماذا كان عليه لو أنه نهر شمر وعنفه وردعه على قوله، واستمر في قبول خطة السلم التي عرضها الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. إن النفوس الدنية التي ارتفعت بعد انحطاط، وعزت بعد ذل، وتمكنت بعد حرمان، يعزّ عليها أن ترى الشرفاء الأمجاد، يتمتعون باحترام الناس وتقديرهم فتحاول أن تضع من مكانتهم، وتحط من منزلتهم إشباعاً لعقدة النقص التي تطاردهم في حياتهم، ولم يكن ابن زياد إلا واحداً من أصحاب هذه النفوس الدنية، فمن ابن زياد هذا – مهما كانت منزلته – إذا قورن بالحسين بن علي – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – لهذا رفض الحسين أن يضع يده في يد ابن زياد، وقال: لا أعطيهم بيدي إعطاء العبد الذليل، وقال عمر بن سعد لما وصله كتاب ابن زياد: لا يستسلم والله الحسين، إن نفساً أبية لبين جنبيه، لقد كان عبيد الله بن زياد والياً ظالماً قبيح السريرة وهو الذي دخل عليه – عائذ بن عمرو المزني، وكان من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لعبيد الله: أي بني: إني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن شر الرِّعاء الحُطمة فإياك أن تكون منهم**»، فقال له، اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: هل كانت لهم نخالة[2]؟ إنما كانت النخالة بعدهم، وفي

(١) تاريخ الطبري، ٦/ ٣٤٢.
(٢) نخالة: ما بقي في المنخل مما ينخل.

غيرهم[1] .

لقد كان يتوجب على ابن زياد أن يلبي مطالب الحسين ، وأن يتركه يذهب إلى يزيد ، أو أي مكان آخر ، خاصة أنه لن يدخل الكوفة ، وقد قال ابن الصلاح في فتاويه: والمحفوظ أن الآمر بقتاله المفضي إلى قتله إنما هو ابن زياد ، وقال يوسف العش: وينبغي لنا أن نقول أن المسؤول عن قتل الحسين هو أولاً شمر ، وثانياً عبيد الله بن زياد .

والصحيح أن المسئولية الأولى والإثم الأكبر في هذه المذبحة تقع على عاتق ابن زياد لأنه مدبر هذا الأمر كله وهو الذي رفض عروض الحسين ، والتاريخ يستنكر كل ما فعله ، ويذمه أشد الذم ، ويدمغه بالبغي والطغيان . ويقول الذهبي في نهاية ترجمة عبيد الله: الشيعي لا يطيب عيشه حتى يلعن هذا ودونه ، ونحن نبغضهم في الله ، ونبرأ منهم ولا نلعنهم وأمرهم إلى الله[2] .

٣ - عمر بن سعد بن أبي وقاص قائد الجيش:

ومن المسؤولين على قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائد جيشه عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وبئس الخلف للسلف أو الابن لأبيه ثم الجنود الذين نفذوا أوامرهم في غيرما رحمة وكان لهم مندوحة أن ينأوا عن ذلك ، أو ينضموا إلى جانب الحسين ، كما فعل الحر بن يزيد التميمي القائد الأول الذي أرسله بن زياد ، ثم رأى أن ابن زياد وصحبه اعتدوا وطغوا حين رفضوا عروض الحسين المنصفة ، فتحول إلى معسكر الحسين وقاتل معه حتى قتل شهيداً .

إن عمر بن سعد لم يخرج ابتداءً لقتال الحسين ، ولكنه كان خارجاً لقتال الديلم في أربعة آلاف مقاتل ، فلما بلغ ابن زياد أمر حسين سيره إليه ، وقال له: قاتل حسيناً فإذا انتهيت فانصرف إلى الديلم ، وكان قد ولاه إمارة الرَّيّ واستعفى عمر بن زياد من قتال الحسين ، ولكن ابن زياد هدده بخلعه عن إمارة الرّي فتراجع عمر ، وقال له: حتى أنظر ، وأخذ يستشير الناس ،

(١) البخاري رقم ٧١٥٠ .

(٢) استشهاد الحسين ، ص ١٤٠ .

وكلهم نصحوه بعدم الخروج إلى الحسين، وقال له ابن أخته - حمزة بن المغيرة بن شعبة -: أنشدك الله يا خال أن تسير إلى الحسين فتأثم بربك، وتقصع رحمك فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلها لو كان لك، خير لك من تلقى الله بدم الحسين. فقال عمر بن سعد: فإني أفعل إن شاء الله وبرغم نصح الناصحين، وترهيب المرهبين، إلا أن نفس ابن سعد كانت متعلقة بالدنيا وحب الإمارة ومشغولة بالمنصب وتقلد الإدارة.. والحق يقال: إنه اجتهد في محاولة إيجاد مخرج يبتعد منه عن قتال الحسين ومن معه، ولكنه لم يوفق في شيء.

إن النفوس المتطلعة إلى الدنيا، تنسى في سبيلها شهامة الرجال، ومروءة الكرام بل تنسى ما هو أعظم من ذلك موقفها بين يدي الله عز وجل، وأنها ستحاسب على كل عمل تعمله، بل تنسى بديهيات الأمور، حيث تنسى فناء الدنيا، وزوال المنصب، وضياع الجاه والسلطان، لقد كان عمر بن سعد في غنى عن أن يقرن اسمه بأسماء الخونة الغادرين، وأن يسجل في سجل المعتدين الآثمين، لو أنه ضحى بالمنصب، وقبل طاعة الله ورسوله، ولو أنه فعل ما فاته شيء مما كتب له من متاع الدنيا، ولكان عند الله من الأبرار الصالحين[1].

٤ - يزيد بن معاوية:

وأما يزيد، فظاهر الأمر أنه كره قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحاول أن يمنعه من الخروج، فكتب إلى ابن عباس، يسأله أن يكف الحسين عن الخروج وحين وضعت الرأس الشريفة بين يديه وقال: لعن الله ابن مرجانة كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه. وهذا البكاء على الحسين، وسب ابن مرجانة لا يرفع اللوم عن يزيد، ولا يخليه من تبعة قتل الحسين وأصحابه، ذلك لأنه كان قادراً على أن يوجه أوامر صريحة لابن زياد بعدم قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والتصرف معه بكل حكمة وتعقل، حفظاً لرحمه وقرابته من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومكانته في قلوب المسلمين.

(١) استشهاد الحسين، ص ١٤٠.

.. إن تحمل يزيد لمسؤولية قتل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قائمة كيف وقد قتل في خلافته وعلى أرض تسيطر عليها جيوشه، وقد كان أمير المؤمنين - عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - يحمّل نفسه مسؤولية بغلة عثرة في العراق أو في الشام، لم يسو لها الطريق، فكيف إذا كان القتلة هم جند أمير المؤمنين؟ إن مقتل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سيظل وصمة عار ونقطة سوداء في عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان[1].

وافترق الناس في يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثلاث فرق طرفان ووسط، فأحد الطرفين قالوا: إنه كان كافراً منافقاً، وأنه سعى في قتل سبط رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تشفياً من رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وانتقاماً منه، وأخذاً بثأر جده عتبة وأخي جده شيبة، وخاله الوليد بن عتبة، وغيرهم ممن قتلهم أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بيد علي بن أبي طالب وغيره يوم بدر، وقالوا: تلك أحقاد بدرية، وآثار جاهلية وأنشدوا عنه:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت ::: تلك الرؤوس على ربي جيروني

نعق الغراب، فقلت نح أولاً تنح ::: فلقد قضيت من النبي ديوني

وقالوا: إنه تمثل بشعر ابن الزِّبعري الذي أنشده يوم أحد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ::: جزع الخزرج من وقع الأسل

قد قتلنا الكثير من أشياخهم ::: وعدلناه ببدر فاعتدل

وأشياء من هذا النمط وهذا القول سهل على الرافضة الذين يكفرون أبا بكر، وعمر، وعثمان، فتكفير يزيد أسهل.

والطرف الثاني: يظنون أنه كان رجلاً صالحاً وإمام عدل، وأنه كان من الصحابة الذين ولدوا على عهد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وحمله على يديه وبرّك عليه، وربما فضله بعضهم على أبي بكر وعمر، وربما جعله بعضهم نبياً، ويقولون عن الشيخ عدي أو حسن المقتول - كذباً عليه - إن سبعين ولياً صرفت وجوههم عن القبلة لتوقفهم في يزيد، وهذا قول غالية العدوية .. ونحوهم من الضلال، فإن الشيخ عدياً كان من بني أمية وكان رجلاً صالحاً

(١) استشهاد الحسين، ص ١٤١.

عابداً فاضلاً، ولم يحفظ عنه أنه دعاهم إلا إلى السنة التي يقولها غيره كالشيخ أبي الفرج المقدسي، فإن عقيدته موافقة لعقيدته، لكن زادوا في السنة أشياء كذب وضلال، من الأحاديث الموضوعة، والتشبيه الباطل، والغلو في الشيخ عدي وفي يزيد، والغلو في ذم الرافضة، بأنه لا تقبل لهم توبة وأشياء أخر. وكلا القولين ظاهر البطلان عند من له أدنى عقل وعلم بالأمور وسير المتقدمين، ولهذا لا ينسب إلى أحد من أهل العلم المعروفين بالسنة، ولا إلى ذي عقل من العقلاء الذين لهم رأي وخبرة.

والقول الثالث: أنه كان ملكاً من ملوك المسلمين، له حسنات وسيئات، ولم يكن كافراً، ولكن جرى بسببه ما جرى من مصرع الحسين، وفعل ما فعل بأهل الحرة، ولم يكن صاحباً ولا من أولياء الله الصالحين، وهذا قول عامة أهل العقل والعلم والسنة والجماعة. ثم افترقوا ثلاث فرق: فرقة لعنته، وفرقة أحبته، وفرقة لا تسبه ولا تحبه، وهذا هو المنصوص عن الإمام أحمد وعليه المقتصدون من أصحابه وغيرهم من جميع المسلمين. قال صالح بن أحمد: قلت لأبي: إن قوماً يقولون: إنهم يحبون يزيد، فقال: يا بني، وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟ فقلت: يا ابت، فلماذا لا تلعنه؟ فقال: يا بني، ومتى رأيت أباك يلعن أحداً. وقال منها: سألت أحمد عن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. فقال: هو الذي فعل بالمدينة ما فعل قلت: وما فعل؟ قال: قتل من أصحاب رسول الله ﷺ وفعل. قلت: وما فعل؟ قال: نهبها. قلت: فيذكر عنه الحديث؟ لا يذكر عنه حديث. وهكذا ذكر القاضي أبو يعلي وغيره، وقال أبو محمد المقدسي لما سئل عن يزيد: فيما بلغني لا يُسَبّ ولا يُحَبّ وقال ابن تيمية: وبلغني - أيضاً - أن جدنا أبا عبد الله بن تيمية سئل عن يزيد. فقال: لا تنقص ولا تزيد. وهذا أعدل الأقوال فيه وفي أمثاله وأحسنها وأما ترك سبه ولعنته فبناء على أنه لم يثبت فسقه الذي يقتضي لعنه، أو بناء على أن الفاسق المعين لا يلعن بخصوصه، إما تحريماً، وإما تنزيهاً. فقد ثبت في صحيح البخاري عن عمر في قصة (حمار) الذي تكرر منه شرب الخمر وجلده لما لعنه بعض الصحابة قال النبي

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «ولا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله»[1] . وقال: «لعنُ المؤمن كقتله»[2] هذا مع أنه قد ثبت عن لنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعن عموماً شارب الخمر ونهى في الحديث الصحيح عن لعن هذا المعين وهذا كما أن نصوص الوعيد عامة في أكل أموال اليتامى ، والزاني والسارق ، فلا نشهد بها عامة على معين بأنه من أصحاب النار ، لجواز تخلف المقتضَى عن المقتضي لمعارض راجع: إما توبة ، وإما حسنات ماهية ، وإما مصائب مكفرة وإما شفاعة مقبولة وإما غير ذلك[3] .

ومن اللاعنين من يرى أن ترك لعنته مثل ترك سائر المباحات من فضول القول ، لا لكراهة في اللعنة ، وأما ترك محبته ، فلأن المحبة الخاصة إنما تكون للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وليس واحداً منهم ، وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «المرء مع من أحب[4]، ومن آمن بالله واليوم والآخر» ، لا يختار أن يكون مع يزيد ولا مع أمثاله من الملوك ، الذين ليسوا بعادلين . ولترك المحبة مأخذان: أحدهما: أنه لم يصدر عنه من الأعمال الصالحة ما يوجب محبته ، فبقي واحداً من الملوك المسلطين ومحبة أشخاص هذا النوع ليست مشروعة ، وهذا المأخذ ومأخذ من لم يثبت عنده فسقة أعتقد تأويلاً . والثاني: أنه صدر عنه ما يقتضي ظلمه وفسقه في سيرته من أمر الحسين وأمر أهل الحرة[5] .

وأما الذين لعنوه من العلماء كأبي الفرج الجوزي ، والكيا لهراسي وغيرهما ، فلما صدر عنه من الأفعال التي تبيح لعنته ، ثم قد يقولون: هو فاسق ، وكل فاسق يلعن ، وقد يقولون بلعن صاحب المعصية وإن لم يحكم بفسقة ، . . وقد يلعن لخصوص ذنوبه الكبار ، وإن كان لا يلعن سائر الفساق ، كما لعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنواعاً من أهل المعاصي ،

(١) البخاري رقم ٦٧٨٠ .
(٢) البخاري ٦٦٥٢ . ١٤٠ .
(٣) الفتاوى ، ٤/ ٢٩٦ .
(٤) البخاري رقم ٦١٦٩ .
(٥) الفتاوى ، ٤/ ٢٩٦ .

وأشخاصاً من العصاة وإن لم يلعن جميعهم فهذه ثلاثة مآخذ للعنته[1].

وأما الذين سوغوا محبته أو أحبوه، كالغزالي، والدستي فلهم مأخذان: أحدهما: أنه مسلم ولي أمر الأمة على عهد الصحابة وتابعه بقاياهم، وكانت فيه خصال محمودة وكان متأولاً فيما ينكر عليه من أمر الحرة وغيره، فيقولون: هو مجتهد مخطيء، ويقولون: إن أهل الحرة هم نقضوا بيعته أولاً وأنكر ذلك عليهم ابن عمر وغيره، وأما قتل الحسين فلم يأمر به ولم يرض به، بل ظهر منه التألم لقتله، وذم من قتله، ولم يحمل الرأس إليه، وإنما حمل إلى ابن زياد. والمأخذ الثاني: أنه قد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عمر، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له**»[2]. وأول جيش غزاها كان أميره يزيد. والتحقيق أن هذين القولين يسوغ فيهما الاجتهاد، وكذلك محبة من يعمل حسنات وسيئات، بل لا يتنافى عندنا أن يجتمع في الرجل الحمد والذم، والثواب والعقاب، كذلك لا يتنافى أن يصلى عليه ويدعى له وأن يلعن ويشتم أيضاً باعتبار وجهين. فإن أهل السنة متفقون على أن فساق أهل الملة - وإن دخلوا النار، أو استحقوا دخولها فإنهم - لا بد أن يدخلوا الجنة، فيجتمع فيهم الثواب والعقاب، ولكن الخوارج والمعتزلة تنكر ذلك، وترى أن من استحق الثواب لا يستحق العقاب ومن استحق العقاب لا يستحق الثواب[3]. وأما جواز الدعاء للرجل وعليه.. فإن موتى المسلمين يُصلي عليهم، برهم وفاجرهم، وإن لعن الفاجر مع ذلك بعينه أو بنوعه، لكن الحال الأول أوسط وأعدل، وبذلك أجاب ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ مقدم المغول بولاي، لما قدموا دمشق في الفتنة الكبيرة وجرت بينهما وبين غيره مخطابات، فسأل ابن تيمية: ما تقولون في يزيد؟ فقال: لا نسبه ولا نحبه، فإنه لم يكن رجلاً صالحاً فنحبه ونحن لا نسب أحداً من المسلمين بعينه فقال أفلا تلعنونه؟ أما كان ظالماً؟ أما قتل الحسين؟ فقلت له: نحن إذا ذكر الظالمون - كالحجاج بن يوسف وأمثاله - نقول كما قال الله في القرآن: ﴿**ألا لعنة الله على الظالمين**﴾ [هود: ١٨] ولا

(١) الفتاوى، ٤/ ٢٩٧.
(٢) البخاري رقم ٢٩٢٤.
(٣) الفتاوى، ٤/ ٢٩٧.

نحب أن نعلن أحد بعينه، وقد لعنه قوم من العلماء، وهذا مذهب يسوغ فيه الاجتهاد، لكن هذا القول أحب إلينا وأحسن وأما من قتل الحسين أو أعان على قتله، أو رضي بذلك، فعليه لعنة الله والملائكة والناس، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. قال: فما تحبون أهل البيت؟ قلت محبتهم عندنا فرض واجب يؤجر عليه، فإنه قد ثبت عندنا في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال: خطبنا رسول الله ﷺ بغدير يدعى خما، بين مكة والمدينة فقال: **«أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله. فذكر كتاب الله وحض عليه، ثم قال: وعترتي أهل بيتي»** [1].

قال ابن تيمية لمقدم المغول: ونحن نقول في صلاتنا كل يوم: اللهم صلى على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد. قال مقدم المغول: فمن يبغض أهل البيت؟ قال: من أبغضهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. ثم قال ابن تيمية للوزير المغولي: لأي شيء قال عن يزيد وهذا تتري؟ قال: قد قالوا له: إن أهل دمشق نواصب، قال ابن تيمية بصوت عال: يكذب الذي قال هذا، ومن قال هذا، فعليه لعنة الله، والله ما في أهى دمشق نواصب، وما علمت فيهم ناصبيا ولو تنقص أحد علياً بدمشق قام المسلمون عليه وعلينا أن نعرف أن لعن يزيد لم ينتشر إلا بعد أن قامت الدولة العباسية وأفسحت المجال للنيل من بني أمية، وأما الحديث الذي ورد مرفوعاً: **«لا يزال أمر أمتي قائماً، حتى يثلمه رجل من بني أمية يقال له: يزيد»**، فهو حديث غير صحيح، لأن فيه أكثر من علة[2]، فقد رواه أبويعلي في مسنده من طريق صدقة السمين، عن هشام، عن مكحول عن أبي عبيدة مرفوعاً وفيه علتان.

أ - ضعف صدقة السمين، وهو أبو معاوية، صدقة بن عبد الله السمين، الدمشقي، ضعفه ابن معين والبخاري وأبو زرعة والنسائي، وقال أحمد ما كان من حديثه مرفوعاً فهو منكر، وما كان من حديثه مرسلاً عن

(١) مسند أحمد، ٤/ ٣٦٧.
(٢) مسند أبو يعلي رقم٨٧٠، استشهاد الحسين، ص ١٥٠.

مكحول فهو أسهل وهو ضعيف جداً وقال أيضاً: ليس يسوى شيئاً، أحاديثه مناكير وقال الدّارقطني: متروك

ب - أن هناك انقطاعاً بين مكحول وأبي عبيدة لأنه لم يدركه.

.. وقد تحدث ابن كثير عن الأحاديث في ذم يزيد فقال: وقد أورد ابن عساكر أحاديث في ذمّ يزيد بن معاوية كلها موضوعة لا يصح منها شيء، وأجود ما ورد ما ذكرناه على ضعف أسانيده وانقطاع بعضه، والله أعلم[1]

والحقيقة أن الشيعة غلت في مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غلواً مفرطاً فجعلوا يوم استشهاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ العاشر من محرم مأتماً وحزناً ونياحة يكررونه في كل عام إلى يومنا هذا ورتبوا على هذا الفعل الأجر والثواب، فهو جالب للمغفرة والرحمة، مكفرة للذنوب والخطايا في زعمهم. فقد روي الطوسي في أماليه بسنده عن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عز وجل يوم القيامة، يوم فرحه، وسروره وقرت بنا في الجنان عينه، وبسنده أيضاً عن أبي عمارة الكوفي قال: سمعت جعفر بن محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: من دمعت عينه دمعة لدم سفك لنا أو حق لنا أنقضاه أو عرض انتهك لنا أو لأحد من شيعتنا بوأه الله تعالى بها في الجنة أحقاباً. وروى البرقي بسنده عن جعفر الصادق أنه قال: من ذكر عنده الحسين فخرج من عينه دمع مثل جناح بعوضة غفر له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر. وقد بوب المجلسي باباً قال فيه: باب ثواب البكاء على مصيبته ومصائب سائر الأئمة وفيه أدب المأتم يوم عاشوراء، وساق فيه أكثر من ثمان وثلاثين رواية منها ما رواه بسنده عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ. بل زعموا أن السماء والأرض بكت لقتله فأمطرت السماء دماً وتراباً أحمر، كما بكت الملائكة والجن وسائر المخلوقات، ولم يكتفوا بذلك حتى قالوا بتحريم يوم عاشوراء وأن من صامه فهو عدو للحسين وأهل بيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فقد روى الكليني بسنده عن جعفر بن عيسى قال: سألت الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) استشهاد الحسين، ص ١٥٥.

عـن صـوم يـوم عاشوراء وما يقول الناس فيه ، فقال: عن صوم ابن مرجانة تـسألني ، ذلـك يـوم صامه الأدعياء من آل زياد لقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يـوم يتشاءم به آل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتشاءم به أهل الإسلام لا يصام ولا يتبرك بـه ويـوم الاثنين يوم نحس قبض الله عز وجل فيه نبيه وما أصيب آل محمد إلا في يوم الاثنين فتشاءمنا به وتبرك به ابن مرجانة وتشاءم به آل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فمـن صـامهما أو تـبرك بهمـا لقي الله تبارك وتعالى ممسوخ القلـب وكـان حـشره مع الذين سنوا صومهما والتبرك بهما . والأكاذيب في هذا الباب كثيرة . وهذه المآتم تظهر علناً كلما قويت شوكة الشيعة أو ظهرت لهم دولة ففي دولة بني بويه الشيعية في سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة ألزم معز الدولـة ابـن بابـويه يوم عاشوراء أهل بغداد بالنواح على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وأمـر بغلـق الأسـواق ومـنع الطـباخين مـن عمل الأطعمة ، وخرجت نساء الشيعة منشرات الشعور مضحمات الوجوه يلطمن ويفتن الناس ، وهذا أول مـا نـيح علـيه ، كمـا اتخـذت الدولـة العبـيدية الفاطمـية علـى كثرة أعيادها ومناسـباتها يـوم عاشـوراء يـوم حـزن ونـياحة فكانـت تتعطل فيه الأسواق ويخـرج فـيه المنشدون في الطرقات ، وكان الخليفة يجلس في ذلك اليوم متلثماً يـرى بـه الحـزن كمـا كان القضاة ، والدعاة ، والأشراف ، والأمراء يظهرون وهـم ملـثمون حفـاة ، فـيأخذ الـشعراء بالإنـشاد ورثـاء أهـل البيت وسرد الـروايات والقـصص الـتي اخـتلقوها في مقـتل الحـسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . ومـن مظاهـرهم في هـذه الأيـام خـروج المـواكب العـزائية في الطرقات والشوارع مظهـرين اللطـم بالأيـدي علـى الخـدود والـصدور ، والـضرب بالـسلاسل والحديـد علـى الأكـتاف حتـى تـسيل الدماء ، وقد وصف ابن كثير ما يفعل الـشيعة مـن تعـدي لحـدود الكـتاب والـسنة في دولـة بـني بـويه في حـدود الأربعمائـة ومـا حـولها فقـال: فكانت الدَّبادب[1] تضرب ببغداد ونحوها من الـبلاد في يـوم عاشـوراء ويُـذَرُّ الـرماد والتبن في الطرقات والأسواق وتعلق المـسوح علـى الدكاكين ويظهر الناس الحزن والبكاء ، وكثير منهم لا يشرب المـاء ليلتئذ موافقه للحسين ، لأنه قتل عطشان ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن حافيات في الأسواق إلى غير

(١) الدبادب: جمع الدّبداب وهو الطبل .

ذلك من البدع الشنيعة والأهواء الفظيعة والهتائك المخترعة وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يُشنِّعوا على دولة بني أمية ، لأنه قتل في أيامهم[١] .

والحقيقة أن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بريء من تلك الأفعال المذكورة لأن الإسلام الذي جاء به جده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يجوّز تلك الأفعال فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدوى الجاهلية»**[٢] وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال[٣] من قطران[٤]، ودرع من جرب»**[٥] .

كما أن ما يفعله الشيعة في الحسينيات والمآتم تحت مسمى الشعائر الحسينية مثل: اللطم والنياحة ولبس السواد ، والتطبير وغيرها والتي أفتى علماؤهم وعظماؤهم بجوازها فإنها محرمة عل لسان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى ألسنة أئمة أهل البيت الكرام في المصادر الشيعية القديمة والحديثة ، واعترف بهذا التحريم شيوخ وأعلام المذهب الشيعي الاثني عشر[٦] .

يقول ابن تيمية: وصار الشيطان بسبب قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحدث للناس بدعتين بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاد المراثي وما يفضي إلى ذلك من سب السلف الصالح ولعنهم وإدخال من لا ذنب له من ذوي الذنوب حتى يسب السابقون الأولون وتقرأ أخبار مصرعه التي كثير منها كذب وقصد من سن ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة ، فإن هذا ليس واجباً ولا مستحباً باتفاق المسلمين بل إحداث الجزع والنياحة للمصائب القديمة من أعظم ما حرم الله ورسوله . والذي أمر الله به ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المصيبة إذا كانت جديدة إنما هو الصبر والاحتساب والاسترجاع . . وإذا كان الله قد أمر بالصبر والاحتساب والاسترجاع . . وإذا كان الله قد أمر بالصبر والاحتساب

(١) لبداية والنهاية ، ١١/ ٥٧٧ .
(٢) لبخاري رقم ١٢٩٤ .
(٣) لسربال: القميص .
(٤) لقطران: هو النحاس المذاب شديدة الحرارة .
(٥) مسلم رقم ٩٣٤ .
(٦) ستشهاد الحسين ، ص ١٥٩ .

عـند حدثان العهد بالمصيبة ، فكيف مع طول الزمان؟ فكان ما زينه الشيطان لأهـل الضلال والغي من اتخاذ يوم عـشور مأتماً وما يصنعون فيه من الندب والنياحة ، وإنشاد قصائد الحزن ورواية الأخبار التي فيها كذب كثير والصدق فـيها لـيس فـيه إلا تجديد الحزن والتعصب ، وإثارة الشحناء والحرب وإلقاء الفـتن بـين أهل الإسلام ، والتوسل بذلك إلى سب السابقين الأولين ، وكثرة الكذب والفتن في الدنيا[1] .

ويقـول ابـن كثير: فكل مسلم ينبغي له أن يحزنه هذا الذي وقع من قتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فإنه من سادات المسلمين وعُلماء الصحابة ، وابن بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الـتي هـي أفضل بناته ، وقد كان عابداً وشجاعاً وسخياً ولكن لا يحـسن مـا يفعلـه الـشيعة من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنع ورياء وقـد كـان أبـوه أفـضل مـنه وهـم لا يـتخذون مقتله مأتماً كيوم مقتل الحـسين ، فـإن أبـاه قـتل يـوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عـشر من رمضان سنة أربعين ، وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل الـسنة والجماعـة وقد قتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شهر ذي الحجـة سنة ست وثلاثين ، وقد ذبح من الوريد إلى الوريد ، ولم يتخذ الناس يـوم مقـتله مأتماً ، وكذلك عمر بن الخطاب ، وهو أفضل من عثمان وعلي ، قـتل وهـو قـائم يُـصليّ في المحراب صلاة الفجر وهو يقرأ القرآن ، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً ، وكذلك الصديق كان أفضل منه ، ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتماً ، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة ، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله ولم يتخذ أحد يوم موته مأتماً يفعلون فيه مـا يفعلـه هـؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين ، ولا ذكر أحد يوم مـوتهم وقـبلهم شـيء مما ادّعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة مـثل كـسوف الـشمس والحمـرة التي تطلع في السماء وغير ذلك وأحسن ما يقـال عـند ذكـر هـذه المـصائب[2] وأمثالها ما رواه الحسين بن علي عن جدّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنـه قـال: «**مـا مـن مـسلم يـصاب بمصيبة فيتذكرها وإن تقادم**

(١) الفتاوى ، ٢٥/ ١٦٥ ، ١٦٦ .
(٢) البداية والنهاية ، ١١/ ٥٧٩ .

عهدها، فيُحدثُ بها استرجاعاً إلا أعطاه الله من الأجر مثل يوم أصيب بها»[1] .

يقول ابن تيمية تعليقاً على هذا الحديث: هذا حديث رواه عن الحسين ابنته فاطمة التي شهدت مصرعه وقد علم أن المصيبة بالحسين تذكر مع تقادم العهد ، فكان من محاسن الإسلام أن بلغ هو هذه السنة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أنه كلما ذكرت هذه المصيبة يسترجع لها ، فيكون للإنسان من الأجر يوم أصيب بها المسلمون وأما من فعل مع تقادم العهد بها ما نهى عنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند حدثان العهد بالمصيبة فعقوبته أشد مثل لطم الخدود وشق الجيوب ، والدعاء بدعوى الجاهلية[2] .

مكان رأس الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

إن سبب الاختلاف في موضع رأس الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند عامة الناس إنما هو ناتج عن تلك المشاهد المنتشرة في ديار المسلمين والتي أقيمت في عصور التخلف الفكري والعقدي - وكلها تدعي وجود رأس الحسين ثم إن الجهل بموضع رأس الحسين جعل كل طائفة تنتصر لرأيها في ادعاء وجود الرأس عندها وإذا أردنا التحقيق في مكان الرأس فإنه يلزمنا تتبع وجود الرأس منذ إنتهاء معركة كربلاء . لقد ثبت أن رأس الحسين حمل إلى ابن زياد فجعل الرأس في طست وأخذ يضربه بقضيب كان في يده ، فقام إليه أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال: لقد كان أشبههم برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثم بعد ذلك تختلف الروايات والآراء اختلافاً بيناً بشأن رأس الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولكن بعد دراسة الروايات التي ذكرت أن ابن زياد أرسل الرأس إلى يزيد بن معاوية وجدت أن الروايات على النحو التالي ، هناك روايات ذكرت أن الرأس أرسل إلى يزيد بن معاوية ، وأخذ يزيد ينكث بالقضيب في فم الحسين ، الأمر الذي حدا بأبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على أن ينكر على يزيد فعلته ، ولكن هذه الرواية التي ذكرت وصول الرأس وتعامل يزيد معه بهذا النحو ضعيفة . وقد استدل ابن تيمية على ضعف هذه الرواية: بأن الذين حضروا نكثه بالقضيب من الصحابة لم يكونوا بالشام ، وإنما كانوا

---

(١) سنن ابن ماجة رقم ١٦٠٠ في إسناده ضعف ، ضعيف سنن ابن ماجة رقم ٣٤٩ .

(٢) الفتاوى ، ٤/ ٣١٢ .

بالعراق، ومما يدل على فساد متن هذه الرواية هو أن متنها مخالف لتلك الروايات الصحيحة، والتي بينت حسن معاملة يزيد لآل الحسين وتألمه وبكائه على قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد قال ابن تيمية: ورأس الحسين إنما حمل إلى ابن زياد وهو الذي ضربه بالقضيب كما ثبت في الصحيح، وأما ما حمله إلى عند يزيد فباطل، وإسناده منقطع، وقد ذهب ابن كثير إلى ذهاب الرأس إلى يزيد فقد قال: وقد اختلف العلماء في رأس الحسين هل سيّره ابن زياد إلى الشام أم لا؟ على قولين الأظهر منها أنه سيّره إليه، فقد ورد في ذلك آثار كثيرة والله أعلم، وهو ما ذهب إليه الذهبي[1].

وقد ذكر بأن رأس الحسين مقبور في سنة مدن وهي:

١ - **دمشق**: ذكر البيهقي في المحاسن والمساوئ: أن يزيد أمر بغسل الرأس وجعله في حرير وضرب عليه خيمة ووكل به خمسين رجلاً، وساق ابن عساكر بإسناده عن ريا حاضنة يزيد بن معاوية أن الرأس مكث في خزائن السلاح حتى ولي سليمان، فبعث فجيء به فبقي عظماً فطيبه وكفنه، فلما وصلت المسودّة، سألوا عن موضع الرأس ونبشوه فالله أعلم ما صنع به)، ورواية القصة (ريا) هذه ذكرها ابن عساكر ولم يذكر فيها جرحاً، ولا تعديلاً وتكون بذلك مجهولة، وبذلك تكون رواية ساقطة لا يعتمد عليها بأي حال من الأحوال، وقد أورد الذهبي بإسناده عن أبي كريب قال: كنت فيمن توثب على الوليد بن يزيد بدمشق، فأخذت سفطاً وقلت فيه غنائي، فركبت فرسي، وخرجت من باب توما، قال: ففتحته، فإذا فيه رأس مكتوب عليها، هذا رأس الحسين بن علي، فحفرت فيه بسيفي فدفنته؟. وهي رواية ضعيفة جداً. ومن ناحية أخرى ما هي فائدة يزيد في احتفاظه برأس الحسين وجعله في خزائن سلاحه[2].

٢ - **كربلاء**: لم يقل أحد بأن الرأس في كربلاء إلا الشيعة الإمامية، فإنهم يقولون: بأن الرأس أعيد إلى كربلاء بعد أربعين يوماً من القتل، ودفن بجانب جسد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يوم معروف عندهم يسمون فيه زيارة

(١) علي محمد محمد الصَّلاَّبيّ، الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الانهيار، ٢/ ٢٨٣.
(٢) علي محمد محمد الصَّلاَّبيّ، الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الانهيار، ٢/ ٢٨٤.

الأربعين ويكفي أن هذا القول إنما تفرد به الشيعة الإمامية وهم ليس عندهم في ذلـك أي دلـيل إنمـا أقاويل عارية من الحجة والبرهان وقد أنكر أبو نعيم الفضل بن دكين على من زعم أنه يعرف قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد ذكر ابن جرير وغيره أن موضع قتله عفي أثره حتى لم يطلع أحد على تعيينه[1] .

٣ - الـرقة: لقـد انفرد سبط ابن الجوزي بإيراد خبر يذكر أن الرأس قبر بالرقة وقال: إن الرأس بمسجد الرقة على الفرات وأنه جيء به بين يدي يزيد بـن معاويـة قـال: لأبعـثن إلى آل أبي معيط عن رأس عثمان وكانوا بالرقة، فدفـنوه في بعـض دورهـم ثـم دخلـت تلك الدار بالمسجد الجامع، وهو إلى جانب سور هناك . وهذا خبر مستبعد فالرواية ليست مسنده ثم إن الخبر فيه نكـارة واضـحة لمخالفته النصوص الصحيحة، والتي ثبت فيها حسن معاملة يـزيـد لأسـرة الحسين وتحسّره وندمه على قتله، ثم إن سبط ابن الجوزي هذا قال عنه الذهبي: ورأيت له مصنفاً يدل على تشيعه[2] .

٤ - عـسقلان: لقد أنكر جمع من المحققين الخبر القائل بأن رأس الحسين دفـن في عـسقلان قال القرطبي: وما ذكر أنه في عسقلان فشيء باطل، وأنكر ابن تيمية وجود الرأس بعسقلان، وتابعه على ذلك ابن كثير[3] .

٥ - القاهـرة: يـبدو أن اللعـبة الـتي قـام بها العبيديون (الفاطميون) قد انطلـت علـى الكـثير مـن الـناس، فـبعد أن عزم الصليبيون الاستيلاء على عسقلان سنة تسع وأربعين وخمسمائة خرج الوزير الفاطمي صالح طلائع بن زريك خرج هو وعسكره حفاة إلى الصالحية، فتلقى الرأس ووضعه في كيس مـن الحريـر الأخـضر علـى كرسـي من الأبنوس وفرش تحته المسك والعنبر والطـيب، ودفن في المشهد الحسيني قريباً من خان الخليلي في القبر المعروف . وكـن ذلـك في يـوم الأحـد الـثامن مـن جمـادي الآخـر سـنة ثمان وأربعين وخمـسمائة، وقـد ذكـر الفارقـي أن الخلـيفة الفاطمـي نفـسه قد خرج وحمل الرأس، وذكر الشبلنجي أن الوزير الصالح طلائع افتدى الرأس من الأفرنج

---

(١) علي محمد محمد الصَّلاَّبيّ، الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الانهيار، ٢/ ٢٨٣ .
(٢) علي محمد محمد الصَّلاَّبيّ، الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الانهيار، ٢/ ٢٨٤ .
(٣) لبداية والنهاية، ١١/ ٥٨٢ .

ونجح في ذلك بعد تغلبهم على عسقلان وافتداه بمال جزيل، ولقد حاول بعض المؤرخين أن يؤكدوا على أن الرأس قد نقل فعلاً من عسقلان إلى مصر، وأن المشهد الحسيني في مصر إنما هو حقيقة مبني على رأس الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد أثبت أحد المتأخرين وهو حسين محمد يوسف بأن الرأس الموجود في المشهد الحسيني هو حقيقة رأس الحسين وخطأ من يقول بغير ذلك وكان الاستدلال الذي جاء به: هي تلك المنامات والكشوفات التي تجلت لبعض الصوفية والتي جاء في تلك المنامات أن الرأس هو في الحقيقة رأس الحسين ثم أورد تأييداً لهذا القول، باستحداث قاعدة قال فيها: أن الرأس يوجد في القاهرة وذلك بسبب الشك الذي تعارض مع اليقين، واليقين هم أصحاب الكشف. وهذا الاستدلال لا يخضع إلى عقل أو منطق أو حجة علمية، أو برهان علمي - فضلاً عن قواعد المنهج الإسلامي في الاستدلال على وجود رأس الحسين في القاهرة كان مبنياً على استناده بأن الرأس كان في عسقلان، وقد ثبت بطلان وجود الرأس بعسقلان، وبالتالي يكون الرأس الذي حمل إلى القاهرة، والمشهد المعروف اليوم والمقام عليه والمسمى بالمشهد الحسيني هو كذب، وليس له علاقة برأس الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإذا ثبت أن الرأس الذي كان مدفوناً بعسقلان هو ليس في الحقيقة برأس الحسين، فإذا متى ادّعي أن رأس الحسين بعسقلان وإلى من يعود ذلك الرأس؟ يقول النويري: أن رجلاً رأى في منامه، وهو بعسقلان أن رأس الحسين في مكان بها، عُيّن له في منامه، فنبش ذلك الموضع، وذلك في أيام المستنصر بالله العبيدي صاحب مصر، ووزارة بدر الجمالي، فابتني له بدر الجمالي مشهداً بعسقلان، وقام الأفضل بعد ذلك بإخراجه وعطّره ووضعه في مكان آخر من عسقلان وابتنى عليه مشهداً كبيراً[(١)].

ومن العجب إسراع العبيديين لإقامة المشهد على هذا الرأس، لمجرد رؤية رجل فقط؟ ولكن إذا عرفت تاريخ العبيديين فإن الأمر لا يستغرب لهذا الحد، فإحساسهم بأن الناس لا يصدقون نسبتهم إلى الحسين، جعلهم يلجؤون إلى تغطية هذا الجانب، باستحداث وجود رأس الحسين بعسقلان،

---

(١) علي محمد محمد الصّلاّبيّ، الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الانهيار، ٢/ ٢٨٥.

ويظهروا من الاهتمام به وبناء المشهد عليه والإنفاق على ترميمه وتحسينه من الأموال الشيء الكثير حتى يصدقهم الناس ، ويقولون: إنه لو لم يكن لهم نسب فيه لما اهتموا به إلى هذا الحد؟ ثم إن هناك بعداً سياسياً أخر باستحداث وادعاء وجود رأس الحسين بعسقلان دون غيرها من المناطق التي تقع تحت سيطرتهم وهو محاولة مجابهة الدويلات السنية التي قامت في بلاد الشام ، ومن المعروف أن حكومة المنتصر بالله العبيدي قد صادفت قيام دولة السلاجقة السنية التي تمكن قائدها طغرلبك السلجوقي من دخول بغداد سنة سبع وأربعين وأربعمائة[1] . ومما يدل على أن استحداث وجود رأس الحسين بعسقلان ونقله إلى مصر ما هو إلا خطة عبيدية ، هو أنه لم يرد بأن رأس الحسين وجد في عسقلان في أي كتاب قبل ولاية المنتصر الفاطمي . وهذا مما يعزز كذب العبيديين وتحقيق أغراض خاصة لهم بذلك ، وقد ذكر ابن تيمية أن هذا الرأس المزعوم بأنه رأس الحسين ليس في الأصل سوى رأس راهب[2] . وقد نقل ابن دحية في كتابه: «العلم المشهور» الإجماع على كذب وجود الرأس بعسقلان أو بمصر ، ونقل الإجماع أيضاً على كذب المشهد الحسيني الموجود في القاهرة وذكر أنه من وضع العبيديين ولأنه لأغراض فاسدة وضعوا ذلك المشهد وقد أزال الله تلك الدولة وعاقبها بنقيض قصدها . وقد أنكر وجود الرأس في مصر كل من: ابن دقيق العيد ، وأبو محمد بن خلف الدمياطي ، أبو محمد بن القسطلاني ، وأبو عبد الله القرطبي وغيرهم[3] .

وقال ابن كثير: وادعت الطائفة المسماة بالفاطميين الذين ملكوا مصر قبل سنة أربعمائة إلى سنة ستين وخمسمائة أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور بمصر ، الذي يقال له تاج الحسين ، بعد سنة خمسمائة ، وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك بطلان ما ادعوه من النسب الشريف ، وهم في ذلك كذبة خونة ، وقد نص على ذلك القاضي الباقلاني

(١) النجوم الزاهرة ، ٥/ ٥٧ .
(٢) علي محمد محمد الصَّلاَّبيّ ، الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الانهيار ، ٢/ ٢٨٦ .
(٣) علي محمد محمد الصَّلاَّبيّ ، الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الانهيار ، ٢/ ٢٨٣ .

وغير واحد من أئمة العلماء في دولتهم ، قلت: والناس أكثرهم يروّج عليهم مثل هذا ، فإنهم جاؤوا برأس فوضعوه في مكان هذا المسجد المذكور ، وقالوا هذا رأس الحسين ، فراج ذلك عليهم واعتقدوا ذلك والله أعلم[1] .

٦ - **المدينة النبوية**: إن المدن التي مرّ ذكرها لم يثبت لدينا أدنى دليل على وجود الرأس بها ، ولم يبق أمامنا سوى المدينة ، فقد ذكر ابن سعد بإسناد جمعي: أن يزيد بعث بالرأس إلى عمرو بن سعيد والي المدينة ، فكفنه ودفنه بالبقيع إلى حيث قبر أمه فاطمة بنت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ[2] ، وقال ابن تيمية: ثم إن دفنه بالبقيع: هو الذي تشهد له عادة القوم فإنهم كانوا في الفتن ، إذا قتل الرجل منهم ، - لم يكن منهم - سلموا رأسه وبدنه إلى أهله كما فعل الحجاج بابن الزبير لما قتله وصلبه ، ثم سلموه إلى أهله ، وقد علم أن سعي الحجاج في قتل ابن الزبير ؛ وأن ما كان بينهما من الحروب أعظم بكثير مما كان بين الحسين وبين خصومه . كما أننا لا نجد انتقاداً واحداً انتقد فيه يزيد سواءً من آل البيت أو من الصحابة أو من التابعين فيما يتعلق بتعامله مع الرأس ، فظني أن يزيد لو أنه تعامل مع الرأس كما تزعم بعض الروايات من الطوفان به بين المدن والتشهير برأسه ، لتصرف الصحابة والتابعين تصرفاً آخر على أثر هذا الفعل ، ولما رفض كبارهم الخروج عليه يوم الحرة ولرأيناهم ينضمون مع ابن الزبير المعارض الرئيسي ليزيد ، ويؤيد هذا الرأي قول الحافظ أبو يعلي اهمداني: إن الرأس قبر عند أمه فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وهو أصح ما قيل في ذلك . وهو ما ذهب إليه علماء النسب مثل الزبير بن بكار ومحمد بن الحسن المخزومي ، وذكر ابن أبي المعالي أسعد بن عمار في كتابه: (الفاصل بين الصدق ، والمَيْن في مقر رأس الحسين) أن جمعاً من العلماء الثقات كابن أبي الدنيا وأبي المؤيد الخوارزمي ، وأبي الفرج بن الجوزي قد أكدوا أن الرأس مقبور في البقيع بالمدينة ، وتابعهم على ذلك القرطبي ، وقال الزرقاني: قال ابن دحية ولا يصح غيره ، وابن تيمية يميل إلى أن الرأس قد بعث به يزيد إلى واليه على المدينة عمر بن سعيد وطلب منه أن يقبره بجانب أمه فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا والذي جعل ابن تيمية برأي ذلك هو: أن

(١) البداية والنهاية ، ١١/ ٥٨٢ .
(٢) الطبقات ، ٥/ ٢٣٨ .

الذي ذكر أن الرأس نقل إلى المدينة هم من العلماء والمؤرخين الذين يعتمد عليهم مثل الزبير بن بكار، صاحب كتاب الأنساب، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي صاحب الطبقات ونحوهما من المعروفين بالعلم والثقة والاطلاع، وهم أعلم بهذا الباب، وأصدق فيما ينقلونه من الجاهيل والكذابين، وبعض أهل التاريخ، الذين لا يوثق بعلمهم، وقد يكون الرجل صادقاً، ولكن لا خبرة له بالأسانيد، حتى يميز بين المقبول والمردود أو يكون سيء الحفظ أو متهماً بالكذب أو بالتزوير في الرواية، كحال كثير من الأخباريين والمؤرخين.

.. وقال ابو عمر عبد الله بن محمد الحمادي: وهكذا اختلفوا في موقع رأس الحسين على ثلاثة أماكن وكل واحد منهم يريد أن يكون الرأس عنده حتى تكثر الزيارات فيكثر رمي الأموال على القبر ليتقاسمه السدنة، وحرّاس القبور وبهذا الاختلاف جعلوا للحسين ثلاثة رؤوس ومعلوم يقيناً أنه كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له رأس واحد. ومن خلال البحث، فإنه يتضح أن جسد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكربلاء وأما رأسه بالبقيع في المدينة والله أعلم[1].

يبقى أن نقول أنه لا يوجد نص في كتاب الله ولا صح شيء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفائه الراشدين أو علماء الأمة في خير القرون يدل على قدسية كربلاء أو الفضائل المزعومة لها وغيرها كالنجف وما يسمى بالعتبات المقدسة، وأما الذي جاء في كتاب الله وسنة رسوله من قدسية وفضائل فهي، المسجد الحرام، والمشاعر المقدسة داخل المسجد الحرام وخارجه، كالكعبة، ومقام إبراهيم، بئر زمزم، الصفا والمروة، منى، رحاب عرفات، رحاب مزدلفة والمسجد النبوي وفضل الصلاة فيه، وفضل ما بين بيت الرسول ومنبره، وجواز شد الرحل إليه، وإلى المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وفضائل المدينة، وفضائل مسجد قباء، ودعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبركة للمدينة، وجود البركة في صاع أهل المدينة والبقاء بها، تحريم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة وتحريم صيدها وشجرها، فضل وادي العقيق وبركته وفضائل المسجد الأقصى وبركاته، فضل الصلاة فيه،

(١) علي محمد محمد الصّلاّبيّ، الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الانهيار، ٢/ ٢٩٥.

جواز شد الرحال إليه، وجود الركة حوله، وأنه ثاني مسجد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام، الإسراء بالرسول ﷺ، وجاءت الآيات والأحاديث في فضل سائر المساجد وبيوت الله عز وجل، فبين رسول الله ﷺ كون المساجد بيوت الله في الأرض، وفضل السعي إلى المساجد وملازمتها وفضل بناءها.. إلخ أما ما نسب إلى رسول الله ﷺ في قدسية كربلاء وفضائلها فإنه لا يصح في ذلك، وهذا يجري حكمه على البلاد والمقابر والقبور والأضرحة مما يزعم الشيعة أو جهّال السنة[1].

يعتبر استشهاد الحسين رضي الله عنه نقطة تحول في التاريخ الفكري والعقدي للتشيع، إذ لم يقتصر أثر هذه الحادثة الأليمة على إذكاء التشيع في نفوس الشيعة وتوحيد صفوفهم بل ترجع أهمية هذه الحادثة إلى أن التشيع كان قبل مقتل الحسين مجرد رأي سياسي لم يصل إلى عقائد الشيعة، فلما قتل الحسين امتزج التشيع بدمائهم وتغلغل في أعماق قلوبهم، وأصبح عقيدة راسخة في نفوسهم، لقد نظر الشيعة إلى استشهاد الحسين على أنه أهم من استشهاد علي بن أبي طالب نفسه، لأن الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ، وقد اعتنق الفرس مبدأ التشيع وبذلك تمركزت العقيدة الشيعية حول الحسين وسلالته دون الحسن وذريته، وإلى اعتناق مبدأ حق الحسين بن علي الإلهي وذريته في الخلافة، وأن الإمامة بالنص لا بالاختيار، بل اعتبر الشيعة سفك دم الحسين في سهل كربلاء ذا قيمة في التضحية تشبه سفك دم المسيح المزعومة عند المسيحية، ولم يقتصر التمايز الفكري والعقدي بين أهل السنة والشيعة بعد مقتل الحسين، بل إن الشيعة أنفسهم قد أثر فيهم مصرع الحسين، وانقسموا على أنفسهم، وافترقوا بعد مقتله إلى فرق، ولكي يكون لمقتل الحسين أهمية خاصة عند الشيعة فقد أكدوا على أهمية يوم عاشوراء، وتفننوا في إظهار الحزن في ذلك اليوم كما ابتدعوا لفضائل ذلك اليوم من الأحاديث والآثار ما لا يقع عليه الحصر، وقد جعلوا البكاء على الحسين يوم عاشوراء يمسح الذنوب ويغفر ما تقدم منها، مما جعل

---

(١) علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ، الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الانهيار، ٢/ ٢٩٥.

الاحتفال بيوم عاشوراء واجباً دينياً يقوم به الحكام والمحكومين على السواء ويبالغون في إظهار عواطفهم المذهبية في هذا اليوم الحزين ، لقد أراد واضعو التشيع وعقائده التأكيد على يوم عاشوراء ويكون التشيع عقيدة ملتهبة في نفوس أتباعها وكانت دولهم تهتم بهذا الأمر ، كالدولة البويهية بالعراق والدولة العبيدية الفاطمية بمصر[١] .

* * * * *

(١) علي محمد محمد الصَّلاَّبيّ ، الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الانهيار ، ٢/ ٣٠٢ .

مواقف الشيعة
مع الحسين بن علي بن أبي طالب

ولما توفي الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واجتمع الشيعة حول أخيه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم أن يزيد بن معاوية لما تولى الخلافة بعد أبيه كتب إلى عامله بالمدينة الوليد بن عقبة بن أبي سفيان أن يأخذ البيعة من الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ولما طلب الوليد منه ذلك: فخرج الحسين إلى مكة، فأقام بها أيامًا، ولما بلغ أهل العراق أن الحسين لم يبايع ليزيد بن معاوية، فأرسلوا الكتب إليه تفيض حماسة وعطفًا كلهم يقولون في كتبهم: إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي فأقدم علينا [1].

عند ذلك أرسل الحسين بن علي ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب لتقصي الأمور هناك وليعرف حقيقة الأمر وجليته، فلما وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة صار يسأل حتى عم أن الناس هناك لا يريدون يزيد بل الحسين بن علي و نزل عند هانئ بن عروة، وجاء الناس جماعات ووحدانا يبايعون مسلم بن عقيل على بيعة الحسين[2].

بعد أن استقرت الأمور وبايع كثير من الناس لمسلم بن عقيل، أرسل إلى الحسين أن أقدم فإن الأمر قد تهيأ، فخرج الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في يوم التروية، وكان عبيد الله بن زياد قد علم ما قام به مسلم بن عقيل فقال: علي بهانئ بن عروة، فجيء به فسأله: أين مسلم بن عقيل؟ قال: لا أدري.

فنادى مولاه معقلا فدخل عليه فقال: هل تعرفه؟ قال: نعم، فأسقط في يده، فقال له عبيد الله بن زياد عند ذلك: أين مسلم بن عقيل؟فقال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها، فضربه عبيد الله بن زياد ثم أمر بحبسه.

وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فخرج بأربعة آلاف وحاصر قصر عبيد الله وخرج أهل الكوفة معه، وكان عند عبيد الله في ذلك الوقت أشراف الناس فقال لهم خذلوا الناس عن مسلم بن عقيل، ووعدهم بالعطايا وخوفهم

(١) انظر: تاريخ الطبري، ٣/ ٢٧٤.
(٢) انظر: تاريخ الطبري، ٣/ ٢٧٤.

بجيش الشام، فصار الأمراء يخذلون الناس عن مسلم بن عقيل، فما زالت المرأة تأتي وتأخذ ولدها، ويأتي الرجل ويأخذ أخاه، ويأتي أمير القبيلة فينهى الناس [(١)]، حتى لم يبق معه إلا ثلاثون رجلا من أربعة آلاف ! وما غابت الشمس إلا ومسلم بن عقيل وحده، ذهب كل الناس عنه، وبقي وحيدا يمشي في دروب الكوفة لا يدري أين يذهب، فطرق الباب على امرأة من كندة فقال لها: أريد ماء، فاستغربت منه ثم قالت له: من أنت؟ فقال: أنا مسلم بن عقيل وأخبرها الخبر وأن الناس خذلوه، وأن الحسين سيأتي؛ لأنه أرسل إليه أن أقدم فأدخلته عندها في بيت مجاور، وأتته بالماء والطعام ولكن ولدها قام بإخبار عبيد الله بن زياد بمكان مسلم بن عقيل، فأرسل إليه سبعين رجلا فحاصروه فقاتلهم وفي النهاية استسلم لهم عندما أمنوه، فأخذ إلى قصر الإمارة الذي فيه عبيد الله بن زياد، فلما دخل سأله عبيد الله عن سبب خروجه هذا؟ .فقال: بيعة في أعناقنا للحسين بن علي قال: أو ليست في عنقك بيعة ليزيد؟

فقال له: إني قاتلك . قال: دعني أوصي . قال: نعم أوص . فالتفت فوجد عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال له: أنت أقرب الناس مني رحما تعال أوصيك، فأخذه في جانب من الدار وأوصاه بأن يرسل إلى الحسين بأن يرجع، فأرسل عمر بن سعد رجلا إلى الحسين ليخبره بأن الأمر قد انقضى، وأن أهل الكوفة قد خدعوه . وقال مسلم كلمته المشهورة: "ارجع بأهلك ولا يغرنك أهل الكوفة فإن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لكاذب رأي" [(٢)] .

قتل عند ذلك مسلم بن عقيل في يوم عرفة وكان الحسين قد خرج من مكة في يوم التروية قبل مقتل مسلم بن عقيل بيوم واحد [(٣)] .

لقد ظهر غدر شيعة أهل الكوفة للحسين حتى قبل أن يصل إليهم فلقد قتل مسلم بن عقيل، وقتل مضيفه هانئ بن عروة المرادي، كل ذلك وشيعة الكوفة لم يتحرك لهم ساكن، بل تنكروا لوعودهم للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واشترى

(١) تاريخ الطبري، ٣ / ٢٧٦ .
(٢) البداية والنهاية، ٨/ ١٧١، تاريخ الطبري، ٣/ ٢٧٦ .
(٣) تاريخ الطبري، ٣/ ٢٩٠ .

بن زياد زممهم بالأموال .

وللأسف خدع الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بهم ، وسار إليهم بعد أن حذره كثير من المقربين إليه من الخروج لما يعرفون من خيانة شيعة العراق ، فلما بلغ خبر عزمه على الخروج إلى ابن عمه عبد الله بن عباس أتاه وقال: يا ابن عم أنه قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق ، فبيّن لي ما أنت صانع؟ قال: قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى ، فقال له ابن عباس: أخبرني إن كان عدوك بعد ما قتلوا أميرهم ونفوا عدوهم وضبطوا بلادهم فسر إليهم ، وإن كان أميرهم حي وهو مقيم عليهم ، قاهر لهم وعماله تجبي بلادهم فإنهم إنما دعوك للفتنة والقتال ، ولا آمن عليك أن يستفزوا عليك الناس ويقلبوا قلوبهم عليك ، فيكون الذي دعوك أشد الناس عليك . فقال الحسين إني استخير الله وأنظر ما يكون[1] .

ولكن ابن عباس أدرك من كلام الحسين واستعداده أنه عازم على الخروج ولكنه يحاول إخفاء الأمر عنه لعلمه بعدم رضاه عن ذلك ، لذا جاء ابن عباس إلى الحسين من الغد فقال: يا ابن عم إني أتصبر ولا اصبر ، وإني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك ، أن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم ، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم أقدم عليهم ، وإلا فسر إلى اليمن فإن به حصونا وشعاباً ، ولأبيك به شيعة ، وكن عن الناس بمعزل ، واكتب إليهم وبث دعاتك فيهم ، فإني أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب . فقال الحسين: يا ابن عم! والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق ، ولكني قد أزمعت المسير . فقال له: فإن كنت ولا بد سائراً فلا تسر بأولادك ونسائك ، فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه ، إلى أن قال: فوالله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علي وعليك الناس أطعتني واقمت لفعلت ذلك[2] .

وقال عبد الله بن الزبير للحسين: أين تذهب؟! تذهب إلى قوم قتلوا

---

(١) البداية والنهاية ، ٨/ ١٧٢ .

(٢) البداية والنهاية ، ٨/ ١٧٢ .

أباك وطعنوا أخاك . لا تذهب فأبى الحسين إلا أن يخرج[1] .

قال أبو سعيد الخدري: يا أبا عبد الله إني لك ناصح وإني عليكم مشفق ، قد بلغني أنه قد كاتبكم قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم فلا تخرج إليهم ، فإني سمعت أباك يقول في الكوفة: والله لقد مللتهم وأبغضتهم وملوني وأبغضوني ، وما يكون منهم وفاء قط ، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب ، والله ما لهم نيات ولا عزم على أمر ولا صبر على سيف[2] .

وبعد خروج الحسين لقي الفرزدق الشاعر ، فقال له: من أين؟قال من العر ق ، قال: كيف حال أهل العراق؟قال: قلوبهم معك ، وسيوفهم مع بني أمية . فأبى إلا أن يخرج وقال: الله المستعان[3] .

ومما يلفت الانتباه ـ زيادة على إجماع الناصحين للحسين على خيانة أهل الكوفة ووجوب عدم الثقة بوعودهم ـ كذلك يلفت الانتباه إجماعهم في توقعهم لمقتل الحسين كما يبدو ذلك من أسفهم عليه وكلمات التوديع له . وما ذلك إلا دليل على معرفة أولئك الناصحين من العلماء بالأوضاع ، ووعيهم لما سبق من أحداث جرت إبان الفتنة بين علي ومعاوية عرفوا من خلالها الدوافع والأهواء التي تدفع ببعض الأقوام للاستفادة من إثارة الإحن ودوام الفتن .

ولما بلغ الحسين مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل وتخاذل الناس عنه أعلم الحسين من معه بذلك ، وقال من أحب أن ينصرف فلينصرف فتفرق الناس عنه يميناً وشمالاً[4] ، وقال له بعض من ثبتوا معه: ننشدك الله إلا ما رجعت من مكانك ، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة ، بل نتخوف أن يكونوا عليك . فوثب بنو عقيل – إخوة مسلم ـ وقالوا: والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق كما ذاق مسلم ، . . . وقال له بعض أصحابه إنك والله ما

(١) البداية والنهاية ، ٨/ ١٧٤ .
(٢) البداية والنهاية ، ٨/ ١٧٤ .
(٣) البداية والنهاية ، ٨/ ١٧٤ .
(٤) الكامل في التاريخ ، ٣/ ١٥٢ .

أنت مثل مسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع [١].

فلما خرج الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان في أهله وقلة من أصحابه عددهم نحو سبعين رجلا، وبعد مراسلات وعروض، دار القتال فقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتل سائر أصحابه، وكان آخر كلامه قبل أن يسلم الروح: "اللهم أحكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا" [٢].

بل دعاؤه عليهم مشهور حيث قال قبل استشهاده: "اللهم إن متعتهم ففرقهم فرقًا واجعلهم طرائق قددا ولا ترضي الولاة عنهم أبدًا، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا فقتلونا" [٣].

وقتل مع الحسين من أبناء علي بن أبي طالب: الحسين نفسه، وجعفر والعباس، وأبو بكر، ومحمد، وعثمان. ومن أبناء الحسين: عبد الله، وعلي الأكبر غير علي زين العابدين. ومن أبناء الحسن: عبد الله والقاسم وأبو بكر. ومن أبناء عقيل: جعفر، وعبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الله بن مسلم بن عقيل، ومسلم بن عقيل كان قد قتل بالكوفة. ومن أولاد عبد الله بن جعفر: عون ومحمد. ثمانية عشر رجلا كلهم من آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتلوا في هذه المعركة غير المتكافئة [٤].

لقد نصح محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية أخاه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قائلا له: يا أخي إن أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك. وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى [٥].

وعندما خاطبهم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أشار إلى سابقتهم و فعلتهم مع أبيه وأخيه في خطاب منه: "وإن لم تفعلو ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من

(١) الكامل في التاريخ، ٣/ ١٥٢.
(٢) تاريخ الطبري، ٣/ ٢٩٨.
(٣) تاريخ الطبري، ٣/ ٣٣٣.
(٤) أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧هـ، ص٢٣٤.
(٥) عن عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، مصر-الإسماعيلية، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧ هـ، ص ٢٤٩.

أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغتر بكم"[1].

و قالت أم كلثوم بنت علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "يا أهل الكوفة سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسينا وقتلتموه، وانتهبتم أمواله وورثتموه، وسبيتم نساءه، ونكبتموه، فتبا لكم وسحقا لكم، أي دواه دهتكم، وأي وزر على ظهوركم حملتم، وأي دماء سفكتموها، وأي كريمة أصبتموها، وأي صبية سلبتموها، وأي أموال انتهبتموها، قتلتم خير رجالات بعد النبي صلى الله عليه وآله، ونزعت الرحمة من قلوبكم"[2].

وقالت وهي تخاطب الجمع الذي استقبلها بالبكاء والعويل:

وفي رواية: "أنها أطلت برأسها من المحمل وقالت لأهل الكوفة: "صه يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء"[3].

إن أهل الكوفة هم الذين كاتبوا الحسين بن علي وهو في المدينة ومنّوه بالخروج حتى خرج إليهم بالرغم من تحذيرات الصحابة له بعدم الخروج ولما عين ابن زياد أميراً على الكوفة تأخر الناس عن نصرة الحسين وعن تأييده بل وانخرطوا في الجيش الذي حاربه وقتله، ولذا عبّر الحافظ ابن حجر عن موقف أهل الكوفة من الحسين بقول: فخُذِل غالب الناس عنه فتأخروا رغبة ورهبة، ولما تقابل الحسن ومن معه مع جند الكوفة نادى الحسين زعماء أهل الكوفة قائلاً لهم: يا شبث بن ربعي، وياحجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلى أنه قد أينعت الثمار، وأخضر الجناب، وطمت الجمام، وإنما تقدم على جند لك مجند، فأقبل. قالوا: لم نفعل، فقال سبحان الله بلى والله لقد فعلتم ثم قال: أيها الناس إذا

---

(١) مرتضى العسكري، معالم المدرستين، الدار العالمية ببروت، الطبعة الخامسة ١٩٩٣م، ٣/ ٧١-٧٢.

(٢) حقبة من التاريخ، ص ٢٥٢.

(٣) حقبة من التاريخ، ص ٢٥٢.

كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني[1].

وبالنظر إلى أقوال الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فإن الاتهام موجه إلى أهل العراق، وذلك في المسؤولية المتعلقة بقتل الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فهذه أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لما جاء نعي الحسين بن علي لعنت أهل العراق وقالت: قتلوه قتلهم الله عز وجل غروه ودلوه لعنهم الله[2].

وابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يقول لوفد من أهل العراق حينما سألوه عن دم البعوض في الإحرام فقال: عجباً لكم يا أهل العراق تقتلون ابن بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتسألون عن دم البعوض[3].

ويقول البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق: روافض الكوفة موصوفون بالغدر والبخل، وقد سار المثل بهم فيها، حتى قيل أبخل من كوفي، وأغدر من كوفي، والمشهور من غدرهم ثلاثة أمور هي:

أ- بعد مقتل علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بايعوا الحسن، وغدروا به في ساباط المدائن، فطعنه سنان الجعفي.

ب- كاتبوا الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ودعوه إلى الكوفة لينصروه على يزيد، فاغتر بهم، وخرج إليهم، فلما بلغ كربلاء غدروا به وصاروا مع عبيد الله يداً واحدة عليه. حتى قتل الحسين وأكثر عشيرته بكربلاء.

جـ- غدرهم بزيد بن علي بن الحسين، نكثوا بيعته، وأسلموه عند اشتداد القتال[4].

إن جزءاً كبيراً من المسئولية يقع على أهل الكوفة، الذين جبنوا ونقضوا عهودهم.

---

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ٣١٩.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٩٨) والطبراني في الكبير (٣/ ١١٤).

(٣) مسند أحمد رقم ٥٥٦٨ إسناده صحيح.

(٤) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، ص٢٦.

ثم كان نتيجة غدرهم وخذلانهم له استشهاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو وعامة من كان معه من أهل بيته ، بعد أن تفرق عنه هؤلاء الخونة . فكان مقتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مصيبة عظيمة ، ومأساة جسيمة ، يتفطر لها قلب كل مسلم ، تولى كبرها هؤلاء الشيعة ، الذين يظهرون اليوم تحسرهم وندمهم على مقتل الحسين بإقامة تلك المآتم المبتدعة في يوم عاشوراء من كل سنة ، فقبحهم الله ما أكذب دعواهم في ولاية أهل البيت! وأعظم غدرهم وخذلانهم لهم!!

* * * * *

الإمام علي بن الحسين زين العابدين

هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، زين العابدين ومنار القانتين كان عابدا وفيا وجوادا حفيًا ، وأمه أم ولد اسمها غزالة ، وهو علي الأصغر بن الحسين ، وأما علي الأكبر بن حسين فقتل مع أبيه بنهر كربلاء وليس له عقب ، ويكنى بأبي الحسين ، وكان علي بن حسين مع أبيه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وكان مريضًا نائمًا على فراشه فلما قتل الحسين ، قال شمر بن ذي الجوشن: اقتلوا هذا فقال له رجل من أصحابه: سبحان الله أنقتل فتى حدثًا مريضًا لم يقاتل ، وهو من الطبقة الثانية من التابعين ، ولد ومات بالمدينة المنورة[1] .

بَرَزَ عَلَى الصَّعِيدِ العلمي والديني ، إمَاماً فِي الدِّين ومَنَاراً فِي الْعِلْم ، ومَرْجِعاً ومَثَلاً أعْلَى فِي الْوَرَع والعِبَادَةِ والتَّقْوَى حَتَّى سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعاً فِي عَصْرِهِ بِأنَّهُ أَفْقَهُ أَهْلِ زَمَانِهِ وأَوْرَعُهُمْ وأَتْقَاهُمْ . . فَقَالَ الزُّهْرِيُّ ، وهُوَ مِنَ مُعَاصِرِيهِ: "مَا رَأَيْتُ قرشِياً أَفْضَلُ مِنْهُ" ، وقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وهُوَ مِنَ مُعَاصِرِيهِ أَيْضاً: "مَا رَأَيْتُ قَطُّ أَفْضَلَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْن" ، وقَالَ الْإِمَامُ مَالِكَ: "سُمِّيَ زَيْن الْعَابِدِينَ لِكَثْرَةِ عِبَادَتُهُ" ، وقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ" مَا رَأَيتُ هَاشِمِيّاً أَفْضَلَ مِنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ولَا أَفْقَهُ مِنْهُ" ، وَعَدَّهُ الشَّافِعِيُّ أَنَّهُ: "أفْقَهُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ" .

لقد توفّرت للإمام زين العابدين جميع المكوّنات التربوية الرفيعة التي لم يظفر بها أحد سواه ، وقد عملت على تكوينه وبناء شخصيّته بصورة متميّزة ، جعلته في الرعيل الأول من أئمّة المسلمين الذين منحهم الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ثقته ، وجعلهم قادة لأُمّته وأُمناء على أداء رسالته . نشأ الامام في أرفع بيت وأسماه ألا وهو بيت النبوّة والإمامة الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه ، ومنذ الأيام الأولى من حياته كان جده الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يتعاهده بالرعاية ويشعّ عليه من أنوار روحه التي طبّق شذاها العالم بأسره ، فكان الحفيد - بحقّ - صورة صادقة عن جدّه ، يحاكيه ويضاهيه في شخصيّته ومكوّناته النفسيّة . كما عاش الإمام زين

(١) الطبقات الكبرى ، ٥/ ٢١١ .

العابـدين في كنف عمّه الإمام الحسن بن علي سيّد شباب أهل الجنّة وريحانة رسـول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وسبطه الأول ، إذ كان يغدق علـيه مـن عطفـه وحنانه ، ويغرس في نفسه مُثُلَه العظيمة وخصاله السامية ، وكـن الإمـام طوال هذه السنين تحت ظلّ والده العظيم الإمام الحسين الذي رأى في ولـده علـي زين العابدين امتداداً ذاتيّاً ومشرقاً لروحانيّة النبوّة ومُثُل الإمـامـة ، فأولاه المزيد من رعايته وعنايته ، وقدّمه على بقية أبنائه ، وصاحَبَه في أكثر أوقاته .

وتـؤكد المـصادر التاريخـية أنّ الإمـام علي زين العابدين كان حاضراً في كـربلاء إذ شـهد واقعـة الطفّ بجزئياتها وتفاصيلها وجميع مشاهدها لمروّعة ، وكـان شـاهداً علـيها ومـؤرخاً لها . إن المؤكد في معظم المصادر التاريخية ، أو المتفق عليه فيها أنه كان يوم كربلاء مريضاً أو موعوكاً .

فـيروي أنـه: جاء عمر بن سعد فقال: لا تعرضوا لهؤلاء النسوة ولا لهذا المـريض ، قـال علـي بـن الحـسين فغيـبني رجل منهم وأكرم نزلي واختصني وجعـل يبكـي كلمـا خـرج ودخـل حتـى كنت أقول: إن يكن عند أحد من الـناس خـير ووفاء فعند هذا ؛ إلى أن نادى منادي بن زياد ألا من وجد علي بـن حـسين فلـيأت به فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم ، فدخل والله علي وهو يبكـي وجعـل يربط يدي إلى عنقي وهو يقول: أخاف ؛ فأخرجني والله إليهم مـربوطا حتـى دفعـني إلـيهم وأخـذ ثلاثمائة درهم وأنا أنظر إليها ، فأخذت وأدخلـت علـى ابـن زياد فقال: ما اسمك فقلت: علي بن حسين قال: أو لم يقتل الله عليًا ، قلت: كان لي أخ يقال له: علي أكبر مني قتله الناس قال: بل الله قـتله قلـت: الله يتوفـى الأنفـس حين موتها ؛ فأمر بقتله فصاحت زينب بـنت علـي: يـا ابن زياد ، حسبك من دمائنا ، أسألك بالله إن قتلته إلا قتلتني معـه ؛ فتركه ، ولما دخلت على يزيد بن معاوية بمن بقي من أهلي ؛ قام رجل مـن أهـل الـشام فقال: إن سباءهم لنا حلال ، فقلت: كذبت ولؤمت ما ذاك لـك ، إلا أن تخـرج مـن ملتـنا وتأتـي بغـير ديـنـا ، فأطرق يزيد مليًا ثم قال للـشامي: اجلـس ، وقال لي: إن أحببت أن تقيم عندنا فنصلِ رحمك ونعرف لـك حقـك فعلت ، وإن أحببت أن أردك إلى بلادك وأصِلُك قال: بل تردني

إلى بلادي فرده إلى بلاده ووصله[1].

وعاش الإمام زين العابدين في المدينة المنورة، حاضرة الإِسلام الأُولى، ومهد العلوم والعلماء، في وقت كانت تحتضن فيه ثلّة من علماء الصحابة، مع كبار علماء التابعين، فكان بشهادة أكابر أبناء طبقته والتابعين لهم، الأعلم والأفقه والأوثق، بلا ترديد. فقد كان الزهري يقول: (ما كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين، وما رأيت أحداً كان أفقه منه). وممن عرف هذا الأمر وحدّث به الفقيه. هذا وقد كانت مدرسته تعج بكبار أهل العلم من حاضرة العلم الأُولى في بلاد الإِسلام، يحملون عنه العلم والأدب، وينقلون عنه الحديث ومن بين هؤلاء، كما أحصاهم الذهبي: ابنه أبو جعفر محمد الباقر وعمر، وزيد، وعبد الله، والزهري، وعمرو بن دينار، والحكم ابن عُتيبة، وزيد بن أسلم، ويحيى بن سعيد، وأبو الزناد، وعلي بن جدعان، ومسلم البطين، وحبيب بن أبي ثابت، وعاصم بن عبيدالله، وعاصم بن عمر ابن قتادة بن النعمان، وأبوه عمر بن قتادة، والقعقاع بن حكيم، وأبو الأسود يتيم عروة، وهشام بن عروة بن الزبير، وأبو الزبير المكّي، وأبو حازم الأعرج، وعبدالله بن مسلم بن هرمز، ومحمد بن الفرات التميمي، والمنهال بن عمرو، وخلق سواهم.. وقد حدّث عنه أبو سلمة وطاووس، وهما من طبقته. غير هؤلاء رجال من خاصة شيعته من كبار أهل العلم، منهم: أبان بن تغلب، وأبو حمزة الثمالي، وغيرهم كثير. الجمع الغفير وغيرهم ممن وصف بالخلق 'لكثير أخذوا عن الإمام زين العابدين علوم الشريعة من تفسير القرآن الكريم والعلم بمحكمة ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وأحكامه وآدابه، والسُنّة النبوية الشريفة رواية وتدويناً في عصر كانت ما تزال كتابة الحديث فيه تتأثر بما سلف من سياسة المنع من التدوين التي أسسها الشيخين أبو بكر وعمر، السياسة التي اخترقها أئمة أهل البيت فكتب عنهم تلامذتهم والرواة عنهم الشيء الكثير، إلى أحكام الشريعة، حلالها وحرامها وآدابها، إلى فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما تأدبوا على يديه في مجالسه بآداب الإِسلام التي شحنها في أدعيته التي

(١) الطبقات الكبرى، ٥/ ٢١٢.

اشتهرت وانتشرت في عهده حتى أصبحت تشكّل لوحدها ظاهرة جديدة في تبني أسلوب روحي متين، ليس لإحياء القلوب وشدّها إلى الله وحسب؛ بلٍ إلى إحياء معالم الشريعة وحدودها وآدابها الأدعية التي حفظ المشهور جدا منها في الصحيفة المعروفة بالصحيفة السجادية نسبة إليه حيث عرف الإمام علي زين العابدين بالسجاد.

روي أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة أبيه وأخيه الوليد فطاف بالبيت؛ فلما أراد أن يستلم الحجر لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه، وقام أهل الشام حوله، فبينما هو كذلك إذا أقبل علي بن الحسين فلما دنا من الحجر ليستلمه تنحى عنه الناس إجلالاً له وهيبة واحترامًا وهو في بزة حسنة وشكل مليح، فقال أهل الشام لهشام: من هذا؟ فقال: لا أعرفه استنقاصًا به واحتقارًا؛ لئلا يرغب فيه أهل الشام، فقال الفرزدق وكان حاضرًا: أنا أعرفه فقالوا: ومن هو؟ فأشار الفرزدق يقول:

هـذا الذي تَعرِف البطحاءَ وطأتَه ::: والبَـيْتُ يَعْـرِفه والحِـلّ والحرمُ
هـذا ابـنُ خـيرِ عباد الله كلّهم ::: هـذا التقـيُّ النقيُّ الطاهرُ العلَمُ
هـذا ابـنُ فاطمة إن كنتَ جاهله ::: بجـدِّه أنبـياءُ الله قـد خُـتموا
ولـيس قـولُك مَـن هذا بضائرِه ::: العُرْبُ تعرِف مَنْ أنكرتَ والعجم
إذا رأتـه قـريشٌ قـال قائلـها ::: إلى مكـارِمِ هـذا ينتهـي الكرمُ
يُغْـضِي حـياءً ويُغْضى من مهابته ::: فمـا يُكَلّـمُ إلا حـين يَبْتـسم
بكَفّـه خيـزُرانٌ رِيحُهـا عَـبِقٌ ::: مـن كـفّ أروعَ في عِرْنينه شَمَم
يكـاد يُمسـكه عـرْفانَ راحته ::: رُكـنُ الحطـيم إذا ما جاء يستلم
الله شـرَّفه قـدْماً وعَظمـه ::: جَـرَى بـذاك لـه في لوحه القلم
أيُّ الخلائـق ليـست في رقـابهم ::: لأَوَّلـيَّة هـذا أولَـهُ نَعَـمُ
مَـنْ يـشكرِ الله يشكرْ أوّليَّة ذا ::: فالـدِّين مـن بيت هذا ناله الأمم
يَنْمـي إلى ذروة الدين التي قَصُرت ::: عـنها الأكفُّ وعن إدراكها القَدَمُ
مَـنْ جَـدُّه دان فَضْلُ الأنبياء له ::: وفَـضْلُ أمَّـته دانـت لـه الأمم
مُـشتقّةٌ مـن رسـول الله نَبعـتُه ::: طابـت مغارسُـه والخِيمُ والشِّيَمُ

ينـــشقُّ ثَوبُ الدجى عن نُور غُرَّته ::: كالشمس تنجابُ عن إشراقها الظُّلَم
مـــنْ معـــشرٍ حبُّهم دينٌ وبغضهمُ ::: كُفْــرٌ وقُــرْبُهُم مَنْجــىً ومُعْتَصَم
مُقَــدَّمٌ بعــد ذكــر الله ذكــرُهُم ::: في كــلِّ بــدْء ومخــتومٌ به الكَلِم
إن عُــدَّ أهــلُ التُّقى كانوا أئمتَهم ::: أو قيل مَنْ خيرُ أهل الأرض قيلَ هَمُ
لا يــستطيع جــوادٌ كنهَ جودهمُ ::: ولا يدانــيهمُ قــومٌ وإن كــرموا
يُــسْتَدفَع الــشرُّ والــبلوى بحبِّهمُ ::: ويــستربُّ بــه الإحْسانُ والنِّعَم

قـال فغـضب هـشام مـن ذلـك وأمـر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينـة ، فلمـا بلغ ذلك علي بن احسين بعث إلى الفرزدق باثنى عشر ألف درهـم فلـم يقبلها وقال: إنما قلت ما قلت لله تعالى ونصرة للحق وقيامًا بحق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذريته ، ولست أعتاض عن ذلك بشيء ، فأرسل إليه علي بن الحسين يقول: قد علم الله صدق نيتك في ذلك وأقسمت عليك بالله لتقبلنها فتقبلها منه ثم جعل يهجو هشاما وكان مما قال فيه:

أتَحبــسني بــين المدينــة والــتي ::: إلــيها قلــوب الناس يَهْوى مُنيبُها
يقلِّــبُ رأســاً لم يكن رأس سيِّد ::: وعيــناً لــه حولاء بادٍ عيوبُها [(١)]

مـن أهم آثاره العلمية الصحيفة 'لسجادية وهو كتاب يحوي على أدعيته الـتي تتميز بفصاحة ألفاظها ، وبلاغة معانيها ، وعلوّ مضامينها ، وما فيها من أنـواع الـتذلّل لله والثـناء علـيه ، والأسـاليب العجيبة في طلب عفوه وكرمه والتوسّل إليه . وقد قال العلامة الشيح الطنطاوي صاحب التفسير المعروف: "ومـن الـشقاء إنـا إلى الآن لم نقـف علـى هـذا الأثر القيم الخالد في مواريث النبوة وأهل البيت ، وإني كلما تأملته رأيتها فوق كلام المخلوق ، دون كلام الخالق".

ورسـالة الحقـوق: وهـي مـن جلائـل الرسـائل في أنواع الحقوق ، يذكر الإمـام فيها حقوق الله سبحانه على الإنسان ، وحقوق نفسه عليه ، وحقوق أعـضائه من اللسان والسمع والبصر والرجلين واليدين والبطن والفرج ، ثمّ يذكـر حقـوق الأفعال ، من الصلاة والصوم والحج والصدقة والهدي . . التي

(١) ديوان الفرزدق ، البداية والنهاية ، ٨/ ٢٢٧

تبلغ خمسين حقاً، آخرها حق الذمّة.

عُرف عن علي بن الحسين تواضعه الجم، ولا عجب في ذلك فجده سيد الخلق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كان خلقه القرآن كما أخبرت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولقد جاءه نفر فأثنوا عليه فقال: ما أكذبكم وما أجرأكم على الله، نحن من صالحي قومنا وبحسبنا أن نكون من صالحي قومنا[1].

وكان علي بن الحسين كجده محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حليمًا عفوًا يصفح عمن أساء إليه، ولقد جاء إليه رجل فقال له: إن فلانا قد آذاك، ووقع فيك قال: فانطلق بنا إليه، فانطلق معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه، فلما أتاه قال: يا هذا، إن كان ما قلت في حقًا فغفر الله لي، وإن كان ما قلت في باطلاً فغفر الله لك[2]..

وكان بين حسن بن حسن وبين علي بن الحسين بعض الأمر فجاء حسن بن حسن إلى علي بن الحسين وهو مع أصحابه في المسجد فما ترك شيئًا إلا قاله له، وعلي ساكت فانصرف حسن، فلما كان في الليل أتاه في منزله فقرع عليه بابه فخرج إليه فقال له علي: يا أخي إن كنت صادقا فيما قلت لي غفر الله لي، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك، السلام عليكم وولى، فاتبعه حسن فالتزمه من خلفه وبكى حتى رثى له، ثم قال: لا جرم لا عدت في أمر تكرهه، فقال علي: وأنت في حل مما قلت لي[3].

وخرج يوما من المسجد فسبه رجل؛ فانتدب الناس إليه فقال: دعوه ثم أقبل عليه فقال: ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل فألقى إليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول: إنك من أولاد الأنبياء[4].

وقال عبد الرزاق سكبت جارية لعلي بن الحسين عليه ماء ليتوضأ فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجه فرفع رأسه إليها فقالت الجارية:

(١) الطبقات الكبرى، ٥/ ٢١٤.
(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، صفة الصفوة، ٢/ ٩٤.
(٣) عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، صفة الصفوة، ٢/ ٩٤.
(٤) البداية والنهاية، ٩/ ١٢٣.

إن الله يقول والكاظمين الغيظ فقال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس فقال: عفا الله عنك فقلت والله يحب المحسنين قال أنت حرة لوجه الله تعالى[1] .

ونال منه رجل يوما فجعل يتغافل عنه يريه أنه لم يسمعه فقال له الرجل إياك أعني فقال له علي وعنك أغضي[2]

وكان علي بن الحسين ناصحًا لأصحابه مقومًا ما يراه خطأً في سلوكهم ، ومما يروى عنه في ذلك ما حدث بينه وبين ابن شهاب الزهري وقد أصاب دمًا خطأ ، فخرج وترك أهله وضرب فسطاطا وقال: لا يظلني سقف بيت ، فمر به علي بن حسين فقال: يا ابن شهاب ، قنوطك أشد من ذنبك ، فاتق الله واستغفره ، وابعث إلى أهله بالدية وارجع إلى أهلك . فكان الزهري يقول: علي بن حسين أعظم الناس علي منة[3] .

ومات لرجل ولد مسرف على نفسه فجزع عليه من أجل إسرافه فقال له علي بن الحسين: إن من وراء ابنك خلالاً ثلاثًا شهادة أن لا إله إلا الله ، وشفاعة رسول الله ، ورحمة الله تعالى[4] .

وقال لابنه ناصحًا: يا بني لا تصحب فاسقًا فإنه يبيعك بأكلة وأقل منها يطمع فيها ثم لا ينالها ، ولا بخيلاً فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه ، ولا كذابًا فإنه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد عنك القريب ، ولا أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، ولا قطع رحم فإنه ملعون في كتاب الله قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾ [5] .

وقال لابنه أيضًا: يا بني اصبر على النوائب ، ولا تتعرض للحقوق ، ولا

---

(١) البداية والنهاية ، ٩/ ١٢٥ .
(٢) البداية والنهاية ، ٩/ ١٢٣ .
(٣) الطبقات الكبرى ، ٥/ ٢١٤ .
(٤) البداية والنهاية ، ٩/ ١٢٥ .
(٥) البداية والنهاية ، ٩/ ١٢٣ .

تخيب أخالك إلا في الأمر الذي مضرته عليك أكثر من منفعته لك[1].

وكان علي بن الحسين إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة فقيل له ما لك فقال ما تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي . وكان الزهري يقول: ما رأيت قرشيًا أورع منه ولا أفضل[2].

ولما حج أراد أن يلبي فارتعد وقال: أخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك فيقال لي: لا لبيك فشجعوه على التلبية فلما لبى غشي عليه حتى سقط عن الراحلة ، وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة .

وذكروا أنه احترق البيت الذي هو فيه وهو قائم يصلي فلما انصرف قالوا له مالك لم تنصرف فقال إني اشتغلت عن هذه النار بالنار الأخرى وكان إذا توضأ يصفر لونه فإذا قام إلى الصلاة ارتعد من الفرق فقيل له في ذلك فقال ألا تدرون بين يدي من أقوم ولمن أناجي[3].

وكان كثير الصدقة بالليل : وكان يقول: صدقة الليل تطفئ غضب الرب ، وتنور القلب والقبر ، وتكشف عن العبد ظلمه يوم القيامة . وقال محمد بن إسحاق: كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ، ومن يعطيهم؟ فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به ، ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين في الليل ، وقيل: إنه كان يعول مائة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات . ودخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد يعوده فبكى ابن أسامة فقال له: ما يبكيك؟ قال: علي دين قال: وكم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار ، وفي رواية سبعة عشر ألف دينار فقال: هي علي[4].

وعرف عنه علمه وحبه للعلم فقال الزهري: كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين وما رأيت أفقه منه وكان قليل الحديث وكان من أفضل أهل بيته

(١) لبداية والنهاية ، ٩/ ١٣٣ .
(٢) الطبقات الكبرى ، ٥/ ٢١٦ .
(٣) البداية والنهاية ، ٩/ ١٢٣ .
(٤) البداية والنهاية ، ٩/ ١٢٣ .

وأحسنهم طاعة وأحبهم إلى مروان وابنه عبد الملك وكان يسمى زين العابدين .

وفي روايته للحديث يقول أبو بكر بن أبي شيبة: أصح الأسانيد كلها الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده .[1]

وكان علي بن الحسين إذا دخل المسجد تخطى الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم ، فقال له نافع بن جبير بن مطعم: غفر الله لك أنت سيد الناس تأتي تخطي حلق أهل العلم وقريش حتى تجلس مع هذا العبد الأسود فقال له علي بن الحسين: إنما يجلس الرجل حيث ينتفع ، وإن العلم يطلب حيث كان[2] .

من كلماته:

- أصبحت مطلوباً بثمان: الله يطالبني بالفرائض ، والنبي بالسُنَة ، والعيال بالقوت ، والنفس بالشهوة ، والشيطان باتّباعه ، والحافظان بصدق العمل ، وملك الموت بالروح ، والقبر بالجسد . . فأنا بين هذه الخصال مطلوب .

- إذا رأيتم الرجل قد حسُنَ سمتُه وهديه ، وتمادى في منطقه وتخاضع في حركاته ، فرويداً لا يغرنكم ، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام فيها ، لضعف بنيته ومهانته وجبن قلبه ، فنصبَ الدين فخاً له ، فهو لا يزال يُختل الناس بظاهره ، فإنّ تمكن من حرام اقتحمه ، وإذا وجدتموه يعفّ عن المال الحرام فرويداً لا يغرّنكم ، فإنّ شهوات الخلق مختلفة ، فما أكثر من يتأبى عن الحرام وإن كثر ، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة ، فيأتي منها محرماً ، فإذا رأيتموه كذلك ، فرويداً حتى لا يغرّنكم عقده وعقله ، فما أكثر من ترك ذلك أجمع ثمّ لا يرجع إلى عقل متين ، فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله . . فإذا وجدتم عقله متينا فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا أيكون هواه على عقله ، أم يكون عقله على هواه؟ وكيف محبته للرياسة الباطلة وزهده فيها؟ فإنّ في الناس من يترك الدنيا للدنيا ، ويرى لذّة الرياسة الباطلة أفضل من رياسة الأموال والنعم المباحة المحللة ، فيترك ذلك أجمع

---

(١) البداية والنهاية ، ٩/ ١٢٢ .

(٢) البداية والنهاية ، ٩/ ١٢٤ .

طلباً للرياسة ، حتى إذا قيل له اتق الله أخذته العزّة بالاثم فحسبه جهنم وبئس المهاد . . فهو يحلّ ما حرم الله ، ويحرم ما أحلّ الله لا يبالي ما فات من دينه إذا سلمت له الرياسة التي قد شقي من أجلها ، فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً أليما .

- أيُّها الناس ، اتقوا الله ، واعلموا أنكم إليه راجعون ، فتجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً . . ويحذّركم الله نفسه . . ويحك ابن آدم ، إنَّ أجلك أسرع شيء إليك ، ويوشك أن يدركك ، فكأنك قد أوفيت أجلك ، وقد قبض الملك روحك ، وصُيّرت إلى قبرك وحيداً . . فإن كنت عارفاً بدينك متّبعاً للصادقين ، موالياً لأولياء الله ، لقّنك الله حجتك ، وأنطق لسانك بالصواب ، فأحسنت الجواب ، وبُشّرت بالجنّة والرضوان من الله ، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان ، وإن لم تكن كذلك تلجلج لسانك ، ودُحضت حجتك ، وعييت عن الجواب وبُشرت بالنار ، واستقبلتك ملائكة العذاب بنُزُلٍ من حميم ، وتصلية جحيم .

- أنا ابن الخيرتين وسبب ذلك أن النبى قال فيما روى: "لله من عباده خيرتان ، فخيرته من العرب قريش ، وخيرته من العجم فارس وعلي زين العابدين قرشى الأب وفارسي الأم .

- وقال علي بن الحسين: سادة الناس في الدنيا الأسخياء الأتقياء ، وفي الآخرة أهل الدين وأهل الفضل والعلم والأتقياء ، لأن العلماء ورثة الأنبياء .

وقال أيضًا: إني لأستحي من الله تعالى أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله به الجنة وأبخل عليه بالدنيا .

- وكان يقول: الفكرة مرآة تري المؤمن حسناته وسيئاته . وقال: فقد الأحبة غربة .

- وكان يقول: إن قومًا عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرون عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار ، وآخرون عبدوه محبة وشكرًا فتلك عبادة الأحرار الأخيار .

- وكان يقول: لا يقول رجل في رجل من الخير مالا يعلم إلا أوشك

أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم، وما اصطحب اثنان على معصية إلا أوشك أن يفترقا على غير طاعة.

وقصيدته الرائعة التي يقول فيها:

ليس الغريب غريب الشّام واليمن : : إنّ الغريب غريب اللّحد والكفن
إنّ الغريب لـه حقّ لغربته : : على المقيمين في الأوطان والسّكن
لا تنهرنّ غريبا حال غربته ::: الدّهر ينهره بالذّلّ والمحن
سفري بعيد وزادي لن يبلّغني ::: وقوّتي ضعفت والموت يطلبني
ولي بقايا ذنوب لست أعلمها ::: اللّه يعلمها في السّرّ والعلن
ما أحلم اللّه عنّي حيث أمهلني ::: وقد تماديت في ذنبي ويستريني[1]

وكان يقول إذا مرت عليه جنازة:

نراع إذا الجنائز قابلتن ::: ونلهو حين تمضي ذاهبات

***

كروعة ثلة لمغار سبع ::: فلما غاب عادت راتعات[2]

وفاتـه:

اختلف أهل التاريخ في السنة اتي توفي فيها علي بن الحسين زين العابدين، فالمشهور عن الجمهور أنه توفي في سنة أربع وتسعين في أولها عن ثمان وخمسين سنة، وصلى عليه بالبقيع ودفن به. وقيل: مات علي بن الحسين وسعيد بن المسيب وعروة وأبو بكر بن عبد الرحمن سنة أربع وتسعين وقال بعضهم توفي سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين وأغرب المدائني في قوله إنه توفي سنة تسع وتسعين والله أعلم[3].

* * * * *

(١) الإحياء، ٣/ ١٨٦، الشوارد في الشعر، ص ٥٠. والتمادي في الذنب: المداومة عليه.
(٢) البداية والنهاية، ٩/ ١٢٨.
(٣) البداية والنهاية، ٩/ ١٣٢.

مواقف الشيعة
مع علي بن الحسين زين العابدين.

قال موبخا شيعته الذين خذلوا أباه وقتلوه قائلا: « أيها الناس نشدتكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه وخذلتموه، فتبا لما قدمتم لأنفسكم، وسوأة لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول لكم: « قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أمتي ». فارتفعت أصوات النساء بالبكاء من كل ناحية، وقال بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون. فقال عليه السلام: « رحم الله امرءا قبل نصيحتي، وحفظ وصيتي في الله ورسوله وأهل بيته فإن لنا في رسول الله أسوة حسنة. فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا سامعون مطيعون حافظون لذمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنا حرب لحربك، وسلم لسلمك، لنأخذن يزيد ونبرأ ممن ظلمك وظلمنا، فقال عليه السلام: هيهات هيهات أيها الغدرة المكرة حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إلي كما أتيتم آبائي من قبل؟ كلا ورب الراقصات فإن الجرح لما يندمل، قتل أبي بالأمس وأهل بيته معه، ولم ينسني ثكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وثكل أبي وبني أبي ووجده بين لهاتي ومرارته بين حناجري وحلقي وغصته تجري في فراش صدري »[(١)].

وعندما مر الإمام زين العابدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد رأى أهل الكوفة ينوحون ويبكون، زجرهم قائلا: « تنوحون وتبكون من أجلنا فمن الذي قتلنا؟»[(٢)].

ويذكر المؤرخ الشيعي اليعقوبي في تاريخه أنه لما دخل علي بن الحسين الكوفة رأى نساءها يبكين ويصرخن فقال: "هؤلاء يبكين علينا فمن قتلنا ؟" أي من قتلنا غيرهم[(٣)].

(١) لطبرسي، الاحتجاج، ٢/ ٣٢.
(٢) حقبة من التاريخ، ص ٢٥١.
(٣) تاريخ اليعقوبي، ١/ ٢٣٥.

وكان يقول لهم: "يا أهل العراق! أحبونا حب الإسلام، ولا تحبونا حب الأصنام، فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شيناً"[1].

ومن المواقف المشهورة علي بن الحسين (زين العابدين) تبرأه من الشيعة مبغضي الصحابة، فقد قدم عليه نفر من أهل العراق فقالوا له في أبي بكر وعمر وعثمان كلاما قبيحا فلما فرغوا من كلامهم قال لهم الإمام زين العابدين: («ألا تخبروني: أنتم المهاجرون الأولون **﴿الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾** [الحشر:٨]؟! قالوا: لا، قال: فأنتم **﴿الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾** [الحشر:٩]؟! قالوا: لا، قال: أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم: **﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا﴾** [الحشر:١٠] اخرجوا عني فعل الله بكم»[2].

وأبان عوارهم وأظهر عارهم وكشف من حقيقتهم فقال: إن اليهود أحبوا عزيراً حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عزير منهم ولا هم من عزير، وإن النصارى أحبوا عيسى حتى قالوا فيه ما قالوا فلا عيسى منهم ولا هم من عيسى، وأنا على سنة من ذلك، إن قوماً من شيعتنا سيحبونا حتى يقولوا فينا ما قالت اليهود في عزير وما قالت النصارى في عيسى، فلا هم منا ولا نحن منهم[3].

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/١٣٩٨)، وأورده أبو نعيم في الحلية (٣/١٣٧)، والذهبي في السير (٤/٣٩٠).

(٢) الأربلي، كشف الغمة، ط تبريز / إيران، ٢/٧٨، نقلا عن: الشيعة وأهل البيت، لإحسان إلهي ظهير الباكستاني، ص٥٥ أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أحداث الأسنان]، تحقيق محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق – الطائف، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

(٣) أبو عمرو محمد الكشي، رجال الكشي، ط مؤسسة الأعلمي، كربلاء، العراق، ص١٠٧، نقلا عن: الشيعة وأهل البيت، لإحسان إلهي ظهير الباكستاني، ص٢٩٥.

الإمام محمد الباقر ٥٧ - ١١٤ هـ

هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بمحمد الباقر ، وهو ابن علي زين العابدين بن الحسين ، أمه فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب ويكنى بأبي جعفر من فحول علماء الإسلام .

روى عن جديه: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرسلا ، وعن جديه الحسن والحسين مرسلا أيضا ، وعن ابن عباس ، وأم سلمة ، وعائشة مرسلا ، وعن ابن عمر ، وجابر ، وأبي سعيد ، وعبد الله بن جعفر ، وسعيد بن المسيب ، وأبيه زين العابدين ، ومحمد بن الحنفية ، وطائفة .

وعن أبي هريرة ، وسمرة بن جندب مرسلا أيضا ، وليس هو بالمكثر ، هو في الرواية كأبيه وابنه جعفر ، ثلاثتهم لا يبلغ حديث كل واحد منهم جزءا ضخما ؛ ولكن لهم مسائل وفتاوى .

حدث عنه ابنه ، وعطاء بن أبي رباح ، والأعرج مع تقدمهما ، وعمرو بن دينار ، وأبو إسحاق السبيعي ، والزهري ، ويحيى بن أبي كثير ، وربيعة الرأي ، وليث بن أبي سليم ، وابن جريج ، وقرة بن خالد ، وحجاج بن أرطاة ، والأعمش ، ومخول بن راشد ، وحرب بن سريج ، والقاسم بن الفصل الحداني ، والأوزاعي ، وآخرون .

وروايته عن الحسن وعائشة في سنن النسائي ، وذلك منقطع .

وروايته عن سمرة في سنن أبي داود ، وكان أحد من جمع بين العلم والعمل والسؤدد ، والشرف ، والثقة ، والرزانة ، وكان أهلا للخلافة ، وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين تبجلهم الشيعة الإمامية وتقول بعصمتهم وبمعرفتهم بجميع الدين . فلا عصمة إلا للملائكة والنبيين ، وكل أحد يصيب ويخطئ ، ويؤخذ من قوله ويترك سوى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فإنه معصوم ، مؤيد بالوحي .

قال محمد بن مسلم: سألته عن ثلاثين ألف حديث ، وقد روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ، ووجوه التابعين ، ورؤساء فقهاء المسلمين .

وهو الإمام الخامس عند الشيعة الإمامية ، لقب بالباقر لبقره العلوم بقراً .

ولـد الإمـام الباقر في المدينة المنورة في الأول من رجب وقيل الثالث من صفر في عام ٥٧ هـجري .

تـزوج مـن أم فـروة بـنت القاسـم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمية القرشية ، وأم حكيم بنت أسيد بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفية .

أبـرز أولاده الإمـام جعفر الصادق وعبد الله وإبراهيم وعبيد الله وعلي وزينب وأم سلمة . وكان سبب وفاته في السنة المذكورة أعلاه مسمومًا [١] .

كان زاهداً عابداً كسائر أهل البيت والصحابة الكرام من الرّعيلِ الأول ، الـذين كانـت العـبادة والـزهد أهـم السِّمات وأبرز الصفات التي تظهر فيهم بجـلاء ، وتـبدو للناظـرين في سـيرتهم ، فقـد كـان ورْدُ الإمام الباقر في الليل والـنهار مائـةً وخمـسين ركعـة[٢] لم يـركن إلى نسبه ، ولا خَلَدَ إلى حَسَبِه ، بل شمَّـر واجـتهد ، وتعـبَّد وزهِـد . وكـان يقول: "هلِ الدنيا إلا مركبٌ ركبتُه ، وثـوبٌ لبسته" . وقـد بلـغ مـن العِلم درجةً عاليةً سامية ، حتى إن كثيراً من العلماء كانوا يرون في أنفسهم فضلاً وتحصيلاً ، فإذا جلسوا إليه أحسُّوا أنهم عِيالٌ عليه ، وتلاميذٌ بين يديه ، ولذلك لُقِّب بالباقر: من بَقَر العلم أي شَقَّه ، واسـتخرج خفايـاه ، وقـد كـان إلى جانب علمه من العاملين بعلمهم ؛ فكان عفّ اللسان ، طاهر[٣] .

ولقد كان أبو جعفر إماما ، مجتهدا ، تاليا لكتاب الله ، كبير الشأن ، ولكن لا يـبلغ في القـرآن درجـة ابـن كـثير ونحوه ، ولا في الفقه درجة أبي الزناد ، وربيعة ، ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب . فلا نُحابِيه ، ولا نحيفُ عليه ، ونحبه في الله لما تجمع فيه من صفات الكمال . [٤]

قـال ابـن فضيل ، عن سالم بن أبي حفصة: سألت أبا جعفر وابنه جعفرا عـن أبـي بكـر وعمـر ، فقالا لي: يا سالم ، تولهما وابرأ من عدوهما ؛ فإنهما كانا إمامي هدى .

(١) سير أعلام النبلاء ، ٤/٤٠٦ .
(٢) الوافي بالوفيات ، ٤/٧٧ .
(٣) سير أعلام النبلاء ، ٤/٤٠٦ .
(٤) سير أعلام النبلاء ، ٤/٤٠٦ .

كان سالم فيه تشيع ظاهر ، ومع هذا فيبث هذا القول الحق ؛ وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذو الفضل ، وكذلك ناقلها ابن فضيل ، شيعي ثقة . فعثر الله شيعة زماننا ما أغرقهم في الجهل والكذب ، فينالون من الشيخين وَزِيرَي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويحملون هذا القول من الباقر والصادق على التقية .

وروى إسحاق الأزرق ، عن بسام الصيرفي ، قال: سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر ، فقال: والله إني لأتولاهما وأستغفر لهما ، وما أدركت أحدا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما[1] .

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال: كنت أنا وأبو جعفر نختلف إلى جابر نكتب عنه في ألواح ، وبلغنا أن أبا جعفر كان يصلي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة[2] .

وقد عدَّه النسائي وغيره في فقهاء التابعين بالمدينة ، واتفق الحفاظ على الاحتجاج بأبي جعفر .

قال القطيعي في فوائده: حدثنا أبو مسلم الكجي ، حدثنا أبو عاصم ، عن جعفر بن محمد ، حدثني أبي قال: قال عمر: ما أدري ما أصنع بالمجوس! فقام عبد الرحمن بن عوف فروى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: سنوا بهم سنة أهل الكتاب هذا مرسل[3] .

قال الزبير بن بكار: كان يقال لمحمد بن علي: باقر العلم ، وأمه هي أم عبد الله بنت الحسن بن علي . وفيه يقول القرظي:

يا باقر العلم لأهل التقى ::: وخير من لبى على الأجبل[4]

وقال فيه مالك بن أعين:

إذا طلب الناس علم القرا ::: ن كانت قريش عليه عيالا

(١) سير أعلام النبلاء ، ٤/ ٤٠٦ .
(٢) البداية والنهاية ، ٩/ ٣٣٨ .
(٣) سير أعلام النبلاء ، ٤/ ٤٠٣ .
(٤) وفيات الأعيان ، ٤/ ١٧٤ .

وإن قيل: إبن ابن بنت الرسو ::: ل نلت بذلك فرعا طوالا
تحوم لهلل للمدلجين ::: جبال تورث علما جبالا [1]

ابن عقدة: حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي نجيح، حدثنا علي بن حسان القرشي، عن عمه عبد الرحمن بن كثير، عن جعفر بن محمد، قال: قال أبي: أجلسني جدي الحسين في حجره، وقال لي: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرئك السلام.

عن أبان بن تغلب، عن محمد بن علي، قال: أتاني جابر بن عبد الله، وأنا في الكتاب. فقال لي: اكشف عن بطنك، فكشفت، فألصق بطنه ببطني، ثم قال: أمرني رسول الله أن أقرئك منه السلام.

قال ابن عدي: لا أعلم رواه عز أبان غير المفضل بن صالح أبي جميلة النخاس.

لوين حدثنا أبو يعقوب عبد الله بن يحيى، قال: رأيت على أبي جعفر إزارا أصفر، وكان يصلي كل يوم وليلة خمسين ركعة بالمكتوبة.

وعن سلمة بن كهيل، في قوله: ﴿ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ قال: كان أبو جعفر منهم.

الزبير في "النسب": حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري، قال: حج الخليفة هشام، فدخل الحرم متكئا عىى يد سالم مولا.، ومحمد بن علي بن الحسين جالس، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا محمد بن علي. فقال: المفتون به أهل العراق؟ قال: نعم. قال: اذهب إليه فقل له: يقول لك أمير المؤمنين: ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟ فقال له محمد: يحشر الناس على مثل قرصة النقي فيها الأنهار مفجرة. فرأى هشام أنه قد ظفر فقال: الله أكبر، اذهب إليه، فقل له: ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ! ففعل. فقال: قل له: هم في النار أشغل، ولم يشغلوا أن قالوا: ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾.

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٤/٤٠٣.

قال المطلب بن زياد: حدثنا ليث بن أبي سليم، قال: دخلت على أبي جعفر محمد بن علي وهو يذكر ذنوبه وما يقول الناس فيه، فبكى.

وعن أبي جعفر، قال: من دخل قلبه ما في خالص دين الله، شغله عما سواه. ما الدنيا، وما عسى أن تكون! هل هي إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته، أو امرأة أصبتها.

عن محمد بن علي، قال: اذكروا من عظمة الله ما شئتم، ولا تذكرون منه شيئا إلا وهي أعظم منه؛ واذكروا من النار ما شئتم، ولا تذكرون منها شيئا إلا وهي أفضل منه؛ واذكروا من الجنة ما شئتم، ولا تذكرون منها شيئا إلا وهي أفضل.

عن محمد بن علي، قال: أجمع بنو فاطمة على أن يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن ما يكون من القول.

قلت: أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق هي صاحبة أبي جعفر الباقر، وأم ولده جعفر الصادق.

عن سالم بن أبي حفصة وكان يترفض، قال: دخلت على أبي جعفر وهو مريض فقال - وأظن قال ذلك من أجلي: اللهم إني أتولى وأحب أبا بكر وعمر، اللهم إن كان في نفسي غير هذا، فلا نالتني شفاعة محمد يوم القيامة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عن عبد الملك بن أبي سليمان: قلت لمحمد بن علي: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال: هم أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قلت: إنهم يقولون: هو علي. قال: علي منهم[1]

قال سفيان الثوري: اشتكى بعض أولاد محمد بن علي، فجزع عليه، ثم أخبر بموته، فسُرِّي عنه. فقل له في ذلك، فقال: ندعو الله فيما نحب، فإذا وقع ما نكره، لم نخالف الله فيما أحب.

حدث أبو نعيم، نبأنا بسام الصيرفي، قال: سألت أبا جعفر محمد بن

(١) سير أعلام النبلاء، ٤/٤٠٣.

علي عن القرآن فقال: كلام الله غير مخلوق [١]

عن عروة بن عبد الله، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف، فقال: لا بأس به، قد حلّى أبو بكر الصديق سيفه. قلت: وتقول الصديق؟ فوثب وثبة واستقبل القبلة. ثم قال: نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل الصديق، فلا صدق الله له قولا في الدنيا والآخرة.

ومن عالي روايته: عن محمد بن علي، قال: كانت أم سلمة تقول: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحج جهاد كل ضعيف[٢].

من وصاياه:

- أيّها الناس: أين تذهبون؟ وأين يراد بكم؟ بنا هدى الله أوّلكم، وبنا ختم آخركم، فإن يكن لكم ملك معجّل فإنّ لنا ملكاً مؤجّلاً، وليس بعد ملكنا ملك، لأنّا أهل العاقبة، يقول الله عزّ وجل: ﴿والعاقبة للمتقين﴾.

يا ذي الهيئة المعجبة، والهيم المعطنة: ما لي أراكم أجسامكم عامرة، وقلوبكم دامرة، أمّا والله لو عاينتم ما انتم ملاقوه، وانتم إليه صائرون، لقلتم: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أوصيك بخمس: إن ظلمت فلا تظلم، وإن خانوك فلا تخن، وإن كذبت فلا تغضب، وإن مدحت فلا تفرح، وإن ذممت فلا تجزع، وفكّر فيما قيل فيك، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله جلّ وعزّ عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة ممّا خفت من سقوطك من أعين الناس، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك، فثواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك.

- عن محمد بن علي: قال: ما دخل قلب امرئ من الكبر شيء إلا نقص من عقله مقدار ذلك.

- وعن أبي جعفر، قال: الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن، ولا

(١) سير أعلام النبلاء، ٤/ ٤٠٣.
(٢) سير أعلام النبلاء، ٤/ ٤٠٣.

تصيب الذاكر .

- مـات أبو جعفر سنة أربع عشرة ومائة بالمدينة . أرخه أبو نعيم وسعيد ابن عفير ، ومصعب الزبيري .

- وعنه قال: سلاح اللئام قُبْح الكلام . [(١)]

* * * * *

(١) سير أعلام النبلاء ، ٤٠٨/٤ .

مواقف الشيعة
مع محمد الباقر

وأما محمد الباقر (٥٧- ١١٤ هـ) فكان يائساً من نصرة الشيعة ودفاعهم عن أل البيت إلى حد قوله: لو كان الناس كلهم لنا شيعة لكان ثلاثه أرباعهم لنا شكاكاً والربع الآخر أحمق"[1].

(١) الكشي، رجال الكشي، ص١٧٩، نقلا عن: الشيعة وأهل البيت، لإحسان إلهي ظهير الباكستاني، ص٢٩٦.

جعفر الصادق

هو الإمامُ جعفرُ بنُ محمدِ بنِ علي زين العابدين بنِ الحسينِ السبط بن الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ابن عم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وزوج ابنته فاطمة البتول رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وأرضاها [1] .

هذا نسبهُ من جهةِ أصولهِ ، ومن جهةِ أخوالهِ فهو ابنُ أبي بكر الصديق أفضلُ أولياءِ اللهِ ، وصحابةِ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جهتين ، حيث كان جعفرُ الصادقُ يقولُ: ولدني أبو بكر الصديق مرتين .

وذلك أن أمَهُ هي: أمُ فروة بنتُ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق . وأمها - أي جدتهُ من قِبلِ أمهِ - هي أسماءُ بنتُ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين [2] . فإذا كان هؤلاءِ أخوالهُ ، وهذا الصديقُ جدهُ من الجهتين فلا يتصورُ في مثلِ جعفر بنِ محمد وهو من هو في دينهِ وقربهِ من الأصلِ النبوي ، أن يكون شاتماً أو مبغضاً أو حاقداً على جدهِ ، إذ لا تُقرهُ مروءتُهُ وشيمتُهُ وعروبتُهُ فضلاً عن دينهِ وكمالِ علمهِ وفضلهِ [3] .

ولد سنةَ ثمانين من الهجرةِ ، وتوفي سنةَ ١٤٨هـ وعمرهُ ثمانٌ وستون سنةٍ ، وبالمدينةِ ولادتُهُ ووفاتُهُ [4] .

لقب جعفرُ بنُ محمدٍ بالصادق ، وغلبَ هذا اللقبُ عليه ، فلا يكادُ يذكرُ إلا وانصرف إليه ؛ وسببُهُ أنهُ كانَ صادقاً في حديثهِ وقولهِ وفعلهِ ، لا يُعرفُ عنه سوى الصدق ولم يُعرف عنه كذبٌ قط .

بأبيهِ اقتدى عديٌّ بالكرمِ ::: ومن يُشابهُ أباهُ فما ظلم

حيث جده هو الصديقُ الذي نزل فيه قولُهُ تعالى في آخرِ التوبةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة: ١١٩] .

---

(١) وفيات الأعيان ، ١/ ٣٢٧ .

(٢) سير أعلام النبلاء ، ٦/ ٢٥٥ .

(٣) سير أعلام النبلاء ، ٦/ ٢٥٥ .

(٤) وفيات الأعيان ، ١/ ٣٢٧ .

وقد اشتهر لقبهُ هذا بين المسلمين، وكثيراً ما يلقبُهُ به الشيخُ ابنُ تيميةَ وغيرُهُ.

ومن ألقابِهِ الإمامُ وهو جديرٌ به، والفقيهُ. وليس هو بالمعصومِ كما يطلقهُ عليه مخالفوهُ، لأنهُ نفاها عن نفسهِ، وليست العصمة لأحدٍ إلا لرسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما بلغهُ عن ربهِ.

وكان الإمامُ جعفرُ الصادق من أكثرِ آبائِهِ أولاداً، فقد خلف من الأبناءِ:

١ - إسماعيلُ وهو أكبرُهم، وقد مات في حياتهِ سنةَ ١٣٨ هـ، وأرث ابناً اسمه محمدُ بنُ إسماعيل، وله بنون كثيرون متناسلون.

٢ - عبدُ اللهِ، وبه كان يكنى.

٣ - موسى الملقبُ بالكاظم، وهو الإمامُ بعد أبيه عند الاثني عشريةِ. وفيه اختلفتُ الإماميةُ مع الإسماعيليةِ حول إمامتهِ: بين موسى الملقب بالكاظم وإسماعيل سالفُ الذكرِ.

٤ - إسحاقُ.

٥ - محمدُ.

٦ - علي.

٧ - فاطمةُ.

ويرى أهل السنة والجماعة أن جعفرا الصادق إمام من أئمة أهل السنة والجماعة، وأنه ثقة مأمون ولا حاجة في نقل أقوال ائمة الحديث فيه فهي طافحة في الثناء عليه والمدح فيه، ولكنه كغيره من الأئمة يأخذ منه ويرد ولا معصوم عند أهل السنة والجماعة إلا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويرى أهل السنة والجماعة أنه من الطبيعي أن يسبق بعض من هم ليسوا من آل البيت من هم من آل بيت في العلم والفقه والحفظ.

تميز عصر الإمام الصادق بأنه عصر النمو والتفاعل العلمي والحضاري بين الثقافة والتفكير الإسلامي من جهة، وبين ثقافات الشعوب ومعارف الأمم وعقائدها من جهة أخرى. ففي عصره نمت الترجمة، ونقلت كثير من

العـوم والمعـارف والفلـسفات مـن لغـات أجنبـية إلى اللغـة العـربية ، وبدأ المـسلمون يـستقبلون هـذه العلـوم والمعـارف ويـنقحّونها أو يضيفون إليها ، ويعمقـون أصـولها ، ويوسـعون دائرتها . فنشأت في المجتمع الإسلامي حركة علمية وفكرية نشطة .

وسـط هـذه الأجـواء والتـيارات والمـذاهب والنشاط العلمي والثقافي ، عـاش الإمـام الصادق ومارس مهماته ومسؤولياته العلمية والعقائدية كإمام وأسـتاذ ، وعـالم فذّ لا يدانيه أحد من العلماء ، ولا ينافسه أستاذ أو صاحب معـرفة ، فقد كان قمة شامخة ومجدا فريدا فجّر ينابيع المعرفة ، وأفاض العلوم والمعـارف علـى علمـاء عـصره وأسـاتذة زمانه فكانت أساسا وقاعدة علمية وعقائديـة متيـنة ثـبت علـيها البـناء الإسـلامي ، واتـسعت مـن حولها آفاقه ومداراتـه . وقـد اشـتهر الإمـام الـصادق بغـزارة العلوم ولا سيما في الطب والكيمـياء وخلـف آثـارا عجيـبة مـن ذلـك (طب الصادق) و(أماليه) . هذا بالإضـافة إلى علـم الكـلام والفقـه والحـديث وقـد روى جابـر بـن حـيان الكـيمياوي العربي الشهير الشيء الكثير من الآراء الكيمياوية في مؤلفاته عن الإمام جعفر الصادق .

قـال عـنه الإمـامُ الـذهبي [1]: ابْـنِ الـشَّهِيْدِ أَبِـي عَـبْدِ اللهِ رَيْحَانَـةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسِبْطِهِ وَمَحْبُوبِهِ الحُسَيْنِ بنِ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ أَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بنِ أَبِـي طَالِـبٍ عَبْدِ مَنَافٍ بنِ شَيْبَةَ ، وَهُوَ عَبْدُ المُطَّلِبِ بنُ هَاشِمٍ ، وَاسْمُهُ: عَمْرُو بنُ عَبْدِ مَنَافٍ بنِ قُصَيٍّ .

الإِمَـامُ ، الـصَّادِقُ ، شَـيْخُ بَنِي هَاشِمٍ ، أَبُو عَبْدِ اللهِ القُرَشِيُّ ، الهَاشِمِيُّ ، العَلَوِيُّ ، النَّبَوِيُّ ، المَدَنِيُّ ، أَحَدُ الأَعْلاَمِ .

وَكَـانَ يَغضَبُ مِنَ الرَّافِضَّةِ ، وَيَمقُتُهُم إِذَا عَلِمَ أَنَّهُم يَتَعَرَّضُوْنَ لِجَدِّهِ أَبِي بَكْـرٍ ظَاهِـراً وَبَاطِـناً ، هَذَا لاَ رَيْبَ فِيْهِ ، وَلَكِنَّ الرَّافِضَّةَ قَوْمٌ جَهَلَةٌ ، قَدْ هَوَى بِهِمُ الهَوَى فِي الهَاوِيَةِ ، فَبُعداً لَهُم .

وُلِدَ: سَنَةَ ثَمَانِيْنَ .

---

(١) السير ، ٦/٢٥٦ .

وَرَأَى بَعْضَ الصَّحَابَةِ، أَحْسِبُهُ رَأَى: أَنسَ بنَ مَالِكٍ، وَسَهْلَ بنَ سَعْدٍ.

عَلِيُّ بنُ الجَعْدِ: عَنْ زُهَيْرِ بنِ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: قَالَ أَبِي لِجَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ: إِنَّ لِي جَاراً يَزْعُمُ أَنَّكَ تَبرأُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. فَقَالَ جَعْفَرٌ: بَرِئَ اللهُ مِنْ جَارِكَ، وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَنْفَعَنِي اللهُ بِقَرَابَتِي مِنْ أَبِي بَكْرٍ، وَلَقَدِ اشْتَكَيتُ شِكَايَةً، فَأَوصَيتُ إِلَى خَالِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ القَاسِمِ.

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: حَدَّثُونَا عَنْ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ، وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ، قَالَ: كَانَ آلُ أَبِي بَكْرٍ يُدْعَونَ عَلَى عَهْدِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ آلَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ.

وَرَوَى: ابْنُ أَبِي عُمَرَ العَدَنِيُّ، وَغَيْرُهُ، عَنْ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيْهِ، نَحْوَ ذَلِكَ.

مُحَمَّدُ بنُ فُضَيْلٍ: عَنْ سَالِمِ بنِ أَبِي حَفْصَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ وَابْنَه جَعْفَراً عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: يَا سَالِمُ! تَوَلَّهُمَا، وَابْرَأْ مِنْ عَدُوِّهِمَا، فَإِنَّهُمَا كَانَا إِمَامَيْ هُدَىً. ثُمَّ قَالَ جَعْفَرٌ: يَا سَالِمُ! أَيَسُبُّ الرَّجُلُ جَدَّه، أَبُو بَكْرٍ جَدِّي، لاَ نَالَتْنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ يَوْمَ القِيَامَةِ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَتَوَلاَّهُمَا، وَأَبرأُ مِنْ عَدُوِّهِمَا.

وَقَالَ حَفْصُ بنُ غِيَاثٍ: سَمِعْتُ جَعْفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ، يَقُوْلُ: مَا أَرْجُو مِنْ شَفَاعَةِ عَلِيٍّ شَيْئاً، إِلاَّ وَأَنَا أَرْجُو مِنْ شَفَاعَةِ أَبِي بَكْرٍ مِثْلَه، لَقَدْ وَلَدَنِي مَرَّتَيْنِ. كَتَبَ إِلَيَّ عَبْدُ المُنْعِمِ بنُ يَحْيَى الزُّهْرِيُّ، وَطَائِفَةٌ، قَالُوا: أَنْبَأَنَا دَاوُدُ بنُ أَحْمَدَ، أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ القَاضِي، أَنْبَأَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بنُ عَلِيٍّ، أَنْبَأَنَا أَبُو الحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ الأَدَمِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ الحُسَيْنِ الحُنَيْنِيُّ، حَدَّثَنَا مَخْلَدُ بنُ أَبِي قُرَيْشٍ الطَّحَّانُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الجَبَّارِ بنُ العَبَّاسِ الهَمْدَانِيُّ: أَنَّ جَعْفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ أَتَاهُم وَهُم يُرِيْدُوْنَ أَنْ يَرْتَحِلُوا مِنَ المَدِيْنَةِ، فَقَالَ: إِنَّكُم - إِنْ شَاءَ اللهُ - مِنْ صَالِحِي أَهْلِ مِصرِكُم، فَأَبلِغُوهُم عَنِّي: مَنْ زَعَمَ أَنِّي إِمَامٌ مَعْصُومٌ، مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيْءٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنِّي أَبرأُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيْءٌ.

وَبِهِ: عَنِ الدَّارَقُطْنِيِّ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيْلُ الصَّفَّارُ، حَدَّثَنَا أَبُو يَحْيَى جَعْفَرُ

بنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الطَّنَافِسِيُّ، حَدَّثَنَا حَنَانُ بنُ سَدِيْرٍ، سَمِعْتُ جَعْفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ، وَسُئِلَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: إِنَّكَ تَسْأَلُنِي عَنْ رَجُلَيْنِ قَدْ أَكَلاَ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ.

حَدَّثَنَا الحُسَيْنُ بنُ إِسْمَاعِيْلَ، حَدَّثَنَا مَحْمُوْدُ بنُ خِدَاشٍ، حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ بنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بنُ قَيْسٍ المُلاَئِيُّ، سَمِعْتُ جَعْفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ يَقُوْلُ: بَرِئَ اللهُ مِمَّنْ تَبَرَّأَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ.

قُلْتُ: هَذَا القَوْلُ مُتَوَاتِرٌ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، وَأَشْهَدُ بِاللهِ إِنَّهُ لَبَارٌّ فِي قَوْلِهِ، غَيْرُ مُنَافِقٍ لأَحَدٍ، فَقَبَّحَ اللهُ الرَّافِضَةَ.

أَجَازَ لَنَا أَحْمَدُ بنُ سَلاَمَةَ، عَنْ أَبِي المَكَارِمِ اللَّبَّانِ، أَنْبَأَنَا أَبُو عَلِيٍّ الحَدَّادُ، أَنْبَأَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنَ العَبَّاسِ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ غَزْوَانَ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بنُ أَنَسٍ، عَنْ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: لَمَّا قَالَ لَهُ سُفْيَانُ: لاَ أَقُوْمُ حَتَّى تُحَدِّثَنِي، قَالَ: أَمَا إِنِّي أُحَدِّثُكَ، وَمَا كَثْرَةُ الحَدِيْثِ لَكَ بِخَيْرٍ، يَا سُفْيَانُ! إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ بِنِعْمَةٍ، فَأَحْبَبْتَ بَقَاءهَا وَدوَامِهَا، فَأَكْثِرْ مِنَ الحَمْدِ وَالشُّكْرِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ اللهَ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيْدَنَّكُمْ﴾ [إبْرَاهِيْمُ: ٧]. وَإِذَا اسْتَبْطَأْتَ الرِّزْقَ، فَأَكْثِرْ مِنَ الاسْتِغْفَارِ، فَإِنَّ اللهَ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِدْرَاراً، وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ..﴾ [نُوْحُ: ١٠ - ١٣] الآيَةَ. يَا سُفْيَانُ! إِذَا حَزَبَكَ أَمْرٌ مِنَ السُّلْطَانِ، أَوْ غَيْرِهِ، فَأَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ الفَرَجِ، وَكَنْزٌ مِنْ كُنوزِ الجَنَّةِ. فَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ، وَقَالَ: ثَلاَثٌ، وَأَيُّ ثَلاَثٍ! قَالَ جَعْفَرٌ: عَقَلَهَا - وَاللهِ - أَبُو عَبْدِ اللهِ، وَلَيَنفَعَنَّه اللهُ بِهَا.

قُلْتُ: حِكَايَةٌ حَسَنَةٌ، إِنْ لَمْ يَكُنِ ابْنُ غَزْوَانَ وَضَعَهَا، فَإِنَّهُ كَذَّابٌ.

قَالَ المَدَائِنِيُّ، وَشَبَابٌ العُصْفُرِيُّ، وَعِدَّةٌ: مَاتَ جَعْفَرٌ الصَّادِقُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَمائَةٍ.

لَمْ يُخَرِّجْ لَهُ البُخَارِيُّ فِي (الصَّحِيْحِ)، بَلْ فِي كِتَابِ (الأَدَبِ)، وَغَيْرِه. ا. هـ.

أخذ جعفرُ بنُ محمدٍ الصادق عن عاليةٍ من العلماءِ العلمَ والحديثَ، حيث أدرك أواخرَ الصحابةِ؛ منهم سهلُ بنُ سعدٍ الساعدي، وأنسُ بنُ مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأكثر الروايةَ عن أبيهِ محمدِ بنِ علي الباقر وهو ثقةٌ فاضلٌ، روى له الجماعةُ، مات سنة مائة وبضعة عشرة. وأكثرُ رواياتهِ من طريقِ أبيهِ عن جدهِ الحسين بنِ علي أو علي بنِ أبي طالب عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهي أعلى مروياتهِ سنداً، وهي أمثلُ نماذجِ روايةِ الأبناءِ عن آبائهم!

ومن شيوخهِ سيدُ التابعين عطاءُ بنُ أبي رباحٍ، وعن محمدِ بنِ شهابٍ الزهري، وعن عروةَ بنِ الزبير، وعن محمدِ بنِ المنكدر، وعن عبدِ الله بنِ أبي رافع، وعكرمةَ مولى ابنِ عباس.

كما روى عن جدهِ القاسمِ بنِ محمدِ بنِ أبي بكر، وأكثرُ شيوخهِ من علماءِ المدينةِ.

وهؤلاءِ كلهم أئمةٌ ثقاتٌ أهلُ ديانةٍ وصدقٍ وأمانةٍ وعدالةٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ[1].

أبرز تلاميذه:

أخذ عنه العلمَ روايةً وفقهاً جمعٌ كبيرٌ من العلماءِ الحفاظِ الثقاةِ من أشهرِهم:

يحيى بنُ سعيدٍ الأنصاري القطان، ويزيدُ بنُ عبدِ الله بن الهاد الليثي المدني، وهو أكبرُ من جعفر، ومات قبله بعشرِ سنين، وعبدُ الملك بنُ عبدِ العزيز بنِ جريج، وهو من أقرانهِ، وأبانُ بنُ تغلب، وأيوبُ السختياني، وأبو عمرو بنُ العلاء، ومالكُ بنُ أنسٍ الأصبحي إمامُ الهجرةِ، وسفيانُ الثوري، وشعبة بنُ الحجاجِ إمامُ النقادِ، وسفيانُ بنُ عيينةَ، ومحمدُ بنُ ثابتٍ البناني، وغيرهم كثيرٌ، لكنِ منهم المتفقهُ عليه والراوي عنه والمجالسُ له وهم: مالك وأبوحنيفة خصوصاً.

وروى له جماعةُ الكتبِ الستةِ إلا البخاري فلم يخرج لهُ في صحيحهِ بل

(١) سير أعلام النبلاء، ٦/ ٢٥٥.

في غيرِهِ .

وقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثقةً صدوقاً إماماً فقيهاً [1] .

قد بلغ في الكرمِ شأناً عظيماً ، ومبلغاً كريماً ، وليس بغريبٍ عليه وعلى بيتِهِ النبوي الكريمِ ، وجدهُ رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان أجودَ من الريحِ المرسلةِ شهدت له المواقفُ العديدةُ في المدلهماتِ والغزواتِ وغيرها بالكرمِ البالغِ الذي لا يخشى معه الفقرَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

وأما جعفرُ بنُ محمد الصادق رحمة اللهُ عليه فمما جاء في كرمِهِ وبذلِهِ ما رواه تلميذهُ هياجُ بنُ بسطام التميمي قال: كان جعفرُ بنُ محمدٍ يُطعِمُ حتى لا يبقى لعيالِهِ شيءٌ [2] .

وهذا عطاءُ من لا يخشى الفقرَ .

وروي أنهُ لما سئل عن علةِ تحريم الربا فقال: لئلا يتمانع الناسُ المعروفَ ، وهذا يدلُ على أريحيةِ نفسٍ وسخائها [3] .

وذكروا عنه أنه كان يمنعُ الخصومةَ بين الناسِ ، بتحملِهِ الخسائر على نفسهِ وإيثارِ الصلح بينهم .

كما ذكروا عنه أنهُ شابه جدهُ علي بن الحسين زين العابدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الإنفاق سراً ، وذلك أنهُ إذا كان الغلسُ في الليلِ حمل جراباً فيه خبزٌ ولحمٌ ودراهمٌ على عاتقِهِ ، ثم وزعهُ على ذوي الحاجاتِ من فقراءِ المدينة ، دون أن يعلموا به ، حتى مات ، وظهرت الحاجة فيمن كان يعطيهم بعد موتِهِ .

فرحمةُ اللهِ عليه وإني لأرجو أن يكونَ فيمن يقولُ اللهُ فيهم: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩] .

وقد أكثر مترجموا الإمام جعفرِ الصادق من نقلِ حِكمِهِ ، وأجوبتهِ المسكتةِ للأسئلةِ المشكلةِ ، تلك الأجوبةُ التي تبينُ عن سعةِ علمِهِ وبعد فهمِهِ ،

---

(١) سير أعلام النبلاء ، ٦/ ٢٥٥ .
(٢) سير أعلام النبلاء ، ٦/ ٢٦٢ .
(٣) سير أعلام النبلاء ، ٦/ ٢٦٢ .

وما حباهُ اللهُ به من سرعةِ البديهةِ، واللسانِ المفصحِ عن جوامعِ المعاني، وفقههِ لمقاصدِ التشريعِ وأسرارهِ، وهو فضلُ اللهِ يؤتيهِ من يشاءُ.

فقد سألهُ تلميذهُ سفيانُ الثوري بمكةَ في موسمِ الحجِ، فقال: قَدِمْتُ مَكَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِأَبِي عَبْدِ اللهِ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ قَدْ أَنَاخَ بِالأَبْطَحِ، فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُوْلِ اللهِ! لِمَ جُعِلَ المَوْقِفُ مِنْ وَرَاءِ الحَرَمِ، وَلَمْ يُصَيَّرْ فِي المَشْعَرِ الحَرَامِ؟ فَقَالَ: الكَعْبَةُ بَيْتُ اللهِ، وَالحَرَمُ حِجَابُه، وَالمَوْقِفُ بَابُه، فَلَمَّا قَصَدَه الوَافِدُوْنَ، أَوْقَفَهُم بِالبَابِ يَتَضَرَّعُوْنَ، فَلَمَّا أَذِنَ لَهُم فِي الدُّخُول، أَدْنَاهُم مِنَ البَابِ الثَّانِي وَهُوَ المُزْدَلِفَةُ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى كَثْرَةِ تَضَرُّعِهِم، وَطُول اجْتِهَادِهِم، رَحِمَهُم، أَمَرَهُم بِتَقْرِيْبِ قُربَانِهم، فَلَمَّا قَرَّبُوا قُربَانَهم، وَقَضَوْا تَفَثَهُم، وَتَطَهَّرُوا مِنَ الذُّنُوْبِ الَّتِي كَانَتْ حِجَاباً بَيْنَهُ وَبَيْنَهُم، أَمَرَهُم بِزِيَارَةِ بَيْتِه عَلَى طَهَارَةٍ. قَالَ: فَلِمَ كُرِهَ الصَّوْمُ أَيَّامَ التَّشرِيْقِ؟ قَالَ: لأَنَّهم فِي ضِيَافَةِ اللهِ، وَلاَ يَجِبُ عَلَى الضَّيْفِ أَنْ يَصُوْمَ عِنْدَ مَنْ أَضَافَه[1].

وروى الذهبي بسندهِ إلى أحمدَ بنِ عمرو بنِ المقدم الرازي قال: وقع الذبابُ على المنصور - أبي جعفر الخليفةِ العباسي - فذبهُ عنهُ، فعاد فذبهُ حتى أضجرهُ فدخل جعفرُ بنُ محمدٍ عليه، فقال المنصورُ: يا أبا عبدِ اللهِ لِمَ خَلَقَ اللهُ الذُّبَابَ؟ قَالَ: لِيُذِلَّ بِهِ الجَبَابِرَةَ.

وقال جعفرُ الصادق لتلميذهِ سفيانَ الثوري: لاَ يَتِمُّ المَعْرُوْفُ إِلاَّ بِثَلاَثَةٍ: بِتَعجِيْلِه، وَتَصْغِيْرِه، وَسَتْرِه[2].

وروى تلميذهُ عَائِذُ بنُ حَبِيْبٍ - وهو صدوقٌ رمي بالتشيع - أن جعفرَ الصادق قال: لاَ زَادَ أَفْضَلُ مِنَ التَّقوَى، وَلاَ شَيْءَ أَحْسَنُ مِنَ الصَّمتِ، وَلاَ عَدوَّ أَضرُّ مِنَ الجَهْلِ، وَلاَ دَاءَ أَدْوَأُ مِنَ الكَذِبِ.

وقال مرةً يوصي ابنهُ موسى (الكاظم): يَا بُنَيَّ! مَنْ قَنعَ بِمَا قُسِمَ لَهُ، اسْتَغْنَى، وَمَنْ مَدَّ عَيْنَيْهِ إِلَى مَا فِي يَدِ غَيْرِه، مَاتَ فَقِيْراً، وَمَنْ لَمْ يَرضَ بِمَا قُسِمَ لَهُ، اتَّهمَ اللهَ فِي قَضَائِهِ، وَمَنِ اسْتَصْغَرَ زَلَّةَ غَيْرِه، اسْتَعْظَمَ زَلَّةَ نَفسِه،

(١) سير أعلام النبلاء، ٦/ ٢٦٤.
(٢) سير أعلام النبلاء، ٦/ ٢٦٤.

وَمَـنْ كَـشَفَ حِجَـابَ غَيْرِه ، انكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ البَغْيِ ، قُتِلَ بِـهِ ، وَمَـنِ احْتَفَـرَ بِئْـراً لأَخِيْهِ ، أَوقَعَهُ اللهُ فِيْهِ ، وَمَنْ دَاخَلَ السُّفَهَاءَ ، حُقِّرَ ، وَمَنْ خَالطَ العُلَمَاءَ ، وُقِّرَ ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ ، اتُّهِمَ .

يَـا بُنَـيَّ! إِيَّـاكَ أَنْ تُزرِيَ بِالرِّجَالِ ، فَيُزْرَى بِكَ ، وَإِيَّاكَ وَالدُّخُوْلَ فِيْمَا لاَ يَعْنِيكَ ، فَتَذِلَّ لِذَلِكَ .

يـا بـني! قـل الحـق لـك وعليك ، تستشار من بين أقربائك ، كن للقرآن تالـيـ ، وللإسـلام فاشـيا ، وللمعـروف آمرا ، وعن المنكر ناهيا ، ولمن قطعك واصـلا ، ولمـن سـكت عـنك مبـتدئا ، ولمن سألك معطيا ، وإياك والنميمة ، فإنهـا تـزرع الـشحناء في القلـوب ، وإياك والتعرض لعيوب الناس ، فمنزلة المتعـرض لعيوب الناس ، كمنزلة الهدف ، إذا طلبت الجود ، فعليك بمعادنه ، فـإن للجـود معـادن ، وللمعادن أصولا ، وللأصول فروعا ، وللفروع ثمرا ، ولا يطيب ثمر إلا بفرع ، ولا فرع إلا بأصل ، ولا أصل إلا بمعدن طيب ، زر الأخيار ، ولا تزر الفجار ، فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها ، وشجرة لا يخضر ورقها ، وأرض لا يظهر عشبها [1] .

ومـن سـرعة بديهته وموفور حكمته أن أصحابه سألوه مرة: لم حرم الله الربا؟ قال: لئلا يتمانع الناس المعروف .

وهـذا في الحقـيقة مـن فواتح الله له في معرفة مقاصد الشرائع . وهذا لا يحصل بالتكسب والتعليم – لكنه فضل يهبه الله لمن شاء من عباده ، وربنا ذو فضل عظيم [2] .

ومن النوادر في أجوبته المسكتة الحاضرة ما نقله صاحب ربيع الأبرار: أن رجـلا قـال لجعفر الصادق بن محمد: ما الدليل على الله؟ ولا تذكر لي العالم والعـرض والجوهـر ، فقـال لـه: هـل ركـبت البحـر؟ قـال: نعم ، قال: هل عـصفت بكم الريح حتى خفتم الغرق؟ قال: نعم ، قال: فهل انقطع رجاؤك مـن المـركب والملاحـين؟ قـال: نعـم ، قـال: فهـل تتبعت نفسك أن ثم من

(١) سير أعلام النبلاء ، ٦/ ٢٦٤ .
(٢) سير أعلام النبلاء ، ٦/ ٢٦٤ .

ينجيك؟ قال: نعم، قال: فإن ذاك هو الله، قال الله تعالى: **﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾** [الإسراء: ٦٧]، **﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾** [النحل: ٥٣] [(١)].

رزق الله الإمام الصادق مع كريم سجاياه وتواضعه هيبة ووقارا، خضع له به أكبر ملوك الأرض في وقته وهو الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور؛ حيث روى شمس الدين الذهبي بسنده إلى الفضل بن الربيع عن أبيه قال: دعاني المنصور فقال: إن جعفر بن محمد يلحد في سلطاني، قتلني الله إن لم أقتله. فأتيته، فقلت: أجب أمير المؤمنين. فتطهر، ولبس ثيابا - أحسبه قال: جددا - فأقبلت به، فاستأذنت له، فقال: أدخله، قتلني الله إن لم أقتله. فلما نظر إليه مقبلا، قام من مجلسه، فتلقاه، وقال: مرحبا بالنقي الساحة، البريء من الدغل والخيانة، أخي وابن عمي. فأقعده معه على سريره، وأقبل عليه بوجهه، وسأله عن حاله، ثم قال: سلني عن حاجتك. فقال: أهل مكة والمدينة قد تأخر عطاؤهم، فتأمر لهم به. قال: أفعل. ثم قال: يا جارية! ائتني بالتحفة. فأتته بمدهن زجاج فيه غالية، فغلفه بيده، وانصرف. فاتبعته، فقلت: يا ابن رسول الله! أتيت بك ولا أشك أنه قاتلك، فكان منه ما رأيت، وقد رأيتك تحرك شفتيك بشيء عند الدخول، فما هو؟ قال: قلت: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، واحفظني بقدرتك علي، ولا تهلكني وأنت رجائي، رب كم من نعمة أنعمت بها علي قل لك عندها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قل لها عندك صبري؟ فيا من قل عند نعمته شكري، فلم يحرمني، ويا من قل عند بليته صبري، فلم يخذلني، ويا من رآني على المعاصي، فلم يفضحني، ويا ذا النعم التي لا تحصى أبدا، ويا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا، أعني على ديني بدنيا، وعلى آخرتي بتقوى، واحفظني فيما غبت عنه، ولا تكلني إلى نفسي فيما خطرت، يا من لا تضره الذنوب، ولا تنقصه المغفرة، اغفر لي ما لا يضرك، وأعطني ما لا ينقصك، يا وهاب! أسألك فرجا قريبا، وصبرا

---

(١) ربيع الأبرار، ١/١٠٣.

جميلا ، والعافية من جميع البلايا ، وشكر العافية[1] .

وهذا الذي وقع له - فأبدل الله قلب خصمه من السخط حبا ، والبعد قربا - هو كرم الله وعنايته ولطفه بأوليائه ، مع ما كان بين العباس وآل علي ابن أبي طالب من الأمور العظام التي لا يناسبها هذا التكريم لأحد كبرائهم ، فسبحان من جعل القلوب بين إصبعين من أ صابعه يقلبها كيف يشاء .

قال عنه ابن حجر في ترجمته في "التقريب": "صدوق فقيه إمام . ."[2] .

وقد أكثر العلماء - علماء الحديث والنقد - من الثناء عليه ، ومدحه ووصفه بالأوصاف اللائقة به .

فقال أبو حاتم الرازي: "ثقة ، لا يسأل عن مثله"، ووثقه الشافعي وابن معين وغيرهما . وقال ابن حبان: هو من سادات أهل البيت ، وعباد أتباع التابعين ، وعلماء أهل المدينة[3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: . . فإن جعفر بن محمد من أئمة الدين باتفاق أهل السنة[4] . ."، ونص على ذلك في موضع آخر[5]: "وإمامتهم فيما دلت الشريعة على الائتمام بهم فيه . ." .

وقال أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي - لما سئل عنه: ما رأيت أحدا أفقه من جعفر بن محمد ، لما أقدمه المنصور الحيرة ، بعث إلي ، فقال: يا أبا حنيفة! إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد ، فهيئ له من مسائلك الصعاب . فهيأت له أربعين مسألة ، ثم أتيت أبا جعفر وجعفر جالس عن يمينه ، فلما بصرت بهما ، دخلني لجعفر من الهيبة ما لا يدخلني لأبي جعفر ، فسلمت ، وأذن لي ، فجلست . ثم التفت إلي جعفر ، فقال: يا أبا عبد الله! تعرف هذا؟ قال: نعم ، هذا أبو حنيفة . ثم أتبعها: قد أتانا . ثم قال: يا أبا حنيفة! هات من مسائلك ، نسأل أبا عبد الله . فابتدأت أسأله ، فكان يقول في

---

(١) سير أعلام النبلاء ، ٦/ ٢٦٦ .
(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ٢/ ١٠٣ - ١٠٤ ، وتقريب التهذيب (٩٥٠) .
(٣) الجرح والتعديل ، ٢/ ٤٨٧ .
(٤) المنهاج ، ٢/ ٢٤٥ .
(٥) ٤/ ١٠٨ - ١١٠ .

المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا، فربما تابعنا، وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعا، حتى أتيت على أربعين مسألة، ما أخرم منها مسألة. ثم قال أبو حنيفة: أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس [1]؟

موقفه من الشيخين أبي بكر وعمر:

الأول جده من جهتين من ناحية أخواله، وكلاهما وزيرا جده، محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فقد كان محبا لهما ومعظما ومزكيا لهما، مبغضا لمن أبغضهما، فلأجله كان يبغض الرافضة ويمقتها لموقفهم من جده أبي بكر وصاحبه الفاروق.

قال عبد الجبار بن العباس الهمداني: أن جعفر بن محمد أتاهم وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة، فقال: إنكم - إن شاء الله - من صالحي أهل مصركم، فأبلغوهم عني: من زعم أني إمام معصوم، مفترض الطاعة، فأنا منه بريء، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر، فأنا منه بريء.

وروى ابن أبي عمر العدني، عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه: كان آل أبي بكر يدعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم آل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال زهير بن معاوية: قال أبي لجعفر بن محمد: إن لي جارا يزعم أنك تبرأ من أبي بكر وعمر. فقال جعفر: برئ الله من جارك، والله إني لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر: ولقد اشتكيت شكاية، فأوصيت إلى خالي عبد الرحمن بن القاسم [2].

وقال محمد بن فضيل: عن سالم بن أبي حفصة، قال: سألت أبا جعفر وابنه جعفرا عن أبي بكر وعمر، فقال: يا سالم! تولهما، وابرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدى. ثم قال جعفر: يا سالم! أيسب الرجل جده، أبو بكر جدي، لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إن لم أكن

(١) سير أعلام النبلاء، ٦/ ٢٥٨.
(٢) سير أعلام النبلاء، ٦/ ٢٥٩.

أتولاهما، وأبرأ من عدوهما.

وقال حفص بن غياث: سمعت جعفر بن محمد، يقول: ما أرجو من شفاعة علي شيئا، إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله، لقد ولدني مرتين[1].

وقد روى تلميذه المتقن الثقة عمرو بن قيس الملائي، سمعت جعفر بن محمد يقول: برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر.

فهذه النصوص من جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ صريحة في محبته للشيخين وتوليه لهما، وتقربه إلى الله بذلك، كما تدل أيضا على بغضه لمن أبغضهما، وبراءته ممن تبرأ منهما، أو ادعى عصمته هو في نفسه. كما دعا الله بأن يتبرأ ممن تبرأ منهما[2].

وهذا يهدم أصلا عظيما من أصول القوم الذي يعتقدونه في وزيري نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ثم بقية جماهير صحابة جده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ.

وأيضا شهد لهما بالجنة، وأولئك الأباعد يشهدون عليهما بالنار والخلود فيها؛ فقد روى الدارقطني بإسناده إلى حنان بن سدير، سمعت جعفر بن محمد، وسئل عن أبي بكر وعمر، فقال: إنك تسألني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة.

أي إن أرواحهما في الجنة تغدو وتروح كما تشاء، وليس وراء ذلك شيء إلا التقية المحضة، وهي النفاق المحض، نعوذ بالله[3].

موقفه من الجدال والقياس في الدين:

درج الإمام جعفر بن محمد رحمة الله عليه على ما درج عليه أجداده - من النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والصديق، وعلي بن أبي طالب، وعموم الصحابة والتابعين وتابعيهم - من التحذير من الجدال والمراء في الدين وفي كتاب الله وشرائعه. وهذا الأمر - أعني التحذير من الجدال وتوابعه وآثاره على الدين والقلوب - من الأمور المسلمة عند المسلمين، مضى على التحذير منه

(١) سير أعلام النبلاء، ٦/ ٢٥٨.
(٢) سير أعلام النبلاء، ٦/ ٢٥٩.
(٣) سير أعلام النبلاء، ٦/ ٢٥٩.

والتشديد فيه صدر الأمة وسلفها الصالح في كل قرن إلى عصرنا هذا ممن تبع السلف في مذهبهم، ومضى على منهجهم ومنوالهم.

ومن أقوال الإمام الصادق في هذا، مارواه الذهبي بسنده إلى عنبسة الخثعمي - وكان من الأخيار - سمعت جعفر بن محمد، يقول: إياكم والخصومة في الدين، فإنها تشغل القلب، وتورث النفاق[1].

وهذه العبارة تواترت في الحقيقة عن جمع كبير من أئمة السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، تناقلها العلماء في كتب أصول السنة في هذا الباب.

فهذا نموذج في ذم الجدال؛ وهو المراء وطلب المغالبة، ومستلزم للخصومة في الدين.

ومن ذمه للقياس قصة رواها أبو "بسنده إلى عمرو بن جميع، قال: دخلت على جعفر بن محمد أنا وابن أبي ليلى وأبو حنيفة، وقال عبد الله بن شبرمة الكوفي - وهو ثقة فقيه من أقران الصادق - قال: دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد، فقال لابن أبي يعلى: من هذا معك؟ قال: هذا رجل له بصر ونفاذ في أمر الدين. قال: لعله يقيس أمر الدين برأيه. قال: نعم، قال: فقال جعفر لأبي حنيفة: ما اسمك؟ قال: نعمان. قال: يا نعمان، هل قست رأسك بعد؟ قال: كيف أقيس رأسي؟!، قال: ما أراك تحسن شيئا، هل علمت ما الملوحة في العينين، والمرارة في الأذنين، والحرارة في المنخرين، والعذوبة في الشفتين؟ قال: لا!، قال: ما أراك تحسن شيئا. قال: فهل علمت كلمة أولها كفر وآخرها إيمان؟ فقال ابن أبي ليلى: يابن رسول الله، أخبرنا بهذه الأشياء التي سألته عنها. فقال: أخبرني أبي عن جدي أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: إن الله تعالى بمنه وفضله جعل لابن آدم الملوحة في العينين؛ لأنهما شحمتان ولولا ذلك لذابتا، وإن الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل المرارة في الأذنين حجابا من الدواب؛ فإن دخلت الرأس دابة والتمست إلى الدماغ، فإذا ذاقت المرارة التمست الخروج، وإن الله بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل الحرارة في المنخرين

(١) سير أعلام النبلاء، ٦/ ٢٥٩.

يستنشق بهما الريح ولولا ذلك لأنتن الدماغ ، وإن الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل العذوبة في الشفتين ؛ يجد بهما استطعام كل شيء ويسمع الناس بها حلاوة منطقه . فقال: فأخبرني عن الكلمة التي أولها كفر وآخرها إيمان . فقال: إذا قال العبد: لا إله ، فقد كفر ، فإذا قال: إلا الله ، فهو إيمان . ثم أقبل على أبي حنيفة فقال: يا نعمان ، حدثني أبي عن جدي أن رسول الله ﷺ قال: «**أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس**» . قال الله تعالى له: اسجد لآدم ، فقال: ﴿**أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾ [الأعراف: ١٢] فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس ؛ لأنه اتبعه بالقياس .

زاد ابن شبرمة في حديثه: ثم قال جعفر: أيهما أعظم: قتل النفس أو الزنا؟ قال: قتل النفس . قال: فإن الله عز وجل قبل في قتل النفس شاهدين ، ولم يقبل في الزنا إلا أربعة . ثم قال: أيهما أعظم: الصلاة أم الصوم؟ قال: الصلاة ، قال: فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فكيف - ويحك - يقوم لك قياسك؟! . اتق الله ولا تقس الدين برأيك! [(١)]

كذب الرافضة عليه:

مع ما تبوأ الإمام جعفر الصادق من المنزلة عند الشيعة ؛ إذ هو الإمام السادس من سلالة الحسين بن علي عندهم . ولكنهم مع هذا افتروا عليه كذبا مستطيرا لم يفتروه على مثله من أئمتهم .

- وأول ذلك: ما حكاه شيخهم أبو محمد الحسين النوبختي (٣١٠ هـ) في كتابه "فرق الشيعة"؛ حيث ذكر عن الذين قالوا بإمامة جعفر الصادق على محمد بن عبد الله بن الحسين ذى النفس الزكية ، حيث ذاع منهم من قال: إن جعفرا لما أشار إلى إمامة إسماعيل ابنه ثم مات في حياة أبيه ، أنه كذبهم ، ولم يكن بذلك إماما عليهم ؛ لأن الإمام لا يكذب ولا يقول ما لا يكون .

حتى حاولوا تسديد قوله هذا ؛ فقالوا بالبداءة على الله ؛ أي أنه قد يبدو لله شيء لم يكن قبل في سابق علمه أن يكون . وإن أنكر البداءة نفر منهم .

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ٣/ ١٩٧ .

- فهذا أول كذب عليه في حياته، كما كذبوا عليه بادعاء الإمامة المعصومة له، وسبق لنا في موقفه من الشيخين قوله لعبد الجبار الهمداني: من زعم أني إمام معصوم، مفترض الطاعة، فأنا منه بريء.

- وأيضا الكذب على الإمام جعفر بأنه قال: "التقية ديني ودين آبائي". واعتمدوها أصلا من أصولهم، لا ينفكون عنه، ويحرفون آية آل عمران إليه.

- وأشنع ما افتراه غلاة الشيعة من الرافضة على الإمام الصادق: القول بألوهيته كما صرحت به طائفة البزيغية، وهم أتباع بزيغ بن موسى الحائك من أصحاب جعفر، وإن كان عامة الرافضة يلعنونهم[1].

- ومن كذبهم عليه اعتقاد بقائه وعدم موته، وبعضهم يعتقد ذلك في ابن موسى الكاظم، ومنهم من يعتقد ذلك في غيره من متقدمي آل البيت.

وهو خطأ بين؛ إذ الموت لابد منه، ولم يختص أحد من آل البيت لا علي ولا غيره دوام أو بقاء زيادة على غيره، فأعمارهم أعمار غيرهم، بل النادر منهم من يتجاوز المائة سنة عمرا.

- وأيضا كذبهم عليه وعلى أبيه فيما ينقلونه عنه من أصول الدين وفروعه، وينقلون عنهم بدون إسناد، أو بإسناد موضوع أو ضعيف أو مقطوع؛ لا يتوفر فيه أسباب القوة في نسبة القول إليهم، بل تتوفر فيه أسباب طعن نسبته إلى أحد من أولئك الأئمة.

قال ابن تيمية[2]: وأما شرعياتهم فعمدتهم فيها على ما ينقل عن بعض أهل البيت مثل: أبي جعفر الباقر، وجعفر بن محمد الصادق، وغيرهما.

ولا ريب أن هؤلاء من سادات المسلمين، وأئمة الدين، ولأقوالهم من الحرمة والقدر ما يستحقه أمثالهم، لكن كثير مما ينقل عنهم كذب، والرافضة لا خبرة لهم بالأسانيد والتمييز بين الثقات وغيرهم؛ بل هم في ذلك من أشباه أهل الكتاب؛ كل ما يجدونه في الكتب مقولا عن أسلافهم قبلوه، بخلاف أهل السنة فإن لهم من الخبرة بالأسانيد ما يمتازرن به بين الصدق والكذب".

(١) انظر: رجال الكشي، ص٢٥٧ - ٢٥٨، أعيان الشيعة، ١٣/ ٢٣١، رجال الطوسي، ص١٥٩.
(٢) المنهاج، ٥/ ١٦٢.

ولئن كان الإمامية الرافضة ينقلون عن الإمام الصادق ذمه ومناظرته للزنادقة من غلاة الرافضة ؛ وهم الباطنيون وأحزابهم ، فإن كلامه في هدم أصول الرافضة مثل ذلك ، لكنهم يخفونه ويخفضونه ولا يرفعونه ، ويحملونه على محمل التقية وغيرها . فكلا الطائفتين مردود عليها من كلامه . والمقصود أنه لم يكذب على أحد مثل ما كذب على جعفر الصادق رحمة الله عليه ، مع براءته مما كذب به عليه [1] .

مناظرة بين الإمام جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أحد الرافضة:

حدث علي بن صالح قال: جاء رجل من الرافضة إلى جعفر بن محمد الصادق كرم الله وجهه ، فقال:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال الرجل:

- يابن رسول الله من خير الناس بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

فقال جعفر الصادق رحمة الله عليه: أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

- قال: وما الحجة في ذلك؟

قال: قوله عز وجل: ﴿**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها**﴾ [التوبة ٤٠] فمن يكون أفضل من اثنين الله ثالثهما؟ وهل يكون أحد أفضل من أبي بكر إلا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!

- قال له الرافضي: فإن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ بات على فراش النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير جزع ولا فزع .

فقال له جعفر: وكذلك أبو بكر كان مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير جزع ولا فزع .

- قال له الرجل: فإن الله تعالى يقول بخلاف ما تقول! .

قال له جعفر: وما قال؟

(١) انظر: مقال الشيخ علي الشبل ، الموجز الفارق من معالم ترجمة جعفر الصادق رحمه الله .

قال: قال الله تعالى: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ فلم يكن ذلك الجزع خوفا؟.

قال له جعفر: لا! لأن الحزن غير الجزع والفزع، كان حزن أبي بكر أن يقتل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يدان بدين الله فكان حزن على دين الله وعلى نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يكن حزنه على نفسه كيف وقد ألسعته أكثر من مئة حريش فما قال: حس ولا ناف!

- قال الرافضي: فإن الله تعالى قال: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ [المائدة ٥٥] نزل في علي بن أبي طالب حين تصدق بخاتمه وهو راكع فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الحمد لله الذي جعلها في وفي أهل بيتي».

فقال له جعفر: الآية التي قبلها في السورة أعظم منها، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة ٥٤] وكان الارتداد بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ارتدت العرب بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واجتمعت الكفار بنهاوند وقالوا: الرجل الذين كانوا يتنصرون به - يعنون النبي - قد مات، حتى قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اقبل منهم الصلاة، ودع ضم الزكاة، فقال: لو منعوني عقالا مما كانوا يؤدون إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقاتلتهم عليه ولو اجتمع علي عدد الحجر والمدر والشوك والشجر والجن ولإنس لقاتلتهم وحدي. وكانت هذه الآية أفضل لأبي بكر.

- قال له الرافضي: فإن الله تعالى قال: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية﴾ نزلت في علي عَلَيْهِ السَّلَامُ كان معه أربعة دنانير فأنفق دينارا بالليل ودينارا بالنهار ودينارا سرا ودينارا علانية فنزلت فيه هذه الآية. فقال له جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: لأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أفضل من هذه في القرآن، قال الله تعالى: ﴿والليل إذا يغشى﴾ قسم الله، ﴿والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى فأما من أعطى وأتقى وصدق بالحسنى﴾، أبو بكر: ﴿فسنيسره لليسرى﴾ أبو بكر: ﴿وسيجنبها الأتقى﴾ أبو بكر: ﴿الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ أبو بكر: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى

ولسوف يرضى﴾ أبو بكر، أنفق ماله على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعين ألفا حتى تجلل بالعباء، فهبط جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال الله العلي الأعلى يقرئك السلام، ويقول: اقرأ على أبي بكر مني السلام، وقل له أراض أنت عني في فقرك هذا، أم ساخط؟ فقال: أسخط على ربي عز وجل؟! أنا عن ربي راض، أنا عن ربي راض، أنا عن ربي راض. ووعده الله أن يرضيه.

- قال الرافضي: فإن الله تعالى يقول: ﴿**أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله**﴾ [التوبة ١٩] نزلت في علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فقال له جعفر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: لأبي بكر مثلها في القرآن، قال الله تعالى: ﴿**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى**﴾ [الحديد ١٠].

وكان أبو بكر أول من أنفق ماله على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأول من قاتل، وأول من جاهد. وقد جاء المشركون فضربوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى دمي، وبلغ أبي بكر الخبر فأقبل يعدو في طرق مكة يقول: ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟ فتركوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخذوا أبا بكر فضربوه، حتى ما تبين أنفه من وجهه.

وكان أول من جاهد في الله، وأول من قاتل مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأول من أنفق ماله، وقد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما نفعني مال كمال أبي بكر**».

- قال الرافضي فإن عليا لم يشرك بالله طرفة عين.

قال له جعفر: فإن الله أثنى على أبي بكر ثناء يغني عن كل شئ، قال الله تعالى: ﴿**والذي جاء بالصدق**﴾ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿**وصدق به**﴾ [الزمر٣٣] أبو بكر.

وكلهم قالوا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذبت وقال أبو بكر: صدقت، فنزلت فيه هذه الآية: آية التصديق خاصة، فهو التقي النقي المرضي الرضي، العدل المعدل الوفي.

- قال الرافضي: فإن حب علي فرض في كتاب الله ؛ قال الله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه إلا المودة في القربى﴾ .

قال جعفر: لأبي بكر مثلها ، قال الله تعالى: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك غفور رحيم﴾ [الحشر ١٠]

فأبو بكر هو السابق بالإيمان ، فالاستغفار له واجب ومحبته فرض وبغضه كفر .

- قال الرافضي: فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما» .

قال له جعفر: لأبي بكر عند الله أفضل من ذلك ؛ حدثني أبي عن جدي عن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: كنت عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس عنده غيري ، إذ طلع أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها - في الظاهرية شبابهم - فيما مضى من سالف الدهر في الأولين وما بقي في غابره من الآخرين، إلا النبيين والمرسلين. لا تخبرهما يا علي ما داما حيين» فما أخبرت به أحدا حتى ماتا .

- قال الرافضي: فأيهما أفضل فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم عائشة بنت أبي بكر؟

فقال جعفر: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ ، ﴿حم والكتاب المبين﴾ .

فقال: أسألك أيهما أفضل فاطمة ابنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم عائشة بنت أبي بكر ، تقرأ القرآن؟!

فقال به جعفر: عائشة بنت أبي بكر زوجة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه في الجنة ، وفاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيدة نساء أهل الجنة .

الطاعن على زوجة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعنه الله ، والباغض لابنة رسول الله خذله الله .

- فقال الرافضي: عائشة قاتلت عليا ، وهي زوجة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فقال له جعفر: نعم ، ويلك قال الله تعالى: ﴿**وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله**﴾ [الأحزاب: ٥٣] .

- قال له الرافضي: توجد خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي في القرآن؟

قال نعم ، وفي التوراة والإنجيل . قال الله تعالى: ﴿**وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات**﴾ [الأنعام: ١٦٥] .

وقال تعالى: ﴿**أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض**﴾ [النمل: ٦٢] .

وقال تعالى: ﴿**ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم**﴾ [النور: ٥٥] .

- قال الرافضي: يابن رسول الله ، فأين خلافتهم في التوراة والإنجيل؟

قال له جعفر: ﴿**محمد رسول الله والذين معه**﴾ أبو بكر ، ﴿**أشداء على الكفار**﴾ عمر بن الخطاب ، ﴿**رحماء بينهم**﴾ عثمان بن عفان ، ﴿**تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا**﴾ علي بن أبي طالب: ﴿**سيماهم في وجوههم من أثر السجود**﴾ أصحاب محمد المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿**ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل**﴾ .

قال: ما معنى في التوراة والإنجيل؟ قال: محمد رسول الله والخلفاء من بعده أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، ثم لكزه في صدره! قال: ويلك! قال الله تعالى: ﴿**كزرع أخرج شطأه فآزره**﴾ أبو بكر: ﴿**فاستغلظ**﴾ عمر ﴿**فاستوى على سوقه**﴾ عثمان: ﴿**يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار**﴾ علي بن أبي طالب: ﴿**وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما**﴾ أصحاب محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، ويلك! ، حدثني أبي عن جدي عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أول من تنشق الأرض عنه ولا فخر، ويعطيني الله من الكرامة ما لم يعط نبي قبلي، ثم ينادي قرب الخلفاء من بعدك فأقول: يا رب ومن**

الخلفاء؟ فيقول: عبد الله بن عثمان أبو بكر الصديق، فأول من ينشق عنه الأرض بعدي أبو بكر، فيوقف بين يدي الله، فيحاسب حسابا يسيرا، فيكسى حلتين خضراوتين ثم يوقف أمام العرش. ثم ينادي مناد أين عمر بن الخطاب؟ فيجئ عمر وأوداجه تشخب دما فيقول من فعل بك هذا؟ فيقول: عبد المغيرة بن شعبة، فيوقف بين يدي الله ويحاسب حسابا يسيرا ويكسى حلتين خضراوتين، ويوقف أمام العرش. ثم يؤتى عثمان بن عفان وأوداجه تشخب دما فيقال من فعل بك هذا؟ فيقول: فلان ابن فلان، فيوقف بين يدي الله فيحاسب حسابا يسيرا ويكسى حلتين خضراوتين، ثم يوقف أمام العرش. ثم يدعى علي بن أبي طالب فيأتي وأوداجه تشخب دما فيقال من فعل بك هذا؟ فيقول: عبدالرحمن بن ملجم، فيوقف بين يدي الله ويحاسب حسابا يسيرا ويكسى حلتين خضراوتين، ويوقف أمام العرش» .

قال الرجل: يابن رسول الله ، هذا في القرآن؟ قال نعم قال الله تعالى: ﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي: ﴿وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون﴾ .

فقال الرافضي: يابن رسول الله ، أيقبل الله توبتي مما كنت عليه من التفريق بين أبي بكر وعمر وعثمان وعي؟

قال: نعم ، باب التوبة مفتوح فأكثر من الاستغفار لهم . أما انك لو مت وأنت مخالفهم مت على غير فطرة الإسلام وكانت حسناتك مثل أعمال الكفار هباء منثورا .

فتاب الرجل ورجع عن مقالته وأناب[1] .

* * * * *

---

(١) انظر: علي بن عبدالعزيز العلي آل شبل ، مناظرة بين الإمام جعفر الصادق والرافضي ، دار الوطن – السعودية – الرياض .

مواقف الشيعة
مع جعفر الصادق

وأما جعفر الصادق بن الباقر الذي عرف عنه حبه لأبي بكر وعمر وعثمان فلقد كان محبا لهم ومعظما ومزكيا لهم، مبغضا لمن أبغضهم، فلأجله كان يبغض الشيعة ويمقتها لموقفهم من جده أبي بكر وصاحبه الفاروق.

فلقد جاء إلي قوم قد هموا أن يرتحلوا من المدينة، فقال لهم: إنكم - إن شاء الله - من صالحي أهل مصركم، فأبلغوهم عني: من زعم أني إمام معصوم، مفترض الطاعة، فأنا منه بريء، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر، فأنا منه بريء[1].

وكان يقول: كان آل أبي بكر يدعون على عهد رسول الله ﷺ آل رسول الله ﷺ[2].

وجاءه رجل يسأله: إن لي جارا يزعم أنك تبرأ من أبي بكر وعمر. فقال جعفر: برئ الله من جارك، والله إني لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر[3].

وقال: ما أرجو من شفاعة علي شيئا، إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله، لقد ولدني مرتين[4].

ولقد علق الإمام الذهبي علي ذلك بقوله: فهذه النصوص من جعفر الصادق رحمه الله صريحة في محبته للشيخين وتوليه لهما، وتقربه إلى الله بذلك، كما تدل أيضا على بغضه للشيعة الذين أبغضوا الشيخين، وبراءته ممن تبرأ منهما، أو ادعى عصمته هو في نفسه. كما دعا الله بأن يتبرأ ممن تبرأ منهما، وهذا يهدم أصلا عظيما من أصول القوم الذي يعتقدونه في وزيري

(١) سير أعلام النبلاء، ٦/ ٢٥٥.
(٢) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق عمرو ابن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ٣/ ٣٣٩.
(٣) سير أعلام النبلاء، ٦/ ٢٥٩.
(٤) سير أعلام النبلاء، ٦/ ٢٥٨.

نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومن ثم بقية جماهير صحابة جده صلى الله عليه وآله وسلم . وأيضا شهد لهما بالجنة ، وأولئك الأباعد يشهدون عليهما بالنار والخلود فيها ؛ فقد سئل عن أبي بكر وعمر ، فقال: إنك تسألني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة [1] .أي إن أرواحهما في الجنة تغدو وتروح كما تشاء ، وليس وراء ذلك شيء إلا التقية المحضة ، وهي النفاق المحض ، نعوذ بالله .

ولقد ضاق جعفر الصادق بالشيعة ذرعا حتى أنه أظهر شكواه بقوله: أما والله لو أجد منكم ثلاثة مؤمنين يكتمون حديثي ما استحللت أن أكتمهم حديثاً " [2] .

لقد كان لهؤلاء الشيعة الذين يتشدقون بحب أهل البيت والدفاع عنهم ويتمسحون بأعتابهم في كل آن وأوان موقف مخز - إن دل على شيء فإنما يدل على الخسة والنذالة ، وعلى قلوب ملأها النفاق إلى مشاشها- وكانت لهم مع آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مواقف يذكرها لهم التاريخ بالعار والشنار والذلة والصغار ، وهذه كلمات خرجت من أفواه آل بيت النبي الأطهار تقول كلمتها الأخيرة فيمن يدعون محبتهم والدفاع عنهم .

وهذه الكلمات والمواقف التي يرويها التاريخ عن دفاع الشيعة عن آل البيت لهي خير دليل علي كذبهم في الدفاع وموالاة أل البيت وضلالهم وانحرافهم عن منهج السنة ، وبعدهم عن الحق . والحقيقة التي قررها التاريخ وكلام أئمة أهل البيت أنهم أشد الناس ذماً ومقتاً وخذلانا وخيانة لآل البيت ، ونسبتهم تلك العقائد الفاسدة إليهم ، وكثرة كذبهم عليهم ، وقد تعددت عبارات أهل البيت وتنوعت في ذم الشيعة وبراءتهم من عقيدتهم .

* * * * *

(١) سير أعلام النبلاء ، ٦/ ٢٥٩ .

(٢) أبوجعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي ، الأصول من الكافي ، صححه وعلق عليه علي اكبر الغفاري ، نشر دار الكتب الإسلامية ، طهران ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ ، ١/ ٤٩٦ ، نقلا عن: الشيعة وأهل البيت ، لإحسان إلهي ظهير الباكستاني ، ص٣٠٤ .

مواقف الشيعة
مع موسى الكاظم

هو الإمام السابع بين الأئمة الإثنا عشر وقد خلف والده الإمام جعفر الصادق بالإمامة . أمه السيدة حميدة البربرية التي ربما كانت من الأندلس أو من المغرب ويقال لها أيضاً حميدة المصفّاة[1] .

ولد الإمام موسى بن جعفر في السابع من صفر سنة ثماني وعشرين ومائة للهجرة بالأبواء بين مكةوالمدينة وكان أسمراً ، شديد السمرة ، معتدل القامة ، كث اللحية ، حسن الوجه ، نحيف الجسم ، له هيبة وجلال . وزعم الشيعة الرافضة أنه استشهد مسموماً على يدي هارون الملقب بالرشيد في بغداد وهو مدفون أيضاً هناك في محلة تسمى بالكاظمية .إمامته بعد والده استمرت ٣٥ سنة . كانت كنية الإمام موسى الكاظم أبو إبراهيم وأبو الحسن وأبو علي ويلقب بالعبد الصالح . لقبه الإمامي الدي كان يميز شخصه المقدس هو الكاظم .

ترعرع الإمام موسى الكاظم خلال عشرين سنة تحت رعاية والده الإمام الصادق الدي كان يتخلى بأخلاق وفضائل الأنبياء . مع أن الإمام الكاظم هو الابن الثالث للإمام الصادق[2] .

فلما توفي أبو عبد الله جعفر الصادق افترقت بعده شيعته ست فرق:

١- ففرقة منها قالت إن جعفر بن محمد حي لم يمت ولا يموت حتى يظهر ويلي أمر الناس ، وهو القائم المهدي ، وزعموا أنهم رووا عنه أنه قال: إن رأيتم رأسي قد أهوى عليكم من جبل فلا تصدقوه فإني أنا صاحبكم! وهذه الفرقة تسمى الناووسية لرئيس كان لهم من أهل البصرة يقال له فلان ابن الناووس .

٢- وفرقة زعمت أن الإمام بعد جعفر ابنه اسماعيل بن جعفر ، وأنكرت موت اسماعيل في حياة أبيه ، وقالوا كان ذلك على جهة التلبيس

(١) سير أعلام النبلاء ، ٦/ ٢٧٠ .
(٢) وفيات الأعيان ، ٥/ ٣٠٨ .

على الناس لأنه خاف فغيَّبَه عنهم ، وزعموا أن اسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض ويقوم بأمر الناس ، وأنه هو القائم لأن أباه أشار إليه بالإمامة بعده وقلدهم ذلك له ، وأخبرهم أنه صاحبهم ، والإمام لا يقول إلا الحق ، فلما أظهر موته علمنا أنه قد صدق وأنه القائم لم يمت ، وهذه الفرقة هم الاسماعيلية الخالصة ، وأم إسماعيل وعبد الله ابني جعفر فاطمة بنت الحسن ابن الحسن بن عليّ بن أبي طالب .

٣- وفرقة ثالثة زعمت أن الإمام بعد جعفر ، محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وأمه أم ولد وقالوا أن الأمر كان لاسماعيل في حياة أبيه فلما توفي قبل أبيه جعل جعفر بن محمد الأمر لمحمد بن اسماعيل وكان الحق له ، ولا يجوز غير ذلك لأنها لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد حسن وحسين ، ولا تكون إلا في الأعقاب .

أما الإسماعيلية الخالصة فهم اخطابية أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع لعنه الله . وقد دخلت منهم فرقة في فرقة محمد بن اسماعيل وأقروا بموت اسماعيل في حياة أبيه وكانت الخطابية الرؤساء منهم قتلوا مع أبي الخطاب ، وكانوا قد لزموا المسجد بالكوفة وأظهروا التعبد وكانوا يدعون إلى أمرهم سرا فبلغ خبرهم عيسى بن موسى عامل أبي جعفر المنصور على الكوفة وأنهم قد أظهروا الإباحات ودعوا الناس إلى نبوّة أبي الخطاب ، فبعث إليهم رجلا من أصحابه في خيل ورجالة ليأخذهم ويأتيه بهم فامتنعوا عليه وحاربوه فقتلهم جميعا وكانوا سبعين رجلا ولم يفلت منهم إلا رجل واحد هو أبو خديجة سالم بن مكرم . . ومن القائلين بإمامة محمد بن إسماعيل فرقة عرفت بالقرامطة يقولون بسبعة من الأئمة: علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ومحمد بن اسماعيل الذي هو الإمام القائم . .

٤- وقالت الفرقة الرابعة من أصحاب جعفر بن محمد أن الإمام بعد جعفر بن محمد ابنه محمد ، وأمه أم ولد يقال لها حميدة ، كان هو وموسى وإسحاق بنو جعفر لأم واحدة ، فجعل هؤلاء الإمامة في محمد بن جعفر وفي ولده من بعده وهذه الفرقة تسمى السميطية نسبة لرئيس لهم كان يقال له

يحيى بن أبي السميط .

٥- والفرقة الخامسة منهم قالت الإمامة بعد جعفر في ابنه عبد الله بن جعفر ، وذلك أنه كان عند مضي جعفر أكبر أولاده سنا وجلس مجلس أبيه بعده ، وادعى الإمامة ووصية أبيه واعتلوا في ذلك بأخبار رويت عن جعفر وعن أبيه أنهما قالا: الإمامة في الأكبر من ولد الإمام إذا نصب ، فمال إلى عبد الله وإمامته جل من قال بإمامة أبيه وأكابر أصحابه ، إلا نفر يسير عرفوا الحق ، وامتحنوا عبد الله بالمسائل في الحلال والحرام والصلاة والزكاة والحج فلم يجدوا عنده علما ، وهذه الفرقة القائلة بإمامة عبد الله بن جعفر هم المسمون بالفطحية ، سموا بذلك لأن عبد الله كان أفطح الرأس وقال بعضهم: كان أفطح الرجلين . . ومال عند موت جعفر والقول بإمامة عبد الله عامة مشايخ الشيعة وفقهاؤها ولم يشكوا إلا أن الإمامة في عبد الله وفي ولده من بعده .

فلما مات عبد الله ولم يخلف ذكرا ارتاب القوم واضطربوا وأنكروا ذلك فرجع عامة الفطحية ، إلا القليل منهم ، عن القول بإمامة عبد الله إلى القول بإمامة أخيه موسى بن جعفر . وشذت منهم فرقة بعد وفاة موسى بن جعفر فادعت أن لعبد الله (الأفطح) ابنا ولد له من جارية يقال له محمد ، وأنه تحول بعد موت أبيه إلى خراسان فهو مقيم بها وأنه حي إلى اليوم وأنه الإمام بعد أبيه وهو القائم المنتظر .

٦- وقالت الفرقة السادسة أن الإمام موسى بن جعفر بعد أبيه وأنكروا إمامة عبد الله وخطؤوه في جلوسه مجلس أبيه وادعائه الإمامة ، وكان فيهم من وجوه أصحاب جعفر بن محمد مثل: هشام بن سالم الجواليقي ، وعبد الله بن أبي يعفور ، وعمر بن يزيد بياع السابري ، ومحمد بن النعمان أبي جعفر الأحول مؤمن الطاق ، وعبيد بن زرارة بن أعين ، وجميل بن دراج ، وأبان بن تغلب ، وهشام بن الحكم ، وغيرهم من وجوه شيعته وأهل العلم منهم والفقه والنظر ، وهم الذين قالوا بإمامة موسى بن جعفر عند وفاة أبيه ، إلى أن رجع إليهم عامة أصحاب جعفر عند وفاة عبد الله ، فاجتمعوا جميعا على إمامة موسى ، إلا نفرا منهم فإنهم ثبتوا على إمامة عبد الله ، ثم إمامة موسى

بعده وأجازوها في أخوين بعد أن لم يجز ذلك عندهم إلى أن مضى جعفر فيهم، مثل عبد الله بن بكير بن أعين، وعمار بن موسى الساباطي، وجماعة معهم، ثم إن جماعة من المؤتمين بموسى بن جعفر اختلفوا في أمره وشكوا في إمامته عند حبسه في المرة الثانية التي مات فيها في حبس هارون الرشيد، فصاروا خمس فرق أيضا.

جمعت في الإمام موسى بن جعفر العبادة والزهد والكرم والسخاء وقضاء الحوائج للناس، وكانت قدراته لاتحصى منها حلمه وعلمه وكظمه الغيظ.

وأنه كان يصلى نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح، ثم يعقب حتى تطلع الشمس، ويخر لله ساجدا فلا يرفع رأسه من الدعاء والتمجيد حتى يقرب زوال الشمس. ومن دعائه للهم انى أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب.

وكان يبكي من خشيه الله حتى تخضل لحيته بالدموع. وكان أوصل الناس لأهله ورحمه، وكان يفتقد فقراء المدينة في الليل فيحمل إليهم فيه العين، والورق، والتمور، فيوصل إليهم ذلك، ولا يعلمون من أي جهة هو[(1)].

كان له سبعة وثلاثون ولداً ذكراً وأنثى:

علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإبراهيم، والعبّاس، والقاسم وأمهم السيدة تكتم. وهي تكتم الطاهرة - (أم البنين) أم الإمام الرضا. وجاء في كتاب تراجم الشيعة: (تكتم) بضم أوله وسكون الكاف وفتح التاء الفوقانية قبل الميم. وقال الشيخ الصدوق: هكذا تسمى باسمها حين ملكها أبو الحسن موسى بن جعفر عليهم السلام وهي أم ولده الإمام الرضا، كانت من أشراف العجم جارية مولدة وكانت من أفضل النساء في عقلها ودينها وإعظامها لمولاتها حميدة المصفاة حتى أنها ما جلست بين يديها مذ ملكتها إجلالاً لها. فقالت لابنها موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: يا بني، إن تكتم أفضل مني،

(1) وفيات الأعيان، ٥/ ٣٠٨.

ولست أشك أن الله تعالى سيطهر نسلها إن كان لها نسل وقد وهبتها لك، فاستوص خيراً بها.

وأولاده أيضاً:

أحمد، ومحمد، وحمزة، لأُمّ ولد.

وإسماعيل، وجعفر، وهارون، والحسين، وأمهم أمة محررة. وعبد الله، وإسحاق، وعبيد الله، وزيد، والحسن، والفضل، وسليمان، وأمهم أمة محررة أُخرى.

وفاطمة الكبرى، وفاطمة الصغرى، ورقيّة، وحكيمة، وأُمّ أبيها، ورقيّة الصغرى، وكلثم، وأُمّ جعفر، ولبابة، وزينب، وخديجة، وعليّة، وآمنة، وحسنة، وبريهة، وعائشة، وأُمّ سلمة، وميمونة، وأُمّ كلثوم وأمهاتهم إماء محررة عدة.

وكان أحمد بن موسى كريماً ورعاً، وكان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يحبّه ووهب له ضيعته المعروفة باليسيرة، ويقال: إنّه أعتق ألف مملوك.

وتفرقت فرق الشيعة بعد وفاة الإمام موسى الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

١- فرقة منها زعمت أنه مات في حبس هارون، وكان محبوسا عند السندي بن شاهك، وإن يحيى بن خالد البرمكي سمه في رطب وعنب بعثه إليه فقتله، وأن الإمام بعد أبيه علي بن موسى الرضا، فسميت هذه الفرقة القطعية لأنها قطعت على وفاة موسى وإمامة علي بن موسى ولم تشك في أمرها ولا ارتابت، وأقرت بموت موسى وأنه أوصى إلى ابنه علي أشار إلى إمامته قبل حبسه ومرت على المنهاج الأول.

٢- وقالت الفرقة الثانية أن موسى بن جعفر لم يمت، وأنه حي لا يموت حتى يملك شرق الأرض وغربها ويملأها كلها عدلا كما ملئت جورا وأنه القائم المهدي، وزعموا أنه لما خاف على نفسه القتل خرج من الحبس نهارا ولم يره أحد ولم يعلم به، وأن السلطان وأصحابه ادعوا موته وموّهوا على الناس ولبّسوا عليهم برجل مات في الحبس فأخرجوه ودفنوه في مقابر قريش، في القبر الذي يدعى أنه قبر موسى بن جعفر، وكذبوا في ذلك، إنما

غـاب عـن الناس واختفى . ورووا في ذلك روايات عن أبيه جعفر: أنه قال: "هـو القـائم المهـدي فـإن يدَهـدَه رأسـه من جبل فلا تصدقوا فإنه صاحبكم القائم".

٣- وقالـت فـرقة أنه القائم وقد مات فلا تكون الإمامة لأحد من ولده ولا لغيرهم حتى يرجع فيقوم ويظهر . وزعموا أنه قد رجع بعد موته إلا إنه مختف في موضع من المواضع يعرفونه يأمر وينهى وأن من يوثَّق من أصحابه يَلقونَه ويَرونه .

٤- وقالـت فـرقة مـنهم لا يُـدْرَى أحـي هو أم ميت؟ لأنا قد روينا فيه أخـبارا كـثيرة تـدل على أنه القائم المهدي فلا يجوز تكذيبها ، وقد ورد علينا مـن خـبر وفاتـه مـثل الذي ورد علينا من خبر وفاة أبيه وجده والماضين من آبائـه في معنى صحة الخبر ، فهو أيضا مما لا يجوز رده وإنكاره . . فوقفنا عند ذلـك علـى إطـلاق مـوته وعن الإقرار بحياته ، ونحن مقيمون على إمامته لا نتجاوزها إلى غيره حتى يصح لنا أمره

٥- وفرقة منهم يقال لها الهسموية أصحاب محمد بن بشير مولى بني أسد مـن أهـل الكـوفة ، قالـت إن موسى بن جعفر لم يمت ولم يحبس ، وأنه غاب واسـتتر ، وهو القائم المهدي ، وأنه في وقت غيبته استخلف على الأمة محمد بـن بشير وجعله وصيه وأعطاه خاتمه وعلمه جميع ما يحتاج إليه رعيته . . فهو الإمـام ، وزعمـوا أن علـي بن موسى وكل من ادعى الإمامة من ولده وولد موسـى بـن جعفر فمبطلين كاذبين ، غير طيبي الولادة ونفوهم عن أنسابهم ، وكفروهم لدعواهم الإمامة وكفروا القائلين بإمامتهم . . وقالوا بإباحة المحارم وبالتناسـخ ومذاهـبهم في الـتفويض مـذاهب الغلاة المفرطة . . وعرفوا أيضا بالواقفة .

مِن كلماتِ الإمام الكاظم:

قال في وصيّته لهشام بن الحكم:

- إنّ الله تـبارك وتعـالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه ، فقال: "فبشِّرْ عـبادِ * الـذين يـستمعون القـولَ فيتّبِعون أحسنَه ، أولئك الذين هَداهمُ الله

وأُولئك هُم أُولو الألباب".

- يا هشام، لكلّ شيء دليل، ودليل العاقل التفكّر، ودليل التفكّر الصمت.

- يا هشام، إنّ لله على الناس حُجّتَين: حجّة ظاهرة، وحجّة باطنة. فأمّا الظاهرة فالرسول والأنبياء والأئمّة، وأما الباطنة فالعقول.

- يا هشام، إن كان يُغنيك ما يَكفيك، فأدنى ما في الدنيا يكفيك. وإن كان لا يغنيك ما يكفيك، فليس شيء من الدنيا يغنيك.

* يا هشام، لا تمنحوا الجهّالَ الحكمةَ فتظلموها، ولا تمنعوها أهلَها فتظلموهم.

- يا هشام، رحمَ اللهُ مَن استحيا من الله حقَّ الحياء، فحفِظَ الرأسَ وما حوى، والبطنَ وما وعى، وذكَرَ الموتَ والبِلى، وعلم أنّ الجنّة محفوفة بالمكاره والنارَ محفوفة بالشهوات.

- يا هشام، مَن كفَّ نفسه عن أعراض الناس أقاله الله عثرتَه يوم القيامة، ومَن كفّ غضبه عن الناس كفّ الله عنه غضبه يوم القيامة.

- يا هشام، إنّ كلّ الناس يُبصر النجوم، ولكن لا يهتدي بها إلاّ مَن يعرف مجاريها ومنازلها. وكذلك أنتم.. تدرسون الحكمة، ولكن لا يهتدي بها منكم إلاّ مَن عمل بها.

- يا هشام، الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنّة. والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار.

- يا هشام، بئس العبد عبدٌ يكون ذا وجهَين وذا لسانَين: يُطري أخاه إذا شاهده، ويأكله إذا غاب عنه.. إن أُعطيَ حسده، وإن ابتُليَ خذله.

- يا هشام، لا يكون الرجل مؤمناً حتّى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتّى يكونَ عاملاً لِما يخاف ويرجو.

* يا هشام، إيّاك والكِبْر؛ فإنّه لا يدخل الجنّةَ مَنْ كان في قلبه مثقال حبّة مِن كِبر. الكبر رداء الله، فمَن نازَعَه رداءه أكبّه الله في النار على وجهه.

- يـا هـشام ، ليس منّا مَن لم يحاسب نفسَه في كلّ يوم ، فإنْ عمِلَ حسناً استزاد منه ، وإن عمل سيّئاً استغفر اللهَ منه وتاب إليه .

- يا هشام ، مجالسة أهل الدِّين شرف الدنيا والآخرة ، ومشاورة العاقل الناصح يُمنٌ وبركة ورُشْد وتوفيق من الله . . فإذا أشار عليك العاقل الناصح فإيّاك والخلاف ؛ فإنّ في ذلك العطب (أي الهلاك)

- من وصية له إلى بعض ولده:

يـا بني إياك أن يراك الله في معصية نهاك عنها ، وإياك أن يفقدك الله عند طاعة أمرك بهـا ، وعليك بالجد ، ولا تخرجن نفسك من التقصير في عبادة الله وطاعته ، فإن الله لا يعبد حق عبادته ، وإياك والمزاح فإنه يذهب بنور إيمانك ، ويستخف بمرؤتك ، وإياك والضجر والكسل ، فإنهما يمنعان حظك من الدنيا والآخرة .

ومن وصية له:

أي فلان اتق الله وقل الحق وإن كان فيه هلاكك فإن فيه نجاتك ، أي فلان اتق الله ودع الباطل وإن كان فيه نجاتك ، فإن فيه هلاكك .

- ومن وصاياه:

اجعلوا لأنفسكم حظاً من الدنيا بإعطائها ما تشتهي من الحلال ، ومالا يـثلم المرؤة وما لا سرف فيه ، واستعينوا بذلك على أمور الدين ، فإنه روي: ليس منا من ترك دنياه لدينه ، أو ترك دينه لدنياه .

- تفقهـوا في الدين ، فإن الفقه مفتاح البصيرة ، وتمام العبادة ، والسبب إلى المنازل الرفيعة ، والرتب الجليلة في الدين والدنيا ، وفضل الفقيه على العباد ، كفضل الشمس على الكواكب ، ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملا .

- وقال: اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله ، وساعة لأمر المعاش ، وساعة لمعاشرة الإخوان ، والثقات ، الذين يعرّفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن ، وساعة تخلون فيها لذاتكم في غير محرم ،

وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات .

- قال: وجدت علم الناس في أربع: أولها: أن تعرف ربك ، والثانية: أن تعرف ما صنع بك ، والثالثة: أن تعرف ما أراد منك ، والرابعة أن تعرف ما يخرج من دينك .

- عن أبي الحسن موسى قال: عليكم بالدعاء ؛ فإن الدعاء والطلب إلى الله عز وجل يردّ البلاء وقد قدر وقضى فلم يبق إلاّ إمضاؤه ، فإنه إذا دعا الله وسأله صرف البلاء صرفاً[1] .

* * * * *

(١) اُنظر ، مقاتل الطالبيين ، ص ٤٩٩ ، تاريخ بغداد ، ١٣/ ٢٨ ، فرق الشيعة ، ص ٧٧ ، الملل والنحل ، ١/ ١٦٧ ، الفرق بين الفرق ، ص ٥٩ - ٦٢ ، الكافي ، ١/ ٢٤٥ وكذا في:إرشاد المفيد ، ٢/ ٢١٧ ، روضة الواعظين : ص ٢١٣ ، كشف الغمة٢/ ٢٢٠ ، الفصول المهمة ، ص ٢٣١ .

علي الرضا

افترقت الشيعة بعد وفاة الكاظم إلى عدة فرق:

فرقة منهم قالوا بوفاته في حبس السندي بن شاهك ، وأن يحيى بن خالد البرمكي سمَّهُ في رطب وعنب بعثهما إليه ، وأن الإمام بعده هو علي الرضا . وهذه الفرقة سميت بالقطعية ؛ لأنها قطعت على وفاته وعلى إمامة الرضا .

وفرقة قالت: إن الكاظم لم يمت وإنه حي ولا يموت حتى يملك شرق الأرض وغربها ، ويملأها كلها عدلاً كما ملئت جوراً ، وإنه القائم المهدي ، وزعموا أنه خرج من الحبس ولم يره أحد نهاراً ولم يعلموا به ، وأن السلطان وأصحابه ادعوا موته وموهوا على الناس وكذبوا ، وأنه غاب عن الناس واختفى ، ورووا في ذلك روايات عن أبيه الصادق أنه قال: هو القائم المهدي ، فإن هدهد رأسه عليكم من جبل فلا تصدقوا ، فإنه القائم .

وقال بعضهم: إنه القائم ، وقد مات ، ولا تكون الإمامة لغيره حتى يرجع ، وزعموا أنه قد رجع بعد موته ، إلا أنه مختفٍ في موضع من المواضع حيٌّ يأمر وينهى ، وأن أصحابه يلقونه ويرونه ، واعتلوا في ذلك بروايات عن أبيه أنه قال: سمي القائم قائماً ؛ لأنه يقوم بعدما يموت .

وقال بعضهم: إنه قد مات ، وإنه القائم ، وإن فيه شبهاً من نبي الله عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وإنه لم يرجع ولكنه يرجع في وقت قيامه فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وإن الله قال: إن فيه شبهاً من عيسى ابن مريم ، وإنه يقتل على يدي ولد العباس ، فقد قتل ، وأنكر بعضهم قتله ، وقالوا: مات ورفعه الله إليه ، وإنه يرده عند قيامه ، فسموا هؤلاء جميعاً الواقفة ؛ لوقوفهم على موسى بن جعفر أنه القائم ، ولم يَأتَمُّوا بعده بإمام ، ولم يتجاوزوه إلى غيره ، وقد قال بعضهم ممن ذكر أنه حي: إن الرضا ومن قام بعده ليسوا بأئمة ولكنهم خلفاء ، واحداً بعد واحد إلى أوان خروجه .

وفرقة قالت: لا ندري أهو حي أم ميت ، لأنا قد روينا أخباراً كثيرة تدل على أنه القائم المهديَ ، فلا يجوز تكذيبها ، وقد ورد علينا من خبر وفاة أبيه

وجده والماضين من آبائه في معنى صحة الخبر، فهذا أيضاً مما لا يجوز رده وإنكاره لوضوحه وشهرته وتواتره من حيث لا يكذب مثله ولا يجوز التواطؤ عليه، والموت حق، والله عز وجل يفعل ما يشاء، فوقفنا عند ذلك على إطلاق موته وعلى الإقرار بحياته، وقالوا: ونحن مقيمون على إمامته لا نتجاوزها حتى يصح لنا أمره وأمر هذا الذي نصب نفسه مكانه وادعى الإمامة - يعنون علي بن موسى الرضا - فإن صحت لنا إمامته كإمامة أبيه من قبله بالدلالات والعلامات الموجبة للإمامة بالإقرار منه على نفسه بإمامته وموت أبيه لا بأخبار أصحابه سلمنا له ذلك وصدقناه.

وفرقة قالت: إن موسى بن جعفر لم يمت ولم يحبس، وإنه حي غائب، وإنه المهدي، وإنه في وقت غيبته استخلف على الأمر محمد بن بشير وجعله وصيه وأعطاه خاتمه وعلمه جميع ما تحتاج إليه رعيته، ولما توفي أوصى إلى ابنه سميع بن محمد بن بشير، ومن أوصى إليه سميع فهو الإمام المفترض الطاعة، وهكذا.. إلى وقت خروج الكاظم.

وفرقة قالت بإمامة أحمد بن موسى الكاظم، وأن الكاظم أوصى إليه وإلى الرضا وأجازوها في أخوين، وجعله أبوه الوصي بعد علي بن موسى.

وكذا إبراهيم بن الكاظم الذي خرج باليمن ودعا الناس إلى بيعة محمد بن إبراهيم طباطبا، ثم دعا الناس إلى بيعة نفسه[1].

وإبراهيم هذا من الذين أنكروا موت أبيه، حيث يروي القوم عن بكر بن صالح قال: قلت لإبراهيم بن أبي الحسن موسى بن جعفر: ما قولك في أبيك؟ قال: هو حي، قلت: فما قولك في أخيك أبي الحسن؟ قال: ثقة صدوق، قلت: فإنه يقول: إن أباك قد مضى؟ قال: هو أعلم وما يقول، فأعدت عليه فأعاد علي، قلت: فأوصى أبوك؟ قال: نعم، قلت: إلى من أوصى؟ قال: إلى خمسة منا وجعل علياً علينا.

أما هذه الوصية التي أشار إليها فقد رواها القوم عن يزيد بن سليط الزيدي، أنه قال: لقيت موسى بن جعفر، فقلت: أخبرني عن الإمام بعدك

---

(١) الإمامة والنص، ١ / ١٩٨.

بمثل ما أخبر به أبوك، قال: فقال: كان أبي في زمن ليس هذا مثله.

قال يزيد: فقلت: من يرضى منك بهذا فعليه لعنة الله، قال: فضحك، ثم قال: أخبرك يا أبا عمارة أني خرجت من منزلي فأوصيت في الظاهر إلى ابني، وأشركتهم مع علي ابني، وأفردته بوصيتي في الباطن، ولو كان الأمر إليّ لجعلته في القاسم ابني لحبي إيه ورأفتي عليه، ولكن ذلك إلى الله عز وجل يجعله حيث يشاء، وقد جاءني بخبره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجدي علي حيث قال لي: الأمر قد خرج منك إلى غيرك، فقلت: يا رسول الله، أرنيه أيهم هو؟ فقال رسول الله: ما رأيت من الأئمة أحداً أجزع على فراق هذا الأمر منك، ولو كانت الإمامة بالمحبة لكان إسماعيل أحب إلى أبيك منك، ولكن من الله.

فأين القول بالنص مع كل هذا التمويه؟ ولعل أمثال هذه الوصايا هي التي جرأت أبناء الأئمة للخروج وادعاء الإمامة كما مرَّ بك، وكما هو شأن صاحبينا إبراهيم وأخيه زيد ابني موسى الذي خرج بالبصرة ودعا إلى نفسه، وحرق دوراً وأعبث، ثم ظفِرَ به وحُمِلَ إلى المأمون، وقد ذكرنا نبذة من ذلك عند كلامنا عن زيد بن علي[(1)].

والإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم كنيته أبو الحسن، ولقبه الرضا. وكانت ولادته يوم الجمعة في بعض شهور سنة ثلاث وخمسين ومائة بالمدينة، وقيل بل ولد سابع شوال، وقيل ثامنه، وقيل سادسه، سنة إحدى وخمسين ومائة. وتوفي في آخر يوم من صفر سنة اثنتين ومائتين، بل توفي خامس ذي الحجة، وقيل ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث ومائتين، بمدينة طوس وصلى عليه المأمون ودفنه ملاصق قبر أبيه الرشيد، وكان سبب موته أنه أكل عنباً فأكثر منه، وقيل بل كان مسموماً فاعتل منه ومات، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى[(2)].

ومدة إمامته عشرون عاماً من سنة ١٨٣ إلى ٢٠٣ هجرية.

(١) الإمامة والنص، ١ / ١٩٩.
(٢) الإمامة والنص، ١ / ١٩٩.

ونقسم حياته لثلاث مراحل:

١ - ما قبل الإمامة من عام ١٤٨ إلى ١٨٣ أي (٣٥) عاماً.

٢ - مرحلة الإمامة في المدينة ١٧ عاماً.

٣ - مرحلة الإمامة في خراسان ثلاث سنوات وهي من أهم مراحله السياسية[١].

واصل الإمام الرضا الجهاد العلمي ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام وتجاهر بإمامته وخاصة في فترة الصراع بين الأمين والمأمون حيث كثر عدد الشيعة والعلويين، وأظهر الكثير رفضهم وتمردهم على النظام العباسي. وكان المأمون قد زوجه ابنته أم حبيب في سنة اثنتين ومائتين وحعله ولي عهده، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وكان السبب في ذلك أنه استحضر أولاد العباس الرجال منهم والنساء، وهو بمدينة مرو من بلاد خراسان، وكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً ما بين الكبار والصغار، واستدعى علياً المذكور فأنزله أحسن منزلة، وجمع خواص الأولياء وأخبرهم أنه نظر في أولاد العباس وأولاد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من علي الرضا فبايعه، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام؛ ونمي الخبر إلى من بالعراق من أولاد العباس، فعلموا أن في ذلك خروج الأمر عنهم، فخلعوا المأمون وبايعوا إبراهيم بن المهدي عم المأمون[٢].

والإمام الرضا قد ساهم مساهمة فعّالة في الحركة العلمية في زمانه، فقد أُتيح له أن يتحرك في شتى الميادين، كما ركّز على فلسفة الأحكام الشرعية، يظهر ذلك من الروايات المروية عنه حول هذا المضمون. وتركيزه على قضايا الطب والصحة. كما برزت عنايته بمحاورة أصحاب الفرق والأديان الأخرى، وتتلمذ على يده كبار العلماء من مختلف المذاهب، وأشاد بفضله كبار رجال

(١) وفيات الأعيان، ٣/ ٢٧٠.

(٢) وفيات الأعيان، ٣/ ٢٧٠.

السياسية . وقد أقر الجميع بتفرّده علمياً في جميع مجالات المعرفة[1] .

ومن كلماته وحكمه القصار:

- أحسنوا جوار النعم ، فإنّها وحشية ما نأت عن قوم فعادت إليهم . لا يعدم المرء دائرة السوء مع نكث الصفقة ، ولا يعدم تعجيل العقوبة مع إدراع البغي .

والخلفاء الذين عاصرهم الإمام هارون الرشيد والأمين والمأمون .

وتوفي الإمام علي الرضا آخر صفر ٢٠٣ ، وعمره ٥٥ عاماً ، ومرقده الشريف في مدينة مشهد في إيران[2] .

* * * * *

(١) أبو الفرج الأصبهاني ، مقاتل الطالبيين ، ١/١٤٧ .
(٢) الإمامة والنص ، ١ / ١٩٩ .

محمد الجواد

محمد بن علي الجواد أبو جعفر (١٩٥ - ٢٢٠ هـ = ٨١١ - ٨٣٥ م)، تاسع أئمة الشيعة الإثنا عشرية، هو أحد المعصومين الاثني عشر لدى الشيعة الإمامية وعاصر اثنين من الخلفاء العباسيين هما المأمون، والمعتصم، كما عاصر الفرقة الواقفية التي تعتقد بتوقف الإمامة عند جدّه موسى الكاظم، ولا تعتقد بإمامة من بعده.

هو: محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بنمضر بن نزار بن معد بن عدنان [١].

أمه هي: خيزران ذُكِرت بأسماء دُرّة، سبيكة، وريحانة، وسكينة النوبية.

ترك من الأولاد: علي بن محمد الهادي الذي استلم الإمامة بعد والده حسب معتقد الشيعة الاثني عشرية، وأمه سمانة.

وموسى المبرقع: أحد أبناء محمد الجواد المُتّفق عليهم، ولد في المدينة المنورة عام٢١٤هـ وقد هاجر من المدينة إلى الكوفة، ثم هاجر منها إلى مدينة قم عام ٢٥٦هـ وتوفي عام ٢٩٦ هـ ودُفِنَ في قم، ومزاره هناك مشهور. سُمّي بالمبرقع لإنه كما نُقِل جميل ويشبّه بالنبي يوسف من حسنه وجماله، وكان الناس يزدحمون في الطرق والأسواق لإنشاءهم لجماله، مما كان يضطرّه إلى وضع قماشة على وجهه، ولذلك سُمّي بالمبرقع.

واختلف المؤرخون والباحثون في تحديد أبناء محمد الجواد الآخرين. فهذا محمد بن محمد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد يقول: إنّ أولاد الإمام الجواد كانوا: الإمام الهادي وموسى وفاطمة وأمامة. وينقل ابن شهرآشوب المازندراني عن ابن بابويه القمي، أنّ بنات الجواد هنّ حكيمة، وخديجة، وأمّ كلثوم. مؤلف كتاب عمدة المطالب يقول: أولاده علي: وموسى والحسن، وحكيمة، وبريهة، وأمامة، وفاطمة.

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٤/ ١٧٦.

كما يوجد قبر يُنسَب لأحد أبناء محمد الجواد واسمه فاضل، ويقع داخل مسجد كبير في قرية بيدهند التابعة لمحافظة قم الإيرانية.

حكيمة: هي إحدى بنات محمد الجواد، وهي ذات مكانة سامية عندالشيعة الاثني عشرية ويثقون بما ترويه وتوفيت في مدينة سامراء بالعراق، ودفنت بجوار علي بن محمد الهادي، والحسن بن علي العسكري.

وأبناء محمد الجواد موسى المبرقع والحسن وبريهة وأمامة وخديجة وآم كلثوم ومحمد من أمهات ولد متفرقات أما فاطمة وحكيمة فهما من أم ولد واحدة.

وقد تزوج محمد الجواد من أم الفضل بنت المأمون العباسي ولم تنجب منه شيئاً.

إشترى محمد الجواد جارية مغربية اسمها سمانة، ثم تزوجها. وسمانة هي التي أنجبت له أولاداً وبناتاً، وسمانة هي السيدة التي أنجبت للإمام أولاداً وبناتاً، فثارت في أم الفضل رذيلة الحقد والحسد.

ولقب الإمام بالجواد، والتقي، والقانع، والزكي، وباب المراد. كذلك لُقِّبَ بالمنتجب، والمرتضى، والرضي، والمتوكل.

وُلِدَ في المدينة المنورة واختلف المؤرخون والمحدثون في تاريخ ولادته، وهذا الاختلاف موجود في تاريخ ولادة أكثر الأئمة عند الشيعة الاثني عشرية. المشهور عند الشيعة ما ذكره العياشي والإربلي أنَّ ولادة الجواد كانت في اليوم العاشر من شهر رجب، وقد ذكر آخرون أنَّ ولادته كانت في شهر رمضان من سنة مائة وخمسة وتسعين، ويقيم الشيعة الاحتفالات الدينية في هذا اليوم من كل سنة، مع شيء من مظاهر الزينة والأفراح.

حسبما المرويات الشيعية في ولادة الجواد يُنقل أن علي بن موسى الرضا قد اتّخذ التدابير اللازمة لولادة ابنه الجواد، فخصّص حجرة من حجرات داره، وأمر أخته حكيمة بأن ترافق خيرزان مع القابلة إلى تلك الحجرة، استعداداً لاستقبال المولود. وجعل في تلك الحجرة شمعة يستضيؤون بها، وأغلق عليهنّ الباب لئلا يدخل عليهن غيرهن.

ولقد عاش محمد بن علي الجواد مع والده علي بن موسى الرضا فترة بسيطة، وقد اختلف المؤرخون على ذلك، حيث يقول بعضهم أنَّ الرضا حينما سافر إلى

خراسان كان عمر الجواد خمس سنوات، وآخرون يقولون أنّ عمره كان سبع سنوات. وقد أجبر المأمون العباسي علي بن موسى الرضا على الرحيل من المدينة المورة إلى خراسان، فخرج من المدينة المنورة نحو مكة، ومنها إلى خراسان.

ويُروى أنّ الرضا عندما أراد الخروج إلى خراسان، جمع عياله وأمرهم أن يبكوا عليه، وقال: إني لا أرجع لعيالي أبداً وقد أمر جميع وكلائه بالسمع والطاعة لابنه الجواد وترك مخالفته، وتوفي الرضا بعد أربع أو خمس سنوات من رحيله إلى خراسان.

بعد وفاة علي بن بن موسى الرضا، توجّه المأمون إلى بغداد. وانتشر خبر وفاة الرضا في البلاد الإسلامية، ولم يكن الكثير من الشيعة القاطنين في البلدان النائية يعرفون من الإمام بعد الرضا، كما لم يسمعوا بالنصوص الدالة على إمامة الجواد، فتوافدت حوالي ثمانين رجلاً من مشاهير الشيعة وفقهائهم للتحقيق في الموضوع.

وكتب المأمون كتاباً إلى والي المدينة المنورة يأمره بإرسال محمد الجواد إلى بغداد، وقد وصل الجواد إلى بغداد وهو في العاشرة أو الحادية عشرة من العمر، ويرى بعض مؤرخي الشيعة أن استقدام المأمون للجواد كان سنة ٢١٤ هـ أي فور وصول المأمون من خراسان، فيما يذهب آخرون كابن طيفور أن استقدامه كان سنة ٢١٥ هـ.

وقد أراد المأمون أن يزوجه ابنته أم الفضل، وحينها أُثيرت ضجة كبيرة على العباسيين، الذين كانوا يومذاك أصحاب السطلة ورجال الدولة، ويُشكّلون طائفة كبيرة، فقد قيل: إنّ الإحصائيات أُجرِيَت في وِلد العباس فكانوا ثلاثاً وثلاثين ألف نسمة. لكن المأمون كان مصراً على تزويج ابنته أم الفضل لمحمد الجواد، وقد حصل ذلك.

ولما توفي المأمون سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م واستلم الخلافة من بعده أخوه المعتصم، ولذا يعتقد الشيعة أنّ المعتصم استغل علاقة ابنة أخيه مع زوجها الجراد، ليحرضها على دس السُم إليه.

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ٢٢٠ هـ وحينما كان موسى بن جعفر الكاظم جد الجواد في بغداد، إشترى أرضاً في مقابر قريش التي تُعرف اليوم باسم

الكاظمية . إشترى تلك الأرض ليُدفَنَ فيه بعد وفاته ، وقد دُفِنَ فيها .

دُفِنَ الجواد في نفس تلك الأرض بجانب جده الكاظم ، ولم يُبنى على قبرهما بناء إلا بعد انقضاء فترة طويلة ، وقد سُمِّيَت البقعة بـ "الكاظمية" أو "الكاظمين" ، وكان الشيعة يقصدون ضريحهما للزيارة وقد بُنيت المساكن والبيوت حول قبرهما ، حتى صارت قرية من قرى بغداد ، حتى تحولت في العصر الحديث إلى مدينة كبيرة .

وفي سنة ٣٣٦هـ ، أمر معز الدولة أحمد بن بويه بتجديد عمار المرقدين ، وتجديد الضريحين ، وتزيين المقام ، وبنى أمام المقام صحناً واسعاً رفيع الجدران . وعَيَّنَ جُنُوداً وعساكر لخدمة المقام وحراسته ، وتأمين سلامة الزوار من الأخطار المحتملة .

دخل إسماعيل الصفوي بغداد سنة ٩١٤ هـ وزار الحضرة عام ٩٢٩هـ فأمر بقلع عمارة الحضرة من الأساس وإعادة بنائها بعد توسيع الروضة وتبليط القاعات بالرخام ووضع صندوقين خشبيين فوق القبرين كما أمر أن تكون المآذن أربع بدلا من اثنتان وبنى مسجدا كان يسمى المسجد الصفوي ثم أصبح الآن يسمى محليا بمسجد الجوادين وأمر بنقل رباط الحيوانات إلى خارج الجدار وعلق فيه القناديل والثريات .

بعد دخول سليمان القانوني بغداد عام ٩٤١هـ زار الحضرة وجد أن العمران فيها قد بدأ إلا أنه لم يتم فأمر بتكميله وبناء المنبر الموجود اليوم في مسجد الجوادين وإكمال بناء إحدى المآذن . في عام ١٢٠٧هـ أمر السلطان محمد بإكمال ما بدأه الصفويون فأضاف ثلاث مآذن أخرى على طراز الأولى التي كان قد بناها السلطان سليمان . من تلك الأعمال أيضاً تأسيس صحن واسع يحف بالحرم من جهاته الثلاث: الشرقية والجنوبية والغربية ، ويتصل الجامع الكبير بالحرم من جهته الشمالية ، وتم تخطيط الصحن بمساحته الموجودة اليوم [1] .

(١) انظر: مرآة الجنان ، ٢/ ٨٠ ، تاريخ بغداد ، ٣/ ٥٤ ؛ ابن خلكان ، ٤/ ١٧٦ ، شذرات الذهب ، ٢/ ٤٨ ، النجوم الزاهرة ، ٢/ ٢٣١ ، روضة الواعظين ، ١/ ٢٤٣ ، مناقب آل أبي طالب ، ٤/ ٣٧٩ ، الإمام الجواد من المهد إلى اللحد ، ص ٦٢ - ٩٥ .

علي الهادي بن محمد الجواد

هـو أبـو الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علـي بـن الحـسين بـن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مـناف بـن قـصي بـن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالـك بـن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بنمضر بن نزار بن معد بن عدنان .

أمـه هـي سمانـة المغـربية ، وتزوج إمرأة تسمي حديثة ، وأنجب: الحسن العسكري ، وعلي ، والحسين ، ومحمد ، وجعفر ، وعائشة .

ولـد في صـريا ، إحـدي قري المدينة المنورة ، في منتصف ذي الحجة سنة ٢١٢ . وقـد اخـتلف المحدثـون في تاريخ ولادته: فقيل: وُلد في شهر رجب ، وذكـر عـياش إن ولادتـه كانـت في الثاني من شهر رجب ، أو الخامس منه ؛ وقيل: في الليلة الثالثة عشرة منه ، سنة ٢١٤هـ ، وقيل: ٢١٢هـ .

وقـيل: كانـت ولادتـه في النـصف من ذي الحجة ، أو السابع والعشرين منه .

وكـان ويقـال له: العسكري . . لأنه أقام بموضع يقال له: العسكر في سر مـن رأى ، وتوفى في ٣ رجب من عام ٢٥٤ للهجرة بسامراء (سُرَّ مَنْ رأى) في خلافة المعتز بالله العباسي ، وعمره ٤٠ سنة ، دفن في داره في سامراء .

ومن ألقابه: النقي ، الهادي ، النجيب ، المرتضى ، العالم ، المتقي ، الفقيه ، الأمين ، المؤتمن ، الطيب ، المتوكل ، العسكري الناصح .

وكان نقش خاتمه: اللهُ رَبِّي وهُوَ عِصْمَتِي مِنْ خَلْقِهِ .

ومـن أشـهر شعراؤه: العوفي ، الديلمي ، محمد بن إسماعيل الصيمري ، أبـو تمـام الطائـي ، أبو الغوث أسلم بن مهوز المنبجي ، أبو هاشم الجعفري ، الحماني .

كـان الإمـام علي الهادي كثير الإحسان للناس سيما الفقراء والضعفاء ، حتى أحبه الخاص والعام .

عاصر من خلفاء بني العباس: المعتصم العباسي، الواثق، المتوكل، المنتصر، المستعين، المعتز.

ظل في المدينة بقية خلافة المعتصم العباسي وأيام خلافة الواثق العباسي، حيث اشتهرت مكارمه في الآفاق، فلما ملك المتوكل، خشي منه القيام ضده فاستقدمه، ليكون قريباً منه يراقبه ويسهل الضغط عليه.

وبعد أن أُتِيَ بالإمام من المدينة إلى سامراء بأمر من المتوكل العباسي كان الوشاة بين الحين والآخر يشحنوا المتوكل بالحقد على الإمام الهادي، يصوروا له خطره على عرشه.

فقد بلغ المتوكل مقامه بالمدينة وميل الناس إليه فخاف منه فدعى يحيى بن هبيرة وأمره بإحضاره وضج أهل المدينة لذلك خوفاً عليه لأنه كان محسناً إليهم ملازماً للعبادة في المسجد، فحلف يحيى أنه لا مكروه عليه، ثم فتش منزله ولم يجد سوى مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عينه وتولى خدمته بنفسه، ولما قدم بغداد بدأ بإسحاق بن إبراهيم الطائي والي بغداد فقدم إلى المتوكل فأكرمه، ثم مرض المتوكل فنذر إن عوفي تصدق بدراهم كثيرة، فسأل الفقهاء فلم يجد عندهم جواباً، فبعث إلى علي الهادي فسأله، فقال: تصدق بثلاثة وثمانين درهما، فسأله المتوكل عن السبب، فقال: لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبة:٢٥]، وكانت المواطن هذه الجملة، فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غزا سبعاً وعشرين غزاة وبعث ستاً وخمسين سرية [(١)].

---

(١) هذا الموقف ذكره البغدادي والمسعودي (تدريخ بغداد، ١٢ / ٥٦، وهذا الكلام يسرده بلا مستند، ومما يدل على فساد قوله ذكره والي بغداد، وأنه كان إسحاق بن إبراهيم الطائي، ومعروف أنه ليس طائياً بل هو خزاعي، فإنه إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب، وابن عمه عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب أمير خراسان المشهور، وابن هذا محمد بن عبد الله بن طاهر كان نائباً على بغداد في خلافة المتوكل وغيره، وهو الذي صلى على أحمد بن حنبل لما مات، وإسحاق بن إبراهيم هذا كان نائباً لهم في إمارة المعتصم والواثق وبعض أيام المتوكل، وهؤلاء كلهم من خزاعة وليسوا من طيئ.
وأما ذكره من إفتاء للمتوكل بأن يتصدق بثلاثة وثمانين درهماً – لما نذر من أنه سيتصدق بدراهم كثيرة إن عوفي، فقد حكى عن علي بن موسى مع المأمون، وعلى أية حال: إما أن

ومن حكمه:

- من أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوقين .

- من كان على بينة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا ولو قُرِضَ ونُشِرْ .

- الحسد ماحي الحسنات والعُجُبْ صارف عن طلب العلم ، والبخل أذم الأخلاق ، والطمع سجية سيئة .

- المصيبة للصابر واحدة وللجازع اثنتان .

- إن الظالم الحالم يكاد أن يُعْفى على ظلمه بحلمه ، وإن المحق السفيه يكاد أن يطفئ نور حقه بسفهه .

كانت وفاة الإمام علي الهادي في عهد المعتز بالله في الثالث من رجب من عام ٢٥٤ للهجرة . وجاء عن المسعودي أنه قال: لما توفي اجتمع في داره جملة من بني هاشم من الطالبين والعباسيين واجتمع خلق كثير من الشيعة ثم فتح من صدر الرواق باب وخرج خادم أسود ، وخرج بعده أبو محمد الحسن العسكري حاسراً مكشوف الرأس ، وكان وجهه وجه أبيه لا يخطئ من شيء وكان في الدار أولاد المتوكل فلم يبقى أحد إلا قام على رجليه وجلس بين بابي الرواق والناس كلهم بين يديه ، وكانت الدار كالسوق . . وأخرجت الجنازة وخرج يمشي حتى خرج بها إلى الشارع ، وصلى عليه قبل أن يخرج إلى الناس . . ودفن في دار من دوره وصاحت سامراء يوم موته صيحة واحدة .

يكون كذباً أو جهلاً من المفتي بذلك . والأدلة المذكورة على ذلك باطلة! لأن الغزوات التي شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ هذا العدد اتفاقاً ، ولا السرايا أيضا بلغ العدد المذكور . وهذه الآية نزلت يوم حنين فينبغي أن يكون المعدود فقط غزوات التي وقعت قبلها لا بما حدثت بعدها – ومعلوم أن غزوة الطائف وتبوك وكثير من السرايا وقعت بعدها . وكذلك لو صح الاستدلال لوجب استثناء الغزوات التي ما انتصر فيها المسلمون كغزوة أحد وسرية مؤته وغيرها . ولفظ "الكثير" عام يناول العشرات ومئات بل الآلاف وأكثر ، قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ والله يضاعف الحسنة إلى سبعمائة كما نص القرآن ، وقال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ .
انظر: مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها ، ٢٩ / ٦٦ .

وذكر اليعقوبي: أن اجتماع الناس في دار الإمام الهادي وخارجها كان عظيماً جداً، ولم تتسع الدار لإقامة الصلاة على جثمان الإمام، ولهذا تقرر أن يخرجوا الجثمان المقدس إلى الشارع المعروف بشارع أبي أحمد وهو من أطول شوارع سامراء وأعرضها، حتى يسع المكان لأداء الصلاة. وكان أبو أحمد بن هارون الرشيد، المبعوث من قبل المعتز العباسي للصلاة على جثمان الإمام لما رأى اجتماع الناي وضجتهم أمرَ بردِّ النعش إلى الدار حتى يدفن هناك[1].

* * * * *

(١) انظر: المسعودي، مروج الذهب، ٢/ ١١١، تاريخ بغداد، ١٢ / ٥٦، سير أعلام النبلاء، ١٢، ٣٥، الكامل في التاريخ، ٧ / ٥٥، مرآة الجنان، ٢ / ١١٩، البداية والنهاية، ١١/ ١٥، لسان الميزان، الصواعق المحرقة، ص٣١٤، نور الأبصار، ص١٨٣ - ١٨٥، جامع كرامات الأولياء، ٢/ ١٨، خير الدين الزركلي، الأعلام، ٤/ ٣٢٣ - ٣٢٤.

الحسن بن علي العسكري

هو الإمام الحادي عشر علي مذهب الشيعة الاثني عشرية، أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمدبن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

أما أمه فهي أم ولد تسمى شكل النوبية، ويقال سوسن المغربية، ويقال منغوسة، وحديثة، ووحديث، وحربية، وريحانة، وغزال المغربية، وسليل وهذا هو الأصح . وكان زوجها يقول في حقها أنها مسلولة من الآفات والعاهات والأرجاس والنجاس، وقد كانت جليلة جداً .

يكنى أبي محمد، وقيل "أبو الحسن" أيضاً . ولقب العسكري نسبة إلى مدينة العسكر بالقرب من بغداد حيث اقام بها أغلب عمره ومن أشهر القابه أيضا الزكي وكان هو وأبوه وجده يُعرف كلُّ واحد منهم في زمانه بلقب "ابن الرضا" .

عاصر الإمام العسكري خلال عمره القصير، المعتز بن المتوكل، بقية أيامه وبعده المهتدي بن الواثق، الذي حكم أحد عشر شهراً، ثم المعتمد احمد بن المتوكل الذي حكم ثلاثاً وعشرين سنة، وكانت وفاة الإمام العسكري في أوائل حكم المعتمد .

وكان نقش خاتمه، الله وليّ . وأنا لله شهيد . وسبحانه مَنْ له مقاليد السماوات والأرض .

انتقل الحسن العسكري مع أبيه الإمام علي الهادي إلى سامراء بعد أن استدعاه الخليفه المتوكل العباسي إليها . وعاش مع أبيه في سامراء ٢٠ سنة حيث استلم بعدها الإمامة وله من العمر ٢٢ سنة . وذلك بعد وفاة أبيه سنة ٢٥٤هـ .

ووفقاً لروايات الشيعة استمرت إمامته إلى سنة ٢٦٠ هـ، أي ست

سنوات . عايش خلالها ضعف السلطة العباسية وسيطرة الأتراك على مقاليد الحكم وهذا الأمر لم يمنع من تزايد سياسة الضغط العباسي بحقه حيث تردد إلى سجونهم عدّة مرات وخضع للرقابة المشدّدة وأخيراً محاولة البطش به بعيداً عن أعين الناس والتي باءت بالفشل . وبالرغم من كل ذلك فإن الحسن العسكري استطاع أن يجهض كل هذه المحاولات مما أكسبه احتراماً خاصاً لدى أتباع السلطة بحيث كانوا يتحولون من خلال قربهم له إلى أناس ثقات وموالين وحرصاء على سلامته .

بل استطاع أن يفرض احترامه على الجميع مثل عبيد الله بن يحيى بن خاقان الوزير العباسي الذي ينسب إليه أنه قال بحقه: "لو زالت الخلافة عن بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غيره لفضله وعفافه وهديه وصيانة نفسه وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه".

أراد الحسن العسكري من خلال مواقفه الحذرة المحترسة في علاقته بالحكم أن يفوّت على الحكم العباسي مخططه القاضي بدمج أئمة أهل البيت وصهرهم في بوتقة الجهاز الحاكم وإخضاعهم للمراقبة الدائمة والإقامة الجبرية التي تهدف إلى عزلهم عن قواعدهم ومواليهم . فكان العسكري كوالده مكرهاً على مواصلة السلطة من خلال الحضور إلى بلاط الخليفة كل يوم اثنين وخميس .

وقد استغل الحسن العسكري هذه السياسة لإيهام السلطة بعدم الخروج على سياستها . ليدفع عن أصحابه الضغط والملاحقات التي كانوا يتعرضون لها من قبل الدولة العباسية . ولكن من دون أن يعطي السلطة الغطاء الشرعي الذي يكرّس شرعيتها ويبرّر سياستها ، كما يظهر ذلك واضحاً من خلال موقفه من ثورة الزنج التي اندعت نتيجة ظلم السلطة وانغماسها في حياة الترف . وبفعل الفقر الشديد في أوساط الطبقات المستضعفة ، وكانت بزعامة رجل ادّعى الانتساب إلى أهل البيت ، وقد أربكت هذه الثورة السلطة وكلفتها الكثير من الجهد للقضاء عليها ، فكان موقف تجاه هذه الثورة موقف الرفض.ولكنه اثر السكوت وعدم إدانة تصرفاتها لكي لا تعتبر الإدانة تأييداً ضمنياً للدولة .

وفعلاً انشغلت السلطة عن مراقبته بإخماد ثورة الزنج . مما سمح له أن يمارس دوره الرسالي التوجيهي والإرشادي . فكان يشجع أصحابه على إصدار الكتب والرسائل بالموضوعات الدينية الحيوية ، وكان يطلّع عليها وينقحها . كما تصدى للرد على كتب المشككين وإبطالها . ويُروى أنه اتصل بالفيلسوف الكندي الذي شرع بكتابة كتاب حول متناقضات القرآن . فأقنعه بخطئه . مما جعل الكندي يحرق الكتاب ويتوب . وعمل على إمداد وتدعيم قواعده ومواليه بكل مقومات الصمود والوعي فكان يمدّهم بالمال اللازم لحل مشاكلهم ، ويتتبع أخبارهم وأحوالهم النفسية والاجتماعية ، ويزودهم بالتوجيهات والإرشادات الضرورية مما أدّى إلى تماسكهم والتفافهم حول نهج أهل البيت والتماسهم كافة الطرق للاتصال به رغم الرقابة الصارمة التي أحاطت به من قبل السلطة ، ويُروى أن محمد بن علي السمري كان يحمل الرسائل والأسئلة والأموال في جرّة السمن بصفته بائعاً ويدخل بها على الحسن ليرجع بالأجوبة والتوجيهات وبذلك استطاع الحسن أن يكسر الطوق العباسي من حوله ويوصل أطروحة الإسلام الأصيل إلى قواعده الشعبية ويجهض محاولات السلطة ويسقط أهدافها .

تروي كتب السيرة الشيعية أن علي الهادي بعث أحد خواص أصحابه وكان نخاساً لشراء أمة رومية معينة وصف له أوصافها ، واسمها نرجس بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم ، وتعود في نسبها إلى شمعون الصفا أحد حواري عيسى ، فاشتراها النخاس وسلمها إلى الهادي ، الذي سلمها بدوره إلى أخته حكيمة لتعلمها أحكام الإسلام ، وهكذا بقيت نرجس عند حكيمة حتى تزوجها الحسن العسكري ، فأنجبت له محمد المهدي بن الحسن ، وهو الابن الوحيد الذي خلفه الحسن العسكري ، ويعتقدون الشيعة انه اخفى الله بمعجزة منه بطن السيدة نرجس حتى لايعلم العباسيون بحملها وولدت الإمام المهدي الذي غاب الغيبة الصغرى عندما كان في السابعة من عمره ومن ثم الغيبة الكبرى ولازال غائبا حتى يومنا هذا .

وكان لون وجه الإمام العسكري بين السمرة والبياض ، وكان في أخلاقه -كآبائه الأطهار - المثل الأعلى والقدوة التي تحتدى ، ومع ان مدة إمامته كانت قصيرة فقد ظهرت منه من العلوم ونشر الأحكام الإلهية وبث المعالم

النبوية ما بهر العقول وحير الألباب

توفي الإمام علي العسكري يوم الجمعة الثامن من شهر ربيع الأول من سنة ستين ومائتين، حيث انتقل إلى جوار ربه، في سامراء، ولم يصل عمره الشريف إلى ثمانية وعشرين سنة وحسب مصادر الشيعة، فإن المعتمد العباسي دس له السم.

ومن تراثه التفسير المنسوب إليه. هو كتاب في تفسير القرآن نسب إليه، وقد اختلف فقهاء الشيعة ومحدّثيهم في مدى صحة انتسابه إليه منذ القرن الرابع الهجري، غير أن المعلوم هو أن العسكري قد أثرت عنه مجموعة لا بأس بها من النصوص في مجال التفسير، وقد تناثرت جملة من هذه النصوص في المصادر الشيعية الموجودة اليوم.

ولد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يوم الجمعة الثامن من شهر ربيع الآخر بالمدينة وقيل ولد بسر من رأى (سامراء) سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وقيل سنة إحدى وثلاثين ومائتين [1].



(١) انظر: الخطيب، تاريخ بغداد، ٧ / ٣٦٦، ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٣٢٢، الكليني، الكافي ١ / ص ٥٠٣، المفيد، الإرشاد، ص ٣٣٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢ / ٩٤.

محمد بن الحسن المهدي

ولد في دار أبيه الحسن العسكري في مدينة سامراء أواخر ليلة الجمعة الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥ هـ على أشهر الروايات، وثمة روايات أخرى تذكر أن سنة الولادة هي ٢٥٦ هـ أو ٢٥٤ هـ مع الاتفاق على يومها وروي غير ذلك، إلا أن الأرجح هو التأريخ الأول لعدة شواهد، منها وروده في أقدم المصادر التي سجلت خبر الولادة وتوفي قبل وفاة أبيه الحسن العسكري بفترة وجيزة، ومنها أن معظم الروايات الأخرى تذكر أن يوم الولادة كان يوم جمعة منتصف شهر شعبان وإن اختلفت في تحديد سنة الولادة.

ويعتقد الشيعة الاثنا عشريون أنه المتمم لسلسلة الأئمة، فهو الإمام الثاني عشر والأخير الذي سيأتي ليملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلما وجورا.

وفي حين يروى الشيعة الإثنا عشريون أن الإمام الحادي عشر الحسن العسكري أنجب طفلا وهو محمد - ولم تثبت هذه الحقيقة التاريخية لدى بعض أهل السنة ولدى بعض علماء الشيعة - وظل يحاول إخفاءه عن الناس إلا المقربين منه فقط خوفا على الطفل من سطوة الدولة العباسية التي كانت علي عداء مع الشيعة في ذلك الوقت حيث أن الحسن العسكري كان في إقامة جبرية في مدينة عسكر ليكون تحت أنظار السلطة.

تروي الكتب التاريخية أن أم المهدي هي نرجس بنت رياض المختارالتونسي بن ال شيعي التي يروى أنها من نسل شمعون الصفا وصي المسيح عيسى ابن مريم وكانت ابنة قيصر الروم في عهد الحسن العسكري.

ولدت نرجس في القسطنطينية ورأت في منامها السيد المسيح يبشرها بأنها ستتزوج من الحسن العسكري. وفي إحدى انتقالاتها وقعت أسيرة في يد المسلمين وجيء بها إلى بغداد. وتقول الروايات انه في هذه الأثناء وجه علي الهادي أبو الحسن العسكري، أحد خاصته من سامراء إلى بغداد مع رسالة منه باللغة الرومية (اليونانية)، وأوصاه بتسليم هذه الرسالة إلى فتاة اسيرة جليلة في سوق النخاسة، وقد وصف له بالتفاصيل طبيعة المكان

وشكل الفتاة . بعد أن وصف للرسول المكان والشيخ البائع والأسيرة الجليلة ، وحمّله مائتين وعشرين ديناراً ، ليدفعها ثمناً لمالكها . هنالك في بغداد في سوق العبيد ناول المبعوث كتاب الهادي إلى الفتاة التي كانت ترفض بإباء أن يقترب منها أي أحد . حينها قرأت الرسالة انخرطت بالبكاء وراحت تصرخ مهددة بالانتحار إن لم يوافق النخاس على بيعها إلى ذلك المبعوث . فساوم الرسول الشيخ البائع ، حتى توقف عند الثمن الذي أرسله الهادي فدفعه إليه ، ونقلها بتجليل واحترام إلى سامراء . فلما دخلت على الهادي رحب بها كثيراً ، ثم بشرها بولد يولد لها من ابنه الحسن العسكري يملك الدنيا شرقاً وغرباً ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً . ثم بعد ذلك أودعها عند أخته "حكيمة" بنت الجواد لتُعلمها الفرائض والأحكام ، فبقيت عندها أياماً . بعدها وهبها الهادي ابنه الحسن العسكري فتزوجها ، وهي في مقتبل العمر .

بعد وفاة الحسن العسكري تروي الروايات الشيعية أن أخوه جعفر بن علي الهادي وكان لا يعلم أن للإمام ابنا ادعى أنه الإمام ودعى لنفسه . ولكنه عندما علم بأمر محمد المهدي تنازل له وأعلن البيعة لابن أخيه[1] .

* * * * *

(١) انظر: تفسير القمي ، كاظم القزويني ، الإمام المهدي من المهد حتى الظهور ، المسعودي ، مروج الذهب ، ٤/ ١٦٩ ، ابن الصباغ المالكي ، الفصول المهمة ، ص ٢٧٦ .

الخاتمة

الحمـد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربُّنا ويرضى ، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله ، غير مَكْفِيٍّ ولا مكفـور ولا مودَّعٍ ولا مستغني عنه ربُّنا ، ونسأله أن يوزعنا شكر نعمته ، وأن يوفّقنا لأداء حقه ، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وأن يـرزقنا الـشهادة في سـبيله ، وأن يجعـل ما قصدنا له في هذا الكتاب وفي جمـيع أقوالـنا وأفعالـنا خالـصاً لـوجهه الكـريم ، ونـصيحة لعـباده . فيا أيها القـاريءُ لـه ، لـك غُـنْمُه وعلـى مؤلفه غُرْمُه ، لك ثمرتُه وعليه تَبِعَتُه ، فما وجدتَ فيه من صوابٍ وحق فاقبله ولا تلتفت إلى قائله ، بل انظر إلى ما قال لا إلى مـن قـال وقد ذمَّ الله تعالى من يَرُدَّ الحقَّ إذا جاء به مَن يبغضه ، ويقبله إذا قالـه مـن يحـبه فهـذا خُلُقُ الأمة الغضبية أي: اليهود . فقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضاً ، ورُدَّ الباطل على من قاله وإن كان حبيباً .

وقـرر أنـه لا يـردُّ كـل قول من أخطأ جملة ، بل لا بد من تمييز الحق من الباطل ، فقال: "فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة ، وأهدرت محاسنه ، لفسدت العلوم والصناعات" .

وقـال أيـضًا: ". . فـإن كل طائفة معها حق وباطل ، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق ، ورد ما قالوه من الباطل ، ومن فتح الله له بهذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب ، ويسر عليه من الأسباب"[1] .

وما وجد القارئ فيه من خطأ فإن قائله لم يألُ جهد الإصابة ، ويأبى الله إلا أن يتفرد بالكمال ، كما قيل:

والـنَّقْصُ في أصـلِ الطبيعةِ كامنٌ ::: فَبَـنُو الطبـيعة نَقْصُهم لا يُجْحَدُ

وكـيف يُعْـصَمُ مـن الخطـأ مـن خُلـق ظلـوماً جهولاً ، ولكن من عُدَّت غلطاتُـه أقـربُ إلى الصوابِ ممن عُدَّت إصاباتُه ، وعلى المتكلم في هذا الباب وغـيره أن يكـون مـصدر كلامـه عـن العلـم بالحـق ، وغايـته النصيحة لله ،

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ص٣٧٨ .

ولكـتابه ، ولرسـوله ، ولإخوانه المسلمين ، وإن جعلَ الحقَ تبعاً للهوى: فَسَدَ القلبُ والعملُ والحالُ والطريقُ . .

والحمـد لله رب العـالمين وصـلى الله وسـلم وبـارك على خاتم المرسلين محمدٍ وعلى آله أجمعين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،

الفقير إلي عفو ربه ومغفرته ورضوانه

رجب محمود إبراهيم بخيت

* * * * *

الفهـرس

* * * * *